سلسلة نصوص تراثية للباحثين (٤٤٠)

دلالة السياق

من خلال مصنفات التفسير

د/ يوسف بن حمود الحوشان

١٤٤٣هـ

نسخة أولية من غير ترتيب او مراجعة
ومتاح لكل أحد الاستفادة منها

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله اما بعد

فهذه نصوص جمعت باستخدام برنامج شاملة وورد من برمجيات الدكتور سعود العقيل بواسطة المكتبة الشاملة

معتمدة على توظيف الكلمة المفتاحية وتوفير النصوص للباحثين لتحريرها والاستفادة منها وهي مشاعة لمن يستفيد منها

وسيتبعها نصوص أخرى يسر الله نشرها والله الموفق

يوسف بن حمود الحوشان

yhoshan@gmail.com

https://t.me/dralhoshan تليجرام

"(ربكم أعلم بما في نفوسكم) أي بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم أو الإصرار عليه ويتدرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجا أوليا، وقيل أن الآية خاصة بما يجب للوالدين من البر ويحرم على الأولاد من العقوق، والأول أولى اعتبارا بعموم اللفظ فلا تخصصه **دلالة السياق** ولا تقيده.

(إن تكونوا صالحين) أي أبرار مطيعين قاصدين الصلاح والبر والتوبة من الذنب والإخلاص للطاعة (فإنه كان للأوابين) أي الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة ومن السيئات إلى الحسنات ومن العقوق إلى البر ومن عدم الإخلاص إلى محض الإخلاص (غفورا) لما فرط منكم من قول أو فعل أو اعتقاد فلا يضركم ما." (١)

"وإمارات النبوة وتمكنوا من التمييز بين المحق والمبطل ورأوا نعتك وصفة ما أنزل إليك في تلك الكتب كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام وسلمان الفارسي وأبي ذر.

وقيل الضمير في قوله من قبله راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن **لدلالة السياق** على ذلك.

(إذا يتلى عليهم) القرآن (يخرون للأذقان سجدا) أي يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه، وإنما قيد الخرور وهو السقوط بكونه للأذقان أي عليها لأن الذقن وهو مجتمع اللحيين أول ما يحاذي الأرض، قال الزجاج: لأن الذقن مجتمع اللحيين، وكما يبتدئ الإنسان بالخرور للسجود فأول ما يحاذي الأرض به من وجهه الذقن.

وقيل المراد تعفير اللحية بالتراب فإن ذلك غاية الخضوع وإيثار اللام في للأذقان على (على) للدلالة على الاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور. وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بأنبيائه فلا تبال بذلك فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا له عند تلاوته عليهم خضوعا ظهر أثره البالغ بكونهم يخرون على أذقانهم سجدا لله.." (٢)

"حاجز غير حصين لسكونها، وهما قراءتان سبعيتان وهذا أمر للنبي – صلى الله عليه وسلم – بأن يقول لكفار قريش أو للكفار على الإطلاق هذا القول، ومفعولا زعمتم محذوفان. أي: زعمتوهم آلهة **لدلالة السياق** عليهما، قال مقاتل يقول: ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع، ثم أجاب سبحانه عنهم فقال: (لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض) أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر، ولا على جلب نفع ولا دفع ضر في أمر من الأمور، وذكر السموات والأرض لقصد التعميم لكونهما ظرف الموجودات الخارجية.

(وما لهم فيهما من شرك) أي ليس للآلهة في السموات والأرض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف (وما له منهم

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٣٧٨/٧

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٤٦٧/٧

من ظهير) أي وما لله سبحانه من تلك الآلهة من معين يعينه على شيء من أمور السموات والأرض ومن فيهما، بل هو المتفرد بالإيجاد فهو الذي يعبد، وعبادة غيره محال.." (١)

"قتادة: يعني تحليل الحلال وتحريم الحرام.

قال القرطبي: الأصول التي لا تختلف فيها الشرائع هي التوحيد والصلاة والزكاة والصيام والحج، وأداء الأمانة وصلة الرحم، وتحريم الكفر والقتل والزنا والإذاية للخلق، كيفما تصورت، والإعتداء على الحيوان كيفما دار، واقتحام الدناءات، وما يعود بخرم المروءات فهذا كله مشروع دينا واحدا، وملة واحدة لم تختلف على ألسنة الأنبياء وإن اختلفت أعذارهم، وذلك قوله تعالى: أن أقيموا الدين الخ.

ثم لما أمرهم سبحانه بإقامة الدين نهاهم عن الإختلاف فيه فقال: (ولا تتفرقوا فيه) أي لا تختلفوا في التوحيد والإيمان بالله، وطاعة رسوله، وقبول شرائعه فإن هذه الأمور قد تطابقت عليها الشرائع وتوافقت فيها الأديان، فلا ينبغي الخلاف في مثلها، وليس هذا من فروع المسائل التي تختلف فيها الأدلة وتتعارض فيها الأمارات، وتتباين فيها الأفهام، فإنها من مطارح الاجتهاد، ومواطن الخلاف.

قال القرطبي في الآية أي اجعلوه دائما قائما مستمرا محفوظا مستقرا، من غير خلاف فيه ولا اضطراب، فمن الخلق من وفى بذلك ومنهم من نكث، (ومن نكث فإنما ينكث على نفسه).

واختلفت الشرائع وراء هذه في أحكامه حسبما أراد الله مما اقتضت المصلحة وأوجبت الحكمة وضعه في الأزمنة على الأمم والله أعلم.

قال قتادة في الآية: ألا تعلمون أن الفرقة هلكة، وأن الجماعة ثقة وقال على الجماعة رحمة والفرقة عذاب. ثم ذكر سبحانه أن ما شرعه من الدين شق على المشركين فقال:

(كبر) أي عظم وشق (على المشركين ما تدعوهم إليه) من التوحيد ورفض الأوثان، قال قتادة اشتد عليهم شهادة أن لا إله إلا الله وحده، وضاق بها إبليس وجنوده، فأبى الله إلا أن ينصرها ويعليها ويظهرها، ويظفرها كل من ناوأها، والأولى التعميم **لدلالة السياق** ولا يمنعه تخصيص." (٢)

"(وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله، وما كان فيه من تعب الدنيا، وخوف العاقبة، فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهم، وما كانوا فيه من الكد والنكد، بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق، وما وصلوا إليه تلذذا واعترافا بالنعمة وقيل: يقول بعضهم لبعض: بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة؟ وقيل: إن التساؤل بينهم عند البعث من القبور، والأول أولى، **لدلالة السياق** على أنهم قد صاروا في الجنة.

أخرج البزار، عن " أنس قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم:

إذا دخل أهل الجنة الجنة اشتاقوا إلى الإخوان، فيجيء سرير هذا حتى يحاذي سرير هذا فيتحدثان فيتكىء ذا ويتكىء ذا

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١١/١٨٨

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ١٢/٢٨٥

فيتحدثان بما كانوا في الدنيا، فيقول أحدهما: يا فلان تدري أي يوم غفر الله لنا، يوم كنا في موضع كذا وكذا، فدعونا الله فغفر لنا " (١).

---

(١) مسلم.." [١]

"(وليال عشر) أي ليالي عشر من ذي الحجة، وبه قال السدي والكلبي، وقيل المعنى وصلاة الفجر أو ورب الفجر، والأول أولى، وقال ابن عباس فجر النهار، وعنه قال يعني صلاة الفجر، وعنه قال هو المحرم فجر السنة.

وقد ورد في فضل صوم شهر محرم أحاديث صحيحة، ولكنها لا تدل على أنه المراد بالآية لا مطابقة ولا تضمنا ولا التزاما، وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله (إن ربك لبالمرصاد). قاله ابن الأنباري، وقيل محذوف **لدلالة السياق** عليه أي ليجازين كل أحد بما عمل أو ليعذبن، وقدره أبو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله أي والفجر الخ لإيابهم إلينا وحسابهم علينا، وهذا ضعيف جدا، وأضعف منه قول من قال أن الجواب قوله (هل في ذلك قسم لذي حجر) وأن هل بمعنى قد، لأن هذا لا يصح أن يكون مقسما عليه أبدا.." [٢]

"قال تعالى : «والطور» ١ طور سيناء الجبل الذي كلم الله عليه موسى عليه السلام ، ويطلق لغة على كل جبل بانفراده ،

(٣٨١/٤)

بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٣٨٢

أما إذا وصف فيتقيد بكل جبل ملتفة عليه الأشجار ، وإنما أقسم اللّه به دون غيره لعظم ما وقع عليه منه جل شأنه لسيدنا موسى «وكتاب مسطور» ٢ هو التوراة واللّه أعلم **بدلالة السياق** والسباق ، يؤيده قوله جل قوله «في رق» وهو الأديم الذي يكتب عليه بفتح الراء وكسرها من الرقة ضد الصفاقة أي الوقاحة ، ثم انه تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها أو من الرقة وهي اللطافة ، «منشور» ٣ مبسوط مفتوح ، وقيل هو عبارة عن صحائف الأعمال استدلالا بقوله تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) الآية ١٤ من سورة الإسراء ج ١ ، وقيل هو القرآن ، والأول أولى وأنسب بالمعنى بمناسبة ذكر الطور ، ولأن الكتاب الذي أنزل على موسى أنزل ألواحا مكتوبة مفتوحة ، قال تعالى (وألقى الألواح) الآية ١٥٠ من الأعراف في ج ١ ، ولأن القرآن لم ينزل على محمد مكتوبا تدبر.

«والبيت المعمور» الكائن في السماء السابعة ، وسمي معمورا لكثرة زواره من الملائكة يعمرونه بالتسبيح والتهليل والتقديس ، وجاء في حديث المعراج من إفراد مسلم عن أنس رضي اللّه عنه أن رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة ، قال فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ويسمى الفراغ حرمته في السماء كحرمة الكعبة في

---

(١) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢٢٨/١٣

(٢) فتح البيان في مقاصد القرآن، صديق حسن خان ٢١٣/١٥

الأرض وهو واقع فوقها بحيث لو سقط من قلبه حجر لسقط عليها ، وهو تحت العرش كما روي عن علي كرم الله وجهه. وقال بعض المفسرين إنه الكعبة وعمارته بالحجاج ، والأول أولى لذكره صراحة بالحديثين الصحيحين ، وشهرته في هذا الاسم دون الكعبة ، وقال آخر إنه المسجد الأقصى المعمور بالأنبياء ، وهو أضعف مما قبله ، لأن هناك ثلاثة بيوت مقدسة :." (١)

"بيان المعاني ، ج ٤ ، ص : ٣٨٢

أما إذا وصف فيتقيد بكل جبل ملتفة عليه الأشجار ، وإنما أقسم الله به دون غيره لعظم ما وقع عليه منه جل شأنه لسيدنا موسى «وكتاب مسطور» ٢ هو التوراة والله أعلم **بدلالة السياق** والسباق ، يؤيده قوله جل قوله «في رق» وهو الأديم الذي يكتب عليه بفتح الراء وكسرها من الرقة ضد الصفاقة أي الوقاحة ، ثم انه تجوز فيه عما يكتب فيه الكتاب من ألواح وغيرها أو من الرقة وهي اللطافة ، «منشور» ٣ مبسوط مفتوح ، وقيل هو عبارة عن صحائف الأعمال استدلالا بقوله تعالى (ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا) الآية ١٤ من سورة الإسراء ج ١ ، وقيل هو القرآن ، والأول أولى وأنسب بالمعنى بمناسبة ذكر الطور ، ولأن الكتاب الذي أنزل على موسى أنزل ألواحا مكتوبة مفتوحة ، قال تعالى (وألقى الألواح) الآية ١٥٠ من الأعراف في ج ١ ، ولأن القرآن لم ينزل على محمد مكتوبا تدبر.

«والبيت المعمور» الكائن في السماء السابعة ، وسمي معمورا لكثرة زواره من الملائكة يعمرونه بالتسبيح والتهليل والتقديس ، وجاء في حديث المعراج من إفراد مسلم عن أنس رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم رأى البيت المعمور في السماء السابعة ، قال فإذا هو يدخله كل يوم سبعون ألف ملك ، ويسمى الفراغ حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض وهو واقع فوقها بحيث لو سقط من قلبه حجر لسقط عليها ، وهو تحت العرش كما روي عن علي كرم الله وجهه. وقال بعض المفسرين إنه الكعبة وعمارته بالحجاج ، والأول أولى لذكره صراحة بالحديثين الصحيحين ، وشهرته في هذا الاسم دون الكعبة ، وقال آخر إنه المسجد الأقصى المعمور بالأنبياء ، وهو أضعف مما قبله ، لأن هناك ثلاثة بيوت مقدسة :

البيت المعمور ، وبيت العزة في سماء الدنيا الذي أنزل إليه القرآن جملة دفعة واحدة ، والبيت الحرام بالأرض.

وكل منها مشهور لا يغلب أحدها على الآخر.

أما المسجد الأقصى فلم يطلق عليه لفظ بيت ، لأن الله سماه المسجد الأقصى ، وأطلق عليه لفظ القدس ، وقد سمى الله الكعبة البيت الحرام «والسقف المرفوع» ٥ السماء العالية أو العرش ، لأنه سقف الجنة كما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ، يؤيده الحديث المار ذكره في تفسير الآية ١٨ من سورة المؤمنين المارة.

«والبحر المسجور» ٦ الموقد المحمى.." (٢)

---

(١) بيان المعاني، ٢٦٥/١

(٢) بيان المعاني، ٣٨٢/٤

"قوله – سبحانه – ﴿ وَلَقَدِ استهزئ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ . . . . ﴾ تسلية للرسول A – عما أصابه من حزن بسبب تعنت المشركين معه . ومطالبتهم له بالمطالب السخيفة التى لا صلة لها بدعوته ، كطلبهم منه تسيير الجبال وتقطيع الأرض ، وتكليم الموتى .

والاستهزاء : المبالغة فى السخرية والتهكم من المستهزأ به . والإِملاء : الإِمهال والترك لمدة من الزمان .

والتنكير فى قوله ﴿ برسل ﴾ للتكثير ، فقد استهزأ قوم نوح به ، وكانوا كلما مروا عليه وهو يصنع السفينة سخروا منه . واستهزأ قوم شعيب به وقالوا له : ﴿ فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسَفاً مِّنَ السمآء إِن كُنتَ مِنَ الصادقين ﴾ واستهزأ قوم هود به وقالوا له : ﴿ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ . . . ﴾ واستهزأ فرعون بموسى فقال : ﴿ أَمْ أَنَآ خَيْرٌ مِّنْ هذا الذي هُوَ مَهِينٌ وَلاَ يَكَادُ يُبِينُ ﴾ والمعنى : ولقد استهزأ الطغاة والجاحدون برسل كثيرين من قبلك –أيها الرسول الكريم – ﴿ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ ﴾ أى : فأمهلتهم وتركتهم مدة من الزمان فى أمن ودعة .

﴿ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ﴾ أخذ عزيز مقتدر ﴿ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ﴾ فانظر كيف كان عقابى إياهم ، لقد كان عقابا رادعا دمرهم تدميرا .

فالاستفهام للتعجيب مما حل بهم ، والتهويل من شدته وفظاعته وشبيه بهذه الآية قوله – تعالى – : ﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَمْلَيْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ ثُمَّ أَخَذْتُهَا وَإِلَيَّ المصير ﴾ قال ابن كثير : وفى الصحيحين أن رسول الله A قال : " وإن الله ليملى للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ A ﴿ وكذلك أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخَذَ القرى وَهِيَ ظَالِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ﴾ " .

ثم أقام – سبحانه – الأدلة الساطعة على وحدانيته وعلى وجوب إخلاص العبادة له – تعالى – فقال : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ . . . ﴾ .

والمراد بالقيام هنا : الحفظ والهيمنة على جميع شئون الخلق والاستفهام للإِنكار ، والخبر محذوف والتقدير : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ ﴾ أى : رقيب ومهيمن ﴿ على كُلِّ نَفْسٍ ﴾ كائنة ما كانت ، عالم بما تعمله من خير أو شر فمجازيها به كن ليس كذلك؟

وحذف الخبر هنا وهو قولنا – كمن ليس كذلك – **لدلالة السياق** عليه ، كما فى قوله – تعالى – : ﴿ أَفَمَن شَرَحَ الله صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ ﴾ أى : كمن قسا قلبه .

وحسن حذف الخبر هنا لأنه مقابل للمبتدأ هو ﴿ من ﴾ ولأن قوله – تعالى – : ﴿ وَجَعَلُواْ للَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ حالية ، والتقدير :

أفمن هذه صفاته ، وهو الله – تعالى – كمن ليس كذلك ، والحال أن هؤلاء الأغبياء قد جعلوا له شركاء فى العبادة وغيرها .

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة ، زيادة توبيخهم ، وتسفيه أفكارهم وعقولهم .

وقوله – سبحانه – ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ تبكيت لهم إثر تبكيت .

أى : قل لهم – أيها الرسول الكريم – سموهم شركاء إن شئتم ، فإن هذه التسمية لا وجود لها فى الحقيقة والواقع ، ولا

تخرجهم عن كونهم لا يملكون لأنفسهم – فضلا عن غيرهم – نفعا ولا ضرا ، لأن الله – تعالى – واحد لا شريك له .." (١)

"الفاء فى قوله – تعالى – : ﴿ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ علَى الله . . . ﴾ لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، والاستفهام للإِنكار والنفى .

أى ما دام الأمر كما ذكرنا لك – أيها الرسول الكريم – من أنك ستموت وهم سيموتون ، وأنكم جميعا ستقفون أمام ربكم للحساب والجزاء . . فلا أحد أشد ظلما من هؤلاء المشركين الذين كذبوا على الله ، بأن عبدوا من دونه آلهة أخرى ، ونسبوا إليه الشريك أو الولد ، ولم يكتفوا بكل ذلك ، بل كذبوا بالأمر الصدق وقت أن جئتهم به من عند ربك .

والتعبير بقوله : ﴿ وَكَذَّبَ بالصدق إِذْ جَآءَهُ ﴾ يدل على أنهم بادروا بتكذيب ما جاءهم به الرسول A من عند ربه ، بمجرد أن سمعوه ، ودون أن يتدبروه أو يفكروا فيه .

وتكذيبهم بالصدق ، يشمل تكذيبهم للقرآن الكريم ، ولكل ما جاءهم به الرسول A .

والاستفهام فى قوله – تعالى – : ﴿ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ للتقرير .

والمثوى : المكان مأخذو من قولهم ثوى فلان بمكان كذا ، إذا أقام به . يقال : ثَوَى يثوِى ثَواء ، كمضَى يمضِى مَضَاء . . أى : أليس فى جهنم مكانا يكفى لإِهانة الكافرين وإذلالهم وتعذيبهم؟ بل إن فيها لمكانا يذلهم ويذوقون فيه سوء العذاب .

ثم بين – سبحانه – حسن عاقبة أهل الصدق والإِيمان فقال : ﴿ والذي جَآءَ بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ أولئك هُمُ المتقون ﴾ .

والمراد بالذى جاء بالصدق : رسول الله A والمراد بالذى صدق به : ما يشمل الرسول A ويشمل كل من آمن به واتبعه فيما جاء به ، كأبى بكر الصديق وغيره من الصحابة .

قال الآلوسى ما ملخصه : قوله – تعالى – : ﴿ والذي جَآءَ بالصدق وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ الموصول عبارة عن رسول الله A كما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس . . . والمؤمنون داخلون **بدلالة السياق** وحكم التبعية ، دخول الجند فى قولك : نزل الأمير موضع كذا . .

والجمع فى قوله – تعالى – : ﴿ أولئك هُمُ المتقون ﴾ باعتبار دخول الأتباع تباعا : ومراتب التقوى متفاوتة ، ولرسول الله A أعلاها . . .

ثم بين – سبحانه – ما أعده لهؤلاء المتقين من نعيم فقال ﴿ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ . . . ﴾ .

أى : لهؤلاء المتقين كل ما يشاءونه عند ربهم ومالك أمرهم ، بسبب تصديقهم للحق ، واتباعهم لما جاءهم به رسولهم A .

وفى قوله : ﴿ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ تكريم وتشريف لهم .

وقوله : ﴿ ذَلِكَ جَزَآءُ المحسنين ﴾ أى : ذلك الذى ذكرناه من حصولهم على ما يشتهونه جزاء من أحسنوا فى أقوالهم وأفعالهم .

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٢٣٨٩

ثم بين – سبحانه – جانبا من مظاهر تكريمه لهم ، ورحمته بهم فقال : ﴿ لِيُكَفِّرَ الله عَنْهُمْ أَسْوَأَ الذي عَمِلُواْ وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الذي كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴾ .." [١]

"أى : مستويا .

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : ﴿ أَفَمَن يَمْشِي مُكِبّاً على وَجْهِهِ أهدى . . . ﴾ : هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه ، كمثل من يمشى مكبا على وجهه ، أى : يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه ، أى : لا يدرى أين يسلك ، ولا يكف يذهب ، بل هو تائه حائر ضال ، أهذا أهدى ﴿ أَمَّن يَمْشِي سَوِيّاً ﴾ أى : منتصب القامة ﴿ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴾ أى على طريق واضح بين ، وهو فى نفسه وهو فى نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة .

هذا مثلهم فى الدنيا ، وكذلك يكونون فى الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم . . وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى النار . .

وروى الإمام أحمد عن أنس قال : " قيل يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم؟ فقال : " أليس الذى أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم "

وقال الجمل : هذا مثل للمؤمن والكافر ، حيث شبه – سبحانه – المؤمن فى تمسكه بالدين الحق ، ومشيه على منهاجه ، بمن يمشى فى الطريق المعتدل ، الذى ليس فيه ما يتعثر به . .

وشبه الكافر فى ركوبه ومشيه على الدين الباطل ، بمن يمشى فى الطريق الذى فيه حفر وارتفاع وانخفاض ، فيتعثر ويسقط على وجهه ، وكلما تخلص من عثرة وقع فى أخرى .

فالمذكور فى الآية هو المشبه به ، والمشبه محذوف ، **لدلالة السياق** عليه . .

وبذلك نرى هذه الآيات الكريمة قد لفتت أنظار الناس إلى التفكر والاعتبار ، ووبخت المشركين على جهالاتهم وطغيانهم ، وساقت مثالا واضحا للمؤمن والكافر ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حى عن بينة .

ثم أمر الله – تعالى – رسوله A فى بضع آيات أن يذكر الكافرين بنعم الله – تعالى – عليهم ، وأن يرد على شبهاتهم وأكاذيبهم بما يدحضها ، وأن بكل أمره وأمرهم إليه وحده – تعالى – فقال :

﴿ قُلْ هُوَ الذي أَنشَأَكُمْ . . . ﴾ .." [٢]

"تخلص من عثرة وقع في أخرى.فالمذكور في الآية هو المشبه به ، والمشبه محذوف ، **لدلالة السياق** عليه .. (١)

وبذلك نرى هذه الآيات الكريمة قد لفتت أنظار الناس إلى التفكر والاعتبار ، ووبخت المشركين على جهالاتهم وطغيانهم ، وساقت مثالا واضحا للمؤمن والكافر ، ليهلك من هلك عن بينة ويحيى من حي عن بينة. (٢)

قل – أيها الرسول الكريم – لهؤلاء المشركين – على سبيل تبصيرهم بالحجج والدلائل الدالة على قدرتنا ووحدانيتنا ، وعلى سبيل التنويع في الإرشاد والتوجيه .. قل لهم : الرحمن – عز وجل – هو الذي أنشأكم وأوجدكم في كل طور من أطوار

---

(١) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٣٦٥٧

(٢) الوسيط لسيد طنطاوي، ص/٤٢٧٧

حياتكم ، وهو سبحانه – الذي أوجد لكم السمع الذي تسمعون به ، والأبصار التي تبصرون بها الكائنات ، والأفئدة أى والقلوب التي تدركونها بها ..ولكنكم – مع كل هذه النعم – قَلِيلًا ما تَشْكُرُونَ خالقكم – عز وجل – . وجمع – سبحانه – الأفئدة والأبصار ، وأفرد السمع ، لأن القلوب تختلف باختلاف مقدار ما تفهمه مما يلقى إليها من إنذار أو تبشير ، ومن حجة أو دليل ، فكان من ذلك تعدد القلوب بتعدد الناس على حسب استعدادهم.

وكذلك شأن الناس فيما تنتظمه أبصارهم من آيات الله في كونه ، فإن أنظارهم تختلف في عمق تدبرها وضحولته ، فكان من ذلك تعدد المبصرين ، بتعدد مقادير ما يستنبطون من آيات الله في الآفاق.

وأما المسموع فهو بالنسبة للناس جميعا شيء واحد ، هو الحجة يناديهم بها المرسلون ، والدليل يوضحه لهم النبيون.

لذلك كان الناس جميعا كأنهم سمع واحد ، فكان إفراد السمع إيذانا من الله بأن حجته واحدة ، ودليله واحد لا يتعدد.

---

(١) – حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٣٨٠.

(٢) – التفسير الوسيط للقرآن الكريم–موافق للمطبوع – (١٥ / ٢٣)." (١)

"ثم يبين ما عوقبوا به ، فيقول : فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ ، فَسَوَّاها ، وَلا يَخافُ عُقْباها أي فأطبق عليهم العذاب وأهلكهم ، وغضب عليهم فدمر عليهم ، فسوّى الدمدمة عليهم ، وعمّهم بها ، أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء ، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم. قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم ، وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها ، دمدم اللّه عليهم بذنبهم ، فسواها.

وقد فعل اللّه ذلك بهم ، وأهلكهم ، غير خائف هذا الأشقى من عاقبة ولا تبعة ، أي فإنه تجرأ على عقر الناقة دون أن يخاف الذي عقرها عاقبة إهلاك قومه ، وعاقبة ما صنع ، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها ، وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه.

وقال ابن عباس : لا يخاف اللّه من أحد تبعة. قال ابن كثير : وهذا القول أولى **لدلالة السياق** عليه. وقال أبو حيان : الظاهر عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وهو رَبُّهُمْ أي لا درك عليه تعالى في فعله بهم ، لا يسأل عما يفعل ، قال ابن عباس والحسن ، وفيه ذم لهم وتعقبة لآثارهم. والمراد أن اللّه لا يخاف عاقبة ما فعل بهم لأنه عادل في حكمه. وقال الزمخشري : ولا يخاف اللّه عاقبتها وتبعتها ، كما يخاف كل معاقب من الملوك ، فيبقي بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود ، على معنى : فسوّاها بالأرض أو في الهلاك ، ولا يخاف عقبى هلاكها.

وعَنْ قَتَادَةَ،"أَنَّ ثَمُودَاً، لَمَّا عَقَرُوا النَّاقَةَ، تَغَامَزُوا وَقَالُوا : عَلَيْكُمُ الْفَصِيلُ، فَصَعِدَ الْفَصِيلُ الْقَارَةَ جَبَلاً، حَتَّى إِذَا كَانَ يَوْمًا اسْتَقْبَلَ الْقِبْلَةَ، وَقَالَ : يَا رَبِّ أُمِّي، يَا رَبِّ أُمِّي، يَا رَبِّ أُمِّي، فَأُرْسِلَتْ عَلَيْهِمُ الصَّيْحَةُ عِنْدَ ذَلِكَ". (١)

وعَنْ مُحَمَّدِ بْنِ إِسْحَاقَ، قَالَ : "فَانْطَلَقُوا، فَرَصَدُوا النَّاقَةَ حَتَّى صَدَرَتْ عَنِ الْمَاءِ، وَقَدْ كَمَنَ لَهَا قِدَارٌ فِي أَصْلِ الصَّخْرَةِ عَلَى طَرِيقِهَا، وَكَمَنَ لَهَا مِصْدَعٌ فِي أَصْلِ أُخْرَى، فَمَرَّتْ عَلَى مِصْدَعٍ، فَرَمَاهَا بِسَهْمٍ، فَانْتَظَمَ بِهِ عَضَلَةَ سَاقِهَا، قَالَ : فَشَدَّ يَعْنِي

---

(١) المهذب في تفسير سورة الملك، ص/١٢٣

قِدَارٌ عَلَى النَّاقَةِ بِالسَّيْفِ، فَكَشَفَ عُرْقُوبَهَا، فَخَرَّتْ وَرَغَتْ رُغَاةً وَاحِدًا تُحَذِّرُ سُقْبَهَا، ثُمَّ طَعَنَ فِي لَبَّتِهَا فَنَحَرَهَا، وَانْطَلَقَ سُقْبُهَا حَتَّى أَتَى جَبَلاً مَنِيعًا، ثُمَّ أَتَى صَخْرَةً فِي رَأْسِ الْجَبَلِ، فَرَغَا ثُمَّ لاذَ بِهَا، فَأَتَاهُمْ صَالِحٌ : فَلَمَّا رَأَى النَّاقَةَ قَدْ عُقِرَتْ بَكَى، ثُمَّ قَالَ : انْتَهَكْتُمْ حُرْمَةَ اللَّهِ، فَأَبْشِرُوا بِعَذَابِ اللَّهِ وَنِقْمَتِهِ". (٢)

ومضات :

الناقة المذكورة قد وصفت بناقة الله وهذا يعني أنها معجزة ربانية ظهرت على يد نبي ثمود جوابا على تحديهم. وقد تكرر ذكرها في مواضع عديدة من القرآن المكي. والمفسرون يذكرون استنادا إلى الروايات أن الناقة خرجت من بطن صخرة ، كما يذكرون بيانات كثيرة عن جسمها

---

(١) - تفسير ابن أبي حاتم - (٦ / ١٠٠) (٨٧٠٦) صحيح مرسل

(٢) - تفسير ابن أبي حاتم - (٦ / ١٠٠) (٨٧٠٧)." [١]

"ثم من الألفاظ على الجملة مجازية ، وهي الواقعة على مسمياتها (لا) على أنها أسماء لها بل وضعت لمناسبتها لما وضعت الأسماء الحقيقية بإزائها ، ومن المعلوم في عوارض التركيب الضرب المسمى بلحن الخطاب ، وهو خذف الكلمة من الجملة مع إرادتها ، **ودلالة السياق** والمعنى عليها ، كالواقع في قوله تعالى : (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) (الشعراء : ٦٣) ، ولا شك أن المراد : فضرب فانفلق ، ومما يلحق به عند الجمهور - إلا من قول بقول الكرخي - (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) (البقرة : ١٨٤) ، والتقدير : فأفطر فعدة من أيام أخر ، فهذا من لحن الخطاب ومن معروف التخاطب الجاري ، وهي دلالة المنطوق على مسكوت عنه يفهمه السياق وقصد المتكلم من عرف اللغة ، نحو فهم (منع) الضرب والشتم من قوله تعالى : (فلا تقل لهما أف) (الإسراء : ٢٣) ، وهذا الضرب من المفهوم يجاري النصوص ولهذا لم يختلف فيه من أنكر القياس ، فهذه جملة يستعان بها على تلقي ما يرد ، وليست خاصة بالذي نحن فيه من هذه السورة ولا بموضوع دون موضوع.

ثم من المعلون - بإعلام الله سبحانه - أنه تعالى لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه ، فموسى ، عليه السلام ، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني (الذي هو لسان قومه ، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة ، فالوارد في كتابنا إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى ، عليه السلام ، وخاطب به ، واللسان العبراني) أقرب الألسنة إلى اللسان العربي ، فما المانع أن يجري فيه ويطرد كل ما في اللسان العربي من الضروب المذكورة قل أو كثر (ذلك) .

(ثم) في الجواب عما تقدم ما لا يفتقر فيه إلى بنائه على ما مهدناه. فأقول مستعينا بالله سبحانه في قول موسى ، عليه السلام ، لأهله : (امكثوا) وسقوط ذلك في سورة النمل قد يكون مما قاله ، عليه السلام ، نطقا باللغة التي كلمهم بها ، وقد يكون مما فهمه عنه أهله بإشارة أو قرينة أو حال ، فيكون قد أمرهم بذلك على كل حال فإما بنطق أو غيره ، فمرة حكى معنى نطقه أو مراده بما قد فهم عنه أهله الأمر ، ومرة اكتفى بما بعد (هذا) الأمر اقتصار على ما يحصل المقصود

---

(١) المهذب في تفسير جزء عم، ص/٦٤٩

، فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك.
وأما قوله : (لعلي آتيكم) في السورتين وقوله في النمل : (سآتيكم) فإن حرف التسويف يفهم الاستقبال ، و (ولفظ) لعل أيضا يعطي ذلك مع زيادة الترجي والطمع ، فيمكن لتقارب معنييهما أن يكون في لسانهم عبارة موضوعة للمعنيين معا ، فلم يكن بد من ورود الحرفين عند الحكاية ليحرز ذلك وقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم.." [(١)]

"١١ - ﴿بما تعملون﴾:
أي من ترك خروجكم للجهاد. فيدل أن الترك فعل، والصحيح أنه ليس بفعل، وإلا لزم عدم وجود العالم أو عدم حدوثه؛ هذا عند المتكلمين، وأما عند الفقهاء، فالصحيح أنه فعل كما في مسألة من مر بصيد في الحبالة فتركه حتى مات، ومسألة من رأى أعمى يقع في مهواة فتركه، وغير ذلك من المسائل.

١٣ - ﴿ومن لم يؤمن بالله﴾:
قول ابن عطية: "المراد: وأنتم كذلك، فأنتم ممن أعدت لهم السعير"؛ هو قياس الضمير، حذفت فيه إحدى القضيتين، **لدلالة السياق** عليها، وتقريره: أنتم غير مومنين بالله ورسوله، وكل من لم يومن بالله ورسوله أعتدنا له سعيرا، فأعتدنا لكم سعيرا. وذكر وصف الكفر إشارة لقياس العكس، وأنهم استحقوا السعير بوصف الكفر.

١٤ - ﴿يغفر لمن يشاء﴾:." [(٢)]
"فيها صادقا علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهيأ له أسبابها، ومن ذلك أنه يشرح١ صدره لقبول الإيمان وأنواره فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقا علم الله تعالى ذلك منه فهيأ له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقا٢ حرجا لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكأنه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقادر هذه سنته في الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ أي كذلك الفعل في الهداية والإضلال يجعل الله الرجس٣ أي يلقي بكل ما لا خير فيه على قلوبهم من الكبر والحسد والشرك والكفر والشيطان لقبول المحل لكل ذلك نتيجة خلوه من الإيمان بالله ولقائه.
وقوله تعالى ﴿وهذا صراط ربك مستقيما﴾ يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى ما بينه من الهدى وهذا طريق ربك مستقيما فاسلكه والزمه فإنه يفضي بك إلى كرامة ربك وجواره في جنات النعيم. وقوله: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يمتن تعالى وله الحمد والمنة بما أنعم به على هذه الأمة من تفصيل الآيات حججا وبراهين وشرائع ليهتدي طالبوا الهدى المشار إليهم بقوله ﴿لقوم يذكرون﴾ فيذكرون فيؤمنون ويعملون فيكملون ويسعدون في دار السلام إذ قال تعالى ﴿لهم٤ دار السلام عند ربهم وهو وليهم﴾ أي متوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا والإنعام والتكريم في الآخرة ﴿بما كانوا

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل، ٣٣٣/٢
(٢) نكت وتنبيهات في تفسير القرآن المجيد، ٥٤٢/٣

يعملون﴾ من الصالحات.

هذا ما دلت عليه الآيات الأولى والثانية والثالثة أما الآية الرابعة (١٢٨) فقد تضمنت عرضا سريعا ليوم القيامة الذي هو ظرف للجزاء على العمل في دار الدنيا فقال تعالى : ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾٥ إنسهم وجنهم ويقول سبحانه وتعالى ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم٦ من الإنس﴾ أي في إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي الذين كانوا

١ الشرح أصله التوسعة وشرح الأمر بينه وأوضحه ومنه تشريح اللحم والشريحة منه القطعة. وشرح الصدر لقبول الحق توسعته لتقبل ما يلقى إليه من الهدى وفي الحديث الصحيح "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

٢ الحرج والحرج بالفتح والكسر قراءتان وهو الضيق وكل ضيق حرج والحرجة الغيضة والجمع حروج وحرجات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحرج موضع الشجر الملتف فقلب الكافر لضيقه لا تصل إليه المعرفة كما لا تصل الشاة إلى الشجر الملتف أو تدخل رأسها بين الشجر فيصعب عليها إخراجه فتقع في حرج، والحرج الإثم.

٣ أصل الرجس في اللغة النتن وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه فكما يجعل صدر الكافر ضيقا لا يقبل الهدى يجعل عليه الرجس فيقبل كل خبيث نتن من الأقوال والاعتقادات.

٤ دار السلام الجنة والسلام هو الله فدار السلام كبيت الله وهناك معنى آخر وهو أنها دار السلامة من كل أذى ومكروه وآفة.

٥ نصب الظرف بفعل محذوف تقديره يقول يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن الخ.

٦ حذف لفظ الاستمتاع إيجازا **لدلالة السياق** وحرف الجر عليه أي قد استكثرتم من الاستمتاع من الإنس.." [(١)]

"بكل ذنوبهم لأنهى حياتهم على وجودهم(١)، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. وقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ قل يا رسولنا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالا أو جنوبا أو غربا فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دمارا وهلاكا فهل ترضون أن تكونوا مثلهم. وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي أنتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم يا رسولنا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وادعوا إليه وعلموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين وقوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي افعلوا ذاك الذي أمرتكم به قبل مجيء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء، وقوله ﴿لا مرد له من الله﴾ أي إنه لا يرده الله إذا جاء ميعاده لأنه قضى بإتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا. وقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون أي يتفرقون فرقتين(٢) كما يتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار. وقوله: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي من كفر اليوم فعائد كفره عليه

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ١١٧/٢

يوم القيامة، ﴿ومن عمل صالحا﴾ أي اليوم ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون فرشهم في الجنة(٣) إذ عائدة عملهم الصالح تعود عليهم لا على غيرهم، وقوله ﴿ليجزي(٤) الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أولياءه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها أنها زكت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط. وقوله ﴿إنه(٥) لا يحب الكافرين﴾ هذه جملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير: ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.

---

١ - شاهد قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (فاطر).

٢ - شاهده قول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

جذيمة الأبرشي كان ملكا ونديماه هما مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ثم ماتوا وندماني في البيت تثنية ندمان.

٣ - شاهده قوله تعالى من سورة الشورى (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير).

٤ - اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

٥ - علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى **بدلالة السياق** عليه.." (١)

"كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال.

أشحة على الخير : أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول.

أولئك لم يؤمنوا : أي إنهم لم يؤمنوا الإيمان الصحيح فلذا هم جبناء عند اللقاء بخلاء عند العطاء.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا(١) الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي لقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي(٢) الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، ﴿وكان عهد الله مسؤولا(٣)﴾ أي يسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به. وقوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي قل لهم يا رسولنا إنه لن ينفعكم الفرار أي الهروب من الموت أو القتل لأن الآجال محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله ﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلا﴾ أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلا من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم(٤) رحمة﴾ أي قل لهم يا رسولنا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/١٨٦

تبكيتا لهم وتأنيبا وتعليما أيضا: من(٥) ذا الذي يعصمكم أي يجيركم ويحفظكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءا﴾ أي ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي سلامة وخيرا فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يجار عليه وقوله تعالى ﴿ولا يجدون لهم من

---

١ - ذكر بعضهم أن هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة إذ هموا بالرجوع يوم أحد، وقيل هم من فاتتهم وقعة بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وما في التفسير أرجح **لدلالة السياق** عليه.

٢ - المراد بعهد الله كل عه يعاهد عليه العبد ربه فإنه يجب عليه الوفاء به وإن تركه سئل عنه وحوسب به يوم القيامة.

٣ - الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر فالأدبار الظهور وتولية الأدبار كناية عن الفرار.

٤ - في الكلام محذوف تقديره أو يجرمكم إن أراد بكم رحمة وهذا يعرف بدلالة الاقتضاء إيجازا للكلام كقول الراعي:

إذا ما الغانيات برزن يوما

وزججن الحواجب والعيونا

أي وكحلن العيون.

٥ - الاستفهام للنفي أي لا أحد يعصمهم مما أراد الله تعالى بهم.." [(١)]

"الدائمة في جهنم. وقوله تعالى: ﴿والذي جاء(١) بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أوليا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين.

وقوله تعالى ﴿أولئك هم المتقون(٢)﴾ يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.

وقوله: ﴿ذلك جزاء المحسنين(٣)﴾ أي ذلك المذكور في قوله لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى: ﴿ليكفر(٤) الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئات أي وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضا وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات.

هداية الآيات

من هداية الآيات:

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٢٥٣/٤

١– التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من الدين.

٢– بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذبين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

---

١ – والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون. وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو "من" **لدلالة السياق** عليه.

٢ – أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من أو إذ لا يكون من جاء بالصدق هو المصدق به.

٣ – الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

٤ – في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. وفي الحديث الصحيح "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه".." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد ﴾ [٣٣] .

﴿ أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت ﴾ أي : مراقب لأحوالها ومشاهد لها ، لا يخفى عليه ما تكسبه من خير أو شر . فهو مجاز ؛ لأن القائم على الشيء عالم به ، ولذا يقال : وقف عليه ، إذا علمه فلم يخف عليه شيء من أحواله ، والخبر محذوف تقديره : كمن ليس كذلك . وإنما حذف اكتفاء **بدلالة السياق** عليه وهو قوله : ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ أي : عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان ، وقوله : ﴿ قل سموهم ﴾ تبكيت لهم إثر تبكيت ، أي : سموهم من هم ، وماذا أسماؤهم ؟ فإنهم لا حقيقة لهم ! أو صفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة ؟ .

وقال الرازي : إنما يقال ذلك في الأمر المستحقر الذي بلغ في الحقارة إلى ألا يذكر ولا يوضع له اسم ، فعند ذلك يقال : سمه إن شئت ، يعني : أنه أخس من يسمى ويذكر ، ولكنك إن شئت أن تضع له اسما فافعل . فكأنه تعالى قال : سموهم بالآلهة ، على سبيل التهديد ، والمعنى : سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به ، فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها .

﴿ أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض ﴾ أي : بشركاء لا يعلمهم سبحانه . وإذا كان لا يعلمهم ، وهو عالم بكل شيء مما كان ومما يكون ، فهم لا حقيقة لهم . فهو نفي لهم بنفي لازمهم على طريق الكناية .

قال الناصر : وحقيقة هذا النفي أنهم ليسوا بشركاء ، وأن الله لا يعلمهم كذلك ؛ لأنهم ليسوا كذلك ، وإن كانت لهم ذوات

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري، ٤/٤٨٧

ثابتة يعلمها الله ، إلا أنها مربوبة حادثة لا آلهة معبودة . ولكن مجيء النفي على هذا السنن المتلو بديع لا تكتنه بلاغته وبراعته . ولو أتى الكلام على الأصل غير محلى بهذا التصريف البديع لكان : وجعلوا لله شركاء وما هم بشركاء . فلم يكن بهذا الموقع الذي اقتضته التلاوة .

وقوله تعالى : ﴿ أم بظاهر من القول ﴾ أي : بل أتسمونهم شركاء بظاهر من القول من غير أن يكون لذلك حقيقة ، كتسمية الزنجي كافورا من غير بياض فيه ولا رائحة طيبة ، لفرط الجهل وسخافة العقل ، وهذا كقوله تعالى : ﴿ ذلك قولهم بأفواههم ﴾ [التوبة : من الآية ٣٠] : ﴿ ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها ﴾ [يوسف : من الآية ٤٠] ، وعن الضحاك إن الظاهر بمعنى الباطل ، كقوله :

وذلك عار يا ابن ريطة ظاهر

تنبيه :

قال الزمخشري : هذا الاحتجاج وأساليبه العجيبة التي ورد عليها ، مناد على نفسه بلسان طلق ذلق ؛ أنه ليس من كلام البشر لمن عرف وأنصف من نفسه .

قال شارحوه : فإن قوله تعالى : ﴿ أفمن هو قآئم على كل نفس ﴾ لما كان كافيا في هدم قاعدة الإشراك مع السابق واللاحق وما ضمن من زيادات النكت ، وكان إبطالا من طريق حق ، مذيلا بإيطال من طرف النقيض على معنى : ليتهم إذ أشركوا بمن لا يجوز أن يشرك به ، أشركوا من يتوهم فيه ذلك أدنى توهم ، وروعي فيه أنه لا أسماء للشركاء ولا حقيقة لها فضلا عن المسمى على الكناية الإيمائية . ثم بولغ بأنها لا تستأهل أن يسأل عنها على الكناية التلويحية استدلالا بنفي العلم عن نفي المعلوم . ثم منه إلى عدم الاستئهال مع التوبيخ ، وتقدير أنهم يريدون أن ينبئوا عالم السر والخفيات بما لا يعلمه وهو محال على محال وفي جعل اتخاذهم شركاء ، ومجادلة الرسول عليه الصلاة والسلام إنباء له تعالى ؛ نكتة بل نكت سرية . ثم أضرب عن ذلك . وقيل : قد بين الشمس لذي عينين ، وما تلك التسمية إلا بظاهر من القول لا طائل تحته بل هو صوت فارغ .

فمن تأمل حق التأمل ، اعترف بأنه كلام خالق القوى والقدر ، الذي تقف دون أستار أسراره أفهام البشر . . . !

وقوله تعالى : ﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم ﴾ إضراب عن الاحتجاج عليهم . كأنه قيل : دع ذكر ما كنا فيه من الدلائل على فساد قولهم ؛ لأنه زين لهم كفرهم ومكرهم ، فلا ينتفعون بهذه الدلائل .

وقوله تعالى :

﴿ وصدوا عن السبيل ﴾ أي : عن سبيل الله ، وقرئ بفتح الصاد أي : صدوا الناس : ﴿ ومن يضلل الله ﴾ أي : يخلق فيه الضلال بسوء اختياره ، أو يخذله : ﴿ فما له من هاد ﴾ أي : من أحد يهديه .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ فجعلناهم سلفا ومثلا للآخرين * ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون ﴾ [٥٦ ، ٥٨] .

﴿ فجعلناهم سلفا ﴾ أي : حجة للهالكين بعدهم : ﴿ ومثلا ﴾ أي : عبرة : ﴿ للآخرين ﴾ أي : الناجين : ﴿ ولما ضرب ابن مريم مثلا ﴾ أي : في كونه كآدم ، كما أشارت له آية : ﴿ إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون ﴾ [آل عمران : ٥٩] ، والمعنى : لما بين وصفه الحق من أنه عبد مخلوق منعم عليه بالنبوة ، عبادته كفر ، ودعاؤه شرك ، إذ لم يأذن الله بعبادة غيره : ﴿ إذا قومك منه ﴾ أي : من مثله المضروب ووصفه المبين : ﴿ يصدون ﴾ أي : يعرضون ، ولا يعون : ﴿ وقالوا أآلهتنا خير أم هو ﴾ يعنون بآلهتهم الملائكة الذين عبدوهم ، زعما منهم أنهم بنات الله تعالى ، كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة . أي : أنهم خير من عيسى وأفضل ، لأنهم من الملأ الأعلى والنوع الأسمى ، فإذا جازت عبادة المفضول وهو عيسى ، فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة . كأنهم يقرون على شركهم أصولا صحيحة ، ويبنون على تمسكهم أقيسة صريحة ، وغفلوا ، لجهلهم ، عن بطلان المقيس والمقيس عليه ، وأن البرهان الصادع قام على بطلان عبادة غيره تعالى ، وعلى استحالة التوالد في ذاته العلية .

وإذا اتضح الهدى فما وراءه إلا الضلال ، والمشاغبة بالجدال . كما قال تعالى : ﴿ ما ضربوه لك إلا جدلا ﴾ أي : ما ضربوا لك هذا القول إلا لأجل الجدل والخصومة ، لا عن اعتقاد ، لظهور بطلانه : ﴿ بل هم قوم خصمون ﴾ أي : شديد والخصومة بالباطل تمويها وتلبيسا . وفي الحديث [١] وما ذكرناه في تفسير هذه الآية ، هو الجلي الواضح ، **لدلالة السياق** والسباق فقابل بينه وبين ما حكاه الغير وأنصف .

ثم جلى شأن عيسى عليه السلام ، بما يرفع كل لبس ، بقوله سبحانه :." [٢]

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ كلا إذا بلغت التراقي * وقيل من راق * وظن أنه الفراق * والتفت الساق بالساق * إلى ربك يومئذ المساق ﴾ [٢٦ - ٣٠]

﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ أي : بلغت النفس أعالي الصدر . وإضمارها – وإن لم يجر لها ذكر – **لدلالة السياق** عليها ، كقول حاتم :

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

قال الرازي : يكنى ببلوغ النفس التراقي ، عن القرب من الموت ، ومنه قول دريد ابن الصمة :

ورب عظيمة دافعت عنها وقد بلغت نفوسهم التراقي

ونظيره قوله تعالى : ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ [الواقعة : ٨٣] ﴿ وقيل من راق ﴾ قال ابن جرير : أي : وقال أهله : من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به ، وطلبوا له الأطباء والمداويين ، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا . أي : فالاستفهام بمعنى الطلب لراق أو طبيب . وجوز كونه بمعنى الإنكار ، يأسا من أن يقدر أحد على نفعه برقية أو عوذة .

---

(١) ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

لطيفة :

قال الواحدي : إن إظهار النون عند حروف الفم لحن ، فلا يجوز إظهار نون ﴿ من ﴾ في قوله :

﴿ من راق ﴾ وروى حفص بن عاصم إظهار النون في قوله :

﴿ من راق ﴾ و ﴿ بل ران ﴾ قال أبو علي الفارسي : ولا أعرف وجه ذلك . قال الواحدي : والوجه أن يقال : قصد الوقف على ﴿ من ﴾ و ﴿ بل ﴾ فأظهرهما ، ثم ابتدأ بما بعدهما . وهذا غير مرضي من القراءة . انتهى .

نقله الرازي .

﴿ وظن أنه الفراق ﴾ أي : وأيقن الذي قد نزل ذلك به أنه فراق الدنيا والأهل والمال .

﴿ والتفت الساق بالساق ﴾ أي : التوت ساقه بساقه ، فلا يقدر على تحريكها . وقيل : هما ساقاه ، إذا التفتا في الكفن . وقيل : الساق عبارة عن الشدة ، كما مر في سورة القلم . والتعريف للعهد أيضا .

قال الشهاب : فإن قلت : ما مر هو الكشف عن الساق ، ووجه ظاهر ، لأن المصاب يكشف عن ساقه ، فكيف ينزل هذا عليه ؟

قلت : الأمر كما ذكرت ، لكنه شاع فيه ، ففهم ذلك من السياق وحده ، حتى صار عبارة عن كل أمر فظيع ، كما أشار إليه الراغب ، انتهى .

﴿ إلى ربك يومئذ المساق ﴾ أي : سوقه إلى حكمه تعالى .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا * عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ [٢٥ - ٢٧]

﴿ قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ﴾ أي : غاية تطول مدتها .

﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا * إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا ﴾ أي : حرسا من الملائكة يحفظونه من تخاليط الشياطين ووساوسهم ، حتى يبلغ ما أمر به من غيبه ووحيه .

قال القاشاني : ﴿ رصدا ﴾ أي : حفظة إما من جهة الله التي إليها وجهه ، فروح القدس والأنوار الملكوتية والربانية . وإما من جهة البدن ، فالملكات الفاضلة والهيئات النورية الحاصلة من هياكل الطاعات والعبادات ، يحفظونه من تخبيط الجن ، وخلط كلامهم من الوساوس والأوهام والخيالات ، بمعارفها اليقينية ، ومعانيها القدسية ، والواردات الغيبية ، والكشوف الحقيقية . انتهى .

تنبيه :

قال الزمخشري : يعني أنه لا يطلع على الغيب إلا المرتضى الذي هو مصطفى للنبوة خاصة ، لا كل مرتضى .

قال : وفي هذا إبطال للكرامات ؛ لأن الذين تضاف إليهم ، وإن كانوا أولياء مرتضين ، فليسوا برسل ، وقد خص الله

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

الرسل من بين المرتضين بالاطلاع على الغيب ، وإبطال الكهانة والتنجيم ، لأن أصحابهما أبعد شيء من الارتضاء وأدخله في السخط . انتهى .

وأجاب أبو السعود بأن معنى الآية : فلا يطلع على غيبه اطلاعا كاملا ينكشف به جلية الحال انكشافا تاما موجبا لعين اليقين ، أحدا من خلقه ، إلا من ارتضى من رسول . أي : إلا رسولا ارتضاه لإظهاره على بعض غيوبه المتعلقة برسالته ، كما يعرب عنه بيان ﴿ من ارتضى ﴾ بالرسول تعلقا تاما ، إما لكونه من مبادئ رسالته بأن يكون معجزة دالة على صحتها ، وإما لكونه من أركانها وأحكامها كعامة التكاليف الشرعية التي أمر بها المكلفون ، وكيفيات أعمالهم ، وأجزيتها المترتبة عليها في الآخرة ، وما تتوقف هي عليه من أحوال الآخرة التي من جملتها قيام الساعة والبعث ، وغير ذلك من الأمور الغيبية التي بيانها من وظائف الرسالة . وأما ما لا يتعلق بها على أحد الوجهين من الغيوب التي من جملتها قيام الساعة ، فلا يظهر عليه أحدا أبدا ، على أن بيان وقته مخل بالحكمة التشريعية التي عليها يدور فلك الرسالة ، وليس فيه ما يدل على نفي كرامات الأولياء المتعلقة بالكشف ؛ فإن اختصاص الغاية القاصية من مراتب الكشف بالرسل ، لا يستلزم عدم حصول مرتبة ما من تلك المراتب لغيرهم أصلا ، ولا يدعي أحد لأحد من الأولياء ما في رتبة الرسل عليهم السلام من الكشف الكامل الحاصل بالوحي الصريح . انتهى .

وملخصه تقييد الغيب بما هو معجزة أو من وظائف الرسالة . وهكذا نحا النسفي في الجواب ، مع بيان الفارق وعبارته : أي : إلا رسولا قد ارتضاه لعلم بعض الغيب ، ليكون إخباره عن الغيب معجزة له ، فإنه يطلعه على غيبه ما شاء : و ﴿ من رسول ﴾ بيان ﴿ من ارتضى ﴾ والولي إذا أخبر بشيء فظهر ، فهو غير جازم عليه ، ولكنه أخبر بناء على رؤياه ، أو بالفراسة . على أن كل كرامة للولي فهي معجزة للرسول . انتهى .

وقال الرازي : وعندي أن الآية لا دلالة فيها على شيء مما قالوه – يعني الزمخشري ومن تابعه – والذي تدل عليه أن قوله ﴿ على غيبه ﴾ ليس فيه صيغة عموم ، فيكفي في العمل بمقتضاه أن لا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه ، فنحمله على وقت وقوع القيامة ، فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر هذا الغيب لأحد ، فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئا من الغيوب لأحد .

قال : والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقب قوله :

﴿ إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا ﴾ يعني : لا أدري وقت وقوع القيامة ، ثم قال بعده : ﴿ عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا ﴾ أي : وقت وقوع القيامة من الغيب الذي لا يظهره الله لأحد . وبالجملة فقوله : ﴿ على غيبه ﴾ لفظ مفرد مضاف ، فيكفي في العمل به حمله على غيب واحد . فأما العموم فليس في اللفظ دلالة عليه .

فإن قيل : فإذا حملتم ذلك على القيامة ، فكيف قال : ﴿ إلا من ارتضى من رسول ﴾ مع أنه لا يظهر هذا الغيب لأحد من رسله ؟

قلنا : بل يظهره عند القرب من إقامة القيامة ، وكيف لا وقد قال : ﴿ ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ﴾ [الفرقان : ٢٥] ، ولا شك أن الملائكة يعلمون في ذلك الوقت قيام القيامة ، وأيضا يحتمل أن يكون هذا الاستثناء منقطعا ، كأنه قال : عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص – وهو يوم القيامة – أحدا . ثم قال بعده : لكن من

ارتضى من رسول ، فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن ؛ لأنه تعالى إنما ذكره هذا الكلام جوابا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به ، والاستحقار لدينه ومقالته . وملخصه تخصيص الغيب بوقت وقوع القيامة **بدلالة السياق** ، والرسول بالملك .

وناقشه في" العناية" بأن المرضي حمل الرسول على المتعارف **لدلالة السياق** والسياق عليه هذا ، ونقل النسفي عن التأويلات ما مثاله :

قال بعضهم : في هذه الآية تكذيب المنجمة ، وليس كذلك ، فإن فيهم من يصدق خبره ، وكذلك المتطببة فإنهم يعرفون طبائع النبات ، وهذا لا يعرف بالتأمل ، فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره ، وبقي علمه في الخلق . انتهى .

وهذا الجواب يلجأ إليه المتفقهة زعما بأن معرفة مواقيت الكسوف ، وخواص المفردات مما يشمله علم الغيب . والصواب عدم شموله لمثله ؛ لأنه مما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث ، كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية .

وبالجملة فكل ما يمكن للإنسان أن يصل إليه بنفسه لا يكون من الغيب في شيء ؛ ولذا قال بعض الحكماء : لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية ، لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل ، وينزع الاستقلال من الإنسان ، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من كل شيء بالتسليم ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم . وإن شئت فقل : لوجب أن لا يكون الإنسان هذا النوع الذي نعرفه . نعم ، إن الأنبياء ينبهون الناس بالإجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم ، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الإيمان ويزيد في العبرة ، وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل إذ قال : [(١)]انتهى . فاحفظه فإنه من المضنون به على غير أهله . وقوله تعالى :" (٢)

"سورة الشمس

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ والشمس وضحاها * والقمر إذا تلاها * والنهار إذا جلاها * والليل إذا يغشاها * والسماء وما بناها * والأرض وما طحاها * ونفس وما سواها * فألهمها فجورها وتقواها ﴾ [١ - ٨]

﴿ والشمس وضحاها ﴾ أي : ضوئها إذا أشرقت . قال الراغب : الضحى انبساط الشمس وامتداد النهار ، وبه سمي الوقت . وحقيقته - كما قال الشهاب - تباعد الشمس عن الأفق المرئي وبروزها للناظرين ، ثم صار حقيقة في وقته . وقال

---

(١) أنتم أعلم بأمور دنياكم

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

الإمام : يقسم بالشمس نفسها ظهرت أو غابت لأنها خلق عظيم ؛ ويقسم بضوئها لأنه مبعث الحياة ومجلى الهداية في عالمها الفخيم . وهل كنت ترى حيا أو تبصر ناميا ، أو هل كنت تجد نفسك ، لولا ضياء الشمس ، جل مبدعه ؟

﴿ والقمر إذا تلاها ﴾ أي : تبع الشمس ، قال الإمام : وذلك في الليالي البيض ، من الليلة الثالثة عشرة من الشهر إلى السادسة عشرة . وهو قسم بالقمر عند امتلائه أو قربه مع الامتلاء ؛ إذ يضيء الليل كله مع غروب الشمس إلى الفجر . وهو قسم في الحقيقة بالضياء في طور آخر من أطواره ، وهو ظهوره وانتشاره الليل كله .

﴿ والنهار إذا جلاها ﴾ أظهر الشمس . وذلك عند انتفاخ النهار وانبساطه ؛ لأن الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء .

وفي هذه الأقسام كلها –كما قاله الإمام – إشارة إلى تعظيم أمر الضياء وإعظام قدر النعمة فيه ولفت أذهاننا إلى أنه من آيات الله الكبرى ونعمه العظمى ، وفي قوله :

﴿ إذا جلاها ﴾ بيان للحالة التي ينطق فيها النهار بتلك الحكمة الباهرة والآية الظاهرة ، وهي حالة الصحو ، أما يوم الغيم الذي لا تظهر فيه الشمس ، فحاله أشبه بحال الليل الذي يقسم به في قوله :

﴿ والليل إذا يغشاها ﴾ أي : يغشى الشمس ويعرض دون ضوئها فيحجبه عن الأبصار . وذلك في ليالي الظلمة الحالكة المشار إليها بقوله في الآية المتقدمة : ﴿ وليال عشر ﴾ [الفجر : ٢] ، على القول الأخير .

قال الإمام : ولقلة أوقات الظلمة عبر في جانبها بالمضارع لا مفيد للحاق الشيء وعروضه متأخرا عما هو أصل في نفسه . أما النهار فإنه يجلي الشمس دائما من أوله إلى آخره ؛ وذلك شأن له في ذاته ، ولا ينفك عنه إلا لعارض كالغيم أو الكسوف قليل العروض . . ولهذا عبر في جانبه بالماضي المفيد لوقوع المعنى من فاعله ، بدون إفادة أنه مما ينفك عنه .

﴿ والسماء وما بناها ﴾ أي : ومن رفعها ، وصيرها بما فيها من الكواكب ، كالسقف أو القبة المحكمة الزينة المحيطة بنا . ف ﴿ ما ﴾ موصولة بمعنى من أوثرت لإرادة الوصفية ، أي : والقادر الذي أبدع خلقها .

قالوا : وذكر ﴿ وما بناها ﴾ مع أن في ذكر ﴿ السماء ﴾ غنية عنه ، للدلالة على إيجادها وموجدها صراحة .

﴿ والأرض وما طحاها ﴾ أي : بسطها من كل جانب ، لافتراشها وازدراعها والضرب في أكنافها .

قال الإمام : وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية ، كما يزعم بعض الجاهلين ، أي : بتحريفه الكلم عن معناه المراد منه .

﴿ ونفس وما سواها ﴾ أي : خلقها فعدل خلقها ومزاجها ، وأعدها لقبول الكمال :

﴿ فألهمها فجورها وتقواها ﴾ أي : أفهمها إياهما ، وأشعرها بهما ، بالإلقاء الملكي والتمكين من معرفتهما ، وحسن التقوى وقبح الفجور بالعقل الهيولاني .

لطيفة :

جوز في ﴿ ما ﴾ كونها مصدرية في الكل ، ولا يضره خلو الأفعال من فاعل ظاهر ومضمر إذ لا مرجع له . وعطف الفعل على الاسم لأنه يكفي لصحة الإضمار **دلالة السياق** وهي موجودة هنا ، وأن العطف على صلة ﴿ ما ﴾ لا عليها مع

صلتها . فكأنه قيل : ونفس تسويتها ، فإلهامها إلخ . وعطف الفعل على الاسم ليس بفاسد . نعم في الوجه الأول توافق القرائن وهو أسد . وأما الثاني فوجه يتسع النظم الكريم له . وأما تنكير ﴿ نفس ﴾ فللتكثير أو التعظيم .." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا ﴾ [١٨] .

﴿ قالت إني أعوذ بالرحمن منك ﴾ أي : أعتصم به منك . إنما خافته لانفرادها في خلوتها ، وظنها أنه يريدها على نفسها . وفي ذلك من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه : ﴿ إن كنت تقيا ﴾ أي : تتقي الله تعالى ، وتبالي بالاستعاذة به . وجواب الشرط محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه . أي : فإني عائذة به . أو فلا تتعرض لي . وإنما ذكرته بالله تعالى ، لأن المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل . فخوفته أولا بالله عز وجل .." (٢)

"سورة ص

بسم الله الرحمن الرحيم

القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ص والقرآن ذي الذكر ﴾ [١] .

﴿ ص ﴾ بالسكون على الوقف . وقرئ بالكسر والفتح . اسم للسورة ، على القول المتجه عندنا ، فيه وفي نظائره ، لما قدمنا غير ما مرة . وقيل : قسم رمزي ، وإليه نحا المهايمي . قال : أقسم الله سبحانه وتعالى بصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي اعترف به الكل في غير دعوى النبوة ، حتى صدقه أهل الكتابين في إخباره عن الغيوب ، الدال على الصدق في دعوة النبوة ، أو بصفائه عن رذائل الأخلاق ، وقبائح الأفعال الدال على صفائه عن نقيصة الكذب ، أو بصعوده في مدارج الكمالات ، الدال على صعوده في مدارج القرب من الله ، أو بصبره الكامل هو لوازم الرسالة على أنه رسول . انتهى .

﴿ والقرآن ذي الذكر ﴾ أي : الشرف الدال على حقيقته وصدقه ، أو التذكير ، كآية : ﴿ لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم ﴾ [الأنبياء : ١٠] ، والجواب محذوف **لدلالة السياق** عليه ؛ أي : أنه لحق . وقوله :." (٣)

"القول في تأويل قوله تعالى :

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ولكن رسول الله وخاتم النبيين وكان الله بكل شيء عليما ﴾ [٤٠] .

﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ هذا دفع لتعيير من جهل ، فقال : تزوج محمد زوج ابنه زيد . فدفعه تعالى بأنه إنما يتصور لو كان صلى الله عليه وسلم أبا لزيد على الحقيقة ، لكنه ليس أبا لأحد من أصحابه ، حتى يثبت بينه وبينه ما يثبت بين الأب وولده من حرمة الصهر والنكاح ، وزيد واحد منهم ، الذين ليسوا بأولاده حقيقة ، فكان حكمه حكمهم

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٢) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

(٣) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

، والادعاء والتبني من باب الاختصاص والتقريب لاغير : ﴿ ولكن رسول الله ﴾ أي : ولكن كان رسول الله مبلغا رسالاته : ﴿ وخاتم النبيين ﴾ بفتح التاء وكسرها ، قراءتان ؛ أي : فهذا نعته وهذه صفته ، فليس هو في حكم الأب الحقيقي ، وإنما ختمت النبوة به ؛ لأنه شرع له من الشرائع ما ينطبق على مصالح الناس في كل زمان ، وكل مكان ؛ لأن القرآن الكريم لم يدع أما من أمهات المصالح إلا جلاها ، ولا مكرمة من أصول الفضائل إلا أحياها ، فتمت الرسالات برسالته إلى الناس أجمعين ، وظهر مصداق ذلك بخيبة كل من أدعى النبوة بعده ، إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها ، وهو خير الوارثين : ﴿ وكان الله بكل شيء عليما ﴾ أي : فلا يقضي إلا بما سبق به علمه ، ونفذت فيه مشيئته ، واقتضته حكمته .

تنبيهان في لطائف هذه القصة ، وفوائدها الباهرات :

الأول – لم تختلف الروايات أنه نزلت في قصة زيد بن حارثة ، وزوجه زينب بنت جحش . ورواه البخاري عن أنس في التفسير . ورواه عنه في التوحيد قال : جاء زيد بن حارثة يشكو ، فجعل النبي صلى الله عليه وسلم يقول : [1]. وأخرجه أحمد بلفظ أتى رسول الله صلى الله عليه وسلم منزل زيد بن حارثة . فجاءه زيد يشكوها إليه . فقال له : [2]. فنزلت .

وقد أخرج ابن أبي حاتم هذه القصة من طريق السدي . فساقها سياقا حسنا واضحا ، ولفظه : بلغنا أن هذه الآية نزلت في زينب بنت جحش ، وكانت أمها أميمة بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أراد أن يزوجها زيد بن حارثة مولاه فكرهت ذلك ، ثم إنها رضيت بما صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فزوجها إياه ، ثم أعلم الله عز وجل نبيه صلى الله عليه وسلم بعد ، أنها من أزواجه ، فكان يستحي أن يأمره بطلاقها ، وكان لا يزال يكون بين زيد وزينب ما يكون من الناس ، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يمسك عليه زوجه ، وأن يتقي الله ، وكان يخشى الناس أن يعيبوا عليه ويقولوا تزوج امرأة ابنه ؛ وكان قد تبنى زيدا .

وعنده ، ومن طريق علي [بن] زيد بن جدعان عن علي بن الحسين بن علي ، قال : أعلم الله نبيه صلى الله عليه وسلم أن زينب ستكون من أزواجه قبل أن يتزوجها ، فلما أتاه زيد يشكوها إليه ، وقال له : [3]. قال الله تعالى : " قد أخبرتك أني مزوجكها " : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ [الأحزاب : ٣٧] .

قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " بعد نقل ما تقدم : ووردت آثار أخرى أخرجها ابن أبي حاتم والطبري ، ونقلها كثير من المفسرين ، لا ينبغي التشاغل بها ، والذي أوردته منها هو المعتمد . انتهى .

وقال الحافظ ابن كثير : ذكر ابن أبي حاتم وابن جرير ههنا أثارا ، أحببنا أن نضرب عنها صفحا ؛ لعدم صحتها ، فلا نوردها . انتهى .

الثاني – قال القاضي عياض رحمه الله في " الشفا " في بحث أقواله صلى الله عليه وسلم الدنيوية : ولا يجوز عليه صلى الله

---

(١) اتق الله وأمسك عليك زوجك

(٢) أمسك زوجك واتق الله

(٣) اتق الله وأمسك عليك زوجك

عليه وسلم أن يأمر أحدا بشيء أو ينهى أحدا عن شيء ، وهو يبطن خلافه ، وقد قال عليه السلام : [(١)]. فإن قلت : فما معنى قوله في قصة زيد : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ الآية . فاعلم أكرمك الله ولا تسترب في تنزيه النبي عليه السلام عن هذا الظاهر ، وأن يأمر زيدا بإمساكها ، وهو يحب تطليقه إياها ، ذكر عن جماعة من المفسرين ، وأصح ما في هذا ما حكاه أهل التفسير عن علي بن حسين أن الله تعالى كان أعلم نبيه أن زينب ستكون من أزواجه ، فلما شكاها إليه زيد ، قال له النبي صلى الله عليه وسلم : [(٢)]وأخفى منه في نفسه ما أعلمه الله به أنه سيتزوجها مما الله مبديه ومظهره بتمام التزويج وطلاق زيد لها .

وروى نحوه عمرو بن فائد [في المطبوع : عمر بن قائد] عن الزهري قال : نزل جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم يعلمه أن الله يزوجه زينب بنت جحش . فذلك الذي أخفى في نفسه ، ويصحح هذا قول المفسرين في قوله بعد هذا : ﴿ وكان أمر الله مفعولا ﴾ أي : لا بد لك أن تتزوجها ، ويوضح هذا أن الله تعالى لم يبد من أمره معها غير زواجه لها ، فدل أنه الذي أخفاه عليه السلام ، مما كان أعلمه به تعالى ، وقوله تعالى في القصة : ﴿ ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له ﴾ دل على أنه لم يكن عليه حرج في الأمر ، ولو كان على ما قيل من وقوعها في قلبه ، ومحبة طلاق زيد لها ، لكان فيه أعظم الحرج . وكيف يقال : رآها فأعجبته وهي بنت عمته ، ولم يزل يراها منذ ولدت ، ولا كان النساء يحتجبن منه عليه السلام ، وهو زوجها لزيد ، وإنما جعل الله طلاق زيد لها ، وتزويج النبي صلى الله عليه وسلم إياها ، لإزالة حرمة التبني وإبطال سببه . كما قال : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ ، وقال : ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم ﴾ قال ابن فورك : وليس معنى الخشية هنا الخوف ، وإنما معناه الاستحياء ؛ أي : يستحي منهم أن يقولوا تزوج زوجة ابنه ، وأن خشيته عليه السلام من الناس كانت من إرجاف المنافقين واليهود ، وتشغيبهم على المسلمين بقولهم : تزوج زوجة ابنه بعد نهيه عن نكاح حلائل الأبناء ، كما كان . فعتبه الله تعالى على هذا ، أو نزهه عن الالتفات إليهم فيما أحله له ، كما عتبه على مراعاة رضا أزواجه في سورة التحريم بقوله : ﴿ لم تحرم ما أحل الله لك ﴾ [التحريم : ١] ، الآية . كذلك قوله ههنا . انتهى ملخصا .

الثالث – قال الإمام ابن حزم في " الفصل " يرد على من استدل بمثل هذه الآية على جواز وقوع الصغائر من الأنبياء ، ما مثاله : وأما قوله تعالى : ﴿ وتخفي في نفسك ما الله مبديه ﴾ الآية . فقد أنفنا من ذلك ؛ إذ لم يكن فيه معصية أصلا ولا خلاف فيما أمره الله تعالى به ، وأن ما كان أراده زواج ، مباح له فعله ، ومباح له تركه ، ومباح له طيه ، ومباح له إظهاره ، وإنما خشي النبي صلى الله عليه وسلم الناس في ذلك خوف أن يقولوا ويظنوا ظنا ، فيهلكوا ؛ كما قال عليه السلام للأنصاريين : [(٣)]. فاستعظما ذلك ، فأخبرهما النبي صلى الله عليه وسلم [(٤)] . وهذا الذي خشيه عليه السلام على

---

(١) ما كان لنبي أن تكون له خائنة الأعين ، فكيف أن تكون له خائنة قلب ؟

(٢) أمسك عليك زوجك واتق الله

(٣) إنها صفية

(٤) أنه إنما يخشى أن يلقي الشيطان في قلوبهما شيئا

الناس من هلاك أديانهم ، بظن يظنونه به عليه السلام ، هو الذي يحققه هؤلاء المخذولون المخالفون لنا في هذا الباب .
وكان مراد الله عز وجل أن يبدي ما في نفسه ، لما كان سلف في علمه من السعادة لأمنا زينب رضي الله عنها ، انتهى .
الرابع – للإمام مفتي مصر رحمه الله مقالة على هذه الآية . رأيت نقلها هنا تعزيزا لما سلف ، وإيقافا من أسرار الآية على نخب ما وصف . قال رحمه الله : نزلت هذه الآية في زينب بنت جحش ، وهي بنت عمته – صلى الله عليه وسلم – أميمة بنت عبد المطلب ، وقد خطبها الرسول على مولاه زيد بن حارثة ، فأبت وأبى أخوها عبد الله بن جحش فنزلت آية : ﴿ وما كان لمؤمن ﴾ [الأحزاب : ٣٦] ، الخ ، فلما نزلت الآية قالا : رضينا يا رسول الله . فأنكحها إياه . وساق عنه إليها مهرها ستين درهما ، وخمارا ، وملحفة ، ودرعا ، وإزارا ، وخمسين مدا من طعام ، وثلاثين صاعا من تمر . كذا يروى .

فنحن من جهة ، نرى أن زينب كانت بنت عمة النبي صلى الله عليه وسلم ، ربيت تحت نظره وشملها من عنايته ما يشمل البنت مع والدها لأول الأمر ، حتى أنه اختارها لمولاه زوجة ، مع إبائها وإباء أخيها ، وعد إباءها هذا عصيانا ، ولا زالت كذلك حتى نزل في شأنها قرآن ، فكأنه أرغمها على زواجه ، لما ألهمه الله من المصلحة لها وللمسلمين في ذلك ، ولو كان للجمال سلطان على قلبه صلى الله عليه وسلم ، لكان أقوى سلطانه عليه جمال البكر في روائه ، ونضرة جدته ، وقد كان يراها ولم يكن بينه وبينها حجاب ، ولا يخفى عليه شيء من محاسنها الظاهرة ، ولكنه لم يرغبها لنفسه ، ورغبها لمولاه، فكيف يمتد نظره إليها ، ويصيب قلبه سهم حبها ، بعد أن صارت زوجة لعبد من عبيده أنعم عليه بالعتق والحرية ؟ لم يعرف فيما يغلب على مألوف البشر ، أن تعظم شهوة القريب وولعه بالقريب ، إلى أن تبلغ حد العشق ، خصوصا إذا كان عشيره منذ صغره . بل المألوف زهادة الأقرباء بعضهم في بعض ، متى تعود بعضهم النظر إلى بعض ، من بداية السن إلى أن يبلغ حدا منه يجول فيه نظر الشهوة . فكيف يظن أو يتوهم أن النبي الذي يقول الله له : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا ﴾ [طه : ١٣١] ، يخالف مألوف العادة ، ثم يخالف أمر الله في ذلك ؟ أم كيف بالبال أن من عصم الله قلبه عن كل دنيئة ، يغلب عليه سلطانه شهوة في بنت عمته ، بعد أن زوجها بنفسه لعبد من عبيده ؟ .
ومن جهة أخرى ترى أن النبي صلى الله عليه وسلم ، وهو الرؤوف الرحيم ، لم يبال بإباء زينب ورغبتها عن زيد ، وقد كان لا يخفى عليه أن نفور قلب المرأة من زوجها مما تسوء معه العشرة ، وتفسد به شؤون المعيشة . فما كان له – وهو سيد المصلحين – أن يرغم امرأة على الاقتران برجل وهي لا ترضاه ، مع ما في ذلك من الضرر الظاهر بكل من الزوجين .
لا ريب أننا نجد من ذلك هاديا إلى وجه الحق في فهم الآية التي نحن بصدد تفسيرها . ذلك أن التصاق الأدعياء بالبيوت واتصالهم بأنسابها ، كان أمرا تدين به العرب ، وتعده أصلا يرجع إليه في الشرف والحسب ، وكانوا يعطون الدعي جميع حقوق الابن ، ويجرون له وعليه جميع الأحكام التي يعتبرونها للابن ، حتى في الميراث وحرمة النسب ، وهي عقيدة جاهلية رديئة ، أراد الله محوها بالإسلام ، حتى لا يعرف من النسب إلا الصريح ولا يجرى من أحكامه إلا ماله أساس صحيح ؛ لهذا أنزل الله : ﴿ وما جعل أدعياءكم أبناءكم ذلكم قولكم بأفواهكم والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ﴾ [الأحزاب : ٤] ، ثم قال : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ [الأحزاب : ٥] ، الخ فهذا العدل الإلهي ، أن لا ينال حق الابن إلا من يكون ابنا .

أما المتبنى واللصيق فلا يكون له حق إلا حق المولى والأخ في الدين ، فحرم الله على المسلمين أن ينسبوا الدعي لمن تبناه ، وحظر عليهم أن يقتطعوا له شيئا من حقوق الابن لا قليلا ولا كثيرا ، وشدد الأمر حتى قال : ﴿ وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به ولكن ما تعمدت قلوبكم وكان الله غفورا رحيما ﴾ [الأحزاب : ٥] ، فهو يعفو عن اللفظة تصدر من غير قصد بأن يقول الرجل لآخر : هذا ابني . أو ينادى شخص آخر بمثل ذلك ، لا عن قصد التبني . ولكنه لا يعفو عن العمد من ذلك ، الذي يقصد منه الإلصاق بتلك اللحمة ، كما كان معروفا من قبل ، مضت سنة الله في خلقه ، أن ما رسخ في النفس بحكم العادة، لا يسهل عليها التفصي منه ، ولا يقدر على ذلك إلا من رفعه الله فوق العادات ، وأعتقه من رق الشهوات ، وجعل همته فوق المألوفات . فلا يطبيه – أي : يستميله – إلا الحق ، ولا يحكم عليه إلف ، ولا يغلبه عرف . ذلك هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ومن يختصه الله بالتأسي به ؛ لهذا كان الأمر إذا نهى الله عن مكروه كانت الجاهلية عليه ، أو أحل شيئا كانت الجاهلية تحرمه ، بادر النبي صلى الله عليه وسلم إلى امتثال النهي بالكف عن المنهي عنه ، والإتيان بضده ، وسارع إلى تنفيذ الأمر بإتيان المأمور به ، حتى يكون قدوة حسنة ، ومثالا صالحا تحاكيه النفوس ، وتحتذيه الهمم ، وحتى يخف وزر العادة وتخلص العقول من ريب الشبهة ، نادى رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجة الوداع بحرمة الربا ، وأول ربا وضعه ربا عمه العباس ، حتى يرى الناس صنيعه بأقرب الناس إليه وأكرمهم عليه ، فيسهل عليهم ترك مالهم ، وتنقطع وساوس الشيطان من صدورهم .

على هذا السنن الإلهي كان عمل النبي صلى الله عليه وسلم في أمر زينب ، كبر على العرب أن يفصلوا عن أهلهم من ألصقوه بأنسابهم من أدعيائهم ؛ كما دل عليه قوله تعالى : ﴿ وتخشى الناس ﴾ الخ ، فعمد النبي صلى الله عليه وسلم ، على سنته ، إلى خرق العادة بنفسه ، وما كان ينبغي له ، ولا من مقتضى الحكمة ، أن يكلف أحد الأدعياء الأباعد عنه ، أن يتزوج ، ثم يأمره بالطلاق ، ثم يأمر من كان قد تبناه أن يتزوج مطلقته ، ففي ذلك من المشقة مع تحكم العادة ، وتمكن الاشمئزاز من النفوس ، ما لا يخفى على أحد . فألهمه الله أن يتولى الأمر بنفسه في أحد عتقائه ؛ لتسقط العادة بالفعل ، كما ألغى حكمها بالقول الفصل ؛ لهذا أرغم النبي صلى الله عليه وسلم زينب أن تتزوج بزيد ، وهو مولاه وصفيه ، والنبي يجد في نفسه أن هذا الزواج مقدمة لتقرير شرع ، وتنفيذ حكم إلهي .

وبعد أن صارت زينب إلى زيد لم يلن إباؤها الأول ، ولم يسلس قيادها ، بل شمخت بأنفها وذهبت تؤذي زوجها وتفخر عليه بنسبها ، وبأنها أكرم منه عرقا وأصرح منه حرية ؛ لأنه لم يجر عليها رق كما جرى عليه فاشتكى منها إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم المرة بعد المرة ، وهو عليه السلام مع علو مقامه يغلبه الحياء فيتئد ويتمكث في تنفيذ حكم الله ولا يعجل ، فكان يقول لزيد : ﴿ أمسك عليك زوجك واتق الله ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، إلى أن غلب أمر الله على أمر الأنفة ، وسمح لزيد بطلاقها بعد أن مضه العيش معها ، ثم تزوجها بعد ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ليمزق حجاب تلك العادة ، ويكسر ذلك الباب الذي كان مغلقا دون مخالفتها كما قال : ﴿ لكي لا يكون على المؤمنين حرج في أزواج أدعيائهم إذا قضوا منهن وطرا وكان أمر الله مفعولا ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وأكد ذلك بالتصريح في نفي الشبهة بقوله : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ الآية . هذه هي الرواية الصحيحة والقولة الراجحة .

ثم قال : وأما ما رووه من أن النبي مر ببيت زيد وهو غائب ، فرأى زينب ، فوقع منها في قلبه شيء ، فقال : سبحان

مقلب القلوب ! فسمعت التسبيحة فنقلتها إلى زيد ، فوقع في قلبه أن يطلقها الخ ، ما حكوه – فقد قال الإمام أبو بكر بن العربي إنه لا يصح . وإن الناقلين له المحتجين به على مزاعمهم في فهم الآية ، لم يقدروا مقام النبوة حق قدره ، ولم تصب عقولهم من معنى العصمة كنهها . وأطال في ذلك ، وأذكر من كلامه ما يؤيد ذكرنا في شأن هذه الروايات .

قال ، بعد الكلام في عصمة النبي صلى الله عليه وسلم وطهارته من العيب في زمن الجاهلية ، وبعد أن جاء الإسلام : وقد مهدنا لك روايات كلها ساقطة الأسانيد ، وإنما الصحيح منها ما روي عن عائشة أنها قالت : لو كان النبي صلى الله عليه وسلم كاتما شيئا من الوحي لكتم هذه الآية : ﴿ وإذ تقول للذي أنعم الله عليه ﴾ يعني بالإسلام : ﴿ وأنعمت عليه ﴾ فأعتقته : ﴿ أمسك عليك زوجك ﴾ إلى قوله : ﴿ وكان أمر الله ﴾ [الأحزاب : ٣٧] ، وأن رسول الله لما تزوجها قالوا : تزوج حليلة ابنه ، فأنزل الله : ﴿ ما كان محمد أبا أحد من رجالكم ﴾ ، الآية .

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه وهو صغير ، فلبث حتى صار رجلا ، يقال له : زيد ابن محمد . فأنزل الله : ﴿ ادعوهم لآبائهم هو أقسط عند الله ﴾ [الأحزاب : ٥] ، يعني أنه أعدل عند الله . قال القاضي : وما وراء هذه الآية غير معتبر . فأما قولهم إن النبي صلى الله عليه وسلم رآها ، فوقعت في قلبه ، فباطل . فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ، ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه ، إلا إذا كان لها زوج ؟ وقد وهبته نفسها وكرهت غيره ، فلم تخطر [في المطبوع : يخطر] بباله . فكيف يتجدد هوى لم يكن ! حاشا لذلك القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة ، وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿ ولا تمدن عينيك إلى ما متعنا به أزواجا منهم زهرة الحياة الدنيا لنفتنهم فيه ﴾ [طه : ١٣١] ، والنساء أفتن الزهرات ، وأنشر الرياحين ، فيخالف هذا في المطلقات ، فكيف في المنكوحات المحبوسات ؟ .

ثم ساق الكلام في نفس الآية على حسب ما صح في الواقعة ، ولولا خوف التطويل لنقلت كلامه بحروفه . سبحان الله ! كيف ساغ لقوم مسلمين أن يعتقدوا بمثل هذه الروايات ، وقد علموا أن [في المطبوع : أنه] الله لم يدع لنبيه أن يعرض عن ابن أم مكتوم ، ويتصدى لصناديد قريش طمعا في إسلامهم ، حتى عاتبه على ذلك في قوله : ﴿ عبس وتولى ﴾ [عبس : ١] ، إلى آخر الآيات ، مع أنه [في المطبوع : أن] لم ينصرف عن الأعمى إلا لاشتغاله بما كان يعده في نفسه خيرا للدين ، ولم يكن رغبة في جاه ، ولا شرها إلى مال ، ولا طموحا إلى لذة .

فلو صحت الرواية التي زعموها في شأن زينب ، لكان العتاب على تلك التسبيحة ، بمسمع من زينب ، ثم على الزواج بعد الطلاق ، كما أشار إليه في قصة داود عليه السلام وما كان محمد صلى الله عليه وسلم في علو مقامه ورفعة منزلته من النبوة ، لتطمح نفسه إلى التلذذ ببنت عمته وزوجة مولاه ، ولا أن يسمعها ما يدل على شغفه بها ، ولا أن تضعف عزيمته عن قمع شهوته وكبح جماحها ، وما كان رب محمد يعلل شهوته ، ويرفه من هواه فيما يخالف أمره ، وهو الذي نهاه أن يمد عينيه إلى ما متع به الناس من زهرة الحياة الدنيا ، ومن زهرتها النساء . تسامى قدر محمد عن ذلك ، وتعالى شأن ربه عن هذا علوا كبيرا .

أما والله ! لولا ما أدخل الضعفاء أو المدلسون من مثل هذه الرواية ، ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون إليه ؛ فإن نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ، ولا يذهب إلى النفس منه إلا أن العتاب كان على التمهل في

الأمر ، والتريث به ، وأن الذي كان يخفيه في نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه ، بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب ، وأن يتناول المعول لهدمها بنفسه ؛ كما قدر له أن يهدم أصنامهم بيده لأول مرة عند فتح مكة ، وكما هو شأنه في جميع ما نهى عنه من عاداتهم ، وهذا الذي كان يخفيه في نفسه كان الله مبديه بأمره الذي أوحاه إليه في كتابه ، وبتزويجه زوجة من كانوا يدعونه ابنا له ، كما تقدم بيانه ، ولم يكن يمنعه عن إبداء ما أبدى الله ، إلا حياء الكريم ، وتؤدة الحكيم ، مع العلم بأنه سيفعل لا محالة ، لكن مع معاونة الزمان .

ثم قال الإمام رحمه الله : أذكر لطيفة لبعض الأذكياء جرت بمحضر مني لدى أحد الأساتذة الأميركانيين ، فجاء في الحديث ذكر قوله تعالى : ﴿ الذي أحسن كل شيء خلقه ﴾ [السجدة : ٧] ، فقال الأميركي : حتى زينب زوجة زيد بن حارثة ، يشير بقوله هذا إلى تلك الحادثة ، ويعرض بعشقه صلى الله عليه وسلم لزينب على ما زعموا ، فقال له صاحبي : سبحان الله ! إنكم تشتغلون بعلوم السماوات والأرض ، ولا تستعملون عقولكم في أقرب الأشياء إليكم ، مع أنكم ، في المشهور عنكم ، من أشد الناس ولعا بالبحث في الأديان ، إن الله أمر نبيه أن يتزوج زوجة من دعاه ابنا له ، ليبين للناس بالفعل أنه ليس كل من لقب بالابن يكون على الحقيقة ابنا ، فإن كان المسيح قد دعي في لسان الإنجيل بـ " الابن " فليس هذا على الحقيقة ، وإنما الابن الحقيقي من ولد من أبيه ولادة صحيحة ، إن في ذلك لذكرى للعالمين . والله أعلم . انتهى كلامه رحمه الله تعالى .

الخامس – روى الإمام أحمد ومسلم والنسائي عن أنس قال : لما انقضت عدة زينب رضي الله عنها قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لزيد بن حارثة : [(١)]. فانطلق حتى أتاها وهي تخمر عجينها . قال : فلما رأيتها عظمت في صدري حتى ما أستطيع أن أنظر إليها وأقول إن رسول الله صلى الله عليه وسلم ذكرها . فوليتها ظهري ونكصت على عقبي وقلت : يا زينب ! أبشري . أرسلني رسول الله صلى الله عليه وسلم يذكرك . قالت : ما أنا بصانعة شيئا حتى أؤامر ربي عز وجل . فقامت إلى مسجدها ونزل القرآن ، وجاء رسول الله صلى الله عليه وسلم فدخل عليها بغير إذن ، ولقد رأيتنا حين دخلت على النبي صلى الله عليه وسلم ، أطعمنا عليها الخبز واللحم .

قال الحافظ ابن حجر : وهذا أيضا من أبلغ ما وقع في ذلك : وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب ، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهرا بغير رضاه ، وفيه أيضا اختبار ما كان عنده منها ؛ هل بقي منه شيء أم لا ؟ وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة ، وأن من وكل أمره إلى الله عز وجل ، يسر الله له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرى . انتهى . أي : فقد حفظ الله شرفها أن يضيع بعد زواجها بمولى . فاختار لها ما شرفها به وأسمى مكانتها ، عناية منه ورحمة للأمة أيضا .

السادس – روى ابن جرير عن الشعبي قال : كانت زينب رضي الله عنها تقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني لأدل عليك بثلاث ، ما من نسائك امرأة تدل بهن : إن جدي وجدك واحد ، وإني أنكحنيك الله عز وجل من السماء ، وإن السفير لجبريل عليه السلام .

---

(١) اذهب فاذكرها علي

وروى البخاري بعضه عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال : إن زينب كانت تفخر على أزواج النبي صلى الله عليه وسلم فتقول : زوجكن أهاليكن ، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سماوات . قال ابن القيم في " زاد المعاد " : ومن خصائص زينب أن الله سبحانه كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته ، وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب .

وكانت [في المطبوع : كان] أولا عند زيد بن حارثة ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه ، فلما طلقها زوجه الله إياها لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبنوه . انتهى .

السابع – قالوا : لا ينقض عموم قوله تعالى : ﴿ من رجالكم ﴾ بكونه صلى الله عليه وسلم أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم ؛ لأنهم لم يبلغوا الحلم ، ولو بلغوا لكانوا رجالا له ، صلى الله عليه وسلم ، لا لهم . انتهى .

وهذا من التعمق في البحث ، وإلا **فدلالة السياق** أوضح من تخصيص الإضافة .

قال ابن كثير : لم يعيش له عليه الصلاة والسلام ولد ذكر ، حتى بلغ الحلم ؛ فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها ، فماتوا صغارا ، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية ، فمات أيضا رضيعا ، وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات : زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة ، رضي الله عنهن أجمعين ، فمات في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث ، وتوفيت فاطمة بعده بستة أشهر . انتهى .

ثم أمر تعالى بكثرة ذكره ، والعناية بشكره لما من به من هدايته ، إلى نور شريعته حتى ينسى عار الكفر وجاهليته ، بقوله سبحانه :." (١)

" الكهف ٣٩ ٤٢ بطريق الإشراك ولولا إذ دخلت جنتك قلت أي هلا قلت عندما دخلتها وتقديم الظرف على المحضض عليه للإيذان بتحتم القول في آن الدخول من غير ريث لا للقصر ما شاء الله أي الأمر ما شاء الله أو ما شاء الله كأن على أن ما موصولة مرفوعة المحل أو أي شيء شاء الله كان على أنها شرطية منصوبة والجواب محذوف والمراد تحضيضه على الاعتراف بأنها وما فيها بمشيئة الله تعالى إن شاء أبقاها وإن شاء أفناها لا قوة إلا بالله أي هلا قلت ذلك اعترافا بعجزك وبأن ما تيسر لك من عمارتها وتدبير أمرها إنما هو بمعونته تعالى وإقداره عن النبي صلى الله عليه و سلم من رأى شيئا فأعجبه فقال ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يضره إن ترن أنا أقل منك مالا وولدا أنا إما مؤكد لياء المتكلم أو ضمير فصل بين مفعولي الرؤية إن جعلت عملية وأقل ثانيهما وحال إن جعلت بصرية فيكون أنا حينئذ تأكيدا لا غير لأن شرط كونه ضمير فصل توسطه بين المبتدأ والخبر أو ما أصله المبتدأ والخبر وقرئ أقل بالرفع خبرا لأنا والجملة مفعول ثان للرؤية أو حال وفي قوله تعالى وولدا نصرة لمن فسر النفر بالولد فعسى ربي أن يؤتيني خيرا من جنتك هو جواب الشرط والمعنى إن ترن أفقر منك فأنا أتوقع من صنع الله سبحانه أن يقلب ما بي وما بك من الفقر والغنى فيرزقني لإيماني جنة خيرا من جنتك ويسلبك لكفرك نعمته ويخرب جنتك ويرسل عليها حسبانا هو مصدر بمعنى الحساب كالبطلان والغفران أي مقدارا قدره الله تعالى وحسبه وهو الحكم بتخريبها وقيل عذاب حسبان وهو حساب ما كسبت يداه وقيل مرامي جمع حسبانا وهي الصواعق ومساعدة النظم الكريم فيما سيأتي للأولين أكثر من السماء فتصبح صعيدا زلقا مصدر أريد به المفعول مبالغة أي

---

(١) محاسن التأويل (تفسير القاسمي)، /

أرض ملساء يزلق عليها لاستئصال ما عليها من البناء والشجر والنبات أو يصبح عطف على قوله تعالى فتصبح وعلى الوجه الثالث على يرسل ماؤها غورا أي غائرا في الأرض أطلق عليه المصدر المبالغة فلن تستطيع أبدا له أي للماء الغائر طلبا فضلا عن وجدانه ورده وأحيط بثمره أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف **لدلالة السياق** والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة فأصبح يقلب كفيه ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم على ما أنفق فيها أي في عمارتها من المال لعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أتفق في عمارتها كان ." (١)

" مريم ١٨ ٢١ في مغتسلها أتاها الملك عليه الصلاة و السلام في صورة آدمي شاب أمرد وضيء والوجه جعد الشعر وذلك قوله تعالى فأرسلنا إليها روحنا أي جبريل عليه الصلاة و السلام عبر عنه بذلك توفية للمقام حقه وقرئ بفتح الراء لكونه سببا لما فيه من روح العباد الذي هو عدة المقربين في قوله تعالى فأما إن كان من المقربين فروح وريحان فتمثل لها بشرا سويا سوى الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيئا وقيل تمثل في سورة ترب لها اسمه يوسف من خدم بيت المقدس وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقي إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع مفاوضته وأما ما قبل من أن ذلك لتهييج شهوتها فتنحدر نطفتها إلى رحمها فمع مخالفته لمقام بيان آثار القدرة الخارقة للعادة يكذبه قوله تعالى قالت إني أعوذ بالرحمن منك فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى إن كنت تقيا أي تتقي الله تعالى وتبالي بالإستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه أي فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي قال إنما أنا رسول ربك يريد عليه الصلاة و السلام إني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما أي لأكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ويجوز أن يكون ذلك حكاية لقوله تعالى ويؤيده القراءة بالياء والتعرض لعنوان الربوبية مع الإضافة إلى ضميرها لتشريفها وتسليتها والإشعار بعلة الحكم فإن هبة الغلام لها من أحكام تربيتها وفي بعض المصاحف أمرني أن أهب لك غلاما زكيا طاهرا من الذنوب أو ناميا على الخير أي مترقيا من سن إلى سن على الخير والصلاح قالت أنى يكون لي غلام كما وصفت ولم يمسسني بشر أي والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها من مبادئ الولادة ولم أك بغيا عطف على لم يمسسني داخل معه في حكم الحالية مفصح عن كون المساس عبارة عن المباشرة بالنكاح أي ولم أكن فاجرة تبغي الرجال وهي فعول بمعنى الفاعل أصلها بغوي

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥/٢٢٣

فأدغمت الواو بعد قلبها ياء في الياء وكسرت الغين للياء وقيل هي فعيل بمعنى الفاعل وإلا لقيل بغو كما يقال فلان نهو عن المنكر وإنما لم تلحقه التاء لأنها من باب النسب كطالق أو بمعنى المفعول أي يبغيها الرجال للفجور بها قال أي ." [1]
"ج١ص٦

قوله : (وأفحم الخ) وفي نسخ أفحم بدون عاطف لأنه بيان أو توكيد لقوله : لم يجديه قديرا ، فالعطف إما لعدم قصد ذلك أو لعطفه على جملة تحدى ويجوز كونه استئنافا بيانيا حينئذ أيضا والإفحام إسكات الخصم عجزا حتى كانه لافتضاحه اسود وجهه وصار كالفحم كما قيل :

فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

وتصدى بمعنى تعرض ، وأصله تصدد ، فأبدلت الدال الأخيرة حرف علة هربا من ثقل التكرار ، كما قالوا في تقضض تقضي ، فالمراد أسكتهم للعجز لا للصرفة كما يشهد له السياق ، وهذا يدل على وجود التصدي للمعارضة وقوله في) الكشاف) : فلم يتصد للاتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم يدل على عدمه وكلام المصنف رحمه الله هو الموافق للواقع وما في الكشاف أما محمول على نفي القيد أي لم يأتوا وإن تصدوا بموازيه ، أو على تنزيل تصديهم منزلة العدم لعدم ثمرته ، وأما كون من تصدي غير فصيح ، فليس بشيء ، وقد اعترف به الوليد مع بلاغتة ومبالغته في كفره في كلامه المعروف في السير ، وقول قريش له صبا والله

فإن قلت لم خالفه المصنف رحمه الله ، وهو أبلغ كما قيل من وجهين ، لأن عدم التصدي مع كمال الحرص عليه أدل على العجز من عدم الإتيان بعد التصدي كما أن عدم تصدي واحد للإتيان بما يدانيه فضلا عن مساويه كذلك ، ولا احتمال أن ذلك لقلة المبالاة .

قلت : هو كما ذكرت في إلا بلغية لكنه مخالف للواقع وموهم للصرفة إيهاما قويا فلذا

رجحه المصنف رحمه الله تعالى فاختر لنفسك ما يحلو فاثباته للتصدي يدل على أنه ليس للصرفة أو الإخبار بالمغيبات ، قيل : ولو قال أفحم به اندفع توهم أن الإفحام بالصرفة لا للبلاغة ، وفيه أن السياق يدفعه مع أنه لا مجال له هنا إذا الصرف فعله تعالى وإلا فحام مسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعبارة الكشاف توهمه لإسناده الإفحام إلى الله تعالى ، فلذا زاد به مع أنه لولا **دلالة السياق** أيضا لم يفهم أنه بالبلاغة لاحتمال أنه لاشتماله على المغيبات والسلامة من التناقض والاختلاف ، ولا يخفى أن زيادة به تدفعه لأن مقدار أقصر سورة لا يجري فيه ذلك نعم لو قيل : هو لا يدفع كونه بالنظم الغريب المخالف لغيره أو بمجموع النظم والبلاغة ، كما ذهب إليه الباقلاني لم يبعد ولا يخفى ما فيه من التعسف .

وفي تهذيب الأزهري . اختلف الناس في العرب ، ولم سموا عربا فقال بعضهم أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان أبو اليمن وهم العرب العاربة ونشأ إسماعيل عليه الصلاة والسلام معهم فتكلم بلسانهم وأولاده العرب المستعربة ، وقال آخرون : نشأ بعربة وهي بلدة من تهامة فنسبوا إلى بلدهم وفي الحديث " خمسة أنبياء من العرب إسماعيل ومحمد وشعيب وصالح وهود ، وهذا يدل على أن لسان العرب قديم وكل من يسكن جزيرة العرب وتكلم بلسانهم فهو منهم انتهى فقوله عدنان

---

(١) تفسير أبي السعود، ٥/٢٦٠

وقحطان إشارة إلى قسمي العرب العارية والمستعربة وكناية عن جميعهم ، وعدنان أبو معد أحد أجداده صلى الله عليه وسلم ، وإضافة الفصاحة إلى عدنان ، والبلاغة إلى قحطان إما تفنن أو بناء على المتعارف من إطلاق الفصاحة على الكلام العذب السهل ، والبلاغة المتين الجزيل ، وهو الغالب في اللغة القديمة ، والإضافة لهما لأنهما من أولادهما أو لأنهما أريد بهما القبيلة كما يقال تميم لأولاده ، وهو مجاز مشهور ، ثم إن المراد بالفصحاء هنا ما يشمل البلغاء ، والشيخ في الدلائل كثيرا ما يستعمل الفصاحة بمعنى البلاغة فلا يقال إن الفصاحة لا دخل لها في الإعجاز مع ما يرد عليه من المنع الظاهر قوله : (حتى حسبوا الخ) السحر كل ما لطف ماخذه ورق وما يخيل شيأ ليس بواقع واقعا وفعله سحر مخففا ومشددا وقد يمدح به نحو إن من البيان لسحرا على أحد الوجهين فيه وحسبوا بمعنى ظنوا ، وقد يرد بمعنى اليقين نادرا كقوله :

حسبت التقى والجود خير تجارة

وليس بمراد هنا ، وفيه إشارة إلى أنه ظن فاسد ، وتوهم كاسد إذ ليس عجزهم لسحر ونحوه وحسبانهم لعدم الفرق بين المعجزة والسحر وسيأتي تحقيقه وليس في هذا إشعار بالصرفة لأن جعل المانع عن الإتيان بمثله السحر يشعر بأن لهم قدرة في حد ذاتهم ، ولذا قيل إن إظهار الحسبان لدفع الخجالة والتليس على سفهائهم لعلمهم بأنه ليس بساحر وان نسبوه له مكابرة وعنادا ، ولو اعترفوا بصرف الله عن معارضتة اعترفوا بأنه من عنده فمثل هذا الخيال الفارغ لا يضرنا ، وقيل في عبارة الحسبان رد على معتقدي الصرفة لدلالتة على أنه مجرد توهم وفيه نظر." (١)

"ج١ص٤٠٨

في قوله ﴿ صم بكم عمي ﴾ فإن قلت إذا قيد المفعول المقدر بما قيد به المصنف في قوله أن يذهب بسمعهم إلخ ، يكون مستغربا لأن ذهاب السمع والبصر بمثله غير معهود فتقديره في الجواب كما فعله الزمخشري ، إن لم يكن لازما فهو أحسن ، وهو الداعي له على ذلك فالمصنف غافلى أو متغافل قلت قول الزمخشري ، وأراه يحتمل أن يريد أنه مراد من الكلام من غير تقدير ، وعليه فلا إشكال ولا مخالفة بين كلام المصنف وكلامه ، ولذا لم يقل والتقدير وعطفه بالواو على تفسيره مطلقا ، ولو سلم فلك أن تقول إنه لما قدم ما يدل عليه من قوله ﴿ يجعلون أصابعهم في ﴾ [البقرة : ١٩] انهم ﴾ وقوله ﴿ يكاد البرق يخطف أبصارهم ﴾ قوى **دلالة السياق** عليه ، فأخرجه عن الغرابة ، ولك أن تقول لو أبقى على إطلاقه كان أقوى ، والمعنى لو أراد الله إذهاب قواهم أذهبها من غير سبب فلا يغنيهم الاحتراز والخوف مما خافوه ، والمناسبة المحسنة للعطف موجودة فلم تركوه فتدبر . قوله : (ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد) أي حذف المفعول في شاء وأراد ومتصرفاتهما إذا وقعت في حيز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف معنى مع وقوعه في محله لفظا ، ولأن فيه نوعا من التفسير يعد الإبهام إلا في المستغرب ، فلا يكتفي فيه بدلالة الجواب بل يصرح به اعتناء بتعيينه ودفعا لتوهم غيره لاستبعاد تعلق الفعل به لاستغرابه ، فلو قلت لو شئت بكيت دما جاز ، توهم قصدك لو شئت بكا بالدمع

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١/٦

الجاري على المعتاد ، والدم المذكور جاء بدلا عنه من غير فصدك له كأنك قلت لو شئت أن أبكي دمعا بكيت دما فاعتمدت في حذف المفعول وتعيينه على العادة المعروفة وكونه مرجوحا لدلالة تقييد الجواب على خلافه ، وأن المقدر مثله لا ينافي الاحتمال والتوهم ، فإذا ذكر المفعول زال الاحتمال خصوصا إذا لم يكن المخاطب ذكيا فمن قال إن لو شئت بكيت دما لا يحتمل سوى لو شت أن أبكي دما لبكيتة ، فقد كابر يعئ قول الفاضل المحقق هنا أن التعليل بأنه لو حذف فقيل لو شئت أن أبكي لبكيت دما كما قال الآخر :

ولم يبق مني الشوق غيرتفكري فلوشئت أن أيكي بكيت تفكرا

أي يخرج بدل الدمع التفكر ليس بمستقيم لأن الكلام في مفعول المشيئة فلو قيل لو شئت بكيت دما واكتفى بقرينة الجواب لم يحتمل سوى لو شئت أن أبكي دما لبكيتة .

أ-دول إنه قدس سره لم ينصف فيما ثغ به على السعد رحمه الله وجعله مكابرة لأن مراده

الرد لما وقع في الكشف في تمثيله واستشهاده لأن هنا أمرين معمول المشيئة نفسها ومفعول متعلقه ، وما نحن فيه هو الأول وما مثل به من لو شئت أن أبكي بكيت دما من الثاني لأن المحذوف مفعول أبكي لا مفعول شئت ، ثم إنه لم يقل لا احتمال فيه أصلا حتى يقال : إنه مكابرة بلى قال لو اكتفى بقرينة الجواب ، ولم يكن ثمة غيرها ولا شبهة حينئذ في عدم الاحتمال وأما إذا لوحظ معها قرينة أخرى كالمعتاد في البكا من الدمع احتمل غير ما ذكر فسقط الاعتراض ، ولو قيل إنه استشهاد معنوي على حذف مفعول مغاير لما في الجواب كان مع تكلفه غير مسلم أيضا لأن البيت يحتمل عدم التقدير بتنزيل البكا منزلة اللازم أي لو شئت بكا ما بكيت تفكرا كما في دلائل الإعجاز ، ولا تكلف فيه أصلا ، وأما ما قيل من أن المذكور في جواب لو هو البكا المتعلق بالدم فأخذ البكا من المذكور يخيه ، وترك متعلقه والاعتماد في تعيينه بالمعتاد خروج عن الإنصاف ، ومخالفة للحق الظاهر دال على أن المعترض ليس هو المكابر فالصواب في الجواب أن يقال لا نزاع في أن الكلام في متعلق المشيئة لكنه قد يكون مطلقا عن القيد كما في فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا فيتبادر منه المعتاد ، وقد يقيد بقيد هو منشأ الغرابة فإذا حذف اعنمادا على الجواب لم يخكن المفعول الذي تعلق به فعل المشيئة غريبا مذكورا لانتفاء المقيد بانتفاء قيده فيلتبس المفعول المقيد بما يفيد الغرابة بمفعول مطلق عنه ، ويراد به

المعتاد فاستقم واترك العناد فجريرة لا طائل تحتها ، وإنما أوقعه فيه عدم الوقوف على المراد وإنما أوردناه لئلا يتوهم الناظر فيه أنه شيء يعبا به ويقي هنا كلام طويل يعلم مما في المطول وحواشيه ، وقوله تكاثر المراد به المبالغة في الكثرة لا التفاعل وإن كان هو أصله . قوله : (ولو شئت أن أبكي دما إلخ) هو بيت من قصيدة لأبي يعقوب الخزيمي يرثي بها خزيم بن عامر المري ، وفي شرح شواهد المعاني يرثي بها ابنه ليثا .." (١)

"ج٢ص١٤٥

بين الحقيقة والمجاز حيث جعل قوله عليكم مرادا به ما أنعم عليهم وعلى آبائهم فينبغي أن يحمل على حذف أو اعتبار معنى جامع بأن يجعل الخطاب لجميع بني إسرائيل الحاضرين والغائبين وقوله ما أنعم الله به إشارة إلى حذف العائد على

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٤٠٨/١

الموصول ، وأورد عليه أن الأنعام على الآباء إنعام في حق الأنباء بواسطة ولا يخرج بذلك عن كونه إنعاما حقيقة في حقهم حتى يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فيحتاج في دفعه إلى ارتكاب حذف أو معنى جامع أو تغليب كما توهم ، والحاصل أن المعنى أني أنعمت عليكم بأن شزفتكم بالشرفين التالد والطريف الذي أعظمه إدراك زمن أشرف الأنبياء لمجي! وجعلتكم من جملة أمة الدعوة له فتخصيصه بالذكر **لدلالة السياق** عليه فلا يرد عليه أنه لا دلالة للعام على الخاص فتأمل. وعائد الموصول محذوف أي أنعمت بها فإن قيل : شرطوا في حذفه إذا كان مجرورا أن يجر الموصول بمثل ذلك الحرف ويتحد متعلقهما وهو مفقود هنا قيل : إنه إنما حذف هنا بعد أن صار منصوبا بحذف الجار اتساعا فبقي أنعمتها كما قيل : في كالذي خاضوا وفيه نظر : وقراءة ادكروا بالدال المهملة المشددة مذكورة في الصرف ، ودرجا بمعنى وصلا وحذفها حينئذ لالتقاء الساكنين وقوله : وهو مذهب من لا يحرك الياء ا!مكسور أي لغته واحترز بالمكسور ما قبلها عن نحو محياي. قوله : (بالإيمان والطاعة) متعلق بأوفوا أو بعهدي أو بهما على التنازع وكذا قوله بحسن الإثابة. قوله : (أوف بعهدكم) مجزوم في جواب الأمر إما به نفسه أو بشرط مقدر وقوله والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد الخ يقال ة أوفى ووفى مخففا ومشددا بمعنى وقيل : يقال

اوفيت ووفيت بالعهد وأوفيت الكيل لا غير واللغات الثلاث وردت في القرآن كما بينه المعرب وجاء أوفى بمعنى ارتفع نحو : ربما أوفيت في علم

ومعناه هنا أتممت وكملت ويكون ضد الغدر والترك والعهد حفظ الشيء ومراعاته وسمي

له الموثق للزوم مراعاته وقال الطيبي رحمه الله : إن الزمخشري قال فيما سبق إن العهد الموثق وعهد إليه في كذا إذا أوصاه ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه فاللائق بهذا المقام الثاني فيكون المراد بالعهد ما استعهد من آدم في قوله فإما يأتينكم الخ لتنتظم الآيات وفي كلامه إشعار به اص. واضافته إلى كل منهما لأن مدلوله نسبة بين شيئين فيصح إضافته لكل منهما كما يضاف المصدر تارة إلى فاعله وتارة إلى مفعوله ، قيل : ولا خفاء في أن الفاعل هو الموفي فإن أضيف إلى الموفي مثل أوفيت بعهدي ومن أوفى بعهده فهو مضاف إلى الفاعل وأن أضيف إلى غيره مثل أوفيت بعهدك ف!لى المفعول ففي أوفوا بعهدي أوف بعهدكم تكون الإضافة إلى المفعول فلذا قال : بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإثابة ولا يستقيم غير هذا إذ لا معنى لقولك أوف أنت ما عاهد عليه غيرك ، فما بترهم أن المذكور في الكتاب مبني على رعاية الأولى والأنسب ليس بشيء اص. وهذا رد على الزمخشري ومن تبعه كالمصنف رحمه الله ومن جعله أنسب وهو صاحب الكشف ورد بأنه إن !سر الإيفاء بإتمام العهد تكون الإضافة إلى المفعول في الموضعين وهو مختار بعض المفسرين ، وان فسر بمراعاته تكون الإضمافة الأولى للفاعل والثانية للمفعول كما ذكره العلامة إ المصنف رحمه الله فالمعترض! قصر في النظر حيث قصر معنى الإيفاء على الإتمام ومبنى الكلام على معناه الآخر ومن الناس من ظن أن كلام المصنف رحمه الله مخالف لكلام الكشاف ؟ لم يصب وقيل : إنهم رجحوا هذا التوجيه على جعله مضافا فيهما على نهج واحد لأن الأصل ، الأكثر الإضافة إلى الفاعل فلا يعدل عنه إلا لصارف وهنا لا صارف في الأول لأنه تعالى عهد إليهم بقوله يأتينكم الخ وفي الثاني صارف إذ لا عهد منهم وما اعترض به مدفوع بأن العهد المعلق على فعل

المعاهد يكون الوفاء به من المفعول بالإتيان بالمعلق عليه ومن الفاعل بالإتيان لالمعلق وإذا ثبت جعل أداء المعلق عليه وفاء بالعهد فليكن أوفوا المشاكلة أوف. اهـ ولا يخفى ما في الكلام من الاختلال سؤالا وجوابا أما السؤال فلأن قوله لا معنى لقولك أوف أنت ما طاهد عليه غيرك ليس مثالا نحن فيه وإنما مثاله ما عاهدك." (١)

"ج٢ص١٤٦

عليه غيرك ولا شبهة ير صحته ، ، أتا قوله ولا خفاء في أن الفاعل هو الموفي فكلمة حق أريد بها باطل لأنه إذا سلم أن العهد سبة بينهما فكل منهما موف وموفي قال في الكشف : فسر العهد بالمعاهد عليه وأضافه إلى من

له لا من هو به وذلك لأن المعاهدة وان كانت بين اثنين إلا أن المعاهد عليه مختلف من العبد الالتزام ومن الله الإكرام ، أما إذا كان شيئا واحدا اختلف تعلقه كالعطاء بالنسبة إلى المولى والمولى أو اتحد كاثنين تواثقا على سفر ونحوه فلا يفترق المعنى بين الإضافتين إذ لا أولوية من الجانبين وفيما نحن فيه إضافته إلى من قام به أولى إن صح المعنى عليهما والا فالمعول عليه جانبه ولهذا أضيف في الآية إلى من هو له لأنه لما طلب الوفاء ووعد الإيفاء كان المناسب إيثارها مفسرة بما عاهدتموني وهو الإيمان بي والطاعة لي أو الإيمان بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم والكتاب المعجز وهو مقتضى النظم وما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على التقديرين ، وقيل رفع الآصار والأغلال على الثاني اهـ. وأما ما ذكره المجيب من تفسير الوفاء فليس في كلامهم إشارة إليه على أن العهد معنى والتوفية معنى آخر يتعلق به والكلام في الثاني وقد يختلف فاعل المعنيين وإن كان بينهما مناسبة نحو أعجبني ضربك زيدا فتامل. قوله : (وللوفاء بهما عرض عريض الخ) ضمير بهما لعهد الله وعهدنا وكون كلمتي الشهادة وحقن الدماء أول المراتب باعتبار الظاهر المشاهد الذي يترتب عليه أحكام الشرع فلا ينافي أن الأول الحقيقي لها النظر في دلائل التوحيد وموهبة العلم بالوحدة والنبوة مع أن هذه ثمرة لها منزلة منزلتها. قوله :) وآخرها منا ألاستنراق الخ ا لا يخفى ما في الاستغراق مع البحر من الإيهام والتورية وقوله بحيث يغفل عن نفسه أي ، !غفل كل مستغرق أو كل واحد منا والا كان الظاهر نغفل عن أنفسنا. قوله : (وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخ) رواه ابن جرير بسند صحيح وكذا ما بعده لكن في سنده ضعف والآصار جمع اصر وهو مشقة التكليف وكون هذه وسايط ظاهر لأن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم شامل لغير كلمتي الشهادة. قوله : (وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول الخ (قيل : هذا ما أشار إليه الزمخشري ثانيا بقوله ومعنى وأوفوا بعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة لي ، وقوله والتزام الطاعة أقحم لفظ التزام لأن الطاعة بالفعل قد يعوق عن فعلها عائق

ويعد وافيا وهو ظاهر ، وقد خفي هذا مع ظهوره على بعضهم وقوله وقرئ أوف بالتشديد وهي قراءة الزهري. قوله : (وخصوصا في نقض العهدا **لدلالة السياق** عليه ولذا خصه الزمخشري وإن كان الأولى الإطلاق. قوله : (وهو كد في إفادة التخصيص الخ) هذا من مسائل الكتاب وهو مما اختلفوا فيه واضطربت أقوالهم وها أنا ذاكر لك زبدة ما قالوه على وجه سترفع فيه يد البيان نقاب الإشكال فأقول ، قال سيبويه : في باب عقده لهذه المسألة فقال في أوله الأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يبني عليه كما اختير في باب الاستفهام ثم قال : وذلك قولك زيدا اضربه وزيدا أمر ربه

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٤٥/٢

ومثل ذلك أما زيدا فاقتله فإنك إذا قلت زيد فاضربه لم يستقم أن تحمله على الابتداء ألا ترى أنك لو قلت زيد فمنطلق لم يستقم فإن شئت نصبت على شيء هذا تفسيره وان شئت على تقدير عليك زيدا ومن ذلك قوله :

وقائلة خولان فانكح فتاتهم

وقال أبو الحسن : تقول زيدا فاضرب فالعامل اضرب بعده والفاء معلقة بما قبلها واعلم

أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي وأما قوله : ﴿ الزانية والزاني ﴾ فمحمول على إضمار مما أذكر لكم حكمه لا على حد وقائلة خولان الخ. وقد قرئ : ﴿ والسارق والسارقة ﴾ وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة هذا محصل كلامه وقال السيرافي في شرحه إذا! قدصت الاسم وأخرت الفعل كنت في إدخال الفاء بالخيار إن شئت أدخلتها وهي بمنزلتها في جواب أما وان شئت أخرجتها وذلك قولك زيدا أضرب وزيدا فأضرب فإذا قلت زيدا أضرب فتقدير. اضرب زيدا وإذا أدخلت الفاء فلأن حكم الأمر أن يكون الفعل فيه مقدما فلما قدمت الاسم أضمرت فعلا وجعلت الفاء جوابا له ، وأعملت ما بعد الفاء في الاسم عوضا من الفعل المحذوف وتقديره تأهب فاضرب." (١)

"ج٣ص١٦٧

والحالية من الضمير المجرور. قوله : (لما فيه من التهديد العظيم) أي لما في النظم أو الوعيد ، وأهل السنة في هذه الآية على أن المقصود التغليظ في الزجر فلا حاجة إلى تأوبلها أو تؤول بالحمل على المستحل أو الخلود المكث الطويل ، وخلاف المعتزلة في ذلك معروف ، ومقيس كمنبر علم. قوله : (سافرتم الخ) ضرب في الأرض بمعنى سافر ، وخصه المصنف رحمه الله بالسفر للغزو

لدلالة السياق ، والسباق عليه ، وقوله : فاطلبوا الخ إشارة إلى أن صيغة التفعيل هنا بمعنى الاستفعال كما صرح به الزمخشري ، وأهل العربية ، وقوله : وثباته إشارة إلى القراءة الآتية وأنهما بمعنى أي لا تعجلوا وتحروا وتأملوا ، وتحية الإسلام السلام ، وكان للجاهلية تحية أخرى كانعم صباحا والقاؤها التلفظ بها ، والقاء السلم أي الانقياد إظهاره استعارة كما مر ، وقوله : متعوذا أي ملتجئا إلى إظهار ذلك خوف القتل ، وقراءة الكسر قراءة الجمهور والأخرى مروية عن علي رضي الله عنه ، وقوله : سريع النفاد مأخوذ من تسميته عرضا. قوله : (أي أؤل ما دخلتم الخ) حصن الدماء عدم سفكها ، والمواطأة الموافقة ، وقوله : فإن بقاء ألف كافر لأنه قد لا يأثم به بخلاف القتل ، وجعل الأمر مكررا لكنه متغاير باعتبار ترتبه على ما ذكر من حالهم المقتضية له فهو آكد ، وقيل : إنه غير مكرر لتقدير الأول تبينوا أمر من تقتلونه ، والثاني تبينوا نعمة الله عليكم. قوله : (فلا تتهافتوا الخ) التفاوت الوقوع والتساقط ، وفي الدرة أنه لا يستعمل إلا في الشر ، وفدك بفتح الدالط قرية بخيبر ، وألجأ غنمه إلى عاقول أي ساقها ، والعاقول الغار وأسامة بن زيد وغنيمة تصغير غنم للتقليل وقوله ، وقال ود لو فر أي ليس إتيانه بكلمة التوحيد إلا لينجو بها حتى يفر بأهله وماله منا. قوله : (وفيه دليل على صحة للمان المكره الخ) وجه الدلالة أنه مع ظنهم أن إسلامه لخوف القتل ، وهو إكراه أنكر عليهم قتله فلولا صحة إسلامه لم ينكر ووجه الدلالة على خطا المجتهد أمره بالتثبت المشعر بأن العجلة خطأ ووجه العفو عنه مأخوذ من السياق ، وعدم الوعيد على

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٤٦/٢

ترك التثبت ، ومن المؤمنين حال كما ذكره ،

ومن فيه إما بيانية أو تبعيضية. قوله : (بالرفع صفة للقاعدين الخ) قرئ غير بوجوه ثلاثة فالرفع على أنه صفة القاعدون ، وهو وان كان معرفة ، وغير لا تتعرف في مثل هذا الموضع لكنه غير مقصود به قاعدون بعينهم بل الجنس فأشبه النكرة فصح وصفه بها قيل والأحسن أن يعرب بدلا منه لأن أل موصولة ، والمعروف إجراؤه في المعرف بالألف ، واللام ، وبينهما فرق وجوز الزجاج في الرفع الاستثناء فتأمل ، وقيل غير معرفة هنا لأن المعرفة لا توصف بالنكرة وان أريد بها الجنس ، وإنما توصف بجملة فعلية مضارعية ، والنصب على الحالية ، وهو نكرة لا معرفة كما قيل ، وأما أن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة فأكثري لا كلي أو غير للاستثناء ظهر إعراب ما بعدها عليها وابن أتم مكتوم صحابي أعمى مشهور رضي ألله تعالى عنه ، وقوله : فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ. أي عرض له ونزل عليه ، وكان في بعض أحيانه لا يتمثل له الملك وإنما يصيبه برحاؤه حتى كان مغشى عليه وكان يثقل بدنه فيه ، وترضها بمعنى تكسرها ، وسرى مجهول مشدد الراء بمعنى انكشف عنه ذلك الحال وقوله : (وعن زيد (رواه البخاري وأصحاب السنن ، ومثل الضرر أو هو داخل فيه عدم الاستطاعة المالية ونفي الاستواء ، وان كان معلوما للحث على الجهاد ليأنفوا عن تركه كقوله : ﴿ هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون ﴾ [سورة الزمر ، الآية : ٩] كما ذكره الزمخشري ، ويعلم من نفي المساواة بين المجاهد بالمال ، والنفس نفيها بين المجاهد بأحدهما ونفي المساواة يستلزم التفضيل لكن لم يكتف بما فهم ضمنا فصرح به بعده اعتناء به ، وليتمكن أشد تمكن ولذا لم يعطف جملتها لأنها مبنية موضحة له كما سيأتي في الكشاف أن يكون جواب سؤال." (١)

"ج٤ص٣٣١

عن بعض أهل اللغة واستدل له بقوله :

فلم أرسعدي بعد يوم لقيتها غداة بها أحمالها صاج توضع

واعلم أن قوله ولا أوضعوا في الإمام مرسوم بألفين الثانية هي فتحة الهمزة والفتحة ترسم

لها ألف كما ذكره الدأني رحمه الله وتبعه الزمخشري هنا. قوله : (يريدون أن يفتنوكم الخ) يقال بغاه كذا وبغاله كذا بمعنى قلب ، وأراد والجملة خالية أي باغين لكم الفتنة ، وضعفة بفتحتين

جمع ضعيف واللام على التفسير الأول للتقوية كما في قوله تعالى : ﴿ فعال لما يريد ﴾ [سورة هود ، الآية : ١٠٧] واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله يسمعون تولهم ففي الكلام مضاف مقدر وعلى الوجه الثاني اللام للتعليل ، وتوله والله عليم بالظالمين تقدم تحقيق دلالته على الوعيد قريبا. قوله : (فإن ابن أبز رأس المنافقين الخ) ثنية الوداع موضع معروف شامي المدينة ، وهو بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد الياء العقبة ، والوداع بفتح الواو سميت بها لأنه يوخ الخارج بها ، وقيل الوداع اسم واد خلفها وذو جدة مكان بقربه ، ولم أر له ضبطا وأظنه من تحريف النساخ وأنه ذو جسد وهو موضع بقرب المدينة فإنه ذكر في التواريخ ولم يذكروا غيره مع إحاطتهم ، وقصص المنافقين ومكايدهم مذكورة في السير. قوله : (ودبروا لك المكايد والحيل الخ) يعني الأمور المراد منها المكايد فتقليبها مجاز عن ثدبيرها أو الآراء فتقليبها تفتيشها واجالتها والآيتان

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ١٦٧/٣

هذه والتي قبلها وما ثبطهم لأجله هو أن حضورهم فيه ضرر دون نفع. قوله : (تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم) تعليل لما قبله ، وما فوته هو هتك أستارهم وبيان بطلان أعذارهم ، وهو دفع لما يقال إن خروج هؤلاء إن كان مصلحة فلم كرهه الله ، وان كان مفسدة !ما عوتب النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه مفسدة ، وإنما عوتب على عدم التأني فيه حتى يفتضحوا فكان الأولى التصفح عن كته ذلك ، والتأمل فالعتاب على ترك الأولى نظرا للظاهر وحمل من ظاهره الإسلام على الصلاح والمقصود زيادة تبصيره وتدريبه فليس جناية كما زعمه الزمخشري. قوله : (أي العصيان والمخالفة الخ (لأن الفتنة تكون بمعنى الذنب كما مر والإشعار ظاهر وعلى الوجه الثاني الضرر ، وقوله : (بنساء الروم (لأن غزوة تبوك كانت للروم الذين بجهة الشأم ، وجد بن قيس من بني ، سلمة أحد المنافقين لعنهم الله تعالى وولع بفتح اللام بمعنى كثير الشغف والمحبة يعني فأخشى العشق لهن ، أو مواقعتهن من غير حل وبنات الأصفر الروم كبني الأصفر ، وقيل

في وجه التسمية وجوه منها أنهم ملكهم بعض الحبشة فتولد بينهم نساء وأولاد ذهبية الألوان. قوله :) أي أن الفتنة هي التي سقطوا فيها الخ (هذا التخصيص قيل : إنه مستفاد من تقديم الظرف على عامله والتصدير بأداة التنبيه فإنها تدل على تحقق ما بعدها ورذ بأن تقديم الظرف لا يفيد إلا تخصيص العامل لا بالعكس كما ذكر ، وأما التنبيه فيفيد مجرد التحقق لا التخصيص فالأولى أن يقال لما كان قوله ألا في الفتنة رذأ لقوله ولا تفتني كان نفيا لتلك الفتنة ، وهي التخلف أو العيال أو بنات الأصفر واثباتا لهذه ، وهو معنى الحصر وقد يقال إنه بيان لمحصل المعنى وأنه لم يقعوا إلا في الفتنة لأن الفتنة هي التي سقطوا فيها لا غيرها فتدبر. قوله :) جامعة لهم يوم القيامة الخ (قال النحرير : فعلى الأول المجاز في محيطة حيث استعمل في الاستقبال ، وعلى الثاني في جهنم حيث استعمل في الأسباب أو الكلام تمثيل شبهت حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار وما ذكره بناء على أن اسم الفاعل حقيقة في الحال ، وقد حقق في محله فما قيل إن اسم الفاعل لا يدذ على شيء من الأزمنة وضعا فيستعمل لكل منه بحسب القرائن وأن جعل جهنم مجازا بعيد عن الفهم ليس بشيء لمن عرف معنى كلام القوم. قوله : (في بعض غزواتك (قيده به **لدلالة السياق** عليه ، وقوله : (كسر (أي هزيمة لبعض جيشه يقال انكسر العسكر إذا انهزموا ، وهو حقيقة عرفية وأصله انشقاق الأجرام ، وتبجحوا بتقديم الجيم على الحاء المهملة بمعنى فرحوا وافتخروا ، واستحمدوا عدوه صوابا محموداً والمتحذث بفتح الدال المشددة محل الاجتماع للحديث أي انصرفوا عن ذلك إلى أهليهم وخاصتهم ، أو تفرقوا وانصرفوا عنه !سيم ، فإن قلت فلم قابل الله تعالى هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة ، كما قال تعالى في سورة آل عمران ﴿ وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها ﴾ اسورة آل عمران ، الآية : ١٢٠]." (١)

"ج٥ص٢١٠

عبارة عن عدم الاستعداد بتوبة ، ونحوها فيفيد مع قوله بغتة ، ولا حاجة إلى جعله تأكيدا لها كما قيل والجملة حالية كما أشار إليه بتأويلها بغير مستعدين. قوله : (يعني الدعوة إلى التوحيد الخ (فهذه إشارة إلى الدعوة ولذا أنث ، وان صح تأنيثه باعتبار السبيل أيضا لأنها مؤنثة في الأكثر كالطريق ودعوته إلى التوحيد معلومة من قوله تعالى : ﴿ وما يؤمن أكثرهم ﴾ لدلالته على أن كونه ذكرا لهم لاشتماله على التوحيد لكنهم لا يرفعون له رأسا ودعوتهم للإيمان معلومة من حرصه على

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٣٣١/٤

إيمانهم فإنه بدعوتهم له ، والإعداد للمعاد من التخويف من مفاجأته من غير استعداد وجعل أدعو إلى الله مفسر الماء ذكر أما

بالنسبة إلى التوحيد واما بالنسبة للإعداد فكأنه من قوله على بصيرة لأن من كان على بصيرة استعد ، وحمل غيره على الاستعداد أو هو تفسير للأهم المقصود بالذات منه ، ومعنى أدعو إلى الله إلى معرفته بصفات كماله ونعوت جلاله ومن جملتها التوحيد والبعث. قوله : (وقيل هو حال من الياء (وعلى الأول الجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب وتمريضه لأن الحال من المضاف إليه في مثله مخالفة للقواعد ظاهرا ، ولذا تكلف بعضهم فقال إنه حينئذ مفعول مصدر مقدر أي سلوك سبيلي لا لأنها تقييد للشيء نفسه لأن تقييدها بكونها على بصيرة يدفعه. قوله : (واضحة غير عمياء) قد مر تحقيقه فتذكره ، وقوله أو في على بصيرة أي أو للضمير المستتر في على بصيرة لأنه حال فيستتر فيه ضمير المتكلم وكذا إذا كان خبرا ، وقوله عطف عليه أي على أنا في الوجه الأخير ولم يذكر عطفه على المستتر في الوجه الآخر لظهوره ، وإذا عطف على المستتر ففيه تغليب كما مر تحقيقه في قوله : ﴿ اسكن أنت وزوجك الجنة ﴾ [سورة البقرة ، الآية : ٣٥] ومنهم من قدر في مثله فعلا عاملا في المعطوف ، وقيل معنى قوله عطف عليه على المستتر لتأكده بالمنفصل ، ولا يصح عطفه على أنا لكونه تأكيدا ، ولا يصح في المعطوف كونه تأكيدا كالمعطوف عليه فتأمل ، وقوله أو مبتدأ عطف على قوله تأكيد ، وقوله وأنزهه تنزيها إشارة إلى أنه منصوب. على المصدرية بفعل محذوف هو المعطوف ، وقوله من الشركاء خصه به لدلالة السياق والسباق عليه. قوله :) رذ لقولهم لو شاء ربنا لأنزل ملائكة الخ) أي نفي له كما مز في سورة الأنعام ، وقيل معناه نفى استنباء النساء ، وفيه اختلاف أيضا كما مر وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وأما كونه نزل في سجاج بنت المنذر المتنبئة فلا صحة له ، وإنما هو غلط من عبارة الزمخشري لأن ادعاءها النبوة كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكونه إخبارا بالغيب لا قرينة عليه وهي التي قيل فيها :

أضحت نبيتنا أنثى نطوف بها ولم تزل أنبياء الله ذكرانا

وتزوجها مسيلمة لعنه الله ثم أسلمت بعده ، وحسن إسلامها وقصتها معروفة في التواريخ. قوله : (وقرأ حفص! نوحي) بالنون وهو مناسب لقوله أرسلنا ، وقوله في كل القرآن يعني هنا ، وفي النحل والأول من الأنبياء كما في النشر وكون أهل القرى أعلم من أهل البادية وأحلم مما لا شبهة فيه ، ولذا يقال لأهل البادية أهل الجفاء ، ونقل عن الحسن رحمه الله أنه قال ل! يبعث رسول من أهل البادية ، ولا من النساء ولا من الجن ، وأما قوله تعالى : ﴿ وجاء بكم من البدو ﴾ فقد مر أنهم ليسوا أهله ، وإنما كانوا يخرجون إليه بمواشيهم ، وكان مجيئهم إذ ذاك منه. قوله :) من المكذبين بالرسل والآيات الخ (المشغوفين بالغين المعجمة ويجوز إهمالها ، وقوله فيقلعوا أي يكفوا يقال أقلع عن الأمر إذا كف عنه ، وفي نسخة ينقلعوا والصحيح الأولى. قوله :) ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة) إشارة إلى المذهب المختار في مثله فإن فيه مذهبين أحدهما أنه من إضافة الموصوف للصفة ، والآخر أنه يقدر للصفة موصوف كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى ، وهو خلاف مشهور بين الكوفيين ، والبصريين في مثل بقلة الحمقاء ، ومسجد الجامع. قوله :) يستعملون عقولهم ليعرفوا) وفي نسخة فيستعملون عقولهم بالفاء التفسيرية ، وأما في النظم فسببية مزحلقة. قوله : (حملا على قوله قل هذه سبيلي أي قل لهم

أفلا تعقلون (أي أنه من مقول قل أي قل لهم مخاطبا أفلا تعقلون فالخطاب على ظاهره ، وقوله وما أرسلنا إلى من قبلهم أو اتقوا اعتراض بين مقول القول ، ولا ينافي الثاني كون تفسيره لقوله أفلا تعقلون على القراءتين كما توهم ولو جعل هذا التفاتا كان." (١)

"ج٥ص٢٥١

لغته لغتهم اختصاص بعثته بالعرب ، وقوله ما أمروا به إشارة إلى مفعوله المقدر واليسر بمعنى السهولة عليهم. قوله : (ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم (أي ينقلوا ما أمروا به ، ويترجموه بلغة أخرى إن بعث ذلك الرسول إلى غير قومه ممن لهم لسان آخر ، وقوله فإنهم أولى الناس أي أقربهم إليه تعليل لعدم تعكيس الأمر ، وانذار عشيرته لقوله تعالى : ﴿ وأنذر عشيرتك الأقربين ﴾ [سورة الشعراء ، الآية : ٢١٤] وقوله ، ولو نزل الخ إشارة إلى سؤال وهو نبينا صلى الله عليه وسلم بعث لجميع الأمم فلو كان له كتب معجزة بجميع الألسنة كانت أدل على النبوة فدفعه بأنه يؤذي إلى اختلاف الكلمة لاختلاف الكتب المتمسك بها المؤدي إلى التنازع ، وعدم الانقياد واضاعة فضل الاجتهاد أي بذل الجهد في فهم معانيه ، واتقان لغاته وعلومه ، والقرب جمع قربة. قوله : (وقرئ بلسن) كذكر ، وهي لغة في لسان لكنه لا يطلق على الجارحة ، وقوله وقيل الضمير في

قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم الخ الضمير على الأول لرسول وعلى هذا لنبينا صلى الله عليه وسلم المفهوم من السياق وهذا قول لبعض المفسرين نسب فيه إلى الغلط كما أشار إليه المصنف رحمه الله بقوله ويرده إلى آخره لأنه إذا لم يقع التبيين إلا بعد الترجمة فات الغرض مما ذكر ، وضمير لهم للقوم بلا خلاف ، وهم المبين لهم بالترجمة فقول المصنف رحمه الله لم تنزل لتبين للعرب فيه نظر لأن القائل لم يقل إنه تبين للعرب ، ولم يكلفوا بالعمل بما فيها حتى تبين لهم ، وقوله وقيل الخ. قال في الكشف دفعه الطيبي بأنه راجع إلى كل قوم **بدلالة السياق** والجواب أنه لا يدفع الإيهام على خلاف مقتضى المقام ، وقوله فيخذله الخ قد مر تحقيقه وكذا مر تحقيق تفسير الهداية بالتوفيق ، وقوله فلا يغلب شيء على مشيئته بيان لارتباطه ، وكذا ما بعده وقوله ، ولقد أرسلنا موسى أي كما أرسلناك كذا قال النسفي ، وبه يرتبط النظم أتم ارتباط ، وفي المرشد لأبي شامة رحمه الله قال السجستاني المراد بقومه العرب كلهم لقوله صلى الله عليه وسلم : " أنزل القرآن على سبعة أحرف " الحديث ، وقال ابن قتيبة هم قريش لأن القرآن أنزل بلغتهم ، ولا يجوز أن يكون فيه ما يخالفها فالقول الأول عظيم من قائله إلا أن يريد ما يوافق لغتهم من غيرهم اص. قوله :) أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو بأن أخرج الخ) يعني أن إما مفسرة ، وهي تفسير لمفعول مقدر فيه معنى القول دون حروفه ، وهذا شرط كما بينه أهل العربية ، واليه أشار المصنف رحمه الله أو مصحدرية حذف قبلها حرف الجر لأن أرسل يتعدى بالباء ، والجار يطرد حذفه قبل أن ، وأن وقوله فان صيغ الأفعال الخ إشارة إلى توجيه اتصالها بالأمر كما مر تحقيقه ، وقوله أن الناصبة أي المصدرية لشهرة النصب بها. قوله : (بوتائعه التي وقعت على الأمم الدارجة (أي الخالية الماضية يعني الأيام بمعنى الحروب والوقائع كما في قولهم أيام العرب فإنه مشهور بهذا المعنى كقوله :

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٥/٢١٠

وأيامنا مشهورة في عدونا

وهذا هو المناسب للتذكير ، ولذا قدمه أو المراد بأيام الله نعمه ونقمه كقوله :

وأيام لنا غرر طوال عضضنا الملك فيها ان يدينا

وذكرهم معطوف على أخرج أو مستأنفه ، وهذا أنسب بقوله لكل صبار شكور ، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيام الله نعماؤه ، وهو مثل الأول في عدم المناسبة لما بعده مع عدم المناسبة لما قبله أيضا وفيه نظر. قوله : (يصير على بلائه ويشكر لنعمائه فإنه إذا سمع الخ (هو جار على الوجهين في تفسير الأيام أما على الثاني فظاهر ، وأما على الأول فالصبر على البلاء من التذكير بالوقائع ، والشكر على النعم من الإخراج من الظلمات إلى النور فإنه تدبيل لمجموع الآية لا لقولهم ذكرهم فقط ، واليه أشار بقوله فإنه الخ وقيل إنه إشارة إلى ترجيح الثاني عكس ما فهم من صيغة التمريض ، ومناسبته على تفسيره بالوقائع أنها تتضمن النعم ، والنقم بالنسبة إلى قوم ، وقوم كقوله :

مصائب قوم عند قوم فوائد

وهو تكلف لا حاجة إليه. قوله : (وقيل المراد لكل مؤمن) فعلى الأول يكون الصبار ، والشكور عبارتين لمعنيين ، وعلى هذا عبارة عن معنى واحد على طريق الكناية كحي مستوي القامة بادي البشرة في الكناية عن الإنسان ، وقوله عنوان المؤمن استعارة حسنة أي الظاهر من حاله." (١)

"ج٦ص٢٠

مرة بعد أخرى (فسره به لأنه يشعر بالتكرار كما مد الماء ونحوه ، قال تعالى : ﴿ والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ﴾ [سورة لقمان ، الآية : ٢٧] وقوله : ونجعل آنفة مدد السالفة إن كان آنفة بتاء الوحدة منونا فمددا منون ولسالفة بلام الجر وتاء الوحدة أيضا ، وإن كان مضافا لضمير العطاء الغالب فلسالفه ، ذلك والسالف ما سبق منه والآنف بالمد ما استؤنف مرة بعد مرة أخرى ، وقوله : من معطاه إشارة إلى أن العطاء اسم مصدر واقع موقع المفعول وقوله : ممنوعا لأنه من الحظر بمعنى المنع من الحظيرة ، وقوله : في الرزق قيده به **لدلالة السياق** أو المراد به اللغوي فيتناول الشرف ونحوه كما يقال : السعادة أرزاق أو هو تمثيل.

قوله : (بدل من كلا (أي بدل كل من كل لكنه قدره فيما مضى بكل واحد من الفريقين

تبعا للزمخشري فورد عليه ما أورده عليه أبو حيان والمعربون وتبعهم المحشي من أنه لا يصح على هذا التقدير لأنه يكون بدل كل من بعض كقوله :

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات ...

وهو مردود كما بين في النحو فالظاهر أن يقدر كل الفريقين ومن لم يفهم مراده قال في تقريره : أي نمد هذا الفريق وذاك الفريق لا كل فرد منهما ولذا قال : كل واحد دون أحد وفرد ، والعجب من أبي حيان أنه خالف النحاة في أن كلا إذا أضيفت إلى نكرة قد ترد للكل المجموعي لا بمعنى : كل فرد فرد مستدلا بقول عنترة :

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢٥١/٥

جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم...

وعليه قول الأصوليين كل رجل يشيل الصخرة العظمية وإن نازعه السبكي فيه في رسالة

كل وعلى ما ذكر لا يرد عليه شيء عند النظر الصحيح وكأنه أشار إليه بقوله : الأولى فتأمل. قوده :) وانتصاب كيف الخ (أي أنها في محل نصب لأنها مبنية على الفتح قال نجم : الأئمة

إنما عد كيف في الظروف لأنه بمعنى على أي حال والجار والمجرور والظرف متقاربان ، وكون كيف ظرفا مذهب الأخفش ، وعند سيبويه هو اسم بدليل إبدال الاسم منه نحو كيف أنت أصحيح أم سقيم ولو كان ظرفا لأبدل منه الظرف نحو متى جئت أيوم الخميس أم يوم الجمعة فإن جاء بعد كيف ما يستغنى به فكيف منصوب المحل على الحال فتأمل ، وناصبه ما بعده من الفعل وليس مضافا للجملة كما توهم والجملة بتمامها في محل نصب بقوله : انظر وهو معلق هنا كما بين في محله ، والمعنى انظر إلى هذه الكيفية العجيبة. قوله تعالى : ﴿ أكبر درجات وأكبر تفضيلا ﴾ درجات وتفضيلا منصوبان على التمييز والمفضل عليه محذوف تقديره من درجات الدنيا وتفضيلها وقوله : بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها عمم الدرجات ليشمل الدركات فللتفضيل بمعنى التفاوت فاعتبر التفاوت بين أهل الجنة والنار وبين أبعاض الفريقين. قوله : (الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم الخ) إنما جعل المراد به أقته على حذ قوله :

إياك أعني وسمعي يا جاره

أو المراد به العموم على حذ قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وهو معنى ما قيل إن الخطاب للإنسان لأن ما بعده ليس مما يصف به نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ولو على طريق الفرض والتقدير. قوله : (فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة (شحذ بمعنى سن وحدد والشفرة السكين الكبيرة وكل نصل عريض وقعد بمعنى صار ويلحق به في العمل ، قال الرضي : من الملحقات بصار قعد في قول إعرابي : أرهف شفرته حتى قعدت كأنها حربة أي صارت وقال : إنما تعمل قعد هذا العمل في هذا المثل فلا يقال قعد كاتبا لكونه مثله ولذا قيل : إن تفسيره بتصير هنا غير جيد وهذا غير مسلم لأن الفراء ذهب إلى إطراد قعد بمعنى صار ، ومنه قول الراجز :

من دون أن تلتقي الأركاب ويقعد الاير له لعاب...

وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها فما ذكر مبنيئ على قول الفراء : وعلى قول الأصحاب : مذموما مخذولا حال ، وعلى قول الزمخشري خبر يقعد. قوله : (أو فتعجز من قولهم قعد الخ) بمعنى العاجز عن القيام ثم تجوز به عن مطلق العجز ، وقيل القعود كناية عن العجز فإن من أراد أخذ شيء يقوم له ومن عجز قعد ، وأما القعود بمعنى الزمانة فحقيقة والإقعاد مجاز كأن مرضه أقعده والقعود اللبث مطلقا قائما أو قاعدا أو هو حقيقة أيضا وفيه نظر إلا أن يريد أنه حقيقة عرفية لا لغوية لأنه ضد القيام. قوله : (جامعا على." (١)

"ج٧ص٢٧٦

المرض الحاضر ، وهو معنى كثير الأشعار القديمة كقول حميد بن ثور :

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٦/٢٠

وحسبك داء أن تصح وتسلما

ومنه أخذ المتنبي قوله :

قداستشفيت من داءبداء وأقتل ما أعلك ماشفاكا

والبيت الذي ذكره المصنف للبيد من قصيدة وقبله :

كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء

وجاهدا بمعنى مجتهدا ويصحني منأصحه إذا صيره صحيحا ، ولبيد كان ممن رزق العمر الطويل والمثل والبيت بيان للوجه الأخير. قوله : (هاربين مخافة العدوى (بفتح العين ، وهي

سراية المرض وعلى تفسيره هذا مدبرين حال مقيدة لا مؤكدة كما هو المتبادر ، وقوله فذهب الخ أصل معناه الميل في جانب ليخاع من خلفه فتجوز به عما ذكره لأنه المناسب هنا والطعام المذكور كان يقرب للأصنام في أعيادهم ، وأتى بضمير العقلاء لمعاملته معهم معاملة العقلاء ، وقوله وأن الميل لمكروه ، وعلى للمضرة كما في دعا عليه وضربا مصدر لراغ باعتبار المراد منه بطريق التجوز أو **بدلالة السياق** ، ويجوز كونه حالا بمعنى ضاربا أو مفعولا له. قوله : (وثقييده باليمين الخ) فيكون المراد الضرب القوفي والباء في الأول للاستعانة ويجوز كونها للملابسة ، واليمين بمعنى القوة مجازا كما مر ، وفي الثاني للسببية. قوله : (بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة) إشارة إلى التوفيق بين ما في هذه الآية وما في الأخرى سمعنا فتى يذكرهم الخ فإن هذه تقتضي أنهم شاهدوه ، وهو يكسرها فأسرعوا إليه وتلك تدل على أنهم لم يشاهدوه ، وإنما استدلوا بذمه على أنه الكاسر لها بأن هذه لا تنافي تلك فإن معناها أنه حين كسرها لم يشعر به أحد وأقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم ، وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على أعين الناس ، وليس في النظم ما ينافيه وأجيب أيضا بأن الرائي له بعض أتباعهم ولم يذكره لكبرائهم لصارف ما حتى بلغهم فقالوا ما صدر عنهم وهو المذكور في سورة الأنبياء. قوله : (من رف النعام) أي أسرع لخلطه الطيران بالمشي ، ولذا قيل زت العروس لا لسرعة المشي بها بل لخفة السرور ، ونشاطه ومصدره الزف والزفيف وأزفه حمله على الزفيف أو دخل فيه فيكون متعديا ولازما من الثلاثي المعلوم قرأ جميع القراء إلا حمزة فإنه قرأه بضم الياء على أنه معلوم المزيد ، والقرا آت الباقية كلها شاذة فما نقله المصنف عن حمزة مخالف لما في جميع كتب القرا آت وقوله يزف بعضهم قدر مفعوله لأن أزف متعد وقد عرفت أنه يكون لازما فلا يحتاج لتقديره ، وكون وزف بمعنى أسرع أثبته الثقات فلا يلتفت لمن أنكره ، وزفا بمعنى حدا استعير لمعنى أسرع كما أشار إليه بقوله كان الخ. قوله : (وما تعملونه (فما موصولة وعائدها محذوف ،

وهذا رجحه في الكشاف على المصدرية لكنه زعمأنه هو الموافق لمذهب أهل العدل لأن أهل السنة استدلوا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وبنره على كون ما مصدرية وأنه الأصل لعدم احتياجه إلى التقدير وليس هذا أيضا بلازم كما أشار إليه المصنف وقال الزمخشري أن المعنى الآية يأباه إباء جليا لأنه تعالى احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف !عبد المخلوق المخلوق على أن العابد هو الذي صوره وشكله ، ولولاه لم يكن له صورة فلو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم ، ولا كان لكلامك طباق وما في ما شحتون موصولة فلا يعدل بها عن أختها لما فيه

من فلف النظم وتبتير. هذا محصله ، وهو كلام حسن لكنه حق أريد به باطل كما سنبينه. توله : (فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم (رد على الزمخشري إذ جعل الموصولية دالة على أن جوهرها أي مادتها بخلقه تعالى دون تشكيلها ، وتصويرها فإنها من أفعال العباد المخلوقة لهم عنده فالموصولية لا تنافي مذهب أهل الحق إذ تعلق الفعل بالمشتق يقتضي تعلقه بمبدأ اشتقاقه فمعنى يحب التوابين يحب ذواتهم وتوبتهم ، وقوله وان كان الخ أن فيه وصلية أي لهم مدخل في الفعل بالكسب الاختياري والمباشرة ، وإن كان الله خلقه كما هو مذهب الأشعرية ولا دلالة في كلامه على أنه لا مدخل لشلق الله في الشكل كما توهم ، وقوله ولذلك جعل من أعمالهم دفع لما قيل إنه كيف جعل . مخلوقا لله ومعمولا لهم من غير احتياج إلى إيقاع الخلق على جوهرها والعمل على شكلها كما في الكشاف تاييدا لمذهبه ، وقوله فبأقداره الخ خبر." (١)

"ج٨ص٢٩

كثير ك! في قولهم حينئذ الآن أي كان ذلك حينئذ وامتغ الآن ، فالماضي المقدر معطوف على ما قبله والفاء دالة على تفريع ما بعدها على ذلك المقدر. وقال الواحدي : إذ بمعنى إذا ، وقد تأتي للاستقبال ، وقيل إنها تعليلية. وقال ابن الحاجب : يجوز تضمين إذ معنى الشرط بقرينة الفاء ، وقد جوز كونها معمولة لقوله فسيقولون باعتبار إرادة الاستمرار ورد بأن المضارع إذا أريد به الاستمراو على أن السين للتأكيد ، فإنما يدل على استمرار مستقبل بخلاف ما إذا لم يقترن بالسين ، فإنه يكون للاستمرار في جميع الأزمنة ، وأجيب عنه بأن السين إذا كانت للتأكيد يجوز أن يقصد الاستمرار في الأزمنة كلها نحو فلان يقري الضيف والفاء لا تمنع عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما ذكره الرضي والتسبب حينئذ عن كفرهم. قوله : (مسبب عنه) أي عن ظهور عنادهم إشارة إلى أن الفاء للسببية والمسبب عنه مقدر. وقوله : (وهو أي) قولهم هذا إفك قديم بمعنى ما ذكر والقرآن يفسر بعضه بعضا. قوله تعالى : (﴿ ومن قبله ﴾ الخ) قراءة العامة بمن الجارة ، فالجار والمجرور خبر مقدم وقرى بمن الموصولة عمى أنه معمول لفعل مقدر كآتينا وإماما ورحمة حالان من كتاب والعامل فيه معنى الاستقرار والمعنى كيف يصح كونه إفكا قديما وقد سلموا كتاب موسى ورجعوا إلى حكمه مع أن القرآن ممدق له ، ولغيره من الكتب السالفة بمطابقته لها مع إعجازه وحفظه من التحريف القاطع بصحة ذلك ، وهو جار على إرادة اليهود ، أو مطلق الكفرة من الذين كفروا كما أشار إليه بقوله لكتاب موسى ، أو لما بين يديه من الكتب السالفة ، وأيد الثاني بأنه قرى به وتقديم من قبله للاهتمام ، أو المعنى من قبله لا من بعده ليوفي حق الاختصاص اللازم له عند السكاكي كما في الكشف. قوله : (أو منه) أي من كتاب

النكرة ، وسوغ مجيء الحال منه من غير تقديم له توصيفه والعامل حينئذ معنى الإشارة ، وفيه كلام تقدم في هذا بعلى شيخا ، وفائدتها أي فائدة مجيء الحال منه مع أن عربيتة أمر معلوم لكل أحد الدلالة على أن تصديقه لها باتحاد معناه معها ، وهي غير عربية ومثله لا يكون ممن لم يعرف ذلك اللسان بغير وحي من الله وهو كاف في حقيته كما أشار إليه بقوله حقي دل الخ. وقوله : (يصدق ذا لسان الخ) يعني به النبي ، فلا بد فيه من حذف المضاف ، ولو جعل هذا إشارة إلى كتاب موسى لقربه لم يحتج لتقدير. وقوله : (وقيل) معطوف على قوله حال. قوله : (وفيه ضمير لخ) أي في هذا الفعل ، وهو

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢٧٦/٧

ينذر ضمير مستتر لما ذكر وأيد الأخير بقراءة الخطاب ، فإنه لا يصلح بدون تكلف لغير الرسول والتعليل صحيح على الكل ولا يتوهم لزوم حذف اللام على أن الضمير للكتاب لوجود شرطه فإنه شرط الجواز لا الوجوب. وقوله : (وتوقيف) بتقديم القاف وفي نسخة بتاخيرها ، وهو تحريف من الناسخ وقوله : (عطف على محله) أي محل لينذر وهو الجر لأن المصدر المسبوك لا يظهر إعرابه. قوله تعالى : (﴿ إن الذين قالوا ﴾ الخ) مر تفسيره في السجدة. وقوله : (جمعوا بين النوحيد) المستفاد من تعريف الطرفين المفيد للحصر. وقوله : (في الأمور) إشارة إلى عمومه لترك متعلقه والتي الخ صفة الاستقامة. وقوله : (على تأخر رتبة العمل (إشارة إلى أنها للتراخي الرتبي ، وتوقف اعتباره على التوحيد من نفس الأمر ، والترتيب الوجودي فهي للترتيب بدون تراخ وقوله : وجزاء منصوب بمقدر من لفظه **لدلالة السياق** عليه. قوله : (من لحوق مكروه) أي في الآخرة كما أن فوات المحبوب المطلوب في الدنيا ويجوز في هذا أن يكون لفا ونشرا للعلم والعمل والأحسن رجوعه للكل. وقوله : (لتضمن الاسي! معنى الشرط) مع بقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان كما فصله النحاة. وقوله : ﴿ ووصينا ﴾ الخ تقدم الكلام عليه في سورة العنكبوت. وقوله : (للصاء حسنا) فهو صفة لمصدر مقدر. وقد جوز فيه المصدرية كعلنا فيكون له مصدران على فعل وفعل وهو خلاف المعروف في الاستعمال وإن توافقت فيه القراءتان. وقوله : ذات كره إشارة إلى أنه حال من الفاعل بتقدير مضاف. وقوله :

(أو حمل! الخ) علي أنه صفة للمصدر ، أو هو منصوب على المصدرية لتقدم ما هو في معنى فعله وقد تقدم في النساء الفرق بين المفتوح والمضموم والكلام فيهما. قوله : (ومدة حمله وفصاله) فيه مضاف مقدر لتصحيح الحمل من غير تكلف. وقوله : (أو وقته) عطف على قوله الفطام يعني الفصال إما." (١)

"ج٨ص٢٦٠

جزاؤه وإن الخ ، خبره وقوله : جمعه للمعنى أي لرعاية معنى من ، ولو راعى لفظه قال : خالدا.

قوله : (والغاية لقوله يكونون الخ (يعني إن فسر با لتجمع للعداوة ، فهو غاية له وعلى

الوجه الآخر متعلق بمحذوف دلت الحال عليه ، كأنه قيل : لا يزالون يستضعفونه ، حتى إذا رأوه ما يوعدون تبين لهم المستضعف من هو ، وأما جعله غاية لقوله : نار جهنم ، فركيك جدا مع أنه يأباه ما بعده وما قبله ، وأما استعباده بطول الفصل فليس بشيء كما توهمه أبو حيان ، فإنه لا مانع من تخلل أمور غير أجنبية بين الغاية والمغيا ، وقوله : ما أدري بيان لأن إن نافية هنا. قوله : (غاية تطول مدتها الخ ا لما كان التقابل يقتضي أن يقال : أقريب أم بعيد ، أو أله أجل وأمد أم لا ، أوله المصنف رحمه الله تعالى بالأمد البعيد بقرينة المقابلة ، وإن كان الأمد وضعا شاملا لهما ، ولذا وصف بقوله تعالى : ﴿ تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا ﴾ [سورة آل عمران ، الآية : ٣٠] وفي الكشاف المعنى ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل له غاية مضروبة ، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى أولى وأقرب. قوله :) هو عالم الغيب (يعني هو خبر ضمير محذوف ، واضافته محضة لقصد الثبات فيه ، فيفيد تعريف الطرفين فيه التخصيص لأن الكلام وقع تعليلا لنفي الدراية ، كأنه قيل : ما أدري قرب ذلك الموعد وبعده ، إلا أن يطلعني الله عليه ، لأن علم الغيب مختص به وقد يطلع عليه

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٢٩/٨

بعض خلقه. قوله : (على الغيب المخصوص به علمه ا لإفادة الإضافة الاختصاص واختصاصه به تعالى لأنه لا يعلمه بالذات والكنه علما حقيقيا يقينيا بغير سبب ، كاطلاع الغير إلا الله ، وعلم غيره لبعضه ليس علما للغيب ، إلا بحسب الظاهر ، وبالنسبة لبعض البشر كما ذكره بعض المحققين فلا منافاة ، لقوله : بعده لعلم بعضه ، حتى يقال عليه إنه بعد ما حمل الغيب على الغيب المخصوص به علمه كيف يقول لعلم بعضه حتى يكون له معجزة ، وتكلف بعضهم الجواب عنه ، بأن المراد بالغيب المخصوص به ما لم ينصب عليه دليل ، ولا يقدح في هذا الاختصاص كونه معلوما للغير بإعلامه تعالى إذ الاختصاص إضافي بالنسبة إلى من عدا المستثنى. قوله :) ١ لا من ارتضى (يصح في هذا الاستثناء الاتصال ، وهو الظاهر ، والانفصال بناء على التخصيص أو عدمه كما في

بعض الحواشي. قوله : (واستدل به على إبطال الكرامات) فيه كلام من وجهين الأول إنه لا دلالة فيه إلا على إبطال كرامة علم الغيب لا غير ، والقول بأنه لا قائل بالفصل لا يتمشى في أمثال هذه المطالب ، وادعاء دلالة النص ليس بشيء ، لأن الخارق للعادة ليس مساويا لإظهار الغيب بل أقوى منه ، إذ الأول قد يعرف بحدس ونحو. ، وفي شرح المقاصد ليس هذا بقادح في حكم المقام ، لأن مدعي أهل السنة حقية كرامات الأولياء جميعها ، وأدلة الخصم بعضها يدل على إبطال الجميع ، وبعضها على إبطال البعض ، وهو الإخبار بالغيب إذ به يحصل بطلان ما ادعيناه من حقية جميعها ، فلا يرد عليه إنه لا دلالة فيه إلا على إبطال كرامة علم الغيب لا غير فتأمله. الثاني إن كلامه لا يخلو من أن يكون مبنيا على جوابين كما في التفسير الكبير ، حيث قال : الغيب مخصوص بوقت وقوع القيامة **بدلالة السياق** ، والرسول بالملك فإنه تعالى يطلع الملائكة عليه يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا ، ويجاب أيضا بتخصيص الإظهار بما يكون بغير واسطة ، ويرد على الأول إنه كيف يصح هذا بعد قوله : ليكون معجزة ، والمعجزة إنما هي لرسل البشر دون الملائكة ، وأجيب بأنه غير مرضي له ، وأنما قدم لإيجازه وليفرغ منه إلى الأهم عنده كما هو دأب المصنفين ، وقيل : كلاهما ليس بمرضي له ، وأنما المرضي له ما أشار إليه في أثناء تفسير النظم من تخصيص الغيب ، وحمل الرسول على المتعارف لدلالة السباق والسياق عليه ، وأما هذا فالعهدة فيه على القوم ، وأورد على الثاني أن الرسل لا يطلعون بغير واسطة ، وقصة المعراج ، وتكليم موسى عليه الصلاة والسلام يرده ، أو جوابا واحدا كما ارتضاه البعض ، وهو الظاهر من عطفه بالواو ، وقيل : وهو مخالف لقوله : حتى يكون معجزة ، ومقتضى لزوم الواسطة للإظهار للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو غير صحيح لقصة المعراج وغيرها ، ولا يرد عليه أنه وارد على الجواب الأول عند القائل بالتعدد لأنه غير مرضي له ، لا يقال : إذا خصص الغيب بالقيامة أو بغيرها مما يتعلق بذاته لا يرد المعراج ونحوه ، لأنا نقول حينئذ لا يصح الاستدلال ولا يحتاج إلى الجواب ، وهذا معنى ما قيل إن كلامه لا يخلو من الخلل والإخلال ، ولبعض أهل العصر هنا كلام طويل بلا طائل. قوله : (وكرامات الأولياء الخ) يرد." [1]

"ج٨ص٣٦٤

﴿ والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس ﴾ [سورة التكوير ، الآية : ١٧] للعطف مع تقدم صريح القسم مع أن التحقيق

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجي على البيضاوى، ٨/٢٦٠

إن الظرف ليس معمولا لفعل القسم لفساد المعنى إذ هو غير مقيد بالزمان حالا كان أو مستقبلا ، وإنما هو معمول لمضاف مقدر وهو العظمة لأن الأقسام بالشيء إعظام له وأورد عليه أن أقسامه تعالى بشيء مستعار لإظهار عظمتة ، وابانة شرفه فيجوز تقييده باعتبار جزء المعنى المراد يعني الإظهار وأيضا إذا كان الأقسام إعظاما لغا تقديره ، وقد جوز تجريد إذا عن الظرفية وابدالها من مدخول الواو ، ولا يخفى أنه ولو سلم ما ذكره فالاستعارة إما تبعية أو تمثيلية وعلى كل حال فليس ثمة ما يكون متعلقا به بحسب الصناعة ، والتقدير ليتعلق به وليظهر ما أريد منه مؤكدا فلا لغوية فيه ، ومثله تخيل لا محصل له. قوله : (من حيث استلزمت الخ) متعلق بقوله : النائبة والمستتر فيه للواو الأولى كضمير معها وضمير طرحه لفعل القسم ، وقوله : ربطن الخ جواب لما والمجرورات القمر والنهار والليل والظروف إذا بعد الثلاثة وليس المراد بالجمع الاثنين كما قيل : لمقارنته المجرووات ، وقوله : بالمجرور والظرف أراد بالمجرور الشمس المجرورة بحرف

القسم وبالظرف فميا هيل : وضحاها لأنها في معنى إذا أشرقت أو لأن الضحى كثر استعماله بمعنى الوقت فيما قيل ، ولما رأى بعضهم ما فيه من التكلف قال المراد بالظرف والمجرور هنا القمر وأذا بعده ولا يخفى ما فيه من البعد ، وقوله؟ على عاملين مختلفين اتبع النحاة في هذه العبارة وفيها مضماف مقدو تقديره على معمولي عاملين مختلفين. قوله : (لإرادة معنى الوصفية) يعني أن أصل وضعها لما لا يعقل وقد يراد بها الصفة فإنها تقع استفهاما للسؤال عنها فتقول زيد ما هو فيجاب بعالم أو جاهل بخلاف من فانها تختص بذوي العلم وقد أريد هنا الصفة فلذا أطلقت عليه تعالى وقد مر تفصيله في سورة النساء. قوله : (كأنه قيل والشيء القادر الخ ا لم يقل والباني ولأذى البناء لأن الصفة إما بمعنى المشتق فيقدر الأول أو ما قام بالغير فيقدر الثاني لأن المراد بالبناء ليس معناه المعروف بل إيجاد الإجرام العظيمة الدالة على كمال القدرة وبديع الحكمة والصنعة ، ولذا فسره بما ذكر للدلالة على الوصفية المرادة هنا فسقط ما قيل من إن الأولى أن يقول وبانيها. قوله : (ولذلك أفرد ذكره (أي ذكر ما بناها مع أن في ذكر السماء غنية عنه للدلالة على إيجادها ، وموجدها التزاما والإشارة إلى ما ذكر من الدلالة على وجوده وكمال قدرته ، وقوله : وكذا الكلام الخ أي أوثرت ما فيه لإرادة الوصفية فكأنه قيل : القادر الذي بسطها والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها. قوله : (وجعل الماآت الخ) جمع ماء بالمد على إرادة لفظها وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم لم تجعل ما مصدرية كما ذهب إليه الفراء والزجاج ومن تبعهما ليسلم من ارتكاب إطلاقها على الله ، وكذا قال في الكشاف وليس بالوجه لقوله : فألهمها وما يؤدي إليه من فساد النظم إلا أنه خفي على شراحه وجه الفساد كما تردد فيه أصحاب الحواشي هنا ، والظاهر أن المراد بتجريده من الفاعل أنه لا يكون له فاعل ظاهر وهو ظاهر ولا مضمر لعدم مرجعه ، وهذا في الأفعال كلها هنا لا في ألهم وحده كما قيل : وخلل النظم لما فيه من عطف الفعل على الاسم ، ولا يخفى أنه يكفي لصحة الإضمار **دلالة السياق** هي موجودة هنا وأن العطف حينئذ على صلة ما لا عليها مع صلتها فكأنه قيل ونفس وتسويتها فإلهامها الخ ولا يرد عليه اختلال الترتيب من غير مهلة لأن التسوية قبل نفخ الروح ، والإلهام بعدها بزمان طويل لأن التسوية فسرت بتعديل الأعضاء والقوى التي منها المفكرة والإلهام موقوف عليها أو لا يتم إلا بها مع أنه قد يقال : إن الترتيب فيه عرفي ، ثم إنه مشترك الإلزام ولا معنى لما قيل من أن النظم العربي يوجب توافق القرائن لأنه حاصل هنا وعطف الفعل على الاسم لشى بفاسد ، وإن كان خلاف الظاهر فتدبر. قوله : (بقوله ﴿ وما

سواها ﴾) متعلق بقوله : نظم لما فيه من معنى الارتباط وعدم الارتباط حينئذ لخفاء وجه الترتيب والعطف على ما فيه ، وقوله : إلا أق !يضمر الخ إشارة إلى ما مر وهو لدفع المحذورين معا لا لدفع الأول فقط حتى يعترض عليه بأنه كان ينبغي تقديمه بجنبه ودفع الأول به ظاهر ، وكذا الثاني لأن التسوية والإلهام فعلان لله فيتأتى ترتب أحدهما على الآخر وتسببه عنه ، وعلى كل حال فالكلام غير خال عن الكدر. قوله : (وتنكير نفس للتكثير) هذا وما بعده من التنوين ، وقوله : والمراد نفس ذ م على الثاني ، وبعد تفسير الإلهام بما ذكره." (١)

"وقد ذكر في الجلالين المعنى الأول منها فقط ، والذي يشهد له السياق والنصوص الأخرى : أن كلا من النازعات والناشطات : هم الملائكة ، وهو ما روي عن ابن عباس ومجاهد ، وهي صفات لها في قبض الأرواح .

ودلالة السياق على هذا المعنى : هو أنهما وصفان متقابلان : الأول نزع بشدة ، والآخر نشاط بخفة ، فيكون النزع غرقا لأرواح الكفار ، والنشط بخفة لأرواح المؤمنين ، وقد جاء ذلك مفسرا في قوله تعالى؟ في حق نزع أوراح الكفار ﴿ولو ترى؟ إذ ؟لظ؟لمون فى غمرات ؟لموت و؟لم؟ئكة باسطو؟ا أيديهم أخرجو؟ا أنفسكم ؟ليوم تجزون عذاب ؟لهون﴾ . وقوله تعالى؟ : ﴿ولو ترى؟ إذ يتوفى ؟لذين كفروا ؟لم؟ئكة يضربون وجوههم وأدب؟رهم وذوقوا عذاب ؟لحريق﴾، وقال تعالى في حق المؤمنين : ﴿ي؟أيتها ؟لنفس ؟لمطمئنة * ?رجعى إلى؟ ربك راضية مرضية﴾، وقوله : ﴿إن ؟لذين قالوا ربنا ؟لله ثم ؟ستق؟موا تتنزل عليهم ؟لم؟ئكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا ب؟لجنة ؟لتى كنتم توعدون﴾.

وهذا يتناسب كل المناسبة مع آخر السورة التي قبلها إذ جاء فيها : ﴿إنآ أنذرن؟كم عذابا قريبا يوم ينظر ؟لمرء ما قدمت يداه﴾، ونظر المرء ما قدمت يداه يبدأ من حالة النزع حينما يثقل اللسان عن النطق في حالة الحشرجة ، حين لا تقبل التوبة عند العاينة لما سيؤول إليه ، فينظر حينئذ ما قدمت يداه ، وهذا عند نزع الروح أو نشطها ، والله تعالى أعلم .

﴿و؟لس؟بح؟ت سبحا * ف؟لس؟بق؟ت سبقا﴾. قيل : السابحات النجوم . وقيل : الشمس والقمر والليل والنهار ، والسحاب والسفن والحيتان في البحار ، والخيل في الميدان .." (٢)

" صفحة رقم ١٤٣

مذكورا ، مخاطبا لأعظم عباده فطنه وأقربهم إليه رتبة ، تهييجا لغيره إلى تدقيق النظر واتباع الدليل من غير أدنى وقوف مع المألوف فقال تعالى : (وإذ) أي اذكر ما يصدق ذلك من أحوالكم الماضية حين صبرتم واتقيتم فنصرتم ، وحين ساءهم نصركم في كل ذلك في سرية عبد الله بن جحش إلى نخلة ، ثم في بدر ، ثم في غزوة بني قينقاع ونحو ذلك ، واذكر إذ لم يصبر أصحابك فأصيبوا ، وإذ سرتهم مصيبتكم في وقعة أحد إذ) غدوت) أي يا خاتم الأنبياء وأكرم المرسلين) من أهلك) أي بالمدينة الشريفة صبيحة يوم الجمعة إلى أصحابك في مسجدك لتستشيرهم في أمر المشركين .

وقد نزلوا بأحد في أواخر يوم الأربعاء ، أو في يوم الخميس لقتالكم .

وبنى من) غدوت (حالا إعلاما بأن الشروع في السبت شروع في مسببه فقال : (تبوىء) أي تنزل) المؤمنين (بالثبات

---

(١) حاشية الشهاب الخفاجى على البيضاوى، ٣٦٤/٨

(٢) تتمة أضواء البيان للشيخ عطية محمد سالم، ٤٩/٢

في مركزه ، وأوعز إليه في أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة ، ثم ذكر علة ذلك فقال : (للقتال (ولما كان التقدير : وتتقدم إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال والأفعال ، اشار تعالى إلى أنه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله : (والله) أي والحال أن الملك الأعظم الذي أنتم في طاعته) سميع) أي لأقوالكم) عليم) أي بنياتكم في ذلك وغيره فاحذروه ، ولعله خص النبي (صلى الله عليه وسلم) بلذيذ الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الإشارة إليه على المراقبة تعريضا لهم بأنهم خفوا مع الذين ذكرهم أمر بعاث حتى تواثبوا حين تغاضبوا إلى السلاح –كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى :

٧٧ ( ) ياآيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب ( ) ٧

[آل عمران : ١٠٠] ، فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، ويؤيد ذلك إقباله في الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليها – كما يأتي قريبا ، ولعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت أن واو عطفها دلت عليه مما أيديوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة أدل على البغضاء والعداوة من الحزن بما يسر ، ودل ذكرها على المحذوف لأن المدعي فيما قبلها شيئان : المساءة بالحسنة ، والفرح والمسرة بالمصيبة ، فإذا برهن المتكلم على الثاني عليم ولا بد أنه حذف برهان الأول ، وأنه إنما حذفه – وهو حكيم – لنكتة ، وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه **بدلالة السياق** مع واو العطف عليه ، وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا –كما ترى – بعد محكمة ستذكر ، وأطلق سبحانه وتعالى –كما عن الطبري وغيره – التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة فإن الكفار لما نزلوا يوم الأربعاء ثاني عشر." (١)

" صفحة رقم ٨١

على ما يزعم – بما يقضي أن يكون لهم عليه أمر ، فلذا إسناد القول إليه أحسن ، لأن النصرة في مقارعة الرأس أظهر وخضوع عنقه أضخم واكبر .

الأعراف : (١١٠ – ١١٧) يريد أن يخرجكم. . . .

) يريد أن يخرجكم من أرضكم فماذا تأمرون قالوا أرجه وأخاه وأرسل في المدآئن حاشرين يأتوك بكل ساحر عليم وجآء السحرة فرعون قالوا إن لنا لأجرا إن كنا نحن الغالبين قال نعم وإنكم لمن المقربين قالوا يموسى إمآ أن تلقي وإمآ أن نكون نحن الملقين قال ألقوا فلمآ ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم وجآءوا بسحر عظيم وأوحينآ إلى موسى أن ألق عصاك فإذا هي تلقف ما يأفكون (( )

ولما خيلوهم حتى أوقفوهم عما فهموا عنهم من المبادرة إلى المتابعة بادعاء أنه ساحر ؛ نفروهم من ذلك وخوفوهم بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم ويزوحهم من ديارهم التي هي لأشباحهم لأرواحهم بقوله : (يريد أن يخرجوكم) أي أيها القبط) من أرضكم) أي هذه التي أثلها لكم آباؤكم وبها قوامكم ؛ ولما كان السياق لبيان فسقهم ، أسقط قولهم في الموضع الاخر) بسحره (إفهاما لعجلتهم في إبرام الأمر في ضره إشارة إلى تغاليهم في الفسق بعلمهم أنه محق وليس

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٤٣/٢

بساحر ولما كان المقصود بهذا : فعلى أي شيء استقر رأيهم ؟ فقيل : على تاخير المر إلى حشر السحرة للمعارضة ، أخبر تعالى ، دلالة على أن أصل قول الملأ منه ، أنهم أقبلوا عليه مخاطبين له مفلتين من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين المر إليه بقوله : (أرجه) أي موسى عليه السلام) وأخاه) أي أخرهما تنفيسا لنا من هذا الخناق إلى وقت ما حتى ننظر في أمرهما) وارسل في المدائن) أي من ملك مصر) حاشرين (يحشرون لك السحرة ويجمعونهم من كل فج عميق ، والحشر : الجمع بكره) يأتوك بكل (ولما كانت **دلالة السياق** على رغب فرعون أقل مما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما ، قرأ الجمهور : (ساحر عليم) أي بالغ العلم في السحر ، وفي قرلءة حمزه والكسائي) سحار (زيادة مبالغة أيضا لما رأوا من قلق فرعون في الجملة ، وهذا يدل على أن." [١]

" صفحة رقم ٥٣٩

لعظم المرام ، فقال استعمالا للعدل ، مشيرا بنفي العلم إلى انتفاء العلوم : (ما ليس لك به علم (أصلا بأنه يستحق الشركة فإن من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر) فلا تطعهما (فإنه لا طاعة لمخلوق وإن عظم في معصية الخالق ، وهذا موجب لئلا يقع من أحد شرك اصلا ، فإنه لا ريب أصلا في أنه لا سبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق افلهية ، فكيف بدليل يوجب علما ، والمقصود من سياق الكلام إظهار النصفة والتنبيه على النصيحة ، ليكون أدعى إلى القبول ؛ ثم علل ذلك بقوله : (إلي مرجعكم (اي جميعا : من آمن ومن اشرك بالحشر يوم القيامة ؛ ثم سبب عنه قوله : (فأنبئكم) أي أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا) بما كنتم (اي برغبتكم) تعملون (اي فقفوا عند حدودي ، واتركوا ما تزينه لكم شهواتكم ، واحذروا مجازاتي على قليل ذلك وكثيره ، عبر سبحانه بالسبب الذي هو الإنباء لأنه لا مثنوية فيه عن المسبب الذي هو الجزاء ، مطلقا للعبارة ، وتهديدا بليغا على وجه الإشارة ، وطوى ذكره لأنه قد يدخله العفو ، وهذه الآية نزلت في سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، اسلم وكان بارا بامه ، فحلفت : لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن دينه أو تموت فيعير بها ويقال قاتل أمه ، فمكثت يومين بلياليهما فقال : ي أماه ، لو كنت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ، وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت وأصل القصة في الترميذي .

ولما كان التقدير : فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه **لدلالة السياق** عليه ، عطف عليه زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين قوله : (والذين آمنوا وعملوا (في السراء والضراء) الصالحات (.

ولما كان الصالح في الغالب سيىء الحال في الدنيا ناقص الحظ منها ، فكان عدوه ينكر أ ، يحسن حاله أشد إنكار ، أكد قوله : (لندخلنهم (اي بوعد لا خلف فيه) في الصالحين (وناهيك به من مدخل ، فإنه من أبلغ صفات المؤمنين .

العنكبوت : (١٠ - ١٣) ومن الناس من. .. . .

) ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذآ أوذي في الله جعل فتنة الناس كعذاب الله ولئن جآء نصر من ربك ليقولن إنا كنا معكم أو ليس الله بأعلم بما في صدور العالمين وليعلمن الله الذين آمنوا وليعلمن المنافقين وقال الذين كفروا." [٢]

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٣/٨١

(٢) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٥/٥٣٩

" صفحة رقم ٢٢١
ولعله عبر عنها بذلك دون طرق إشارة إلى أن من غرابتها أنها لا تخلق ولا تضمحل ألوانها على طول الزمان كما هو العادة في غالب ما يتقادم عهده ، والجد بالفتح ، والجدة بالكشر ، والجدد بالتحريك : وجه الأرض ، وجمعه جدد بالكشر ، والجدة بالضم : الطريقة والعلامة والخط في ظهر الحمار يخالف لونه وجمعه جدد كغدة البعير ، والأرض الغليظة المستوية ، والجدجد بالفتح : الأرض المستوية .
ولما كان أبلغ من ذلك أن تلك الطرق في أنفسها غير متساوية المواضع في ذلك اللون الذي تلونت به ، قال تعالى دالا على أن كلا من هذين اللونين لم يبلغ الغاية في الخلوص : (مختلف ألوانها (وهي من الأرض وهي واحدة .
ولما قدم إلى الغبرة التي هي أصل لونها .
ولما كانت مادة) غرب (تدور على الخفاء الذي يلزمه الغموض أخذا من غروب الشمس ، ويلزم منه السواد ، ولذلك يؤكد الأسود بغربيب مبالغة الغرب كفرح أي الأسود للمبالغة في سواده ، وكان المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة لغيره ، قال تعالى عاطفا على بيض : (وغرابيب) أي من الجدد أيضا) سود (فقدم التأكيد **لدلالة السياق** على أن أصل العبارة (وسود غرابيب سود) فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ، ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : أشد سواد الغرابيب - رواه عنه البخاري ، لأن السواد الخالص في الأرض ، مستغرب ، ومنه ما يصبغ به الثياب ليس معه غيره ، فتصير في غاية السواد ، وذلك في مدينة فوة ومسير وغيرهما مما داناهما من بلاد مصر .
ولما أكد هذا بما دل على خلوصه ، قدم ذكر الاختلاف عليه ، ولما ذكر تعالى ما الأغلب فيه الماء مما استحال إلى آخر بعيد من الماء ، وأتبعه التراب الصرف ، ختم بما الأغلب فيه التراب مما استحال إلى ما هو في غاية البعد من التراب فقال : (ومن الناس) أي المتحركين بالفعل والاختيار) والدواب (ولما كانت الدابة في الأصل لما دب على الأرض ، ثم غلب إطلاقه على ما يركب قال : (والأنعام (ليعم الكل صريحا) مختلف ألونه) أي ألوان ذلك البعض الذي أفهمته (من)) كذلك) أي مثل الثمار والأراضي فمنه ما هو ذو لون واحد ، ومنه ما هو ذو ألوان مع أن كل ما ذكر فهو من الأراضي متجانس الأعيان مختلف الأوصاف ، ونسبته إليها وإلى السماء واحدة فأين حكم الطبائع .." [١]
" صفحة رقم ١٩
التغابن : (١٥ - ١٨) إنما أموالكم وأولادكم. .. . . .
) إنمآ أموالكم وأولادكم فتنة والله عنده أجر عظيم فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا وأطيعوا وأنفقوا خيرا لأنفسكم ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم عالم الغيب والشهادة العزيز الحكيم (( )
على البعض ، كان كأنه قيل : فما حكم سائره ؟ فكأن الحكم بذلك يلزم ضاما إليهم المال الذي به قيام ذلك كله وقدمه

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع - ت: عبدالرزاق غالب)، ٦/٢٢١

لأنه أعظم فتنة : (إنما (وأسقط الجار لأن شيئا من ذلك لا يخلو عن شغل القلب فقال : (أموالكم) أي عامة) وأولادكم (كذلك) فتنة) أي اختبار مميل عن الله لكم وهو أعلم بما في نفوسكم منكم لكن ليظهر في عالم الشهادة من يميله ذلك فيكون عليه نقمة ممن لا يميله فيكون له نعمة ، فربما رام الإنسان صلاح ماله وولده فبالغ فأفسد نفسه ثم لا يصلح ذلك ماله ولا ولده ، وذلك أنه من شأنه أن يحمل على كسب الحرام ومنع الحق والإيقاع في الإثم ، روي عن أبي نعيم في الحلية في ترجمة سفيان الثوري عنه أنه قال : (يؤتى برل يوم القيامة فيقال له : أكل عياله حسناته) (ويكفي فتنة المال قصة ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله فتنة تعالى : ( ) ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن ( )) [التوبة : ٧٥ ( ) وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج في الفتنة لأن منهم من يكون صلاحا وعونا على الآخرة .

ولما كان التقدير : ففي الاحتراز من فتنهم تعب كبير ، لا يفوت به منهم إلى حظ يسير ، وكانت النفس عند ترك مشتبهاتها ومحبوباتها قد تنفر ، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لا نسبة له منه مع بقائه قوله : (والله) أي ذو الجلال) عنده (وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمه) أجر (ولم يكتف سبحانه **بدلالة السياق** على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله : (عظيم) أي لمن ائتمر بأوامره التي إنما نفعها لصاحبها ، فلم يقدم على رضاه مالا ولا ولدا ، وذلك الأجر أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم على وجه ينقص من الطاعة .

ولما كان التقدير : وعنده عذاب أليم لمن خالف ، سبب عنه قوله فذلك أخرى لما." (١)

" صفحة رقم ٤٨

ولما أورد ما صارتا حقيقيتين به بأداة الشك إقامة للسامع بين الخوف والرجاء من ذلك وهو أعلم مام يكون أكمل ذلك بذكر شق الخوف ، فقال معلما بأن الملك وأوليائه أنصار له) وغن تظاهرا (بالتشديد للإدغام في قراءة الجماعة لأن النظر هنا إن وقع كان على وجه الخفاء في أعمال الحيلة في أمر مارية رضي الله عنها والعسل وما يأتي من مثل ذلك ما يبعث عليه الغيرة) عليه) أي النبي (صلى الله عليه وسلم) المنبأ من قبل الله بما يرفع قدره ويعلي ذكره ، وقراءة الكوفيين بالتخفيف بإسقاط إحدى التاءين إشارة إلى سهولة أمر هذه المظاهرة وقلة أذاها له (صلى الله عليه وسلم) .

ولما كان المعنى كأنه لا يبالي بمظاهرة كما عبر عنه بعلته ، فقال مؤكدا إعلاما بأن حال المتظاهرين عليه حال المنكر لمضمون الكلام : (فإن الله) أي الملك الأعظم الذي لا كفوء له) هو) أي بنفسه الأقدس وحضرة غيب غيبه التي لا يقوم لما لها من العظمة شيء) مولاه) أي ناصره والمتولي من أمره ما يتولاه القريب الصديق القادر وكل من له وعي يعلم كفايته سبحانه في ذلك فهو يعمل أبلغ ما يعمله مولى مع من هو متول لأمره وفي معاونته لنبيه (صلى الله عليه وسلم) إظهار لشرفه ومراعاة لحفظ خاطره وشرح لصدره .

ولما كانت النفوس لمبنى هذا الدار على حكمة الأسباب مؤكلة بها ناظرة أتم نظر إليها ، وكان نساء النبي (صلى الله عليه وسلم) لكثرة ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وكثر تردده إلى النبي (صلى الله عليه وسلم) في بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك من الأسباب الظاهرة المألوفة ، وكان هو أعظم أنصار النبي (

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ١٩/٨

صلى الله عليه وسلم) قال : (وجبريل (لأنه من أعظم الأسباب التي يقيمها الله سبحانه .

ولما كان الحامل على مظاهرته (صلى الله عليه وسلم) على كل ما يريده الإيمان فكل ما كان الإنسان فيه أمكن كان له أشد مظاهرة وأعون قال : (وصالح المؤمنين (اي الراسخين في رتبة الإيمان والصلاح من الإنس والجن وأبوهما رضي الله عنهما أعظم مراد بهذا ، وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال للنبي (صلى الله عليه وسلم) : لو أمرتني لأضربن عنقها ، والصالح وإن كان لفظه مفردا فمعناه الجميع المستغرق لأنه للجنس ، ودل على ذلك مع **دلالة السياق** إضافته للجمع ولعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للإشارة إلى قلة المتصف بهذا جدا لقلة الراسخين في الصلاح من الراسخين في الإيمان فهو قليل من قليل وقد جوز بعضهم أن يكون جمعا وأنه حذفت واؤه في الرسم على خلاف القياس وهي محذوفة في الوصل للالتقاء الساكنين ، فظن لذلك مفردا ودخل في ذلك جبريل عليه السلام أيضا .

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى الملائكة من القوى والتصرف في الظواهر .." (١)

"١٥ــ وإقامة الوجوه تمثيل لكمال الإقبال على عبادة الله ــتعالىــ في مواضع عبادته ــ بحال المتهيئ لمشاهدة أمرٍ مُهِمّ حين يوجِّه وجْهَهُ إلى صوبه، لا يلتفت يمنة ولا يسرة؛ فذلك التوجه المحض يطلق عليه إقامة؛ لأنه جعل الوجه قائماً، أي غير متغاضٍ ولا متوانٍ في التوجه، وهو في إطلاق القيام على القوة في الفعل كما يقال: قامت السوق، وقامت الصلاة، وقد تقدم في أول سورة البقرة عند قوله: [وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ] ومنه قوله ــتعالىــ: [فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفاً].

فالمعنى أن الله أمر بإقامة الوجوه عند المساجد؛ لأن ذلك هو تعظيم المعبود، ومكان العبادة.

ولم يأمر بتعظيمه ولا تعظيم مساجده بما سِوَى ذلك مثل التعري.

وإشراكُ الله بغيره في العبادة منافٍ لها ــأيضاًــ وهذا كما ورد في الحديث: =المصلي يناجي ربه؛ فلا يبصقن قبل وجهه+.

فالنهي عن التعري مقصود هنا؛ لشمول اللفظ إياه، **ولدلالة السياق** عليه بتكرير الامتنان والأمر باللباس ابتداءً من قوله: [لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا]إلى هنا. ٨ــ٢/٨٧ــ٨٨

١٦ــ فالمقصد من قوله: [خُذُوا زِينَتَكُمْ]: إبطال ما زعمه المشركون من لزوم التعري في الحج في أحوال خاصة، وعند مساجد معينة؛ فقد أخرج مسلم عن ابن عباس قال: كانت المرأة تطوف بالبيت وهي عُرْيانةٌ وتقول من يعيرني تطوافاً تجعله على فرجها وتقول:

اليوم يبدو بعضُه أو كُلُّه ... وما بدا منه فلا أحلُّه

وأخرج مسلم عن عروة بن الزبير، قال: =كانت العرب تطوف بالبيت عراة إلا الحُمْس، والحمسُ قريش وما ولدت، فكان غيرهم يطوفون عراة إلا أن يعطيهم الحمس ثياباً، فيُعْطِي الرجالُ الرجالَ، والنساءُ النساءَ+.

وعنه: =أنهم كانوا إذا وصلوا إلى منى طرحوا ثيابهم، وأتوا المسجد عراة+.

---

(١) نظم الدرر . (موافق للمطبوع – ت: عبدالرزاق غالب)، ٤٨/٨

وروي أن الحمس كانوا يقولون: نحن أهل الحرم؛ فلا ينبغي لأحد من العرب أن يطوف إلا في ثيابنا، ولا يأكل إذا دخل أرضنا إلا من طعامنا.." (١)

"الشجاعة، فيكون "من" في قوله: ﴿من الذين يخافون﴾ اتصالية وهي التي في نحو قولهم:لست منك ولست مني، أي ينتسبون إلى الذين يخافون.وليس المعنى أنهم متصفون بالخوف بقرينة أنهم حرضوا قومهم على غزو العدو، وعليه يكون قوله: ﴿أنعم الله عليهما﴾ أن الله أنعم عليهما بالشجاعة، فحذف متعلق فعل "أنعم" اكتفاء **بدلالة السياق** عليه.ويجوز أن يكون المراد بالخوف الخوف من الله تعالى، أي كان قولهما لقومها "ادخلوا عليهم الباب" ناشئا عن خوفهما الله تعالى، فيكون تعريضا بأن الذين عصوهما لا يخافون الله تعالى، ويكون قوله: ﴿أنعم الله عليهما﴾ استئنافا بيانيا لبيان منشأ خوفهما الله تعالى، أي الخوف من الله نعمة منه عليهما.وهذا يقتضي أن الشجاعة في نصر الدين نعمة من الله على صاحبها.

ومعنى ﴿أنعم الله عليهما﴾ أنعم عليهما بسلب الخوف من نفوسهم وبمعرفة الحقيقة.

و﴿الباب﴾ يجوز أن يراد به مدخل الأرض المقدسة، أي المسالك التي يسلك منها إلى أرض كنعان، وهو الثغر والمضيق الذي يسلك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جبلين وعرين، إذ ليس في الأرض المأمورين بدخولها مدينة بل أرض لقوله: ﴿ادخلوا الأرض المقدسة﴾ ، فأرادا:فإذا اجتزتم الثغر ووطئتم أرض الأعداء غلبتموهم في قتالهم في ديارهم.وقد يسمى الثغر البحري بابا أيضا، مثل باب المندب، وسموا موضعا بجهة بخارى الباب.وحمل المفسرون الباب على المشهور المتعارف، وهو باب البلد الذي في سوره، فقالوا:أرادا باب قريتهم، أي لأن فتح مدينة الأرض يعد ملكا لجميع تلك الأرض.والظاهر أن هذه القرية هي "أريحا" أو "قادش" حاضرة العمالقة يومئذ، وهي المذكورة في سورة البقرة.والباب بهذا المعنى هو دفة عظيمة متخذة من ألواح توصل بجزأي جدار أو سور بكيفية تسمح لأن يكون ذلك اللوح سادا لتلك الفرجة متى أريد سدها وبأن تفتح عند إرادة فتحها؛ فيسمى السد به غلقا وإزالة السد فتحا.

وبعد أن أمرا القوم باتخاذ الأسباب والوسائل أمراهم بالتوكل على الله والاعتماد على وعده ونصره وخبر رسوله، ولذلك ذيلا بقولهما: ﴿إن كنتم مؤمنين﴾ ، لأن الشك في صدق الرسول مبطل للإيمان.

وإنما خاطبوا موسى عقب موعظة الرجلين لهم، رجوعا إلى إبايتهم الأولى التي شافهوا بها موسى إذ قالوا: ﴿إن فيها قوما جبارين﴾ ، أو لقلة اكتراثهم بكلام الرجلين وأكدوا الامتناع الثاني من الدخول بعد المحاورة أشد توكيد دل على شدته في العربية بثلاث مؤكدات: "إن" ، و "لن" ، وكلمة "أبدا".." (٢)

"شيء وفعل ضده يأمر بضده فيحصل الغرضان من أمره.

وإقامة الوجوه تمثيل لكمال الإقبال على عبادة الله تعالى، في مواضع عبادته، بحال المتهيئ لمشاهدة أمر مهم حين يوجه وجهه إلى صوبه، لا يلتفت يمنة ولا يسرة، فلذلك التوجه المحض يطلق عليه إقامة لأنه جعل الوجه قائما، أي غير متغاض ولا متوان في التوجه، وهو في إطلاق القيام على القوة في الفعل كما يقال: قامت السوق، وقامت الصلاة، وقد تقدم في

---

(١) التقريب لتفسير التحرير والتنوير للطاهر بن عاشور، ص/٢٥٩

(٢) التحرير والتنوير، ٥/٧٩

أول سورة البقرة[٣] عند قوله: ﴿ويقيمون الصلاة﴾ ومنه قوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين حنيفا﴾ [الروم: ٣٠] فالمعنى أن الله أمر بإقامة الوجوه عند المساجد، لأن ذلك هو تعظيم المعبود ومكان العبادة. ولم يأمر بتعظيمه ولا تعظيم مساجده بما سوى ذلك مثل التعري، وإشراك الله بغيره في العبادة مناف لها أيضا، وهذا كما ورد في الحديث: " المصلي يناجي ربه فلا يبصقن قبل وجهه" فالنهي عن التعري مقصود هنا لشمول اللفظ إياه، **ولدلالة السياق** عليه بتكرير الامتنان والأمر باللباس: ابتداء من قوله: ﴿ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما﴾ [الأعراف: ٢٠] إلى هنا.

ومعنى: ﴿عند كل مسجد﴾ عند كل مكان متخذ لعبادة الله تعالى، واسم المسجد منقول في الإسلام للمكان المعين المحدود المتخذ للصلاة وتقدم عند قوله تعالى: ﴿ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد﴾ في سورة العقود [٢]، فالشعائر التي يوقعون فيها أعمالا من الحج كلها مساجد، ولم يكن لهم مساجد غير شعائر الحج، فذكر المساجد في الآية يعين أن المراد إقامة الوجوه عند التوجه إلى الله في الحج بأن لا يشركوا مع الله في ذلك غيره من أصنامهم بالنية، كما كانوا وضعوا هبل على سطح الكعبة ليكون الطواف بالكعبة لله ولهبل، ووضعوا اسافا ونائلة على الصفا والمروة ليكون السعي لله ولهما. وكان فريق منهم يهلون إلى مناة عند المشلل، فالأمر بإقامة الوجوه عند المساجد كلها أمر بالتزام التوحيد وكمال الحال في شعائر الحج كلها، فهذه مناسبة عطف قوله: ﴿وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد﴾ عقب إنكار أن يأمر الله بالفحشاء من أحوالهم، وإثبات أنه أمر بالقسط مما يضادها. وهذا الأمر وإن كان المقصود به المشركين لأنهم المتصفون بضده، فالمؤمنين منه حظ الدوام عليه، كما كان للمشركين حظ الإعراض عنه والتفريط فيه.

والدعاء في قوله ﴿وادعوه مخلصين له الدين﴾ بمعنى العبادة أي اعبدوه كقوله: ﴿إن الذين تدعون من دون الله﴾ [لأعراف: ١٩٤]. والإخلاص تمحيض الشيء من مخالطة." (١)

"الكتاب﴾ [الأعراف: ٣٧] آنفا، فأطلق على ذلك الإيواء فعل "ينال" على سبيل الاستعارة. وجعلت الرحمة بمنزلة الآلة للنيل كما يقال: نال الثمرة بمحجن، فالباء للآلة. أو جعلت الرحمة ملابسة للنيل فالباء للملابسة، والنيل هنا استعارة، وقد عمدوا إلى هذا الكلام المقدر فنفوه فقالوا ﴿لا ينالهم الله برحمة﴾ .

وهذا النظم الذي حكي به قسمهم يؤذن بتهكمهم بضعفاء المؤمنين في الدنيا، وقد أغفل المفسرون تفسير هذه الآية بحسب نظمها.

وجملة: ﴿ادخلوا الجنة﴾ قبل مقول قول محذوف اختصارا **لدلالة السياق** عليه، وحذف القول في مثله كثير ولا سيما إذا كان المقول جملة إنشائية، والتقدير: قال لهم الله ادخلوا الجنة فكذب الله قسمكم وخيب ظنكم، وهذا كله من كلام أصحاب الأعراف، والأظهر أن يكون الأمر في قوله: ﴿ادخلوا الجنة﴾ للدعاء لأن المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنة، لأن ذلك الحين قد استقر فيه أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، كما تقتضيه الآيات السابقة من قوله ﴿ ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم﴾ إلى قوله ﴿القوم الظالمين﴾ [الأعراف: ٤٦، ٤٧] فلذلك يتعين جعل الأمر للدعاء كما في قول المعري:

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٨/٨

ابق في نعمة بقاء الدهور ... نافذا لحكم في جميع الأمور

وإذ قد كان الدخول حاصلا فالدعاء به لإرادة الدوام كما يقول الداعي على الخارج: أخرج غير مأسوف عليك، ومنه قوله تعالى ﴿وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين﴾ .

ورفع ﴿خوف﴾ مع "لا" لأن أسماء أجناس المعاني التي ليست لها أفراد في الخارج يستوي في نفيها بلا الرفع والفتح، كما تقدم عند قوله تعالى: ﴿فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون﴾ [لأعراف: ٣٥].

[٥١,٥٠] ﴿ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون﴾.." (١)

"ويجوز أن يراد بالعهد ما نكثوا من التزامهم للنبي صلى الله عليه وسلم حين دعاهم إلى الإسلام من تصديقه إذا جاءهم ببينة، فلما تحداهم بالقرآن كفروا به وكابروا.

وجواب الشرط محذوف دل عليه قوله: ﴿فقد خانوا الله من قبل فأمكن منهم﴾. وتقديره: فلا تضرك خيانتهم، أو لا تهتم بها، فإنهم إن فعلوا أعادهم الله إلى يدك كما أمكنك منهم من قبل.

قوله: ﴿فأمكن منهم﴾ سكت معظم التفاسير وكتب اللغة عن تبيين حقيقة هذا التركيب وبيان اشتقاقه وألم به بعضهم إلماما خفيفا بأن فسروا "أمكن" بأقدر فهل هو مشتق من المكان أو من الإمكان بمعنى الاستطاعة أو من المكانة بمعنى الظفر. ووقع في "الأساس" "أمكنني الأمر معناه أمكنني من نفسه" وفي "المصباح" "مكنته من الشيء تمكينا وأمكنته جعلت له عليه قدرة".

والذي أفهمه من تصاريف كلامهم أن هذا الفعل مشتق من المكان وأن الهمزة فيه للجعل وأن معني أمكنه من كذا جعل له منه مكانا أي مقرا وأن المكان مجاز أو كناية عن كونه في تصرفه كما يكون المكان مجالا للكائن فيه.

و"من" التي يتعدى بها فعل أمكن اتصالية مثل التي في قولهم: لست منك ولست مني. فقوله تعالى: ﴿فأمكن منهم﴾ حذف مفعوله **لدلالة السياق** عليه، أي أمكنك منهم يوم بدر، أي لم ينفلتوا منك.

والمعنى أنه أتاكم بهم إلى بدر على غير ترقب منكم فسلطكم عليهم.

﴿والله عليم حكيم﴾ تذييل، أي عليم بما في قلوبهم حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم.

[٧٢] ﴿إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير﴾.

---

(١) التحرير والتنوير، ١١٣/٨

هذه الآيات استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا وعدم موالاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن عبد." (١)

"حسب بمعنى أحصى العدد فهو بضم الحاء.

والترك افتقاد الشيء وتعهده، أي: أن يترككم الله، فحذف فاعل الترك لظهوره.

ولا بد لفعل الترك من تعليقه بمتعلق: من حال أو مجرور، يدل على الحالة التي يفارق فيها التارك متروكه، كقوله تعالى: ﴿أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون﴾ [العنكبوت:٢].

ومثل قول عنترة:

فتركته جزر السباع ينشنه

وقول كبشة بنت معد يكرب، على لسان شقيقها عبد الله حين قتلته بنو مازن بن زبيد في بلد صعدة من بلاد اليمن:

وأترك في بيت بصعدة مظلم

وحذف متعلق ﴿تتركوا﴾ في الآية: **لدلالة السياق** عليه، أي أن تتركوا دون جهاد، أي أن تتركوا في دعة بعد فتح مكة.

والمعنى: كيف تحسبون أن تتركوا، أي لا تحسبوا أن تتركوا دون جهاد لأعداء الله ورسوله.

وجملة ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم﴾ الخ في موضع الحال من ضمير ﴿تتركوا﴾ أي لا تظنوا أن تتركوا في حال عدم تعلق علم الله بوقوع ابتدار المجاهدين للجهاد، وحصول تثاقل من تثاقلوا، وحصول ترك الجهاد من التاركين.

و ﴿ولما﴾ حرف للنفي، وهي أخت (لم). وقد تقدم بيانها والفرق بينها وبين (لم) عند قوله تعالى: ﴿ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم﴾ [البقرة:٢١٤] وقوله تعالى: ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ في سورة آل عمران[١٤٢].

ومعنى علم الله بالذين جاهدوا: علمه بوقوع ذلك منهم وحصول امتثالهم، وهو من تعلق العلم الإلهي بالأمور الواقعة، وهو أخص من علمه تعالى الأزلي بأن الشيء يقع أو لا يقع، ويجدر أن يوصف بالتعلق التنجيزي وقد تقدم شيء من ذلك عند قوله تعالى: ﴿ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين﴾ في سورة آل عمران[١٤٢].

و(الوليجة) فعيلة بمعنى مفعولة، أي الدخيلة، وهي الفعلة التي يخفيها فاعلها، فكأنه يولجها، أي يدخلها في مكمن بحيث لا تظهر، والمراد بها هنا: ما يشمل الخديعة وإغراء." (٢)

"مستعملا في حقيقته. وبهذا الوجه فسر جمهور المفسرين.

ويجوز أن يراد بالبأس الشديد ما يشمل بأس عذاب الآخرة وبأس عذاب الدنيا، وعلى هذا درج ابن عطية والقرطبي، ويكون استعمال من ﴿لدنه﴾ في معنييه الحقيقي والمجازي. أما في عذاب الآخرة فظاهر، وأما عذاب الدنيا فلأن بعضه بالقتل والأسر وهما من أفعال الناس ولكن الله أمر المسلمين بهما فهما من لدنه.

---

(١) التحرير والتنوير، ١٦٨/٩

(٢) التحرير والتنوير، ٤٣/١٠

وحذف مفعول ﴿ينذر﴾ **لدلالة السياق** عليه لظهور أنه ينذر الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب ولا بالمنزل عليه، ولدلالة مقابلة عليه في قوله: ﴿ويبشر المؤمنين﴾ .

﴿ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا حسنا ماكثين فيه أبدا﴾

عطف على قوله: ﴿لينذر بأسا﴾ ، فهو سبب آخر لإنزال الكتاب أثارته مناسبة ذكر الإنذار ليبقى الإنذار موجها غيرهم. وقوله: ﴿أن لهم أجرا حسنا﴾ متعلق بـ ﴿يبشر﴾ بحذف حرف الجر مع أن أي بأن لهم أجرا حسنا. وذكر الإيمان والعمل الصالح للإشارة إلى أن استحقاق ذلك الأجر بحصول ذلك لأمرين. ولا يتعرض القرآن في الغالب لحالة حصول الإيمان مع شيء من الأعمال الصالحة كثير أو قليل، ولحكمه أدلة كثيرة.

والمكث: الاستقرار في المكان، شبه ما لهم من اللذات والملائمات بالظرف الذي يستقر فيه حاله للدلالة على أن الأجر الحسن كالمحيط بهم لا يفارقهم طرفة عين، فليس قوله: ﴿أبدا﴾ بتأكيد لمعنى ﴿ماكثين﴾ بل أفيد بمجموعها الإحاطة والدوام.

﴿وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا ما لهم به من علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا﴾ .

تعليل آخر لإنزال الكتاب على عبده، جعل تاليا لقوله: ﴿لينذر بأسا شديدا من لدنه﴾ [الكهف: ٢] باعتبار أن المراد هنا إنذار مخصوص مقابل لما بشر به المؤمنين. وهذا إنذار بجزاء خالدين فيه وهو عذاب الآخرة، فإن جريت على تخصيص البأس في قوله: ﴿بأسا شديدا﴾ [الكهف: ٢] بعذاب الدنيا كما تقدم كان هذا الإنذار مغايرا لما." (١)

"المشركين كانوا يقولون للنبي صلى الله عليه وسلم: "لو كففت عن شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه أرائنا لاتبعناك".

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع على وعيد الكافرين بقوله: ﴿لقد أحصاهم وعدهم عدا *وكلهم آتيه يوم القيامة فردا﴾ [مريم: ٩٤ – ٩٥]. ووعد المؤمنين بقوله: ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا﴾ [مريم: ٩٦]. والمفرع هو مضمون ﴿لتبشر به﴾ الخ ﴿وتنذر به﴾ الخ، أي ذلك أثر الإعراض عما جئت به من النذارة، وأثر الإقبال على ما جئت به من البشارة مما يسرناه بلسانك فإنا ما أنزلناه عليك إلا لذلك.

وضمير الغائب عائد إلى القرآن **بدلالة السياق** مثل ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص: من الآية٣٢] وبذلك علم أن التيسير تسهيل قراءة القرآن. وهذا إدماج للثناء على القرآن بأنه ميسر للقراءة، كقوله تعالى: ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ [القمر:١٧]

واللسان: اللغة، أي بلغتك، وهي العربية، كقوله: ﴿وإنه لتنزيل رب العالمين * نزل به الروح الأمين * على قلبك لتكون من المنذرين * بلسان عربي مبين﴾ [الشعراء ١٩٢– ١٩٥] ؛ فإن نزول القرآن بأفضل اللغات وأفصحها هو من أسباب فضله على غيره من الكتب وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب.

والباء للسببية أو المصاحبة.

وعبر عن الكفار بقوم لد ذما لهم بأنهم أهل إيغال في المراء والمكابرة، أي أهل تصميم على باطلهم، فاللد: جمع ألد، وهو

---

(١) التحرير والتنوير، ١٢/١٥

الأقوى في اللدد، وهو الإباية من الاعتراف بالحق. وفي الحديث الصحيح: "أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم" . ومما جره الإشراك إلى العرب من مذام الأخلاق التي خلطوا بها محاسن أخلاقهم أنهم ربما تمدحوا باللدد، قال بعضهم في رثاء البعض:

إن تحت الأحجار حزما وعزما ... وخصيما ألد ذا مغلاق

وقد حسن مقابلة المتقين بقوم لد. لأن التقوى امتثال وطاعة والشرك عصيان ولدد.

وفيه تعريض بأن كفرهم عن نعاد وهم يعلمون أن ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم هو الحق، كما قال تعالى: ﴿فإنهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون﴾ [الأنعام: من الآية٣٣]

وإيقاع لفظ القوم عليهم للإشارة إلى أن اللدد شأنهم، وهو الصفة التي تقومت منها قوميتهم، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿لآيات لقوم يعقلون﴾ في سورة البقرة، [١٦٤] وقوله." (١)

"وافتتاح الجملة ب ﴿إن﴾ للاهتمام بالخبر، والإتيان بالموصولات للإيماء إلى وجه بناء الخبر وهو أنهم يسارعون في الخيرات ويسابقون إليها وتكرير أسماء الموصولات للاهتمام بكل صلة من صلاتها فلا تذكر تبعا بالعطف. والمقصود الفريق الذين اتصفوا بصلة من هذه الصلات. ومن في قوله ﴿من خشية ربهم﴾ للتعليل.

والإشفاق: توقع المكروه وتقدم عند قوله تعالى: ﴿وهم من خشيته مشفقون﴾ في سورة الأنبياء. وقد حذف المتوقع منه لظهور أنه هو الذي كان الإشفاق بسبب خشيته، أي يتوقعون غضبه وعقابه.

والمراد بالآيات الدلائل التي تضمنها القرآن ومنها إعجاز القرآن. والمعنى: أنهم لخشية ربهم يخافون عقابه، فحذف متعلق ﴿مشفقون﴾ **لدلالة السياق** عليه.

وتقديم المجرورات الثلاثة على عواملها للرعاية على الفواصل مع الاهتمام بمضمونها.

ومعنى ﴿يؤتون ما آتوا﴾ يعطون الأموال صدقات وصلات ونفقات في سبيل الله. قال تعالى ﴿وآتى المال على حبه ذوي القربى﴾ الآية وقال ﴿وويل للمشركين﴾﴿الذين لا يؤتون الزكاة﴾ . واستعمل الإيتاء في إعطاء المال شائع في القرآن متعين أنه المراد هنا.

إنما عبر ب ﴿ما آتوا﴾ دون الصدقات أو الأموال ليعم كل أصناف العطاء المطلوب شرعا وليعم القليل والكثير، فلعل بعض المؤمنين ليس له من المال ما تجب فيه الزكاة وهو يعطي مما يكسب.

وجملة ﴿وقلوبهم وجلة﴾ في موضع الحال وحق الحال إذا جاءت بعد جمل متعاطفة أن تعود إلى جميع الجمل التي قبلها، أي يفعلون ما ذكر من الأعمال الصالحة بقلوبهم وجوارحهم وهم مضمرون وجلا وخوفا من ربهم أن يرجعوا إليه فلا يجدونه راضيا عنهم، أو لا يجدون ما يجده غيرهم ممن يفوتهم في الصالحات، فهم لذلك يسارعون في الخيرات ويكثرون منها ما استطاعوا وكذلك كان شأن المسلمين الأولين. وفي الحديث أن أهل الصفة قالوا: يا رسول الله ذهب أهل الدثور بالأجور

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٩/١٦

يصلون كما نصلي ويصومون كما نصوم ويتصدقون بفضول أموالهم. قال: "أوليس قد جعل الله لكم ما تصدقون به، إن لكلم بكل تسبيحة صدقة وكل تحميدة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمر." (١)

"عمون لحصل المراد. ولكن جاءت طريقة التدرج بالإضراب الانتقالي أجزل وأبهج وأروع وأدل على أن كل من هذه الأحوال المرتبة جدير بأن يعتبر فيه المعتبر باستقلاله لا بكونه متفرعا على ما قبله، وهذا البيان هو ما أشرت إليه آنفا عند الكلام على قراءة الجمهور ﴿أدارك﴾ من خفاء توجيه الإضرابين اللذين بعد الإضراب الأول.

وضمائر جمع الغائبين في قوله ﴿يشعرون، يبعثون، علمهم، هم في شك، هم منها عمون﴾ عائدة إلى "من" الموصولة في قوله تعالى ﴿قل لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب إلا الله﴾ . و"من" هذه وإن كانت من صيغ العموم فالضمائر المذكورة عائدة إليها بتخصيص عمومها ببعض من في الأرض وهم الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيب من الكهان والعرافين وسدنة الأصنام الذين يستقسمون للناس بالأزلام ، وهو تخصيص لفظي من **دلالة السياق** وهو من قسم المخصص المنفصل اللفظي. والخلاف الواقع بين علماء الأصول في اعتبار عود الضمير إلى بعض أفراد العام مخصصا للعموم يقرب من أن يكون خلافا لفظيا. الضمير إلى أفراد العام مخصصا للعموم يقرب من أن يكون خلافا لفظيا. ومنه قوله تعالى ﴿وبعولتهن أحق بردهن﴾ [البقرة: ٢٢٨] فإن ضمير ﴿بعولتهن﴾ عائد إلى المطلقات الرجعيات من قوله تعالى ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن﴾ [البقرة: ٢٢٨] الذي هو عام للرجعيات وغيرهن.

وبهذا تعلم أن التعبير بـ ﴿الذين كفروا﴾ هنا ليس من الإظهار في مقام الإضمار لأن الذين كفروا أعم من ما صدق "من" في قوله ﴿لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب﴾ .

[٦٧ – ٦٨] ﴿وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين﴾

أعقب وصف عماية الزاعمين علم الغيب بذكر شبهتهم التي أرتهم البعث مستحيل الوقوع، ولذلك أسند القول هنا إلى جميع الذين كفروا دون خصوص الذين يزعمون علم الغيب، ولذلك عطف الجملة لأنها غايرت التي قبلها بأنها أعم.

والتعبير عنهم باسم الموصول لما في الموصول من الإيماء إلى علة قولهم هذه المقالة وهي ما أفادته الصلة من كونهم كافرين فكأنه قيل: وقالوا بكفرهم أإذا كنا ترابا..إلى آخره استفهاما بمعنى الإنكار.." (٢)

"أصحاب ولاية الإيمان والهجرة بتلك الولاية، أي الولاية التي بين الأنصار والمهاجرين. وأريد بالمؤمنين خصوص الأنصار بقرينة مقابلته بعطف ﴿والمهاجرين﴾ على معنى أصحاب الإيمان الكامل تنويها بإيمان الأنصار لأنهم سبقوا بإيمانهم قبل كثير من المهاجرين الذين آمنوا بعدهم فإن الأنصار آمنوا دفعة واحدة لما أبلغهم نقباؤهم دعوة محمد صلى الله عليه وسلم إياهم بعد بيعة العقبة الثانية. قال تعالى: ﴿والذين تبوأوا الدار والأيمان من قبلهم﴾ [الحشر: ٩] أي: من قبل كثير من فقراء المهاجرين عدا الذين سبق إيمانهم. فالمعنى: كل ذي رحم أولى بإرث قريبه من أن يرثه أنصاري إن كان الميت

---

(١) التحرير والتنوير، ٦٣/١٨

(٢) التحرير والتنوير، ٢٩٧/١٩

مهاجرا، أو أن يرثه مهاجر إن كان الميت من الأنصار، فيكون هذا ناسخا للتوارث بالهجرة الذي شرع بآية الأنفال [٧٢] ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ ، فتوارث المسلمون بالهجرة فكان الأعرابي المسلم لا يرث قريبه المهاجر، ثم نسخ بآية هذه السورة.

ويجوز أن يكون قوله: ﴿من المؤمنين﴾ ظرفا مستقرا في موضع الصفة، أي: وأولوا الأرحام الكائنون من المؤمنين والمهاجرين، بعضهم أولى ببعض، أي: لا يرث ذو الرحم ذا رحمة إلا إذا كانا مؤمنين ومهاجرين، فتكون الآية ناسخة للتوارث بالحلف والمؤاخاة الذي شرع عند قدوم المهاجرين إلى المدينة، فلما نزلت هذه الآية رجعوا إلى مواريثهم فبينت هذه الآية أن القرابة أولى من الحلف والمواخاة، وأيا ما كان فإن آيات المواريث نسخت هذا كله. ويجوز أن تكون ﴿من﴾ بيانية، أي: وأولوا الأرحام المؤمنون والمهاجرون، أي: فلا يرث أولوا الأرحام الكافرون ولا يرث من لم يهاجر من المؤمنين لقوله تعالى: ﴿والذين كفروا بعضهم أولياء بعض﴾ [لأنفال: ٧٣] ثم قال ﴿والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا﴾ [الأنفال: ٧٢].

والاستثناء بقوله: ﴿إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا﴾ منقطع، و ﴿إلا﴾ بمعنى "لكن" لأن ما بعد ﴿إلا﴾ ليس من جنس ما قبلها فإن الأولوية التي أثبتت لأولي الأرحام أولوية خاصة وهي أولوية الميراث **بدلالة السياق** دون أولوية حسن المعاشرة وبذل المعروف. وهذا استدراك على ما قد يتوهم من قطع الانتفاع بأموال الأولياء عن أصحاب الولاية بالإخاء والحلف فبين أن الذي أبطل ونسخ هو انتفاع الإرث وبقي حكم المواساة وإسداء المعروف بمثل الإنفاق والإهداء والإيصاء.

وجملة ﴿كان ذلك في الكتاب مسطورا﴾ تذييل لهذه الأحكام وخاتمة لها مؤذنة بانتهاء الغرض من الأحكام التي شرعت من قوله: ﴿ادعوهم لآبائهم﴾ [الأحزاب: ٥] إلى هنا." (١)

"عطف هذه الجملة له موقع عجيب، فإنه يجوز أن يكون عطفا على جملة ﴿ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله﴾ [فصلت:٣٣] الخ تكملة لها فإن المعطوف عليها تضمنت الثناء على المؤمنين إثر وعيد المشركين وذمهم، وهذه الجملة فيها بيان التفاوت بين مرتبة المؤمنين وحال المشركين، فإن الحسنة اسم منقول من الصفة فتلمح الصفة مقارن له، فالحسنة حالة المؤمنين والسيئة حالة المشركين، فيكون المعنى كمعنى آيات كثيرة من هذا القبيل مثل قوله تعالى ﴿وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء﴾ [غافر:٥٨] فعطف هذه الجملة على التي قبلها على هذا الاعتبار يكون من عطف الجمل التي يجمعها غرض واحد وليس من عطف غرض على غرض. ويجوز أن تكون عطفا على جملة ﴿وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون﴾ [فصلت:٢٦]

الواقعة بعد جملة ﴿ وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه﴾ [فصلت:٥] إلى قوله ﴿فاعمل إننا عاملون﴾ [فصلت: من الآية٥] فإن ذلك مثير في نفس النبي صلى الله عليه وسلم الضجر من إصرار الكافرين على كفرهم وعدم التأثر بدعوة النبي صلى الله عليه وسلم إلى الحق فهو بحل من تضيق طاقة صبره على سفاهة أولئك الكافرين، فأردف الله ما تقدم بما يدفع هذا الضيق عن نفسه بقوله ﴿ولا تستوي الحسنة ولا السيئة﴾ الآية.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢١/١٩٧

فالحسنة تعم جميع أفراد جنسها وأولاها تبادرا إلى الأذهان حسنة الدعوة إلى الإسلام لما فيها من جم المنافع في الآخرة والدنيا، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء الذي يلقى به المشركون دعوة الإسلام لأن الصفح من الإحسان، وفيه ترك ما يثير حميتهم لدينهم ويقرب لين نفوس ذوي النفوس اللينة.

فالعطف على هذا من عطف غرض على غرض، وهو الذي عنه بعطف القصة على القصة، وهي تمهيد وتوطئة لقوله عقبها ﴿ادفع بالتي هي أحسن﴾ الآية.

وقد علمت غير مرة أن نفي الاستواء ونحوه بين شيئين يراد به غالبا تفضيل أحدهما على مقابلة بحسب **دلالة السياق** كقوله تعالى ﴿أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون﴾ [السجدة:١٨]. وقول الأعشى:

ما يجعل الجد الضنون الذي ... جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طما ... يقذف بالبوصي والماهر

فكان مقتضى الظاهر أن يقال: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة، دون إعادة ﴿لا﴾ النافية بعد الواو الثانية كما قال تعالى ﴿وما يستوي الأعمى والبصير﴾ [غافر:٥٨]، فإعادة." [١]

"والإذاقة: مجاز في مطلق الإصابة في الحس لإطماعهم أنها إصابة خفيفة كإصابة الذوق باللسان. وهذا تجريد للمجاز كما أن وصفه بالغليظ تجريد ثان فحصل من ذلك ابتداء مطمع وانتهاء مؤيس.

﴿وإذا أنعمنا على الأنسان أعرض ونأى بجانبه وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض﴾

هذا وصف وتذكير بضرب آخر من طغيان النفس الإنسانية غير خاص بأهل الشرك بل هو منبث في جميع الناس على تفاوت، إلا من عصم الله. وهو توصيف لنزق النفس الإنساني وقلة ثباته فإذا أصابته السراء طغا وتكبر ونسي شكر ربه نسيانا قليلا أو كثيرا وشغل بلذاته، وإذا أصابته الضراء لم يصبر وجزع ولجأ إلى ربه يلح بسؤال كشف الضر عنه سريعا. وفي ذكر هذا الضرب تعرض لفعل الله وتقديره الخلتين السراء والضراء. وهو نقد لسلوك الإنسان في الحالتين وتعجيب من شأنه. ومحل النقد والتعجيب من إعراضه ونأيه بجانبه واضح، وأما محل الانتقاد والتعجيب من أنه ذو دعاء عريض عندما يمسه الشر فهو من حيث لم يتذكر الإقبال على دعاء ربه إلا عندما يمسه الشر وكان الشأن أن لا يغفل عن ذلك في حال النعمة فيدعو بدوامها ويشكر ربه عليها وقبول شكره لأن تلك الحالة أولى بالعناية من حالة مس الضر.

وأما ما تقدم من قوله ﴿لا يسأم الأنسان من دعاء الخير﴾ إلى قوله ﴿للحسنى﴾ فهو وصف لضرب آخر أشد، وهو خاص بأهل الشرك لما وقع فيه من قوله ﴿وما أظن الساعة قائمة﴾ [فصلت:٥٠] فليس قوله ﴿وإذا أنعمنا على الأنسان أعرض ونأى بجانبه﴾ إلخ تكريرا مع قوله ﴿لا يسأم الأنسان﴾ [فصلت: ٤٩] الآية فهذا التفنن في وصف أحوال الإنسان مع ربه هو الذي دعا إلى ما اشتمل عليه قوله ﴿وإذا أنعمنا﴾ من بعض التكرير لما ذكر في الضرب المتقدم لزيادة تقريره، وللإشارة إلى اختلاف الحالتين باعتبار الشرك وعدمه مع اتحادهما في مثار الجملة الإنسانية، وباعتبار ما قدره الله للإنسان.

---

(١) التحرير والتنوير، ٢٥/٥٦

والإعراض: الانصراف عن شيء، وهو مستعار هنا للغفلة عن شكر المنعم أو التعمد لترك الشكر.

ومتعلق فعل ﴿أعرض﴾ محذوف **لدلالة السياق** عليه، والتقدير: أعرض عن دعائنا.." (١)

"هذا قول جميع النحويين، قال النحاس: إلا أن علي بن سليمان حكى لنا عن محمد بن زيد قال: يجوز في (إنّ) هذه الفتح وإن كان بعدها اللام وأحسبه وهماً منه، قال أبو إسحاق الزجاج: وفي الكلام حذف والمعنى (وما أرسلنا قبلك رسلاً إلا إنهم ليأكلون الطعام) ثم حذف رسلاً؛ لأن في قوله: ﴿مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾[(٢٠) سورة الفرقان] ما يدل عليه، فالموصوف محذوف عند الزجاج، ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء، قال الفراء: والمحذوف (من) والمعنى: (إلا من إنهم ليأكلون الطعام) وشبهه بقوله: ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾[(١٦٤) سورة الصافات]، وقوله: ﴿وَإِن مِّنكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا﴾[(٧١) سورة مريم] أي: ما منكم إلا من هو واردها، وهذا قول الكسائي أيضاً، وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك، فقولك: إنه ليطيعك صلة (مِن)..

صلة (مَن) التي هي الموصول.

صلة (مَن)، قال الزجاج: هذا خطأ لأن (مَن) موصلة فلا يجوز حذفها، وقال أهل المعاني: المعنى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون) دليله قوله تعالى: ﴿مَا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ﴾[(٤٣) سورة فصلت].

أما قوله: لا يجوز حذف الموصول فقد جاء ما يدل على حذفه، كما في قول الشاعر:

أمنتِ وهذا تحملين طليق.

يعني وهذا الذي تحملينه طليقُ، حذف الموصول هنا **لدلالة السياق** عليه.

وقال ابن الأنباري كسرت ﴿إِنَّهُمْ﴾ بعد (إلا) للاستئناف بإضمار واو: أي إلا وإنهم، وذهبت فرقة إلى أن قوله: ﴿لَيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ﴾[(٢٠) سورة الفرقان] كناية عن الحدث.." (٢)

"الذين أخرجوا في موضع جر صفة لقوله للذين يقاتلون أي أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا ، الذين أخرجوا. ويكون قوله تعالى : وإن الله على نصرهم لقدير فصلا بين الصفة والموصوف ، مثل : وإنه لقسم ، لو تعلمون ، عظيم [الواقعة ٥٦/ ٧٦] أي : وإنه لقسم عظيم لو تعلمون.

إلا أن يقولوا : ربنا الله في موضع نصب لأنه استثناء منقطع ، أي لكن لقولهم : ربنا الله.

بعضهم ببعض بدل بعض من الناس.

الذين إن مكناهم .. إما في موضع جر ، صفة أخرى لقوله : للذين يقاتلون وإما منصوب على البدل من من في قوله تعالى : ولينصرن الله من ينصره وإما مرفوع على أنه خبر مبتدأ مقدر أي هم.

وقوله : إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة شرط وجزاء ، وهما صلة الموصول.

---

(١) التحرير والتنوير، ٨٨/٢٥

(٢) التعليق على تفسير القرطبي، ص/٩

البلاغة :

خوان كفور صيغة مبالغة على وزن فعال وفعول.

أذن للذين يقاتلون فيه حذف **لدلالة السياق** عليه ، أي أذن بالقتال للذين يقاتلون.

إلا أن يقولوا : ربنا الله فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم ، أي لا ذنب لهم إلا هذا ، على طريقة قول النابغة :

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكتائب

المفردات اللغوية :

يدافع عن الذين آمنوا أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه ، وقرئ : يدفع أي غائلة المشركين خوان في أمانته وأمانة الله أي كثير الخيانة كفور لنعمته ، وهم المشركون ، والمعنى : أنه يعاقبهم ، وصيغة المبالغة لبيان واقع المشركين.

أذن رخص للذين يقاتلون من قبل المشركين وهم المؤمنون ، أي للمؤمنين أن يقاتلوا ، والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه ، وقرئ بالبناء للمعلوم يقاتلون أي

ج ١٧ ، ص : ٢٢٥." (١)

"و هي في رأي كثير من السلف كابن عباس وعائشة ومجاهد والضحاك وعروة بن الزبير وزيد بن أسلم ومقاتل وقتادة والزهري : أول آية نزلت في القتال بعد ما نهي عنه في نيف وسبعين آية ، وهو الظاهر ، ويؤيده سبب النزول المتقدم ذكره ، وذكرت الآية بعد الوعد بالمدافعة والنصر.

وأخرج ابن جرير عن أبي العالية : أول آية نزلت في القتال : وقاتلوا في سبيل الله الذين يقاتلونكم .. [البقرة ٢/ ١٩٠].

وفي الإكليل للحاكم : إن أول آية نزلت فيه : إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم .. [التوبة ٩/ ١١١].

ج ١٧ ، ص : ٢٢٨

فعلى القول الأول للأكثرين : يكون المقصود بالآية : أذن .. إباحة القتال ومشروعيته ، والمأذون فيه هو القتال حقيقة ، وحذف **لدلالة السياق** عليه ، والمراد بهم المهاجرون ، بدليل وصفهم بالإخراج من الديار بغير حق.

وعلى القول الثاني لبعضهم : يكون المراد حكاية الإذن الحاصل من قبل توطئة لبيان أسباب المشروعية.

وعلى قراءة المبني للمجهول يقاتلون يكون وصفهم بالقتال الواقع عليهم فعلا على حقيقته ، سواء قيل : إنها أول آية نزلت في القتال أم لا لأن قتال المشركين واضطهادهم لهم ، كان حاصلا على كل حال.

وعلى قراءة المبني للمعلوم يقاتلون إذا قيل : إنها ليست أول آية نزلت في القتال يكون وصفهم بالقتال على حقيقته أيضا ، وأما إذا قيل : إنها أول آية نزلت في الجهاد فيكون وصفهم بالقتال إما على معنى أو على تقدير : إرادة القتال ، أي يريدون قتال المشركين ويحرصون عليه ، وإما على إرادة استحضار ما يكون منهم في المستقبل ، أي ما سيعدون أنفسهم عليه من لقاء المشركين.." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٢٧/١٧

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٣١/١٧

"تهتز ، كأنها جان تهتز جملة فعلية حال من هاء رآها. وكأنها جان حال أيضا ، أي فلما رآها مهتزة مشبهة جانا ، ومدبرا حال منصوب أيضا.

إلا من ظلم من في موضع نصب ، لأنه استثناء منقطع.

تخرج بيضاء بيضاء حال من ضمير تخرج. وإلى فرعون حال من مرسلا المحذوف المنصوب على الحال ، لدلالة الحال عليه ، أي مرسلا إلى فرعون.

مبصرة حال من الآيات ، أي مبينة.

البلاغة :

وألق عصاك فلما رآها تهتز إيجاز بالحذف ، حذفت جملة : فألقاها ، فانقلبت حية ، لدلالة السياق عليه.

حسنا بعد سوء وولى مدبرا ولم يعقب بين كل منهما طباق.

آياتنا مبصرة استعارة ، استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن الإبصار يكون بالعينين.

كأنها جان تشبيه مرسل مجمل ، ذكرت أداة الشبه ، وحذف وجه الشبه ، فصار مرسلا مجملا.

المفردات اللغوية :

إذ قال أي اذكر حين قال موسى. لأهله كنى عن زوجته بالأهل عند مسيرته من مدين إلى مصر. آنست أبصرت من بعيد. بخبر عن حال الطريق لأنه قد ضله. وجمع الضمير في قوله : سآتيكم وآتيكم ولعلكم تصطلون مراعاة لكلمة لأهله. وأتى بالسين في قوله : سآتيكم للدلالة على بعد المسافة ، أو الوعد بالإتيان وإن أبطأ. وأتى بأو دون الواو اعتمادا أو رجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه معا ، لم يعدم واحدة منهما : إما هداية الطريق ،

ج ١٩ ، ص : ٢٦٢

و إما اقتباس النار ، ثقة بعادة الله أنه لا يكاد يجمع بين حرمانين على عبده ، وقد ظفر بكلتا حاجتيه وهما عز الدنيا وعز الآخرة.

بشهاب شعلة نار. قبس قطعة من النار مقبوسة أي مأخوذة من أصلها.." [١]

"و ما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (٤(٤) ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين (٤٥) وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (٤٦) ولو لا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربنا لو لا أرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (٤٧)

الإعراب :

تتلوا عليهم آياتنا خبر ثان ل كنت.

ولكن رحمة من ربك رحمة : إما منصوب على المصدر ، وإما مفعول لأجله ، أي ولكن فعل ذلك لأجل الرحمة ، وإما خبر

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ١٩/٢٦٨

كان مقدرة ، أي ولكن كان رحمة من ربك.

البلاغة :

أنشأنا قرونا مجاز عقلي ، أريد به : أمما في تلك الأزمنة ، والعلاقة زمانية.

تصيبهم مصيبة جناس اشتقاق. وقوله : ولو لا أن تصيبهم مصيبة حذف منه الجواب **لدلالة السياق** عليه ، أي ولو لا خشية وقوع المصيبة بهم ما أرسلناك يا محمد رسولا إليهم ، فهو إيجاز بالحذف.

ج ٢٠ ، ص : ١١٣

بما قدمت أيديهم مجاز مرسل ، من قبيل إطلاق الجزء وإرادة الكل ، أريد به بما كسبوا لأن أكثر الأعمال تزاول بالأيدي.

المفردات اللغوية : ." (١)

"و ما أرسلناك إلا كافة .. كافة منصوب على الحال من كاف أرسلناك ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار. وأصله « كاففة » اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد ، فسكن الأول وأدغم في الثاني ، فصار كافة وتقديره : وما أرسلناك إلا كافا للناس. ودخلت التاء للمبالغة ، كعلامة ونسابة.

لكم ميعاد يوم .. مبتدأ مرفوع ، ولكم خبره ، والهاء في عنه عائدة على الميعاد.

البلاغة :

قل : من يرزقكم من السماوات والأرض توبيخ وتبكيت.

قل : الله حذف الخبر ، **لدلالة السياق** عليه ، أي قل الله الخالق الرازق للعباد.

تستأخرون وتستقدمون بينهما طباق.

وهو الفتاح العليم صيغة مبالغة على وزن فعال وفعيل.

المفردات اللغوية :

قل : من يرزقكم من السماوات والأرض يريد به تقرير قول السابق : لا يملكون ، والرزق من السموات : المطر ، ومن الأرض : النبات. قل : الله أي لا جواب سواه ، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام ، فهم مقرون به بقلوبهم. وإنا أو إياكم أي أحد الفريقين. لعلى هدى أو في ضلال مبين أي إما في حال هدى أو في ضلال

ج ٢٢ ، ص : ١٧٩

واضح. وهذا بعد ما تقدم من التقرير البليغ الدال على من هو على الهدى ، ومن هو في الضلال.

وهذا الإبهام أبلغ من التصريح لأنه في صورة الإنصاف المسكت للخصم ، وهو تلطف بهم في الدعوة إلى الإيمان إذا وفقوا له.." (٢)

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١١٥/٢٠

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ١٨٨/٢٢

"قل إن ربي يبسط الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر له وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين (٣٩)

ج ٢٢ ، ص : ١٩٢

الإعراب :

بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن بالتي في موضع نصب لأنه خبر ما.

ودخلت الباء في خبر ما لتكون بإزاء اللام في خبر « إن » لأن « إن » للإثبات ، وما للنفي. وإلا من آمن في موضع نصب على الاستثناء ، ولا يجوز أن يكون منصوبا على البدل من الكاف والميم في تقربكم لأن المخاطب لا يبدل منه. لكن جاء إبدال الغائب من المخاطب ، بإعادة العامل في قوله تعالى : لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة [الأحزاب ٣٣/ ٢١] أبدل منه بإعادة الجار ، فقال : لمن كان يرجو.

البلاغة :

يبسط ويقدر بينهما طباق.

وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى فيه التفات من الغائب إلى المخاطب للمبالغة في تحقيق الحق ، وفيه إيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه ، حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، أي ما أموالكم بالتي تقربكم ، ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا.

إلا من آمن وعمل صالحا والذين يسعون في آياتنا معاجزين مقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار.

كافرون لا يعلمون آمنون محضرون ٣٨ فيها توافق الفواصل الذي فيه جميل الوقع على السمع.

المفردات اللغوية : ." (١)

"فاهدوهم إلى صراط الجحيم أسلوب تهكمي في الهداية ، لأنها تكون إلى طريق النعيم ، لا إلى صراط الجحيم.

عن اليمين استعارة لجهة الخير أو للقوة والشدة أو لجهة الدين.

ج ٢٣ ، ص : ٧٩

إذا قيل لهم : لا إله إلا الله إيجاز بالحذف ، أي قولوا : لا إله إلا الله ، وحذف **لدلالة السياق** عليه.

المفردات اللغوية :

احشروا يقال للملائكة : اجمعوا ، من الحشر : وهو الجمع. الذين ظلموا أنفسهم بالشرك فهم المشركون ، وهو أمر من الله للملائكة بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف.

وأزواجهم أمثالهم وأشباههم ، فيحشر عابد الصنم مع عبدة الصنم ، وعابد الكواكب مع عبدتها ، وأصحاب الخمر معا ، وأصحاب الزنى معا. وقيل : أزواجهم : قرناؤهم من الشياطين. وما كانوا يعبدون من دون الله يحشر المعبودون من غير الله من الأصنام والأوثان وغيرها ، زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ، وهو عام مخصوص بقوله تعالى : إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء ٢١/ ١٠١].

---

(١) التفسير المنير في العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٠٢/٢٢

فاهدوهم دلوهم وعرفوهم طريقها ليسلكوه. إلى صراط الجحيم طريق النار.

وقفوهم احبسوهم في الموقف أو عند الصراط « ١ » إنهم مسؤلون عن عقائدهم وأعمالهم.

ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص من العذاب كحالكم في الدنيا ، وهذا يقال لهم توبيخا وتقريعا. بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لعجزهم ، وأصل الاستسلام :

طلب السلامة ، ويلزمه الانقياد عرفا. وهذا أيضا يقال لهم.." [١]

"الرحمن ٥٥/ ٢٦- ٢٧] وقال سبحانه : كل شيء هالك إلا وجهه [القصص ٢٨/ ٨٨].

والخلاصة : أن الآية مثل لحال الدنيا ، يتعظ بها كل ذي عقل سليم ، بعيد النظر ، عميق الفكر والتأمل ، ينظر إلى المستقبل الحتمي نظرة اليقظ الحذر ، المستعد العامل.

الهداية للإسلام [سورة الزمر (٣٩) : الآيات ٢٢ الى ٢٦]

أ فمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين (٢(٢) الله نزل أحسن الحديث كتابا متشابها مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فما له من هاد (٢(٣) أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يوم القيامة وقيل للظالمين ذوقوا ما كنتم تكسبون (٢(٤) كذب الذين من قبلهم فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون (٢٥) فأذاقهم الله الخزي في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أكبر لو كانوا يعلمون (٢٦)

الإعراب :

الله نزل أحسن الحديث كتابا كتابا بدل من أحسن.

وقيل للظالمين الواو للحال ، وقد : مقدرة.

ج ٢٣ ، ص : ٢٧٦

البلاغة :

أفمن شرح الله صدره للإسلام ؟ إيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه ل حذف خبره وتقديره :

كمن طبع الله على قلبه ؟ ومثله : أفمن يتقي بوجهه وجوابه كمن أمن منه بدخول الجنة.." [٢]

"و قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة. قال ابن كثير : وهذا القول أولى لدلالة السياق عليه. وقال أبو حيان : الظاهر عود الضمير إلى أقرب مذكور ، وهو ربهم أي لا درك عليه تعالى في فعله بهم ، لا يسأل عما يفعل ، قال ابن عباس والحسن ، وفيه ذم لهم وتعقبة لآثارهم. والمراد أن الله لا يخاف عاقبة ما فعل بهم لأنه عادل في حكمه. وقال الزمخشري : ولا يخاف الله عاقبتها وتبعتها ، كما يخاف كل معاقب من الملوك ، فيبقي بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود ، على معنى : فسواها بالأرض أو في الهلاك ، ولا يخاف عقبى هلاكها.

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٧٥/٢٣

(٢) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٧٦/٢٣

ج ٣٠ ، ص : ٢٦٥

فقه الحياة أو الأحكام :

هذا خبر قاطع من الله العلي القدير ، أخبرنا به عن قبيلة ثمود التي تجاوزت الحد بطغيانها وهو خروجها عن الحد في العصيان.

وذلك حين نهض أشقاها لعقر الناقة ، واسمه قدار بن سالف.

ولكن رسولهم صالحا عليه السلام حذرهم عاقبة فعلهم ، وقال لهم : احذروا عقر ناقة الله ، وذروها ، كما قال : هذه ناقة الله لكم آية ، فذروها تأكل في أرض الله ، ولا تمسوها بسوء ، فيأخذكم عذاب أليم [الأعراف ٧/ ٧٣] وذروها وشربها المخصص لها في يومها. فإنهم لما اقترحوا الناقة ، وأخرجها الله لهم من الصخرة ، جعل لهم شرب يوم من بئرهم ، ولها شرب يوم مكان ذلك ، فشق عليهم.

وكذبوا صالحا عليه السلام في قوله لهم : « إنكم تعذبون إن عقرتموها » فعقرها الأشقى ، وأضيف العقر إلى الكل بقوله : فعقروها لأنهم رضوا بفعله.

والجرم وهو العقر وتكذيب النبي يستدعيان بلا شك عقابا صارما ، فكان العقاب أن أهلكهم الله ، وأطبق عليهم العذاب بذنبهم الذي هو الكفر والتكذيب.

والعقر ، وسوى عليهم الأرض ، أو سوى الدمدمة والإهلاك عليهم لأن الصيحة أهلكتهم فأتت على صغيرهم وكبيرهم.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ٧ ، ص : ٤٨٦

إذا أخذه لم يفلته ، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة ، إن أخذه أليم شديد « ١ ».

ثم أقام - سبحانه - الأدلة الساطعة على وحدانيته وعلى وجوب إخلاص العبادة له - تعالى - فقال : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ....

والمراد بالقيام هنا : الحفظ والهيمنة على جميع شئون الخلق والاستفهام للإنكار ، والخبر محذوف والتقدير : أفمن هو قائم أى : رقيب ومهيمن على كل نفس كائنة ما كانت ، عالم بما تعمله من خير أو شر فمجازيها به كمن ليس كذلك؟

و حذف الخبر هنا وهو قولنا - كمن ليس كذلك - **لدلالة السياق** عليه ، كما في قوله - تعالى - : أفمن شرح الله صدره للإسلام أى : كمن قسا قلبه.

وحسن حذف الخبر هنا لأنه مقابل للمبتدأ الذي هو من ولأن قوله - تعالى - :

و جعلوا لله شركاء يدل عليه.

والمقصود من الآية الكريمة إنكار المماثلة بين الخالق العظيم ، العليم بأحوال النفوس ...

وبين تلك الأصنام التي أشركوها مع الله - تعالى - في العبادة والتي هي لا تسمع ولا تبصر ، ولا تملك لنفسها - فضلا

---

(١) التفسير المنير فى العقيدة والشريعة والمنهج، ٢٥٨/٣٠

عن غيرها – نفعا ولا ضرا.
وجملة وجعلوا لله شركاء حالية ، والتقدير :
أ فمن هذه صفاته ، وهو الله – تعالى – كمن ليس كذلك ، والحال أن هؤلاء الأغبياء قد جعلوا له شركاء في العبادة وغيرها.
فالمقصود من هذه الجملة الكريمة ، زيادة توبيخهم ، وتسفيه أفكارهم وعقولهم.
وقوله – سبحانه – قل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت.
أى : قل لهم – أيها الرسول الكريم – سموهم شركاء إن شئتم ، فإن هذه التسمية لا وجود لها في الحقيقة والواقع ، ولا تخرجهم عن كونهم لا يملكون لأنفسهم – فضلا عن غيرهم – نفعا ولا ضرا ، لأن الله – تعالى – واحد لا شريك له.
وهذه التسمية إنما هي من عند أنفسكم ما أنزل الله بها من سلطان ، كما قال تعالى : إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان « ٢ ».

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٣.
(٢) سورة النجم الآية ٢٣.." (١)

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٢ ، ص : ٢٢٢
و الفاء في قوله – تعالى – : فمن أظلم ممن كذب على الله ... لترتيب ما بعدها على ما قبلها ، والاستفهام للإنكار والنفي.
أى مادام الأمر كما ذكرنا لك – أيها الرسول الكريم – من أنك ستموت وهم سيموتون ، وأنكم جميعا ستقفون أمام ربكم للحساب والجزاء .. فلا أحد أشد ظلما من هؤلاء المشركين الذين كذبوا على الله ، بأن عبدوا من دونه آلهة أخرى ، ونسبوا إليه الشريك أو الولد ، ولم يكتفوا بكل ذلك ، بل كذبوا بالأمر الصدق وقت أن جئتهم به من عند ربك.
والتعبير بقوله : وكذب بالصدق إذ جاءه يدل على أنهم بادروا بتكذيب ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه ، بمجرد أن سمعوه ، ودون أن يتدبروه أو يفكروا فيه.
وتكذيبهم بالصدق ، يشمل تكذيبهم للقرآن الكريم ، ولكل ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم والاستفهام في قوله – تعالى – أليس في جهنم مثوى للكافرين للتقرير.
والمثوى : المكان مأخوذ من قولهم ثوى فلان بمكان كذا ، إذا أقام به. يقال : ثوى يثوى ثواء ، كمضى يمضى مضاء ...
أى : أليس في جهنم مكانا يكفى لإهانة الكافرين وإذلالهم وتعذيبهم؟ بل إن فيها لمكانا يذلهم ويذوقون فيه سوء العذاب.
ثم بين – سبحانه – حسن عاقبة أهل الصدق والإيمان فقال : والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون.
والمراد بالذي جاء بالصدق : رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالذي صدق به : ما يشمل الرسول صلى الله عليه

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٤٨٦/٧

وسلم ويشمل كل من آمن به واتبعه فيما جاء به ، كأبي بكر الصديق وغيره من الصحابة.

قال الآلوسى ما ملخصه : قوله – تعالى – : والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس ...

والمؤمنون داخلون **بدلالة السياق** وحكم التبعية ، دخول الجند في قولك : نزل الأمير موضع كذا ...." [1]

"التفسير الوسيط للقرآن الكريم ، ج ١٥ ، ص : ٢٥

– سبحانه – : أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ، أمن يمشي سويا على صراط مستقيم.

والمكب : هو الإنسان الساقط على وجهه ، يقال : كب فلان فلانا وأكبه ، إذا صرعه وقلبه بأن جعل وجهه على الأرض .. فهو اسم فاعل من أكب.

وقوله : أهدى مشتق من الهدى ، وهو معرفة طريق الحق والسير فيها ، والمفاضلة هنا ليست مقصودة ، لأن الذي يمشى مكبا على وجهه ، لا شيء عنده من الهداية أو الرشد إطلاقا حتى يفاضل مع غيره ، وفيه لون من التهكم بهذا المكب على وجهه.

و« السوى » هو الإنسان الشديد الاستواء والاستقامة ، فهو فعيل بمعنى فاعل.

ومنه قوله – تعالى – حكاية عما قاله إبراهيم – عليه السلام – لأبيه : يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا أى : مستويا.

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية : أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ... :

هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، فالكافر مثله فيما هو فيه ، كمثل من يمشى مكبا على وجهه ، أى : يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه ، أى : لا يدرى أين يسلك ، ولا كيف يذهب ، بل هو تائه حائر ضال ، أهذا أهدى أمن يمشي سويا أى : منتصب القامة على صراط مستقيم أى على طريق واضح بين ، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة.

هذا مثلهم في الدنيا ، وكذلك يكونون في الآخرة ، فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم .. وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى النار ..

وروى الإمام أحمد عن أنس قال : قيل يا رسول الله ، كيف يحشر الناس على وجوههم؟

فقال : « أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم » « ١ »؟.

وقال الجمل : هذا مثل للمؤمن والكافر ، حيث شبه – سبحانه – المؤمن في تمسكه بالدين الحق ، ومشيه على منهاجه ، بمن يمشى في الطريق المعتدل ، الذي ليس فيه ما يتعثر به ..

وشبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل ، بمن يمشى في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض ، فيتعثر ويسقط على وجهه ، وكلما تخلص من عثرة وقع في أخرى.

فالمذكور في الآية هو المشبه به ، والمشبه محذوف ، **لدلالة السياق** عليه .. « ٢ ».

---

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٢٢/١٢

(١) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٢٠٨.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٣٨٠.." (١)

"يقول الحق جل جلاله : لرجال من الأنصار ارتدوا عن الإسلام ولحقوا بمكة ، منهم الحارث بن سويد الأنصاري : ﴿ومن﴾ يطلب ﴿غير الإسلام دينا﴾ يتدين به ﴿فلن يقبل منه﴾ أبدا ، ﴿وهو في الآخرة من الخاسرين﴾ ؛ لأنه أبطل الفطرة السليمة التي فطر الناس عليها ، واستبدلها بالتقليد الرديء ، بعد أن عاين سواطع البرهان ، وشهدت نفسه بالحق والبيان ، ولذلك وقع التعجب والاستبعاد من هدايته فقال : ﴿كيف يهدي الله قوما كفروا﴾ بعد أن آمنوا ، ﴿وشهدوا أن الرسول حق وجاءهم البينات﴾ أي : المعجزات الواضحات ، فإن الحائد عن الحق بعدما وضح ، منهمك في الضلال ، بعيد عن الرشاد ، فقد ظلم نفسه وبخسها ، ﴿والله لا يهدي القوم القوم الظالمين﴾ الذين ظلموا أنفسهم بالإخلال بالنظر ، ووضعوا الكفر موضع الإيمان ، ولعل هذا في قوم مخصوصين سبق لهم الشقاء.

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٤٢

يقول الحق جل جلاله : ﴿أولئك﴾ المرتدون عن الإسلام - ﴿جزاؤهم﴾ : أن تلعنهم الملائكة والناس أجمعون ، مؤمنهم وكافرهم ، لأن الكافر يلعن من ترك دين الحق ، وإن كان لا يشعر بمن هو على الحق. ﴿خالدين﴾ في اللعنة ، أو في النار ، **لدلالة السياق** عليها ، أو في العقوبة. ﴿لا يخفف عنهم العذاب﴾ ساعة ، ولا هم يمهلون عنها لحظة.

ثم إن الحارث ندم ، وأرسل إلى قومه أن اسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم ، هل لي من توبة ؟

جزء : ١ رقم الصفحة : ٣٤٢

يقول الحق جل جلاله : إلا من تاب من بعد الردة ، فأسلم وأصلح ما أفسد ، ﴿فإن الله غفور﴾ له فيما فعل ، ﴿رحيم﴾ به حيث تاب.

ولمأ نزلت الآية حملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه ، فقال الحارث : إنك والله فيما علمت لصدوق ، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لأصدق منك ، وإن الله - تعالى - لأصدق الثلاثة ، فرجع الحارث إلى المدينة ، فأسلم وحسن إسلامه.

". (٢)

"الإشارة : كل من لم يصل إلى حضرة العيان صدق عليه بعض ظن الشيطان ؛ لأنه لما رأى بشرية آدم مجوفة ، ظن أنه يجري معه مجرى الدم ، فكل من لم يسد مجاريه بذكر الله ، حتى يستولي الذكر على بشريته ، فيصير قطعة من نور ، فلا بد أن يدخل معه بعض وساوسه ، ولا يزال يتسلط على قلب ابن آدم ، حتى يدخل حضرة القدس ، فحينئذ يحرس منه ، لقوله تعالى : ﴿إن عبادى ليس لك عليهم سلطان﴾ [الحجر : ٤٢]. وعباده الحقيقيون هم الذين تحرروا مما سواه ، فلم يبق لهم في هذا العالم علقة ، وهم المرادون بقوله تعالى : ﴿إلا فريقا من المؤمنين﴾ وما سلطه عليهم إلا ليتميز الخواص من

(١) التفسير الوسيط للقرآن الكريم، ٢٥/١٥

(٢) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٤٦٠/١

العوام ، فلولا ميادين النفوس ، ومجاهدة إبليس ، ما تحقق سير السائرين ، أي : وما كان له عليهم من تسلط إلا لنعلم علم ظهور من يؤمن بالخصلة الآخرة ، وهي الشهود ، ممن هو منها في شك ، ﴿وربك على كل شيء حفيظ﴾ يحفظ قلوب أوليائه من استيلاء غيره عليها. وبالله التوفيق.

جزء : ٦ رقم الصفحة : ٧٨

قلت : حذف مفعولي زعم ، أي : زعمتموهم آلهة تعبدونهم من دون الله ، **بدلالة السياق** عليهما.

يقول الحق جل جلاله : ﴿قل﴾ لهم ﴿ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ أي : زعمتموهم آلهة ، فعبدتموهم من دون الله ، من الأصنام والملائكة ، وسميتموهم باسمه ، فالتجئوا إليهم فيما يعروكم ، كما تلتجئون إليه في اقتحام الشدائد الكبرى. وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته. وهذا تعجيز وإقامة حجة على بطلان عبادتها. ويروى أنها نزلت عند الجوع الذي أصاب قريشا. ثم ذكر عجزهم فقال : ﴿لا يملكون مثقال ذرة﴾ من خير أو شر ، ونفع أو ضر ﴿في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك﴾ أي : وما لهم في هذين العالمين ؛ العلوي والسفلي ، من شرك في الخلق ، ولا في الملك ، ﴿وما له﴾ تعالى ﴿منهم﴾ من آلهتهم ﴿من ظهير﴾ معين يعينه على تدبير خلقه.

٧٩

" (١).

"" " صفحة رقم ٥٦١ " "

قراءة الجماعة " أزلهما " يجوز أن تكون من " زل عن المكان " : إذا تنحى عنه ، فتكون من الزوال كقراءة " حمزة " ، ويدل عليه قول امرئ القيس : [الطويل]

٤٠٤ - كميت يزل اللبد عن حال متنه

كما زلت الصفواء بالمتنزل

وقال أيضا : [الطويل]

٤٠٥ - يزل الغلام الخف عن صهواته

ويلوي بأثواب العنيف المثقل

فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة " حمزة " ، أو نرد قراءة " حمزة " إلى قراءة الجماعة بأن نقول : معنى أزالهما : أي صرفهما عن طاعة الله ، فأوقعهما في الزلة ؛ لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال ، ويحتمل أن تفيد كل قراءة معنى مستقلا ، فقراءة الجماعة تؤذن بإيقاعها في الزلة ، فيكون " زل " بمعنى : استزل ، وقراءة : حمزة " تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما ، ولا بد من المجاز في كلتا القراءتين ، لأن الزلل أصله من زلة القدم ، فاستعمل هنا في زلة الرأي والتنحية لا يقدر عليها الشيطان ، وإنما يقدر على الوسوسة التي هي سبب التنحية .

و " عنها " متعلق بالفعل قبله ، ومعنى " عن " هنا السببية إن أعدنا الضمير على " الشجرة " أي : أوقعهما في الزلة

---

(١) البحر المديد ـ موافق للمطبوع، ٦/١٢٣

بسبب الشجرة .

قال " الزمخشري " لفظة " عن " في هذه الآية كما في قوله : (وما فعلته عن أمري) [الكهف : ٨٢] .

ويجوز أن تكون على بابها من المجاوزة إن عاد الضمير على " الجنة " ، وهو الأظهر ، لتقدم ذكرها ، وتجيء عليه قراءة " حمزة " واضحة ، ولا تظهر قراءته كل الظهور على كون الضمير ل " الشجرة " .

قال " ابن عطية " فأما من قرأ " أزالهما " فإنه يعود على " الجنة " فقط .

وقيل : الضمير للطاعة ، أو للحالة ، أو للسماء ، وإن لم يجر لهما ذكر **لدلالة السياق** عليهما . وهذا بعيد جدا .

فإن قيل : إن الله – تعالى – قد أضاف الإزلال إلى " إبليس " فلم عاتبهما على ذلك الفعل ؟." (١)

"" صفحة رقم ٣٢٥ " "

والثاني : أنه منصوب على الصرف ، وقد تقدم معنى ذلك ، وأنه مذهب الكوفيين ، وأنه لم يثبت بدليل .

والثالث : أنه منصوب بإضمار " أن " في جواب النهي ، وهذا مذهب الأخفش ، وجوزه ابن عطية والزمخشري ، ومكي ، وأبو البقاء ، قال أبو حيان : " وأما إعراب الأخفش ، وتجويز الزمخشري ذلك هنا ، فتلك مسألة : " لا تأكل السمك ، وتشرب اللبن " قال النحويون : إذا نصب ، كان الكلام نهيا عن الجمع بينهما ، وهذا المعنى : لا يصح في الآية لوجهين :

أحدهما : أن النهي عن الجمع لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على انفراده ، والنهي عن كل واحد منهما يستلزم النهي عن الجمع بينهما ؛ لأن الجمع بينهما حصول كل واحد منهما ، وكل واحد منهما منهي عنه ضرورة ؛ إلا ترى أن أكل المال بالباطل حرام سواء أفرد أم جمع مغ غيره من المحرمات ؟

والثاني – وهو أقوى – : أن قوله " لتأكلوا " علة لما قبلها ، فلو كان النهي عن الجمع ، لم تيصح العلة له ؛ لأنه مركب من شيئين ، لا تصح العلة أن تترتب على وجودهما ، بل إنما تترتب على وجود أحدهما : وهو الإدلاء بالأموال إلى الحكام " .

والإدلاء مأخوذ من إدلاء الدلو ، وهو إرساله إلى البئر ؛ للاستقاء ؛ يقال : " أدلى دلوه " إذا أرسلها ، ودلاها : إذا أخرجها ، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء ؛ ومنه يقال للمحتج أدلى بحجته ، كأنه يرسلها ، ليصل إلى مراده ؛ كإدلاء المستقي الدلو ؛ ليصل إلى مطلوبه من الماء ، وفلان يدلي إلى الميت بقرابة ، أو رحم ؛ إذا كان منتسبا ، فيطلب الميراث بتلك النسبة .

و " بها " متعلق ب " تدلوا " وفي الباء قولان :

أحدهما : أنها للتعدية ، أي لترسلوا بها إلى الحكام .

والثاني : أنها للسبب ؛ بمعنى أن المراد بالإدلاء الإسراع بالخصومة في الأموال ؛ إم لعدم بينة عليها ، أو بكونها أمانة ؛ كمال الأيتام ، والضمير في " بها " : الظاهر أنه للأموال : وقيل : إنه لشهادة الزور ؛ **لدلالة السياق** عليها ، وليس بشيء .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١/٥٦١

و " من أموال " في محل نصب صفة ل " فريقا " أي : فريقا كائنا من أموال الناس .

قوله : " بالإثم " تحتمل هذه الباء : أن تكون للسبب ، فتتعلق بقوله : " لتأكلوا " وأن تكون للمصاحبة ، فتكون حالا من الفاعل في " لتأكلوا وتتعلق بمحذوف أي : لتأكلوا ملتبسين بالإثم .." (١)

"" " صفحة رقم ٣٤٤ " "

قوله : " ولا تقاتلوهم " قرأ الجمهور الأفعال الثلاثة : " ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم ، فإن قاتلوكم " بالألف من القتال ، وقرأها حمزة ، والكسائي من غير ألف من القتل وهو المصحف بغير ألف ، وإنما كتبت كذلك ؛ للإيجاز ؛ كما كتبوا الرحمن بغير ألف ، وما أشبه ذلك من حروف المد واللين . فأما قراءة الجمهور فواضحة ؛ لأنها نهي عن مقدمات القتل ؛ فدلالتها على النهي عن القتل بطريق الأولى ، وأما قراءة الأخوين ، ففيها تأويلان :

أحدهما : أن يكون المجاز في الفعل ، أي : ولا تقتلوا بعضهم ؛ حتى يقتلوا بعضكم ؛ ومن) قاتل معه ربيون ([آل عمران : ١٤٦] ثم قال " فما وهنوا " أي ما وهن من بقي منهم ، وقال الشاعر : [المتقارب]

٩٧٠ - فإن تقتلونا نقتلكم

وإن تقصدوا لدم نقصد

أي : فإن تقتلوا بعضنا . يروى أن الأعمش قال لحمزة ، أرأيت قراءتك ، إذا صار الرجل مقتولا ، فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره ؟

قال حمزة : إن العرب ، إذا قتل منهم رجل قالوا : قتلنا ، وإذا ضرب منهم رجل ، قالوا ضربنا وأجمعوا على " فاقتلوهم " أنه من القتل ، وفيه بشارة بأنهم ، إذا فعلوا ذلك ، فإنهم متمكنون منهم بحيث إنكم أمرتم بقتلهم ، لا بقتالهم ؛ لنصرتكم عليهم ، وخذلانهم ؛ وهي تؤيد قراءة الأخوين ، ويؤيد قراءة الجمهور : (وقاتلوا في سبيل الله) .

و " عند " منصوب بالفعل قبله ، و " حتى " متعلقة به أيضا غاية له ، بمعنى " إلى " والفعل بعدها منصوب بإضمار " أن " والضمير في " فيه " يعود على " عند " إذ ضمير الظرف لا يتعدى غليه الفعل إلا ب " في " ؛ لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها ، وأصل الظرف على إضمار " في " اللهم إلا أن يتوسع في الظرف ، فيتعدى الفعل إلى ضميره من غير " في " ولا يقال : " الظرف غير المتصرف لا يتوسع فيه " ، فيتعدى إليه الفعل ، فضميره بطريق الأولى ؛ لأن ضمير الظرف ليس حكمه حكم ظاهره ؛ ألا ترى أن ضميره يجر ب " في " وإن كان ظاهره لا يجوز ذلك فيه ، ولا بد من حذف في قوله : (فإن قاتلوكم ف اقتلوهم (أي : فإن قاتلوكم فيه ، فاقتلوهم فيه ، فحذف **لدلالة السياق** عليه .." (٢)

"" " صفحة رقم ٥٢٢ " "

فإن قيل : إنه تعالى ذكر " الوالدين " ثم عطف عليه " الأقربين " والعاطف يقتضي المغايرة ، وذلك يدل على أن الوالدين لا يدخلون في مسمى الأقربين ، فهو خلاف الإجماع ؛ لأنه لو وقف على " الأقربين " حمل فيه الوالدين بغير خلاف .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣/٣٢٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٣/٣٤٤

فالجواب : أن هذا من عطف العام على الخاص ؛ كقوله تعالى : (ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم ([الحجر : ٨٧] فعطف القرآن على السبع المثاني ، وهي من القرآن ، وقال – عليه السلام – " أفضل ما قلت انا والنبيون من قبلي . . . " فعطف " النبيين " على قوله : " أنا " وهو من النبيين ، وذلك شائع في لسان العرب ، ثم ذكر بعدهم اليتامى ؛ لأنهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب ، وليس لهم أحد يكتسب لهم ، فالطفل اليتيم : قد عدم الكسب ، والمكاسب ، وأشرف على الضياع ، ثم ذكر بعدهم المساكين ؛ لأن حاجتهم أقل من حاجة اليتامى ؛ لأن قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى ، ثم ذكر ابن السبيل بعدهم ؛ لأنه بسبب انقطاعه عن بلده ، قد يحتاج ، ويفتقر ، فهذا أصح تركيب وأحسن ترتيب في كيفية الإنفاق ، ثم لما فصل هذا التفصيل الحسن الكامل ، أردفه بالإجمال ، فقال : " وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم " والعليم مبالغة في كونه عالما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض ، ولا في السماء .

و " ما " هذه شرطية فقط ؛ لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى . وقرأ علي رضي الله عنه : " وما يفعلوا " بالياء على الغيبية ، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب ، وأن يكون من الإضمار **لدلالة السياق** عليه ، أي : وما يفعل الناس .

و " ما " هذه شرطية فقطح لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى . وقرأ علي رضي الله عنه : " وما يفعلوا " بالياء على الغيبة ، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب ، وأن يكون من الإضمار **لدلالة السياق** عليه ، أي : وما يفعل الناس .

فصل في المراد بالخير

قال أكثر العلماء : المراد ب " الخير " هو المال ؛ لقوله تعالى : (وإنه لحب الخير لشديد ([العاديات : ٨] ، وقال : (إن ترك خيرا الوصية ([البقرة : ١٨] .

وقيل : المراد بالخير هذا الإنفاق ، وسائر وجوه البر ، والطاعة .

فصل هل الآية منسوخة أم لا ؟

قال بعضهم : هذه الآية منسوخة بآية المواريث .

وقال أهل التفسير : إنها منسوخة بالزكاة .." (١)

"" " صفحة رقم ٢٣٧ " "

٦٩ – أولئك إخوان] الذين عرفتهم

وأخدانك اللاءات زين بالكتم

برفع اللاءات .

قال ابن الأنباري : العرب تقول في الجمع من غير الحيوان ، التي ، ومن الحيوان : اللاتي ، كقوله : (أموالكم التي جعل الله لكم قياما ([النساء : ٥] .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٢٢/٣

وقال في هذه الآية : اللاتي ، واللائي ، والفرق هو أن الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد وأما جمع الحيوان ليس كذلك بل كل واحدة منهما غير متميزة عن غيرها بخواص وصفات فافترقا ، ومن العرب من يسوي بين البابين ، فيقول : كما فعلت الهندات التي من أرمها كذا ، وما فعلت الأثواب التي من قصتهن كذا ، والأول هو المختار وفي محل " اللاتي " قولان :

أحدهما : الجملة من قوله : (ف استشهدوا عليهن (وجاز دخول الفاء زائدة في الخبر ، وإن لم يجز زيادتها في نحو : " زيد فاضرب " على رأي الجمهور ؛ لأن المبتدأ أشبه الشرك في كونه موصولا عاما صلته فعل مستقبل ، والخبر مستحق بالصلة .

الوجه الثاني : أن الخبر محذوف ، والتقدير : " فيما يتلى عليكم حكم اللاتي " فحذف الخبر والمضاف إلى المبتدأ للدلالة عليهما ، وأقيم المضاف إلى مقامه ، وهذا نظير ما فعله سيبويه في نحو : (الزانية والزاني ف اجلدوا ([النور : ٢]) والسارق والسارقة ف اقطعو ا ([المائدة : ٣٨] ، أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية ، ويكون قوله : " فاستشهدوا عليهن " " فاجلدوا " دالا على ذلك الحكم المحذوف لأنه بيان له .

والقول الثاني : أنه منصوب بفعل مقدر **لدلالة السياق** عليه لا على جهة الاشتغال لما نذكره ، والتقدير : اقصدوا اللاتي يأتين ، أو تعمدوا ولا يجوز أن ينتصب بفعل مضمر يفسره قوله : " فاستشهدوا " فتكون المسألة من باب الاشتغال ؛ لأن هذا الموصول أشبه اسم الشرط ، كما تقدم تقديره ، واسم الشرط ولا يجوز أن ينتصب على الاشتغال ، لأنه لا يعمل فيه ما قبله فلو نصبناه بفعل فقد لزم أن يعمل فه ما قبله هذا ماق اله بعضهم ، ويقرب منه ماق اله أبو البقاء فإنه قال : وإذا كان كذلك ، أي : كونه في حكم الشرط لم يحسن النصب ، لأن تقدير الفعل قبل أداء الشرط لا يجوز وتقديره بعد الصلة يحتاج إلى إضمار فعل غير قوله " فاستشهدوا " ؛ لأن " استشهدوا " لا يصح أن يعمل النصب في " اللاتي " ، وفي عبارته مناقشة يطول ذكرها .." (١)

"" " صفحة رقم ٥٧ " "

قوله : " كل الميل " : نصب على المصدرية ، وقد تقرر أن " كل " بحسب ما تضاف إليه ، إن أضيفت إلى مصدر - كانت مصدرا - أو ظرف ، أو غيره ؛ فكذلك .

قوله : " فتذروها " فيه وجهان :

أحدهما : أنه منصوب بإضمار " أن " في جواب النهي .

والثاني : أنه مجزوم عطفا على الفعل قبله ، أي : فلا تذروها ، ففي الأول نهي عن الجمع بينهما ، وفي الثاني نهي عن كل على حدته وهو أبلغ ، والضمير في " تذروها " يعود على المميل عنها ؛ **لدلالة السياق** عليها .

قوله : " كالمعلقة " : حال من " ها " في " تذروها " فيتعلق بمحذوف ، أي : فتذروها مشبهة المعلقة ، ويجوز عندي : أن يكون مفعولا ثانيا ؛ لأن قولك : " تذر " بمعنى : تترك ، و " ترك " يتعدى لاثنين إذا كان بمعنى : صير .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٦/٢٣٧

والمعنى : لا تتبعوا هواكم ، فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيما ، ولا ذات بعل ؛ كما أن الشيء المعلق لا [يكون] على الأرض ، ولا على السماء ، وفي قراءة أبي : " فتذروها كالمسجونة " ، وفي الحديث : " من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما ، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل " . قوله : " وإن تصلحوا " بالعدل في القسم ، و " تتقوا " : الجور) فإن الله كان غفورا رحيما (لما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون بعض .

وقيل المعنى : وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم ، وتتداركوه بالتوبة ، وتتقوا في." (١)

"" " صفحة رقم ٢٧٣ " "

وعن الثاني : أنه - عليه الصلاة والسلام - لو كان مأمورا بأن يستدل بالدليل الذي استدل به الأنبياء المتقدمون لم يكن ذلك متابعة ؛ لأن المسلمين لما استدلوا بحدوث العالم على وجود الصانع لايقال : إنهم متبعون لليهود والنصارى في هذا الباب ؛ لأن المستدل بالدليل يكون أصلا في ذلك الحكم ، ولا تعل له بمن قبله ألبتة ، والاقتداء والاتباع لا يحصل إلا إذا كان فعل الأول سببا لوجوب الفعل عن الثاني .

وعن الثالث : أنه أمر الرسول بالاقتداء بجميعهم في جميع الصفات الحميدة ، والأخلاق الشريفة ، وذلك لا يوجب كونه أقل مرتبة من الكل على ما يأتي في الفصل الذي بعده .

فصل في أفضلية نبينا محمد (صلى الله عليه وسلم)

احتج العملاء بهذه الآية على أن الرسول (صلى الله عليه وسلم) أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ف " داود " و " سليمان "كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، و " أيوب "كان من أصحاب الصبر على البلاء ، و " يوسف "كان جامعا لهاتين الحالتين ، و " موسى " عليه الصلاة والسلام كان صاحب الشرعية القوية القاهرة ، والمعجزات الظاهرة و " زكريا " و " يحيى " و " عيسى " و " إلياس "كانوا أصحاب الزهد ، و " إسماعيل "كان صاحب الصدق و " يونس "كان صاحب التضرع . وثبت أنه - تعالى - إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء ؛ لأن الغالب عليه خصلة معينة من خصال المدح والشرف ، ثم إنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدا - عليه الصلاة والسلام - بأن يقتدي بهم بأسرهم ، فكان التقدير كأنه - تعالى - أمر محمدا أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت متفرقة فيهم بأجمعهم ، ولما أمره الله - تبارك وتعالى - بذلك امتنع أن يقال : إنه قصر في تحصيلهم ، فثبت أنه حصلها ، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال : إنه أفضلهم بكليتهم .

قوله : (قل لا أسألكم عليه أجرا (لما أمره الاقتداء بهدى الأنبياء المتقدمين ، وكان من جملة هدايتهم ترك طلب الأجر في إيصال الدين ، وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم في ذلك فقال : " قل لا أسألكم عليه أجرا " [و " الهاء " في " عليه "] تعود على القرآن والتبليغ أضمرا وإن لم يجر لهما ذكر **لدلالة السياق** عليهما ، و " أن " نافية ولا عمل لها على المشهور ، ولو كانت عاملة لبطل عملها ب " إلا " في قوله : " إن هو إلا ذكرى " أن يذكره ويعظه . " وللعالمين " متعلق ب "

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٥٧/٧

ذكرى " و " اللام " معدية أي : إن القرآن العظيم إلا تذكير للعالمين ، ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف على أنها صفة للذكرى ، وهذه الآية تدل على أنه (صلى الله عليه وسلم) مبعوث إلى كل أهل الدنيا لا إلى قوم دون قوم .." (١)

"" " صفحة رقم ٣٥٨ " "

حفظتها قال الواحدي : وهذا القول قريب مما قال الأصمعي ، بل هو نفسه لأن المعنى يعود إلى التذليل والتليين .

وقرئ هذا الحرف في الشاذ عشر قراءات أخر فاجتمع فيه ثلاثة عشرة قراءة ؛ فقرا ابن عباس بخلاف عنه ، وزيد بن علي ، والحسن البصري ، وقتادة " درست " فعلا ماضيا مبنيا للمفعول مسندا لضمير الإناث ، وفسرها ابن جني والزمخشري بمعنيين في أحدهما إشكال .

قال أبو الفتح : " يحتمل أن يراد عفت أو بليت " .

وقال أبو القاسم : " بمعنى قرئت أو عفيت " .

قال أبو حيان : " أما معنى قرئت وبليت فظاهر لأن درس بمعنى كرر القراءة متعد ، وأما " درس " بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعديا ، ولا وجدنا فيمن وقفنا على شعره [من العرب] إلا لازما " .

قال شهاب الدين : لا يحتاج هذا إلى استقراء ، فغن معناه لا يحتمل أن يكون متعديا ؛ إذ حديه لا يتعدى فاعله ، فهو ك " قام " و " قعد " فكما أنا لا نحتاج في معرفة قصور " قام " و " قعد " إلى استقراء ، بل نعرفه بالمعنى ، فكذا هذا .

وقرئ " درست " فعلا ماضيا مسددا مبينا للفاعل المخاطب ، فيحتمل أن يكون للتكثير ، أي : درست الكتب الكثيرة ك " ذبحت الغنم " ، و " قطعت الأثواب " وأن تكون للتعدية ، والمفعولان محذوفان ، أي : درست غيرك الكتاب ، ولي بظاهر ؛ إذ التفسير على خلافه .

وقرئ درست كالذي قبله إلا أنه مبني للمفعول ، أي : درسك غيرك الكتب ، فالتضعيف للتعدية لا غير . وقرئ " دورست " مسندا لتاء المخاطب من " دارس " ك " قاتل " إلا أنه بني للمفعول ، فقلبت ألفه واوا ، والمعنى : دارسك غيرك .

وقرئ " دارست " بتاء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل ، وفي فاعله احتمالان :

أحدهما : أنه ضمير الجماعة أضمرت ، وإن لم يجر لها ذكر **لدلالة السياق** عليها أي : دراستك الجماعة يشيرون لأبي فكيهة ، وسلمان ، وقد تقدم ذلك في قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو رحمها الله تعالى .

والثاني : ضمير الإناث على سبيل المبالغة ، أي : إن الآيات نفسها دارستك ، وإن كان المراد أهلها .." (٢)

"" " صفحة رقم ٣٥٩ " "

وقرئ " درست " بفتح الدال ، وضم الراء مسندا إلى ضمير الإناث ، وهو مبالغة في " درست " بمعنى : بليت وقدمت وانمحت ، أي : اشتد دروسها وبلاها .

وقرأ أبي " درس " وفاعله ضمير النبي (صلى الله عليه وسلم) ، أو ضمير الكتاب بمعنى قرأه النبي ، وتلاه ، وكرر عليه ،

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢٧٣/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٣٥٨/٨

أو بمعنى بلي الكتاب وامحى ، وهكذا في مصحف عبد الله " درس " .

وقرأ الحسن في رواية " درسن " فعلا ماضيا مسندا لنون الإناث هي ضمير الآياتن وكذا هي في بعض مصاحف ابن مسعود .

وقرئ " درسن " كالذي قبله إلا أنه بالتشديد بمعنى اشتد دروسها وبلاها ، كما تقدم .

وقرئ " دارسات " دمع " دارسة " ؛ بمعنى : قديمات ، أو بمعنى ذات دروس ، نحو : (فهو في عيشة راضية ([الحاقة : ٢١] و) خلق من مآء دافق ([الطارق : ٦] وارتفاعها على خبر ابتداء مضمر ، أي : هن دارسات ، والجملة في محل نصب بالقول قبلها .

قوله : " ولنبينه " تقدم أن هذا عطف على ما قبله ؛ فحكمه حكمه ، وفي الضمير المنصوب أربعة احتمالات :

أحدها أنه يعود على الآيات ، وجاز ذلك وإن كانت مؤنثة ؛ لأنها بمعنى : القرآن .

الثاني : أنه يعود على الكتاب ، **لدلالة السياق** عليه ، ويقوي هذا : أنه فاعل ب " درس " في قراءة من قرأه كذلك .

الثالث : أنه يعود على المصدر المفهوم من نصرف ، أي : نبين التصريف .

الرابع : أنه يعود على المصدر المفهوم من " لنبينه " أي : نبين التبين ، نحو : " ضربته زيدا " أي : " ضربت الضرب زيدا " ، و " لقوم " معلق بالفعل قبله ، و " يعلمون " :

في محل جر صفة للنكرة قبلها .

قال ابن عباس – ضي الله عنهما – يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد .

وقيل : نصرف الآيات ليشقى بها قوم ، ويسعد بها آخرون ؛ فمن قال : " درست " فهو شقي ، ومن تبين له الحق ، فهو سعيد .

(٧ اتبع مآ أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين ولو شآء الله مآ أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا ومآ أنت عليهم بوكيل (

لما حكى عن المشركين أنهم ينسبونه في إظهار هذا القرآن العظيم إلى الافتراء ، وإلى مدارسة من يستفيد هذه العلوم منهم ، ثم ينظمها قرآنا ، ويدعي أنه نزل عليه من." (١)

"" " صفحة رقم ٣٦ " "

قال ابن عباس : كان في عدن ، لا في جنة الخلد .

وقيل : تعود على السماء ، لأنه روي عن ابن عباس : " أنه وسوس إليهما وهو في السماء " ، ولأن الهبوط إنما يكون من ارتفاع .

وقيل : يعود على الأرض ، أمر أن يخرج منها إلى جزائر البحار ولا يدخل في الأرض إلا كالسارق .

وقيل : يعود على الرتبة المنيفة ، والمنزلة الرفيعة .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٥٩/٨

وقيل : يعود على الصورة والهيئة التي كان عليها ؛ لأنه كان مشرق الوجه فعاد مظلما .

قوله : " فاخرج " تأكيد ل " اهبط " إذ هو بمعناه .

وقوله : " فيها " لا مفعوم له يعني : أنه لا يتوهم أنه يجوز أن يتكبر في غيرها ولما اعتبر بعضهم ؛ احتاج إلى تقدير حذف معطوف كقوله : (تقيكم الحر) [النحل : ٨١] قال : والتقدير : " فما يكون لك أن تتكبر فيها ، ولا في غيرها إنك من الصاغرين ، الأذلاء ، والصغار الذل والإهانة " .

(قال أنظرني إلى يوم يبعثون قال إنك من المنظرين قال فبمآ أغويتني لأقعدن لهم صراطك المستقيم)

قوله : (قال أنظرني إلى يوم يبعثون) أي : أخرني ، وأمهلني فلا تميتني إلى يوم يبعثون من قبورهم ، وهي النفخة الأخيرة عند قيام الساعة .

والضمير في " يبعثون يعود على بني آدم **لدلالة السياق** عليهم ، كما دل على ما عاد عليه الضميران في " منها " وفيها كما تقدم .

قوله : ف) إنك من المنظرين (قال بعض العلماء ، إنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى ؛ لأنه تعالى قال في آية أخرى : (قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم) [الحجر : ٣٧ ، ٣٨] ، المراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحياء كلهم .

وقال آخرون : لم يوقت الله تعالى له أجلا بل قال : (إنك من المنظرين) وقوله في الآية الأخرى) إلى يوم الوقت المعلوم (المراد منه الوقت المعلوم في علم الله تعالى .

قالوا : والدليل على صحته : أن إبليس كان مكلفا ، والمكلف لا يجوز أن يعلم أن الله تعالى أخر أجله إلى الوقت الفلانين لأن ذلك المكلف يعلم أنه متى تاب قبلت توبته ، وإذا علم أن وقت موته هو الوقت الفلاني أقدم على المعصية بقلب فارغ ، فإذا قرب وقت أجله ؛ تاب عن تلك المعاصي ، فثبت أن تعريف وقت الموت بعينه يجري." [١]

""" صفحة رقم ٢٠١ """

والباقون بهمزتين استفهاما ، وقد تقدم قراءتهم في هاتين الهمزتين تخفيفا ، وتسهيلا وغير ذلك ، فأما قراءة ابن كثير ، فيحتمل أن تكون خبرا محضا واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أن القائل واحد .

وقد أجيب عن ذلك بأن بعضهم قاله استفهاما ، وبعضهم قاله خبرا ، ويحتمل أن يكون استفهاما حذف منه الأداة **لدلالة السياق** ، والقراءة الأخرى عليه ، وقد تقدم نحو هذا في الإعراب .

وقرأ أبي (أوأنت يوسف) فمن قرأ بالاستفهما قالوا : إن يوسف لما قال لهم : (هل علمتم ما فعلتم (تبينوا يوسف ، فأبصروا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم .

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤن فشبهوه بيوسف ، ولم يعرفوه ، فقالوا استفهاما : (أإنك لأنت يوسف (ويدل على أنه استفهام قوله : " أنا يوسف " ، وإنما أجابهم عما استفهموا عنه ، ومن قرأ على الخبر فحجته ما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : إن أخوة يوسف لم يعرفوه حتى

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٣٦/٩

وضع التاج عن رأسه ، كان في قرنه شامة وكان لإسحاق ، ويعقوب مثلها تشبه التاج عرفوه بتلك العلامة . وقال ابن إسحاقك " كان يتكلم من وراء ستر ، فلما قال : (هل علمتم ما فعلتم بيوسف (رفع الحجاب فعرفوه " وقيل : قالوه على التوهم .

" واللام في : " لأنت " لام الابتداء ، و " أنت " مبتدأ ، و " يوسف " خبره والجملة خبر " إن " ويجوز أن تكون " أنت " فصلا ، ولا يجوز أن يكن تأكيدا لاسم " إن " لأن هذه اللام لا تدخل على التوكيد " .

وقرأ أبي : (أئنك أو أنت يوسف) وفيها وجهان :

أحدهما : قال أبوا الفتح : إن الأصل : أئنك لغير يوسف ، أو أنت يوسف فحذف خبر " إن " لدلالة المعنى عليه .

والثاني : ما قاله الزمخشري : المعنى : أئنك يوسف ، أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالته ، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع ، فهو يكرر الاستثبات فقال : (أنا يوسف وه اذا أخي (وإنما صرح بالاسم تعظيما لما نزل به من ظلم إخوته ، وما عوضه الله من الظفر والنصر ، فكأنه قال : أنا الذي ظلمتموني على أعظم الوجوه ، والله أوصلني إلى أعظم المناصب ، أنا ذلك العاجز الذي قصدتم قتله ، وإلقاءه في الجب ، ثم صرت كما ترون ، ولهذا قال : " وهذا أخي " مع أنهم كانوا يعرفونه ؛ لأن مقصوده أن يقول : وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت ، ثم إنه صار منعما عليه من قبل الله كما ترون .) قد من الله." (١)

"" " صفحة رقم ٤٥١ " "

وأصل الزكاة النمو والزيادة .

وقيل : أرخص طعاما) فليأتكم برزق منه (أي : قوت وطعام تأكلونه .

قوله : " وليتلطف " قرأ العامة بسكون لام الأمر ، والحسن بكسرها على الأصل ، [وقتيبة الميال] " وليتلطف " مبنيا للمفعول ، وأبو جعفر وأبو صالح ، وقتيبة " ولا يشعرن " بفتح الياء وضم العين .

فإن قيل : " بكم " " أحد " فاعل به .

فالجواب : معنى " وليتلطف " أي : يكون في سترة ، وكتمان في دخول المدينة ، قاله الزمخشري ، ويجوز أن يعود على قومهم ؛ **لدلالة السياق** عليهم .

وقرأ زيد بن علي " يظهروا " مبنيا للمفعول .

فصل

) يظهروا عليكم (، أي : يطلعوا عليكم ، ويعلموا مكانكم .

وقيل : أو يشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم : ظهرت على فلان ، إذا علوته ، وظهرت على السطح ، إذا صرت فوقه ، ومنه قوله تعالى : (فأصبحوا ظاهرين ([الصف : ١٤] أي عالين .

وقوله : (ليظهره على لدين كله ([التوبة : ٣٣] أي : ليعليه .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٢٠١/١١

قوله : (يرجموكم) .

قال ابن جريج : يشتموكم ، ويؤذوكم بالقول ، وقيل : يقتلوكم بالحجارة ، والرجم بمعنى القتل كثير .

قال تعالى : (ولولا رهطك لرجمناك ([هود : ٩١] وقوله : (أن ترجمون ([الدخان : ٢٠] والرجم أخبث القتل ، قاله الزجاج .

) أو يعيدوكم في ملتهم (أي يردوكم إلى دينهم .

قوله : (ولن تفلحو ا إذا أبدا (أي إن رجعتم إلى دينهم ، لم تسعدوا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، ف " إذا " جواب وجزاء ، أي : إن يظهروا ، فلن تفلحوا .

وقال الزجاج : لن تفلحوا ، إذا رجعتم إلى ملتهم أبدا ، فإن قيل : أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر ، حتى أظهروا الكفر ، لم يكن عليهم مضرة ، فكيف قالوا : (ولن تفلحو ا إذا أبدا (؟ .." (١)

"" " صفحة رقم ٤٢٧ " "

(س / ٤ ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا لظلوا من بعده يكفرون فإنك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعآء إذا ولوا مدبرين ومآ أنت بهاد العمي عن ضلالتهم إن تسمع إلا من يؤمن بآياتنا فهم مسلمون الله الذي خلقكم من ضعف ثم جعل من بعد ضعف قوة ثم جعل من بعد قوة ضعفا وشيبة يخلق ما يشآء وهو العليم القدير (

قوله : (ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا (لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون منيبين آيسين ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريح مفسد لكفروا فهم متقلبون غير تأمين نظرهم إلى الحالة لا إلى المآل .

فصل

سمى النافعة رياحا ، والضارة ريحا لوجوه :

أحدها : أن النافعة كثيرة ألنواع كبيرة الأفراد ، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تهب) نفحات من الرياح النافعة ، (و) لا تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور .

الثاني : أن النافعة لا تكون إلا رياحا وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السموم .

الثالث : جاء في الحديث " أن ريحا هبت فقال عليه (الصلاة و) السلام : " اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا " إشارة إلى قوله تعالى : (يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته ([الأعراف : ٥٧] وقوله : (يرسل الرياح مبشرات ([الروم : ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى : ف) أرسلنا عليهم الريح العقيم ([الذاريات : ٤١] وقوله : (ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس ([القمر : ١٩ ، ٢٠] .

فصل

معنى الآية ولئن أرسلنا ريحا أي مضرة أفسدت الزرع فرأوه مصفرا بعد الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤٥١/١٢

يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب ، ولو أرسلت عذابا على زرعهم (جحدوا) سالف نعمتي .
قوله : " فرأوه " أي فرأوا النبات **لدلالة السياق** عليه أو على الأثر ، لأن الرحمة هي." (١)
"" " صفحة رقم ٢٠٠ " "
والسلام في درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقالك " إن كانت إلا صيحة واحدة " .
قوله : (إن كانت إلا صيحة (العامة على النصب على أن "كان " ناقصة واسمها ضمير الأخذ **لدلالة السياق** عليها و " صيحة " خبرها وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ القارئ برفعها على أنها التامة أي إن وقع وحدث وكان ينبغي أن لا يلحق تاء التأنيث للفصل " بإلا " بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء نحو : ما قام إلا هند وقد شذ الحسن وجماعة فقرأوا : (لا يرى إلا مساكنهم ([الأحقاف : ٢٥] كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله :
٤١٧٥ - . . . .
وما بقيت إلا الضلوع الجراشع
وقوله :
٤١٧٦ - ما برئت من ريبة وذم
في حربنا إلا بنات العم
قال الزمخشري : أصله إن كان شيء إلا صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أنث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله : " واحدة " تأكيد لكون الأمر هينا عنده وقوله : (فإذا هم خامدون (إشارة إلى سرعة الهلاك فإن خمودهم كان من الصيحة في وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لأن الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم وهم كانوا كذلك أما الغضب .." (٢)
"" " صفحة رقم ٤١٥ " "
الثاني : أن " حب " مصدر على حذف الزوائدة ولاناصب له " أحببت " . الثالث : أنه مصدر تشبيهي أي حبا مثل حب الخير .
الرابع : أنه قيل : ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن .
الخامس : أن أحببت بمعنى لزمت .
قال ابن الخطيب : إن الإنسان قد يحب (شيئا ولكنه يحب أن) لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في مرضه فأما من أحب شيئا وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة ، فقوله : (أحببت حب الخير (أي أحببت حبير للخير .
السادس : أن أحببت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الإعياء ، والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون " حب الخير " على هذا مفعولا من أجله ، والمراد بقوله : (عن ذكر ربي (قيل : عن صلاة العصر ، وقيل : عن كتاب ربي وهو التوراة ، لأن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٤٢٧/١٥
(٢) اللباب في علوم الكتاب، ٢٠٠/١٦

إرتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح وقوله) ذكر ربي (يجوز أن يكون مضافا للمفعول أي عن أن أذكر ربي ، وأن يكون مضافا للفاعل أي عن ذكر بي ربي والمراد بالخير : الخيل والعرب تعاقبت بين الراء واللام (تقول) : ختلت الرجل وخترته أي خدعته ، وسميت الخيل (خيرا) لأنه معقود بواصيها الخير الأجر والمغنم .

قوله : (حتى توارت (في الفاعل وجهان :

أحدهما : هو : " الصافنات " ، والمعنى : حتى دخلت إصطبلاتها فتوارت وغابت .

والثاني : أنه : " الشمس " أضمرت **لدلالة السياق** عليها ، وقيل : لدلالة " العشي " ." [١]

"" " صفحة رقم ٣٥٥ " "

قال ابن الخطيب : وإنما قالوا بالنسخ ، لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما أمروا بالمقاتلة كان نسخا . والأقرب أن يقال : إنه محمول على ترك المنازعة ، وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وقوله : (لا يرجون أيام الله (قال ابن عباس : لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية وتقدير تفسير " أيام الله " عند قوله : (وذكرهم بأيام الله ([إبراهيم : ٥] .

قوله : (ليجزي قوما (قرأ ابن عامر والأخوان : لنجزي بنون العظمة ، أي لنجزي نحن . وباقي السبعة ليجزي بالياء من تحت مبنيا للفاعل ؛ أي ليجزي الله . وأبو جعفر بخلاف عنه وشبية وعاصم في رواية كذلك إلا أنه مبني للمفعول هذا مع نصب " قوما " . وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه :

أحدها : ضمير المفعول الثاني ، عاد الضمير عليه **لدلالة السياق** تقديره : ليجزي هو أي الخير قوما والمفعول الثاني من باب أعطى ، بقوم مقام الفاعل بلا خلاف ، ونظيرهن : الدرهم أعطي زيدا .

الثاني : أن القائم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل ، أي ليجزى الجزاء . وفيه نظر لأنه لا يترك المفعول به ، ويقام المصدر ، لا سيما مع عدم التصريح به .

الثالث : أن القائم مقامه الجار والمجرور ، وفيه حجة للأخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده وأنشدوا :

٤٤٤١ . . . .

لسب بذلك الجرو الكلابا." [٢]

"" " صفحة رقم ٤٩٨ " "

إذا الحروب أقبلت تلهب

فقال علي رضي الله عنه :

٤٤٩٤ أنا الذي سمتني أمي حيدره

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٦/٤١٥

(٢) اللباب في علوم الكتاب، ١٧/٣٥٥

كليث غابات كريه المنظره

أكيلكم بالصاع كيل السندره

قال : فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه .

(ومعنى أكليكم بالسيف كيل السندرة أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا . والسندرة مكيال واسع . قيل يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل ، والقسي ، والسندرة أيضا العجلة ، والنون زائدة .

قال ابن الأثير : وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها) .

وروي فتح خيبر من طرق أخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض .

قوله : " وأخرى " يجوز فيها أوجه :

أحدها : أن تكون مرفوعة بالابتداء و) لم تقدروا عليها (صفتها و) قد أحاط الله بها (خبرها .

الثاني : أن الخبر " منهم " محذوف مقدر قبلها ، أي وثم أخرى لم تقدروا عليها .

الثالث : أن تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير ، فتقدر بالفعل من معنى المتأخر وهو) قد أحاط الله بها (أي وقضى الله أخرى .

(الرابع : أن تكمون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير ، بل **لدلالة السياق** ، أي ووعد أخرى ، أو وآتاكم أخرى .

الخامس : أن تكون مجرورة ب " رب " مقدرة ، ويكون الواو واو " رب " ذكره." [1]

"" " صفحة رقم ١٢٧ " "

تعالى : (وزوجناهم (إشارة إلى النعمة الرابعة ، وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه :

الأول : أنه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء .

الثاني : قال : " وزوجناهم بحور " ولم يقل : وزوجناهم حورا مع أن لفظ التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف ، تقول زوجتكها ، قال الله تعالى : (فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها ([الأحزاب : ٣٧] وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم ، وإنما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم .

الثالث : عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الأحسن من الأحسن ، فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه ، وأحسن ما في الوجه العين .

قوله : (والذين آمنوا (فيه ثلاثة أوجه :

أحدها : أنه مبتدأ ، والخبر الجملة من قوله : (ألحقنا بهم ذريتهم (، والذريات هنا يصدق على الآباء ، وعلى الأبناء ، أي أن المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا . وهو منقول عن ابن عباس وغيره .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٧/٤٩٨

الثاني : أنه منصوب بفعل مقدر ، قال أبو البقاء على تقدير : وأكرمنا الذين آمنوا .
قال شهاب الدين : فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال ، وأن قوله : (ألحقنا بهم ذريتهم (مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وأن يريد أنه مضمر **لدلالة السياق** عليه ، فلا تكون المسألة من الاشتغال في شيء .
الثالث : قال ابن الخطيب : إنه معطوف على : (إن المتقين في جنات (ثم قال : فإذا كان كذلك فلم أعاد لفظ " الذين آمنوا " وكان المقصود يحصل بقوله تعالى : (ألحقنا بهم ذريتهم (بعد قوله) وزوجناهم (كان يصير التقدير : وزوجناهم وألحقنا بهم ؟ نقول : فيه فائدة وهي أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فقال ههنا : الذين آمنوا بمجرد الإيمان يصير ولده من أهل الجنة ، ثم إن ارتكب الأب كبيرة أو صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد ، وربما يدخل الجنة الابن قبل الأب ، وقد ورد في الخبر أن الولد الصغير يشفع لأبيه ، وذلك إشارة إلى الجزاء .." (١)

"" " صفحة رقم ٦٠١ " "

فصل في معنى الآية

المعنى : لأنتم يا معشر المسلمين) أشد رهبة (أي خوفا وخشية في صدورهم من الله ، يعني صدور بني النضير .
وقيل : صدور المنافقين ، ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين ، أي : يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم ، " ذلك " إشارة إلى الخوف أي ذلك الخوف) بأنهم قوم لا يفقهون (قدر عظمة الله وقدرته حتى يخشوه حق خشيته .
قوله تعالى : (لا يقاتلونكم جميعا (يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين " إلا " إذا كانوا) في قرى محصنة (بالخنادق والدروب والحيطان [يظنون] أنها تمنعهم منكم ،) أو من ورآء جدر (أي : من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم .
قوله : " جميعا " حال ، و) إلا في قرى (متعلق ب " يقاتلونكم " . وقوله : " جدر " .
قرأ ابن كثير وأبو عمرو : " جدار " بالإفراد . وفيه أوجه :
أحدها : أنه السور ، والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم .
والثاني : أنه واحد في معنى الجمع **لدلالة السياق** عليه .
والثالث : أن كل فرقة منهم وراء جدار لا أنهم كلهم وراء جدار .
والباقون قرأوا : " جدر " – بضمتين – اعتبارا بأن كل فرقة وراء جدار ، فجمع لذلك .
وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن وثاب والأعمش ، ويروى عن ابن كثير وعاصم : بضمة وسكون ؛ وهي تخفيف الأولى ، وقرأ ابن كثير – أيضا – في رواية هارون عنه ، وهي قراءة كثير من المكيين : " جدر " بفتحة وسكون .

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٢٧/١٨

فقيل : هي لغة في الجدار .

وقال ابن عطية : معناه أصل بنيات كالسور ونحوه : قال : ويحتمل أن يكون من." [1]

"" صفحة رقم ٢٦٤ " "

وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه : بفتحها .

فالأولى على التقاء الساكنين ، ولا يجوز أن يكون مجرورا على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله ، كقولهم " الله لأفعلن " ، لوجهين :

أحدهما : أنه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها .

والثاني : أنه كان ينبغي أن ينون ، ولا يحسن أن يقال : هو ممنوع الصرف اعتبارا بتأنيث السورةن لأنه كان ينبغي ألا يظهر فيه الجر بالكسر ألبتة .

وأما الفتح ، فيحتمل ثلاثة أوجه :

أحدها : أن يكون بناء ، وأوثر على الأصل للخفة ك " أين وكيف " .

الثاني : أن يكون مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة ، وقد تقدم ذلك في قراءة " فالحق والحق " [ص : ٨٤] ، بجر " الحق " ، ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة .

والثالث : أن يكون منصوبا بفعل محذوف ، أي : ، اقرأوا نونا ثم ابتدأ قسما بقوله : " والقلم " أو يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم ؛ كقوله : [الوافر]

- . . . .

فذاك أمانة الله الثريد

ومنع الصرف لما تقدم ، وهذا أحسن لعطف العلم على محله .

قوله : (وما يسطرون) .

" ما " موصولة ، اسمية أو حرفية ، أي : والذي يسطرونه من الكتب ، وهم الكتاب والحفظة من الملائكة وسطرهم .

والضمير عائد على من يسطر **لدلالة السياق** عليه ولذكر الآلة المكتتب بها .

وقال الزمخشري يجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون لاضمير في " يسطرون " لهم .

يعني فيصير كقوله : (أو كظلمات في بحر لجي يغشاه ([النور : ٤٠] تقديره : أو كذي ظلمات فالضمير في " يغشاه " يعود على " ذي " المحذوف .

فصل في المراد بالقلم

في " القلم " المقسم به قولان :

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ٦٠١/١٨

أحدهما : أن المراد بهاالجنس ، وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض ، قال تعالى : (اقرأ وربك الأكرم الذى علم ب القلم علم الإنسان ما لم يعلم ([العلق : ٣ ، ٤ ، ٥] ، ." (١)

"وبنى من ﴿غدوت﴾ حالا إعلاما بأن الشروع في السبت شروع في مسببه فقال : ﴿تبوىء﴾ أي تنزل ﴿المؤمنين﴾ بالثبات في مركزه ، وأوعز إليه في أن لا يفعل شيئا إلا بأمره لا سيما الرماة ، ثم ذكر علة ذلك فقال : ﴿للقتال﴾ ولما كان التقدير : وتتقدم إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال والأفعال ، اشار تعالى إلى أنه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله : ﴿والله﴾ أي والحال أن الملك الأعظم الذي أنتم في طاعته ﴿سميع﴾ أي لأقوالكم ﴿عليم *﴾ أي بنياتكم في ذلك وغيره فاحذروه ، ولعله خص النبي صلى الله عليه وسلم بلذيذ الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الإشارة إليه على المراقبة تعريضا لهم بأنهم خفوا مع الذين ذكرهم أمر بعاث حتى تواثبوا حين تغاضبوا إلى السلاح - كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى : ﴿ياآيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾ [آل عمران : ١٠٠] ، فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، ويؤيد ذلك إقباله في الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليها - كما يأتي قريبا ، ولعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت أن واو عطفها دلت عليه مما أيديوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة أدل على البغضاء والعداوة من الحزن بما يسر ، ودل ذكرها على المحذوف لأن المدعي فيما قبلها شيئان : المساءة بالحسنة ، والفرح والمسرة بالمصيبة ، فإذا برهن المتكلم على الثاني عليم ولا بد أنه حذف برهان الأول ، وأنه إنما حذفه - وهو حكيم - لنكتة ، وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه **بدلالة السياق** مع واو العطف عليه ، وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا - كما ترى - بعد محكمة ستذكر ، وأطلق سبحانه وتعالى - كما عن الطبري وغيره - التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة فإن الكفار لما نزلوا يوم الأربعاء ثاني عشر

١٤٣

". (٢)

"ولما خيلوهم حتى أوقفوهم عما فهموا عنهم من المبادرة إلى المتابعة بادعاء أنه ساحر ؛ نفروهم من ذلك وخوفوهم بأنه يريد أن يحكم فيهم قومه الذين كانوا عبيدا لهم ويزوحهم من ديارهم التي هي لأشباحهم لأرواحهم بقوله : ﴿يريد أن يخرجوكم﴾ أي أيها القبط ﴿من أرضكم﴾ أي هذه التي أثلها لكم آباؤكم وبها قوامكم ؛ ولما كان السياق لبيان فسقهم ، أسقط قولهم في الموضع الاخر ﴿بسحره﴾ إفهاما لعجلتهم في إبرام الأمر في ضره إشارة إلى تغاليهم في الفسق بعلمهم أنه محق وليس بساحر ولما كان المقصود بهذا : فعلى أي شيء استقر رأيهم ؟ فقيل : على تاخير المر إلى حشر السحرة للمعارضة ، أخبر تعالى ، دلالة على أن أصل قول الملأ منه ، أنهم أقبلوا عليه مخاطبين له مفلتين من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين المر إليه بقوله : ﴿أرجه﴾ أي موسى عليه السلام ﴿وأخاه﴾ أي أخرهما تنفيسا لنا من هذا الخناق إلى وقت ما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب، ١٩/٢٦٤

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٢/٢٢٨

حتى ننظر في أمرهما ﴿وارسل في المدائن﴾ أي من ملك مصر ﴿حاشرين*﴾ يحشرون لك السحرة ويجمعونهم من كل فج عميق ، والحشر : الجمع بكره ﴿يأتوك بكل﴾ ولما كانت **دلالة السياق** على رغب فرعون أقل مما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما ، قرأ الجمهور : ﴿ساحر عليم*﴾ أي بالغ العلم في السحر ، وفي قرلءة حمزه والكسائي ﴿سحار﴾ زيادة مبالغة أيضا لما رأوا من قلق فرعون في الجملة ، وهذا يدل على أن

٨١

(١) ".

"العظم المرام ، فقال استعمالا للعدل ، مشيرا بنفي العلم إلى انتفاء العلوم : ﴿ما ليس لك به علم﴾ أصلا بأنه يستحق الشركة فإن من عبد ما لم يعلم استحقاقه للعبادة فهو كافر ﴿فلا تطعهما﴾ فإنه لا طاعة لمخلوق – وإن عظم – في معصية الخالق ، وهذا موجب لئلا يقع من أحد شرك اصلا ، فإنه لا ريب أصلا في أنه لا سبهة تقوم على أن غيره تعالى يستحق افلهية ، فكيف بدليل يوجب علما ، والمقصود من سياق الكلام إظهار النصفة والتنبيه على النصيحة ، ليكون أدعى إلى القبول ؛ ثم علل ذلك بقوله : ﴿إلي مرجعكم﴾ أى جميعا : من آمن ومن اشرك بالحشر يوم القيامة ؛ ثم سبب عنه قوله : ﴿فأنبئكم﴾ أي أخبركم إخبارا عظيما مستقصى بليغا ﴿بما كنتم﴾ أى برغبتكم ﴿تعملون*﴾ أى فقفوا عند حدودي ، واتركوا ما تزينه لكم شهواتكم ، واحذروا مجازاتي على قليل ذلك وكثيره ، عبر سبحانه بالسبب الذي هو الإنباء لأنه لا مثنوية فيه عن المسبب الذي هو الجزاء ، مطلقا للعبارة ، وتهديدا بليغا على وجه الإشارة ، وطوى ذكره لأنه قد يدخله العفو ، وهذه الآية نزلت في سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه ، اسلم وكان بارا بامه ، فحلفت : لا تأكل ولا تشرب حتى يرجع عن دينه أو تموت فيعير بها ويقال قاتل أمه ، فمكثت يومين بلياليهما فقال : ي أماه ، لو كنت لك مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما تركت ديني فكلي ، وإن شئت فلا تأكلي فلما أيست منه أكلت وشربت – وأصل القصة في الترميذي.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٥٣٧

ولما كان التقدير : فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه **لدلالة السياق** عليه ، عطف عليه زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين قوله : ﴿والذين آمنوا وعملوا﴾ في السراء والضراء ﴿الصالحات﴾.

(٢) ".

"جزء : ٦ رقم الصفحة : ٢٢٠

ولما كان أبلغ من ذلك أن تلك الطرق في أنفسها غير متساوية المواضع في ذلك اللون الذي تلونت به ، قال تعالى دالا

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٣/١٢٥

(٢) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٥/٨٧١

على أن كلا من هذين اللونين لم يبلغ الغاية في الخلوص : ﴿مختلف ألوانها﴾ وهي من الأرض وهي واحدة.

ولما قدم إلى الغبرة التي هي أصل لونها.

ولما كانت مادة ﴿غرب﴾ تدور على الخفاء الذي يلزمه الغموض أخذا من غروب الشمس ، ويلزم منه السواد ، ولذلك يؤكد الأسود بغريبب مبالغة الغرب كفرح أي الأسود للمبالغة في سواده ، وكان المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة لغيره ، قال تعالى عاطفا على بيض : ﴿وغرابيب﴾ أي من الجدد أيضا ﴿سود*﴾ فقدم التأكيد **لدلالة السياق** على أن أصل العبارة " وسود غرابيب سود " فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع ، ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار ، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما : أشد سواد الغرابيب – رواه عنه البخاري ، لأن السواد الخالص في الأرض ، مستغرب ، ومنه ما يصبغ به الثياب ليس معه غيره ، فتصير في غاية السواد ، وذلك في مدينة فوة ومسير وغيرهما مما داناهما من بلاد مصر.

ولما أكد هذا بما دل على خلوصه ، قدم ذكر الاختلاف عليه ، ولما ذكر تعالى ما الأغلب فيه الماء مما استحال إلى آخر بعيد من الماء ، وأتبعه التراب الصرف ، ختم بما الأغلب فيه التراب مما استحال إلى ما هو في غاية البعد من التراب فقال : ﴿ومن الناس﴾ أي المتحركين بالفعل والاختيار ﴿والدواب﴾ ولما كانت الدابة في الأصل لما دب على الأرض ، ثم غلب إطلاقه على ما يركب قال : ﴿والأنعام﴾ ليعم الكل صريحا ﴿مختلف ألونه﴾ أي ألوان ذلك البعض الذي أفهمته " من " ﴿كذلك﴾ أي مثل الثمار والأراضي فمنه ما هو ذو لون واحد ، ومنه ما هو ذو ألوان مع أن كل ما ذكر فهو من الأراضي متجانس الأعيان مختلف الأوصاف ، ونسبته إليها وإلى السماء واحدة فأين حكم الطبائع.

٢٢١

". (١)

"ولما كان التقدير : ففي الاحتراز من فتنهم تعب كبير ، لا يفوت به منهم إلى حظ يسير ، وكانت النفس عند ترك مشتبهاتها ومحبوباتها قد تنفر ، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لا نسبة له منه مع بقائه قوله : ﴿والله﴾ أي ذو الجلال ﴿عنده﴾ وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمه ﴿أجر﴾ ولم يكتف سبحانه **بدلالة السياق** على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله : ﴿عظيم *﴾ أي لمن ائتمر بأوامره التي إنما نفعها لصاحبها ، فلم يقدم على رضاه مالا ولا ولدا ، وذلك الأجر أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم على وجه ينقص من الطاعة.

ولما كان التقدير : وعنده عذاب أليم لمن خالف ، سبب عنه قوله فذلك أخرى لما

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٣٢٢/٦

١٩

تقدم من السورة كلها : ﴿فاتقوا الله﴾ مظهرا غير مضمر تعظيما للمقام واحترازا من أن يتوهم نوع تقيد فأفهم الإظهار إن المعنى : اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعلى وقاية من غير نظر إلى حيثية ولا خصوصية بشيء ما ، باجتناب نواهيه بعد امتثال نواهيه بعد امتثال أوامره ، فإن التقوى إذا انفردت كان المراد بها فعل الأوامر وترك المناهي ، وإذا جمعت مع غيرها أريد بها اجتناب النواهي فقط.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ١٩

ولما كان الأمر إذا نسب إليه سبحانه أعظم من مقالة قائل ، فلا يستطيع أحد أن يقدره سبحانه حق قدره ، خفف ويسر بقوله : ﴿ما استطعتم﴾ أي ما دمتم في الجملة قادرين مستطيعين ، ويتوجه عليكم التكليف في العلميات والعمليات ، وابذلوا جهدكم في ذلك في الإيمانيات لما علمتم من ذاته ومراتبه وصفاته وتعالى وأفعاله ، وغير ذلك من جميع أعمالكم الظاهرة والباطنة ، وأعظمه الهجرة والجهاد ، فلا يمنعكم الإخلاد إليها ذلك والتقوى فيما وقع من المكروهات بالندم والإقلاع مع العزم على ترك العود ، وفيما لم يقع بالاحتراس عن أسبابه ، وبذلك الإنسان جميع جهده هو الاتقاء حق التقاة فلا نسخ – والله أعلم.

(١) ".

"ولما كان الحامل على مظاهرته صلى الله عليه وسلم على كل ما يريده الإيمان فكل ما كان الإنسان فيه أمكن كان له أشد مظاهرة وأعون قال : ﴿وصالح المؤمنين﴾ أى الراسخين في رتبة الإيمان والصلاح من الإنس والجن وأبوهما رضي الله عنهما أعظم مراد بهذا ، وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم : لو أمرتني لأضربن عنقها ، والصالح وإن كان لفظه مفردا فمعناه الجميع المستغرق لأنه للجنس ، ودل على ذلك مع **دلالة السياق** إضافته للجمع ولعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للإشارة إلى قلة المتصف بهذا جدا لقلة الراسخين في الصلاح من الراسخين في الإيمان فهو قليل من قليل وقد جوز بعضهم أن يكون جمعا وأنه حذفت واؤه في الرسم على خلاف القياس وهي محذوفة في الوصل للالتقاء الساكنين ، فظن لذلك مفردا ودخل في ذلك جبريل عليه السلام أيضا.

ولما كان الله سبحانه وتعالى قد أعطى الملائكة من القوى والتصرف في الظواهر.

٤٨

والبواطن ما يجل عن الوصف ، قال تعظيما للمقام بعد تعظيمه بما ذكر من رئيس الكروبيين عليهم الصلاة والسلام ﴿والملائكة﴾ أي كلهم ومنهم جبريل عليهم الصلاة والسلام فهو مذكور خصوصا وعموما مرات إظهارا لشدة محبته وموالاته

---

(١) نظم الدرر . موافق للمطبوع، ٨/٢٨

للنبي صلى الله عليه وسلم.

". (١)

"﴿قالت إنى أعوذ بالرحمان منك﴾ يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها.

قال في "الكشاف" : دل على عفافها وورعها أنها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ﴿إن كنت تقيا﴾ تتقي الله وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه أي : فإني عائذة به.

وقال الكاشفي : (يعني تومتقى ومتورعى من از تور هيز ميكنم وناه بحق ميبرم فكيف كه نين نباشى).

قال الشيخ في تفسيره : وإنما قالت ذلك لأن التقي يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال في "التأويلات النجمية" يعني : أنك إن كنت تقيا من أهل الدين تعرف الرحمن فلا تقربني بعوذي به وإن كنت شقيا لا تعرف الرحمن فأتعوذ منك بالخلق فأجابها.

﴿قال إنمآ أنا رسول ربك﴾ يريد أني لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وإنما أنا رسول ربك الذي استعذت به ﴿لاهب لك غلاما﴾ أي : لأكون سببا في هبته بالنفخ في الدرع ﴿زكيا﴾ طاهرا من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الإنسانية.

﴿قالت﴾ استبعادا ظاهرا أي : متعجبة من حيث العادة لا مستبعدة من حيث القدرة ﴿أنى يكون لى﴾ (كونه بودمرا) ﴿غلام﴾ كما وصف ﴿ولم يمسسنى بشر﴾ أي : والحال أنه لم يباشرني بالنكاح رجل فإن المس كناية عن الوطىء الحلال أما الزنى فإنما يقال خبث بها أو فجر أو زنى وإنما قيل بشر مبالغة في بيان تنزهها عن مبادي الولادة الحال أنه ﴿ولم أك بغيا﴾ فعول بمعنى الفاعل أصله بغويا.

قال الشيخ في "تفسيره" : ولم يقل بغية لأنه وصف غالب على المؤنث كحائض أي : فاجرة تبغي الرجال.

وبالفارسية (زنا كار وجوينده فجور) يريد نفي الوطىء مطلقا وأن الولد إما من النكاح الحلال أو الحرام أما الحلال فلأنها لم يمسها بشر وأما الحرام فلأنها لم تك بغيا فإذا انتفى السببان جميعا انتفى الولد.

وفي "التأويلات

٣٢٢

النجمية" : ﴿ولم يمسسنى بشر﴾ قبل هذا ﴿ولم أك بغيا﴾ ليمسسني بشر بعد هذا بالزنى أو بالنكاح لأني محررة محرم علي الزوج.

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢١

﴿قال كذالك﴾ أي : الأمر كما قلت.

---

(١) نظم الدرر ـ موافق للمطبوع، ٦٨/٨

وبالفارسية : (يعني نين است كه توميكويي هي كس بنكاح وسفاح ترامس نكرده است) فأما ﴿قال ربك﴾ الذي أرسلني إليك ﴿هو﴾ أي : ما ذكرت من هبة الغلام من غير أن يمسك بشر أصلا ﴿على﴾ خاصة ﴿هين﴾ يسر وإن كان مستحيلا عادة لما أني لا أحتاج إلى الأسباب والوسائط.

وفي "التأويلات النجمية" : ﴿قال كذالك﴾ الذي تقولين ولكن ﴿قال ربك هو على هين﴾ أن أخلق ولدا من غير ماء مني والد فإني أخلقه من نور كلمة كن كما قال تعالى : ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل ءادما خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ (آل عمران : ٥٩) ﴿ولنجعله﴾ أي : ونفعل ذلك لنجعل وهب الغلام ﴿للناس ورحمة﴾ وبرهانا يستدلون بها على كمال قدرتنا فالواو أعتراضية أو لنبين به عظم قدرتنا ولنجعله الخ.

وفي "التأويلات النجمية" ﴿ءاية﴾ أي : دلالة على قدرتي بأني قادر على أن أخلق ولدا من غير أب كما أني خلقت آدم من غير أب وأم وخلقت حواء من غير أم ﴿ورحمة﴾ عظيمة كائنة ﴿منا﴾ عليهم يهتدون بهدايته ويسترشدون بإرشاده وبين قوله : ﴿ورحمة منا﴾ وقوله : ﴿يدخل من يشآء فى رحمته﴾ فرق عظيم وهو أنه تعالى إذا أدخل عبدا في رحمته يرحمه ويدخله الجنة ومن جعله رحمة منه يجعله متصفا بصفته وكذا بين قوله : ﴿رحمة منا﴾ وقوله في حق نبينا عليه السلام ﴿ومآ أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ أبدا أما في الدنيا فبأن لا ينسخ دينه وأما في الآخرة فبأن يكون الخلق محتاجين إلى شفاعته حتى إبراهيم عليه السلام فافهم جدا كذا في "التأويلات النجمية" ﴿وكان﴾ خلقه بلا فحل ﴿أمرا مقضيا﴾ قضيت به في سابق علمي وحكمت بوقوعه لا محالة فيمتنع خلافه فلا فائدة في الحزن وهو معنى قوله : "من عرف سر الله في القدر هانت عليه المصائب".

يقول الفقير : ذلك أن العلم تابع للمعلوم فكل ما يقتضيه من الأحوال فالله تعالى يظهره بحكمته وخلق عيسى عليه السلام على الصفة المذكورة كان في الأزل بمقتضى الحكمة القديمة مقدرا فجميع الأعيان وما يتبعها من الأحوال المختلفة داخلة تحت الحكمة فمن كوشف عن سر هذا المقام هانت عليه المصائب والآلام إذ كل ما نبت في مزرعة الوجود الخارجي فهو من بذر الحكم الأزلي على حسب تفاوت الاستعدادات كتفاوت المزارع فمن وجد خيرا فيحمد الله ومن وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه ، قال الحافظ :

جزء : ٥ رقم الصفحة : ٣٢١

نمى كنم كله ليكن ابر رحمت دوست

بكشت زار جكر تشنكان ندادنمى

." (١)

"حكى) إن بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه أكثر مما يقبل على أمثالها ولم يكن أحسن منهم صورة ولا أكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما إلى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده فنظر إلى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك إليه ولا أشار بشيء من ذلك ولم تعلم الجماعة

---

(١) تفسير روح البيان . موافق للمطبوع، ٢٤٨/٥

لأي شيء ركض فرسه فما لبث إلا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج فقيل له بم عرفت إن الملك أراد الثلج فقال لأنه نظر إليه ونظر الملوك إلى شيء لا يكون عبثا فقال الملك لهذا أقر به وأقدمه عليكم فإنكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالي وفي التأويلات النجمية : بشير إلى طيران الأرواح العلوية المخلوقة قبل الأجساد بألفي عام الباسطات الأجنحة الروحانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم.

الهيولانبة ما يمسكهن إلا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فيج و سماء القدرة إنه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الأشياء الغريبة وكيف يدبر الأمور العجيبة ﴿أمن هاذا الذى هو جند لكم ينصركم من دون الرحمان﴾ لصله أم من على أن أم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من أحوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله إلى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد في ذلك والاستفهام متوجه إلى تعيين الناظر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيلي هنا إلى تقدير الهمزة مع بل لأن ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلت صفته وإيثار هذا لتحقير الشمار إليه وينصركم صفة لجند بالاعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمنى بل من هذا الحقير الذي هو في زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غيراً وينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على أنه نعت المصدره أو ينصركم من عذاب كائن من عند الله على إنه متعلق بيصنركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة سلة من بتقدير القول وينصركم وأم منقطعة أو متصلة والقرينة محذوفة **بدلالة السياق** على أن يكون المعنى الله الذيل هذه الأوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الحسف والحصب إن أصابكم أم الذي يشار إليه ويقال في حقه هذا الذي تزعمون إنه جند لكم ينصركم من دون الله وإيثار الرحمن للدلالة على أن رحمة الله هي المنجية من عضبه لا غير قال القاشاني أي من يشار إليه ممن يستعان به من الأغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب إليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما أمسك من النعم الباطنة والظاهرة أو يمسك ما أرسل من النعم المعنوية والصورية لو يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم أو يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم

٩٢

جزء : ١٠ رقم الصفحة : ٧٢." (١)

"﴿ قالت انى اعوذ بالرحمن منك ﴾ يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة فى العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التى هى العصمة مما دهمها .

قال فى الكشاف دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة ﴿ ان كنت تقيا ﴾ تتقى الله وبتالى بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه اى فانى عائذة به .

وقال الكاشفى [يعنى تومتقى ومتورعى من ازتوبرهيز ميكنم وبناه بحق ميبرم فكيف كه جنين نباشى] .

---

(١) تفسير روح البيان ـ موافق للمطبوع، ٧١/١٠

قال الشيخ فى تفسيره وانما قالت ذلك لان التقى يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال فى التأويلات النجمية يعنى انك ان كنت تقيا من اهل الدين تعرف الحرمن فلا تقربنى بعوذى به وان كنت شقيا لا تعرف الرحمن فاتعوذ منك بالخلق فاجابها ﴿ قال انما انا رسول ربك ﴾ يريد انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذى استعذت به ﴿ لاهب لك غلاما ﴾ اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع ﴿ زكيا ﴾ طاهرا من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الانسانية .." (١)

"

(١) لاكتسابه البناء من المضاف إليه ١٢ منه

التفسير المظهري ج ٣ ، ص : ٢٢٢

ادخله الجنة رحمة منه لا لاداء حق عليه وَذلِكَ الصرف الْفَوْزُ الْمُبِينُ فى القاموس الفوز النجاة والظفر بالخير والهلاك فالمراد هاهنا الظفر بالخير لان الهلاك ليس بمراد البتة **لدلالة السياق** وكذا النجاة غير مراد إذ المراد باسم الاشارة هو الصرف وهو عين النجاة فيكون الحمل غير مفيد وبهذا يظهر ان دخول الجنة لازم لصرف العذاب عنه فيمكن بهذه الآية الاستدلال على نفى المنزلة بين المنزلتين كما قالت بها المعتزلة.." (٢)

"أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوى ط حين يدعون الناس إلى التوحيد والصلاة والظاهر النهى كان عن الصلاة وعن الأمر بالتقوى معا فاقتصر فى الجملة الاولى على أحدهما اكتفاء بذكرهما فى الثانية ولانه دعوة بالفعل ولان نهى العبد إذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة أحواله محصورة فى تكميل نفسه بالعبادة وتكميل غيره بالدعوة وهذا شرط حذف جزاءه **بدلالة السياق** وهو كيف ينهاه أو فيهلك الناهي ويفوز العبد والشرطية قايم مقام مفعولين لرايت وكذا فى قوله تعالى.

أَ رَأَيْتَ يا محمد إِنْ كَذَّبَ الناهي ما هو الحق وَتَوَلَّى ط عن الايمان كيف ينجو من عذاب الله بل يهلك والدليل على المحذوف فى الجملتين قوله تعالى.." (٣)

"أحد ولا يبغى أحد على أحد رواه مسلم وعن أبي هريرة عن النبي صلعم قال لينتهين أقوام يفخرون بآبائهم الذين ماتوا انما هم فحم من جهنم أو ليكونن أهون

التفسير المظهري ج ١٠ ، ص : ٣٣٤

على الله من الجعل الذي يد هده الخراء بانفه ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقى أو فاجر شقى الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب رواه الترمذي وأبو داود عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله صلعم انسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع بالصاع لم تملوه ليس لاحد على أحد فضل الآبدين وتقوى كفى بالرجل ان يكون بذيا فاحشا بخيلا رواه احمد والبيهقي وعن أبي هريرة قال قال رسول الله صلعم إذا كان يوم القيامة

---

(١) تفسير حقي، ٧/٤٨٥

(٢) تفسير المظهرى، ص/٢١٤٢

(٣) تفسير المظهرى، ص/٧١١٧

امر الله مناديا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم ارفع نسبى واضع نسبكم اين المتقون رواه الطبراني فى الأوسط.

كَلَّا ردع عن التكاثر سَوْفَ تَعْلَمُونَ حذف مفعوله **لدلالة السياق** أى سوف تعلمون سوأ عاقبة تفاخركم وتكاثركم حين تعذبون عليه.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ط تكرير لتأكيد الوعيد أو تنصيص بوعيد اخر وفى ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الأول قيل الأول عند الموت أو فى القبر والثاني بعد البعث أخرج ابن جرير عن على قال كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت إلهكم التكاثر إلى كلا سوف تعلمون فى عذاب القبر.

كَلَّا تأكيد للردع بعد تأكيد لَوْ تَعْلَمُونَ ما بين ايديكم عِلْمَ الْيَقِينِ ط أى علما كعلم الأمر المتيقن الموجود عندكم وجواب لو محذوف لتفخيمه يعنى لشغلكم ذلك عن غيره أو لما تكاثرتم قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعث بعد الموت قلت يعنى علما بالغيب حاصلا بالاستدلال ولا يجوز ان يكون.." (١)

" ولذا قال مع الإضاءة كلما ومع الأظلام إذا وقول أبي حيان : إن التكرار متى فهم من كلما هنا لزم منه التكرار في إذا إذ الأمر دائر بين إضاءة البرق والأظلام ومتى وجد ذا فقد ذا فلزم من تكرار وجود ذا تكرار عدم ذا غفلة عما أرادوه من هذا المعنى الكنائي والمجازي وأضاء إما متعد كما في قوله : أعد نظرا يا عبد قيس لعلما أضاءت لك النار الحمار المقيدا والمفعول محذوف أي كلما أضاء لهم ممشى مشوا فيه وسلكوه وإما لازم ويقدر حينئذ مضافا نأي كلما لمع لهم مشوا في مطرح ضوئه ولا بد من التقدير إذ ليس المشي في البرق بل في محله وموضع إشراق ضوئه وكون في للتعليل والمعنى مشوا لأجل الإضاءة فيه يتوقف فيه من له ذوق في العربية ويؤيد اللزوم قراءة إبن أبي عبلة ضاء ثلاثيا وفي مصحف إبن مسعود بدل مشوا فيه مضوا فيه وللإشارة إلى ضعف قواهم لمزيد خوفهم ودهشتهم لم يأت سبحانه بما يدل على السرعة ولما حذف مفعول أضاء وكانت النكرة أصلا أشار إلى أنهم لفرط الحيرة كانوا يخبطون خبط عشواء ويمشون كل ممشى ومعنى أظلم عليهم أختفى عنهم والمشهور إستعمال أظلم لازما وذكر الأزهري وناهيك به في التهذيب أن كل واحد من أوصاف الظلم يكون لازما ومتعديا وعلى إحتمال التعدي هنا ويؤيده قراءة زيد بن قطيب والضحاك أظلم بالبناء للمفعول مع إتفاق النحاة على أن المطرد بناء المجهول من المتعدي بنفسه يكون المفعول محذوفا أي إذا أظلم البرق بسبب خفائه معاينة الطريق قاموا أي وقفوا عن المشي ويتجوز به عن الكساد ومنه قامت السوق وفي ضده يقال : مشت الحال ولو شاء الله لذهب بسمعهم وأبصارهم عطف على مجموع الجمل الإستئنافية ولم يجعلوها معطوفة على الأقرب ومن تتمته لخروجها عن التمثيل وعدم صلاحيتها للجواب وعطف ما ليس بجواب على الجواب ليس بصواب وجوزه بعض المحققين إذ لا بأس بأن يزاد في الجواب ما يناسبه وإن لم يكن له دخل فيه بل قد يستحسن ذلك إذا أقتضاه المقام كما في وما تلك بيمينك ياموسى الآية وكونها إعتراضية أو حالية من ضمير قاموا بتقدير المبتدأ أو معطوفة على الجملة الأولى مع تخلل الفواصل اللفظية والمقدرة فضول عند ذوي الفضل والقول بأنه أتى بها لتوبيخ المنافقين حيث لم ينتهوا لأن من قدر على إيجاد قصيف الرعد وميضه وإعدامهما

---

(١) تفسير المظهرى، ص/٧١٥٧

قادر على إذهاب سمعهم وأبصارهم أفلا يرجعون عن ضلالهم محل للتوبيخ إذ لا يصح عطف الممثل به ومفعول شاء هنا محذوف وكثيرا ما يحذف مفعولها إذا وقعت في حيز الشرط ولم يكن مستغربا والمعنى ولو أراد الله إذهاب سمعهم بقصيف الرعد وأبصارهم بوميض البرق لذهب ولتقدم ما يدل على التقييد من يجعلون ويكاد قوى **دلالة السياق** عليه وأخرجه من الغرابة ولك أن لا تقيد ذلك المفعول وتقيد الجواب كما صنعه الزمخشري أو لا تقيد أصلا ويكون المعنى لو أراد الله إذهاب هاتيك القوى أذهبها من غير سبب فلا يغنيهم ما صنعوه والمشيئة عند المتكلمين كالإرادة سواء وقيل : أصل المشيئة إيجاد الشيء وإصابته وإن أستعمل عرفا في موضع الإرادة وقرأ إبن أبي عبلة لأذهب الله بأسمائهم وهي محمولة على زيادة الباء لتأكيد التعدية أو على أن أذهب لازم بمعنى ذهب كما قيل بنحوه في تنبت بالدهن ولا تلقوا بأيديكم إذ الجمع بين أداتي تعدية لا يجوز وبعضهم يقدر له مفعولا أي لأذهبهم فيهون الأمر وكلمة لو لتعليق حصول أمر ماض هو الجزاء بحصول أمر مفروض هو الشرط لما بينهما من ." (١)

" العلامة أحسن إظهار الفضل الحقيقي على غير هو لهذا أختير هنا تذكير الفعلو الوصية أسم من أوصى يوصي وفي القاموس أوصاه ووصاه توصية عهد إليه والأسم الوصاية و الوصية وهي الموصى به أيضا والجار متعلق بها فلا بد من تأويلها بأن مع الفعل عند الجمهور أو بالمصدر بناءا على تحقيق الرضى من أن عمل المصدر لا يتوقف على تأويله وهو الراجح ولذلك ذكر الراجح في بدله وجوز أن يكون النائب عليكم و الوصية خبر مبتدأ كأنه قيل : ما المكتوب فقيل هو الوصية وجواب الشرط محذوف دل عليه كتب عليكم وقيل : مبتدأ خبره للوالدين والجملة جواب الشرط بإضمار الفاء لأن الأسمية إذا كانت جزاء لا بد فيها منها والجملة الشرطية مرفوعة ب كتب أو عليكم وحده والجملة إستئنافية ورد بأن إضمار الفاء غير صحيح لا يجترىء عليه إلا في ضرورة الشعر كما قال الخليل والعامل في إذا معنى كتب والظرف قيد للإيجاب من حيث الحدوث والوقوع والمعنى توجه خطاب الله تعالى عليكم ومقتضى كتابته إذا حضر وغير إلى ما ترى لينظم إلى هذا المعنى أنه مكتوب في الأزل وجوز أن يكون العامل الوصية وهي وإن كانت أسما إلا أنها مؤلة بالمصدر أو بأن والفعل والظرف مما يكفيه رائحة الفعل لأن له شأنا ليس لغيره لتنزيله من الشيء منزلة نفسه لوقوعه فيه وعدم إنفكاكه عنه ولهذا توسع في الظروف ما لم يتوسع في غيرها وليس كل مؤل بشيء حكمه حكم ما أول به وقد كثر تقديم معمول المصدر عليه في الكلام والتقدير تكلف ولا يرد على التقديرين أن الوصية واجبة علىمن حضره الموت لا على جميع المؤمنين عند حضور أحدهم الموت لأن أحدكم يفيد العموم على سبيل البدل فمعنى إذا حضر أحدكم إذا حضر واحدا بعد واحد وإنما زيد لفظ أحد للتنصيص على كونها فرض عين لا كفاية كما في كتب عليكم القصاص في القتلى والقول بأن الوصية تفرض على من حضره الموت فقط بل عليه بأن يوصى وعلى الغير بأن يحفظ ولا يبدل ولهذا قال : عليكم وقال أحدكم لأن الموت يحضر أحد المخاطبين بالإفتراض عليهم ليس بشيء لأن حفظ الوصية إنما يفرض على البعض بعد الوصية لا وقت الإحتضار فكيف يصح أن يقال فرض عليكم حفظ الوصية إذا حضر أحدكم الموت ولأن إرادة الإيصاء وحفظه من الوصية تعسف لا يخفى وأختار بعض المحققين أن إذا شرطية وجواب كل من الشرطين محذوف والتقدير إذا حضر أحدكم الموت فليوص

---

(١) روح المعاني، ١٧٦/١

إن ترك خير افليوص فحذف جواب الشرط الأول **لدلالة السياق** عليه وحذف جواب الشرط الثاني لدلالة الشرط الأول وجوابه عليه والشرط الثاني عند صاحب التسهيل مقيد للأول كأنه قيل : إذا حضر أحدكم الموت تاركا للخير فليوص ومجموع الشرطين معترض بين كتب وفاعله لبيان كيفية الإيصاء قبل ولا يخفى أن هذا الوجه مع غنائه عن تكلف تصحيح الظرفية وزيادة لفظ أحد أنسب بالبلاغة القرآنية حيث ورد الحكم أولا مجملا ثم مفصلا ووقع الإعتراض بين الفعل وفاعله للإهتمام ببيان كيفية الوصية الواجبة إنتهى وأنت تعلم ما في ذلك من كثرة الحذف المهونة لما تقدم ثم إن هذا الحكم كان في بدء الإسلام ثم نسخ بآية المواريث كما قاله إبن عباس وإبن عمر وقتادة وشريح ومجاهد وغيرهم وقد أخرج أحمد وعبد بن حميد والترمذي وصححه والنسائي وإبن ماجه عن عمرو بن خارجة رضي الله تعالى عنهم أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبهم على راحلته فقال : إن الله قد قسم لكل إنسان نصيبه من الميراث فلا تجوز لوارث وصية وأخرج أحمد والبيهقي في سننه عن أبي أمامة الباهلي سمعت رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم في حجة الوداع في خطبته يقول : إن الله قد أعطى كل ذي حق حقه فلا وصية لوارث وأخرج عبد بن حميد عن الحسن نحو ذلك وهذه الأحاديث لتلقي الأمة لها بالقبول أنتظمت في سلك المتواتر ." (١)

" الموت عليه إذ لو وقعت على ما ينبغي لقبلت بخلاف الموت على الكفرة في هذه الآية فانه يترتب عليه ذلك ولذلك لو قال : من جاءني له درهم كان إقرارا بخلاف ما لو قرنه بالفاء كما هو معروف بين الفقهاء ولا يرد أن ترتب الحكم على الوصف دليل على السببية لأنا لا نسلم لزومه لأن التعبير بالموصول قد يكون لأعراض كالإيمان الى تحقق الخبر كقوله : إن التي ضربتبيتا مهاجرة بكوفة الجند غالت دونها غول وقد فصل ذلك في المعاني وقرئ فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض على البناء للفاعل وهو الله تعالى ونصب ملء ومل الأرض بتخفيف الهمزتين ولو افتدى به قال ابن المنير في الانتصاف : إن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطا آخر تعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الاولى مثاله قولك : أكرم زيدا ولو اساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره م أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء م إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه وإن اساء على أن إكرامه إن أحسن بطريق الاولى ومنه كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم فان معناه والله تعالى أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على أن ما كان اسهل أولى بالوجوب ولما كانت هذه الآية مخالفة لهذا النمط من الاستعمال لأن قوله سبحانه : ولو افتدى به ة يقتضي شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الاولى والحالة المذكورة أعني حالة افتدائإهم بملء الارض ذهبا هي أجدر الحالات بقبول الفدية وليس وراءها حالة اخرى تكون اولى بالقبول منها خاض المفسرون بتأويلها فذكر الزمخشري ثلاثة أوجه حاصل الاول : أن عدم قبول ملء الارض كناية عن عدم قبول فدية ما **لدلالة السياق** على ان القبوليراد للخلاص وإنما عدل تصورا للتكثير لانه الغاية التي لا مطمح وراءها في العرف وفي الضمير يراد ملء الارض على الحقيقة فيصير المعنى لا تقبل منه فدية ولو افتدى بملء الارضذهبا ففي الاول نظر إلى العموم وسده مسد فدية ما وفي الثاني إلى الحقيقة او لكثرة المبالغة من غير نظر إلى القيام

---

(١) روح المعاني، ٥٣/٢

مقامها وحاصل الثاني : إن المراد ولو افتدى بمثله معه كما صرح به في آية أخرى ولأنه علم أن الأول فدية ايضا كأنه قيل : لا يقبل ملء الارض فدية ولو ضةعف ويرجع هذا إلى جعل الباء بمعنى مع وتقدير مثل بعده أي مع مثله وحاصل الثالث : إنه يقدر وصف يعينه المساق من نحو كان متصدقا به وحينئذ لا يكون الشرط المذكور من قبيل ما يقصد به تأكيد الحكمالسابق بل يكون شرطا محذوف الجواب ويكون المعنى لا يقبل منه ملء الارض ذهبا لو تصدق ولو افتدى به أيضا لم يقبل منه وضمير به للمال من غير اعتبار وصف التصدق فاكلام من قبيل وما يعمر من معمر ولا ينقص من عمره وعندي درهم ونصفه انتهى ولا يخفى ما في ذلك من الخفاء والتكلف وقريب من ذلك ما قيل : إن الواو زائدة ويؤيد ذلك أنه قرئ في الشواذ يدونها وكذا القول : بأن لو ليست وصلية بل شرطية والجواب ما بعد أو هو ساد مسده وذكر ابن المنير في الجواب مدعيا أن تطبيق الآية عليه أسهل وأقرب بل ادعى أنه من السهل الممتنع أن قبول الفدية التي هي ملء الأرض ذهبا تكون على أحوال تارة تؤخذ قهرا كأخذ الدية وكرة يقول المفتدي : أنا افدي نفسي بكذا ولا يفعل وأخرى يقول ذلك والفدية عتيدة ويسلمها لمن يؤمل قبولها منه فالمذكور في الآية ابلغ الاحوال وأجدرها بالقبول وهي أن يفتدي بملء الارض ذهبا افتداءا محققا بأن ." (١)

" لأنه لا يقدر الفعل موليا لفاء الجواب بل قدر معمول الفعل الماضي مقدما ولا بد فيه من الفاء فلو قلت : من أكرم زيد فلنفسه أكرمه لم يكن بد من الفاء نعم لم يعهد تعدية عمي بعلي وهو لازم التقدير السابق في الجملة الثانية وكأنه لذلك عدل عنه بعضهم بعد أن وافق في الأول الى قوله : فعليها وباله وما أنا عليكم بحفيظ وإنما أنا منذر والله تعالى هو الذي يحفظ أعمالكم ويجازيكم عليها : وكذلك أي مثل ذلك التصريف البديع نصرف الآيات الدالة على المعاني الرائقة الكاشفة عن الحقائق الفائقة لا تصريفا أدنى منه

وقيل : المراد كما صرفنا أةيات قبل نصرف هذ الآيات وقد تقدم لك ما هو الحري بالقبول واصل التصريف كما قال علي بن عيسى م اجراء المعنى الدائر في المعاني المتعاقبة من الصرف وهو نقل الشيء من حال الى حال

وقال الراغب التصريف كالصرف إلا في التكثير وأكثره ما يقال في صرف الشيء من حال الى حال وأمر الى أمر

وليقولوا درست علة لفعل قد حذف تعويلا على **دلالة السياق** عليه أي وليقولوا درست نفعل ما نفعل من التصريف المذكور وبعضهم قدر الفعل ماضيا والأمر في ذلك سهل واللام لام العاقبة

وجوز أن تكون للتعليل على الحقيقة لأن نزول الآيات لا ضلال الأشقياء وهداية السعداء قال تعالى يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا والواو اعتراضية وقيل : هي عاطفة على علة محذؤفة واللام متعلقة بنصرف أي مثل ذلك التصريف نصرف الآيات لتلزمهم الحجة وليقولوا الخ وهو أولى من تقدير لينكروا وليقولوا الخ وقيل : اللام لام الأمر وينصره القراءة بسكون اللام كأنه قيل : وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم كما يقولون فانهم لا احتفال بهم ولا اعتداد بقولهم وهو أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث ورده في الدر المصون بأن ما بعده يأباه فان اللام فيه نص في أنها لام كي وأصله على ما قال الأصمعي من قولهم : درس الطعام يدرسه دراسا إذا داسه كأن التالي يدوس الكلام فيخف على لسانه

(١) روح المعاني، ٣/٢١٩

وقال أبو الهيثم : يقال درست الكتاب أي ذللته بكثرة القراءة حتى خف حفظه من قولهم : درست الثوب أدرسه درسا فهو مدروس ودريس أي أخلقته ومنه قيل للثوب الخلق : دريس لأنه قد لان والدرسة الرياضة ومنه درست السورة حتى حفظتها وهذا كما قال الواحدي قريب مما قاله الأصمعي أو هو نفسه لأن المعنى يعود فيه الى التذليل والتليين وقال الراغب : يقال درس الدار أي بقي أثره وبقاء الأثر يقتضي انمحاء في نفسه فلذلك فسر الدروس بالانمحاء وكذا درس الكتاب ودرست العلم تناولت أثره بالحفظ ولما كان تناول ذلك بمداومة القراءة عبر عن ادامة القراءة بالدرس وهو بعيد عما تقدم كما لا يخفى وقرأ ابن كثير وأبو عمرو دارست بالألف وفتح التاء وهي قراءة ابن عباس ومجاهد أي دارست يا محمد غيرك ممن يعلم الأخبار الماضية وذكرته وأراد بذلك نحو ما أرادوه بقولهم إنما يعلمه بشر قال الامام ويقوي هذه القراءة قوله تعالى حكاية عنهم : إن هذا إلا أفك افتراه وأعانه عليه قوم آخرون وقرأ ابن عامر ويعقوب وسهل درست بفتح السين وسكون التاء ورويت عن عبد الله نبن الزبير وأبي وابن مسعود والحسن رضي الله تعالى عنهم

والمعنى قدمت هذه الآيات وعفت وهو كقولهم أساطير الاولين وقريء درست بضم الراء مبالغة في ." (١)

" مصحف أبي سقط بالإفراد مراعاة للفظ من ولا يخفى ما في تصدير الجملة بأداة التنبيه من التحقيق وفي التعبير عن الإفتتان بالسقوط في الفتنة تنزيل لها منزلة المهواة المهلكة المفصحة عن ترديهم في دركات الردى أسفل سافلين وتقديم الجار والمجرور لا يخفى وجهه وإن جهنم لمحيطة بالكافرين

٩٤

– وعيد لهم على ما فعلوا وهو عطف على الجملة السابقة داخل تحت التنبيه أي جامعة لهم من كل جانب لا محالة وذلك يوم القيامة فالمجاز في اسم الفاعل حيث استعمل في الإستقبال بناء على أنه حقيقة في الحال ويحتمل أن يكون المراد أنها محيطة بهم الآن بأن يراد من جهنم أسبابها من الكفر والفتنة التي سقطوا فيها ونحو ذلك مجازا

وقد يجعل الكلام تمثيلا بأن تشبه حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار وكون الأعمال التي هم فيها هي النار بعينها لكنها ظهرت بصورة الأعمال في هذه النشأة وتظهر بالصورة النارية في النشأة الأخرى كما قيل نظيره في قوله تعالى : إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا منزع صوفي والمراد بالكافرين إما المنافقون المبحوث عنهم وإيثار وضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والإشعار بأنه معظم أسباب الإحاطة المذكورة وإما جميع الكافرين ويدخل هؤلاء دخولا أوليا إن تصبك في بعض مغازيك حسنة من الظفر والغنيمة تسؤهم تلك الحسنة أي تورثهم مساءة وحزنا لفرط حسدهم لعنهم الله تعالى وعداوتهم وإن تصبك في بعضها مصيبة كانكسار جيش وشدة يقولوا متبجحين بما صنعوا حامدين لآرائهم قد أخذنا أمرنا أي تلافيا ما يهمنا من الأمر يعنون به التخلف والقعود عن الحرب والمداراة مع الكفرة وغير ذلك من أمور الكفر والنفاق قولا وفعلا من قبل أي من قبل إصابة المصيبة حيث ينفع التدارك يشيرون بذلك إلى أن نحو ما صنعوه إنما يروج عند الكفرة بوقوعه حال قوة الإسلام لا بعد إصابة المصيبة ويتولوا أي وينصرفوا عن متحدثهم ومحل إجتماعهم إلى أهليهم وخاصتهم أو يتفرقوا أو ينصرفوا عنك يا رسول الله وهم فرحون

---

(١) روح المعاني، ٢٤٩/٧

٥

– بما صنعوا وبما أصابك من السيئة والجملة في موضع الحال من الضمير في يقولوا ويتولوا فإن الفرح مقارن للأمرين معا وإيثار الجملة الإسمية للدلالة على دوام السرور وإنما لم يؤت بالشرطية الثانية على طرز الأولى بأن يقال : وإن تصبك مصيبة تسرهم بل أقيم ما يدل على ذلك مقامه مبالغة في فرط سرورهم مع الإيذان بأنهم في معزل عن إدراك سوء صنيعهم لإقتضاء المقام ذلك وقيل : إن إسناد المساءة إلى الحسنة والمسرة إلى أنفسهم للإيذان باختلاف حالهم حالتي عروض المساءة والمسرة بأنهم في الأولى مضطرون وفي الثانية مختارون وقوبل هنا الحسنة بالمصيبة ولم تقابل بالسيئة كما قال سبحانه في سورة آل عمران : وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها لأن الخطاب هنا للنبي صلى الله تعالى عليه وسلم وهو هناك للمؤمنين وفرق بين المخاطبين فإن الشدة لا تزيده صلى الله تعالى عليه وسلم إلا ثوابا فإنه المعصوم في جميع أحواله عليه الصلاة و السلام وتقييد الإصابة في بعض الغزوات **لدلالة السياق** عليه وليس المراد به بعضا معينا هو هذه الغزوة التي إستأذنوا في التخلف عنها وهو ظاهر نعم سبب النزول يوهم ذلك فقد أخرج ابن أبي حاتم عن جابر بن عبدالله قال : جعل المنافقون الذين تخلفوا في المدينة يخبرون عن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم ." (١)

" وزعم ابن المنير أن الكلام على طريقة : أنا أبو النجم وشعري شعري والتقدير ونحن نحن عصبة وحذف الخبر لمساواته المبتدأ وعدم زيادته عليه لفظا ففي حذفه خلاص من تكرار اللفظ بعينه مع **دلالة السياق** على المحذوف ولا غرو في وقوع الحال بعد نحن لأنه بالتقدير المذكور كلام تام فيه من الفخامة ما فيه وقدر في هن أطهر لكم على قراءة النصب مثل ذلك وفيه أن الفخامة إنما تجيء من التكرار فلا يجوز الحذف على أن الدلالة على المحذوف غير بينة

وعن ابن الأنباري أن ذلك كما تقول العرب : إنما العامري عمته أي يتعهد ذلك والدال على المحذوف فيه عمته فإن الفعلة للحالة التي يستمر عليها الشخص فيلزم لا محالة تعهده لها والأولى أن يعتبر نظير قول الفرزدق :

يا لهذم حكمك مسمطا فإنه أراد كما قال المبرد

حكمك لك مسمطا

أي مثبت نافذ غير مردود وقد شاع هذا فيما بينهم لكن ذكروا أن فيه شذوذا من وجهين والآية على قراءة الأمير كرم الله تعالى وجهه أكثر شذوذا منه كما لا يخفى على المتدرب في علم العربية إن أبانا أي في ترجيحها علينا في المحبة مع فضلنا عليهما وكونهما بمعزل عن كفاية الأمور لفي ضلال أي خطأ في الرأي وذهاب عن طريق التعديل اللائق من تنزيل كل منا منزلته مبين

٨

– ظاهر الحال وجعل الضلال ظرفا لتمكنه فيه ووصفه بالمبين إشارة إلى أن ذلك غير مناسب بزعمهم والتأكيد لمزيد الإعتناء يروى أنه عليه السلام كان أحب إليه لما يرى فيه من أن المخايل وكانت إخوته يحسدونه فلما رأى الرؤيا تضاعفت له المحبة فكان لا يصبر عنه ويضمه كل ساعة إلى صدره ولعله أحسن قلبه بالفراق فتضاعف لذلك حسدهم

---

(١) روح المعاني، ١١٤/١٠

حتى حملهم على ما قص الله تعالى عنهم وقال بعضهم : إن سبب زيادة حبه عليه السلام ليوسف وأخيه صغرهما وموت أمهما وحب الصغير أمر مركوز في فطرة البشر فقد قيل : لإبنة الحسن : أي بنيك أحب إليك قالت : الصغير حتى يكبر والغائب حتى يقدم والمريض حتى يشفى وقد نظم بعض الشعراء في محبة الولد الصغير قديما وحديثا ومن ذلك ما قاله الوزير أبو مروان عبد الملك بن إدريس الجزيري من قصيدة بعث بها إلى أولاده وهو في السجن

وصغيرهم عبدالعزيز فإنني أطوي لفرقته جوى لم يصغر ذاك المقدم في الفؤاد وإن غدا كفأ لكم في المنتمي والعنصر إن البنان الخمس أكفاء معا والحلي دون جميعها للخنصر وإذا الفتى الشباب سماله حب البنين ولا كحب الأصغر وفيه أن منشأ زيادة الحب لو كانت ما ذكر لكان بنيامين أوفر حظا في ذلك لأنه أصغر من يوسف عليه السلام كما يدل عليه قولهم : إن أمهما ماتت في نفاسه والآية كما أشرنا إليه مشيرة إلى أن محبته لأجل شقيقه يوسف فالذي ينبغي أن يعول عليه أنه عليه السلام إنما أحبه أكثر منهم لما رأى فيه من مخايل الخير ما لم ير فيهم وزاد ذلك الحب بعد الرؤيا لتأكيدها تلك الإمارات عنده ولا لوم على الوالد في تفضيله بعض ولده على بعض في المحبة لمثل ذلك وقد صرح غير واحد أن المحبة ليست مما تدخل تحت وسع البشر والمرء معذور فيما لم يدخل تحته نعم ظن أبناؤه أن ما كان منه عليه السلام إنما كان عن إجتهاد وأنه قد أخطأ في ذلك والمجتهد يخطيء ويصيب وإن كان نبيا وبهذا ينحل ما قيل : إنهم إن كانوا قد آمنوا بكون أبيهم رسولا حقا من عند الله تعالى فكيف إعترضوا ." (١)

" وأنمار والاشعرين والأوس والخزرج ومدين وقد مثل لكل ذلك أبو القاسم وذكر أبو بكر الواسطي أن في القرآن من اللغات خمسين لغة وسردها ممثلا لها إلا أنه ذكر أن فيه من غير العربية الفرس والنبط والحبشة والبربر والسرياني والعبراني والقبط والذاهب الى إلى ماذهب اليه ابن قتيبة يقول : إن مانسب الى غير قريش على تقدير صحة نسبته مما يوافق لغتهم ونقل أبو شامة عن بعض الشيوخ أنه قال : إنه نزل أولا ولا بلسان قريش ومن جاورهم من العرب الفصحاء ثم أبيح لسائر العرب أن تقرأه بلغاتهم التي جرت عاداتهم باستعمالها كاختلافهم في الالفاظ والاعراب ولم يكلف أحد منهم الانتقال من لغته إلى لغة أخرى للمشقة ولما كان فيهم من الحمية ولطلب تسهيل المراد لكن أنت تعلم أن هذه الاباحة لم تستمر وكون المتبادر من قومه عليه الصلاة و السلام قريشا مما لاأظن أن أحدا يمتري فيه ويليه في التبادر العرب وفي البحر أن سبب نزول الآية أن قريشا قالوا : ما بال الكتب كلها أعجمية وهذا عربي وهذا ان صح ظاهر في العموم ثم إنه لايلزم من كون لغته لغة قريش أو العرب اختصاص بعثته صلى الله عليه و سلم بهم وإن زعمت طائفة من اليهود يقال لهم العيسوية اختصاص البعثة بالعرب لذلك وحكمة انزاله بلغتهم أظهر من أن تخفي وقيل : الضمير في قومه لمحمد صلى الله تعالى عليه وسلم المعلوم من السياق فانه كما أخرج ابن أبي عن سفيان الثوري لم ينزل وحي الا بالعربية ثم ترجم كل نبي لقومه وقيل : كان يترجم ذلك جبريل عليه السلام ونسب إلى الكلبي وفيه أنه إذا لم يقع التبيين الا بعد الترجمة فات الغرض مما ذكر وضمير لهم للقوم بلا خلاف وهم المبين لهم بالترجمة وفي الكشاف أن ذلك ليس بصحيح لأن ضمير لهم للقوم وهم العرب فيؤدي إلى أن الله تعالى أنزل التوراة مثلا بالعربية ليبين للعرب وهو معنى فاسد

---

(١) روح المعاني، ١٢/١٩٠

وتكلف الطيبي دفع ذلك بأن الضمير راجع إلى كل قوم قوم **بدلالة السياق** والجواب كما في الكشف انه لايدفع عن الايهام على خلاف مقتضى المقام

واحتج بعض الناس بهذه الآية على أن اللغات اصطلاحية لا توقيفية قال : لأن التوقيف لايحصل الا بارسال الرسل وقد دلت الآية على أن ارسال كل من الرسل لايكون الا بلغة قومه وذلك يقتضي تقدم حصول اللغات على ارسال الرسول وإذا كان كذلك امتنع حصول تلك اللغات بالتوقيف فوجب حصولها بالاصطلاح انتهى

وأجيب بأنا لانسلم توقف التوقيف على ارسال الرسل لجواز أن يخلق الله تعالى في العقلاء علما بأن الالفاظ وضعها واضع لكذا وكذا ولا يلزم من هذا كون العاقل عالما بالله تعالى بالضرورة بل الذي يلزم منه ذلك لو خلق سبحانه في العقلاء علما ضروريا بأنه تعالى الواضع واين هذا من ذاك على أنه لاضرر في التزام خلق الله تعالى هذا العلم الضروري وأي ضرر في كونه سبحانه معلوم الوجود بالضرورة لبعض العقلاء والقول بأنه يبطل التكليف حينئذ على عمومه غير مسلم وعلى تخصيصه بالمعرة مسلم وغير ضار فيضل الله من يشاء اضلاله أي يخلق فيه الضلال لوجود أسبابه المؤدية اليه فيه وقيل : يخذله فلا يلطف به لما يعلم أنه لاينجع فيه الالطاف ويهدي يخلق الهداية أو يمنح الالطاف من يشاء هدايته لما فيه من الأسباب المؤدية الى ذلك والالتفات باسناد الفعلين الى الاسم الجليل لتفخيم شأنهما وترشيح مناط كل منهما والفاء قيل فصيحة مثلها في قوله تعالى : فقلنا اضرب بعصاك الحجر فانفجرت ١ كأنه قيل : فبينوه لهم فأضل الله ." (١)

" أرى الذي في وجوهكم فإن كنتم غضابا فاغضبوا على أنفسكم دعى القوم ودعيتم فأسرعوا وأبطأتم أما والله لما سبقوكم به من الفضل أشد عليكم فوتا من بابكم هذا الذي تنافسون عليه وفي الكشاف أنه قال : إنما أتينا من قبلنا أنهم دعوا ودعينا فأسرعوا وأبطأنا وهذا باب عمر فكيف التفاوت في الآخرة ولئن حسدتموهم على باب عمر لما أعد الله تعالى لهم في الجنة أكبر وقريء أكثر تفضيلا بالثاء المثلثة هذا وجوز أن يراد بما به الامداد العطايا العاجلة فقط وحمل القصر المذكور على دفع توهم اختصاصها بالفريق الأول فإن تخصيص إرادتهم لها ووصولهم إليها بالذكر من غير تعرض لبيان النسبة بينها وبين الفريق الثاني إرادة وصولا مما يوهم اختصاصها بالأولين فالمعنى كل الفريقين نمد بالعطايا العاجلة لا من ذكرنا إرادته لها فقط من الفريق الأول من عطاء ربك الواسع وما كان عطاؤه الدنيوي محظورا من أحد ممن يريد غيره انظر كيف فضلنا في ذلك العطاء بعض كل من الفريقين على بعض آخر منهما وللآخرة الخ وإلى نحو هذا ذهب الحسن وقتادة فقد روي عنهما أنهما قالا : في معنى الآية إن الله تعالى يرزق في الدنيا مريدي العاجلة الكافرين ومريدي الآخرة المؤمنين ويمد الجميع بالرزق وذكر الرزق من بين ما به الامداد قيل على سبيل التمثيل وقيل تخصيص **لدلالة السياق**

وجوز أن يكون المراد به معناه اللغوي فيتناول الجاه ونحوه كما يقال السعادة أرزاق واعتبر الجمهور عدم المحظورية بالنسبة إلى الفريق الأول تحقيقا لشمول الامداد له حيث قالوا : لا يمنعه من عاص لعصيانه واعترض بأنه يقتضي كون القصر لدفع توهم اختصاص الامداد الدنيوي بالفريق الثاني مع أنه لم يسبق في الكلام ما يوهم ثبوته له فضلا عن إيهام اختصاصه وفيه تأمل وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما أن معنى من عطاء ربك من الطاعات ويمد بها مريد الآخرة

---

(١) روح المعاني، ١٨٦/١٣

والمعاصي ويمد بها مريد العاجلة فيكون العطاء عبارة عما قسم الله تعالى للعبد من خير أو شر وأنت تعلم أنه يبعد غاية البعد إرادة المعاصي من العطاء ولعل نسبة ذلك للحبر غير صحيحة فلا تغفل واعلم أن التقسيم الذي تضمنته الآية غير حاصر وذلك غير مضر والتقسيم الحاصر أن كل فاعل إما أن يريد بفعله العاجلة فقط أو يريد الآخرة فقط أو يريدهما معا أو يرد شيئا والقسمان الأولان قد علم حكمهما من الآية والقسم الثالث ينقسم إلى ثلاثة أقسام لأنه إما أن تكون إرادة الآخرة أرجح أو تكون مرجوحة أو تكون الإرادتان متعادلتين وفي قبول العمل في القسم الأول بحث عند الإمام قال : يحتمل عدم القبول لما روي عن رب العزة جل شأنه أنا أغنى الشركاء عن الشرك من عمل عملا أشرك فيه غيري تركته وشركه

ويمكن أن يقال : إذا كانت إرادة الآخرة راجحة على إرادة الدنيا تعارض المثل بالمثل فيبقى القدر الرائد خالصا للآخرة فيجب كونه مقبولا وإلى عدم القبول ذهب العز بن عبد السلام ومال إلى القول بأصل الثواب حجة الإسلام الغزالي حيث قال : لو كان اطلاع الناس مرجحا أو مقويا لنشاطه ولو فقد لم تترك العبادة ولو انفرد قصد الرياء ويثاب على مقدار قصد الثواب وهذا ظاهر في أن الرياء ولو محرما لا يمنع أصل الثواب عنده إذا كان باعث العبادة أغلب وذكر ابن حجر أن الذي يتجه ترجيحه أنه متى كان المصاحب بقصد العبادة رياء مباحا لم يقتض إسقاط ثوابها من أصله بل يثاب على مقدار قصد العبادة وإن ضعف أو محرما اقتضى سقوطه من أصله للاخبار وقوله تعالى : فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره قد لا يعكر على ذلك لأن تقصيره بقصد المحرم ." (١)

" فيه الميل بمقتضى الطبيعة وحكم القوة الشهوية ثم أنه لا ينافي عفتها بل يحققها لكونه طبيعيا اضطراريا غير داخل تحت التكليف كما قيل في قوله تعالى وهم بها ومع هذا قد استعاذ يوسف عليه السلام بما حكى الله تعالى عنه من قوله تعالى قال معاذ الله إنه ربي أحسن مثواي فدعوى أن الاستعاذة تكذب التهييج والميل الطبيعي كذب والقول بأنه يأبى ذلك مقام بيان آثار القدرة للعادة ليس بشيء لأن خلق الإنسان من ماء واحد أثر من آثار القدرة الخارقة للعادة أيضا

والأسباب في هذا المقام ليست بمرفوضة بالكلية كما يرشد إلى ذلك قصة يحيى عليه السلام على أنه قد يدعى أن خلق شيء لا من شيء أصلا محال فلا يكون من مراتب القدرة ومادة الجعل الابداعي الأعيان الثابتة وهي قديمة ا هـ ولا يخلو عن بحث وما ذكرناه في التعليل أسلم من القال والقيل فتدبر ونصب بشرا على الحالية المقدرة أو التمييز وقيل على المفعولية بتضميين تمثل معنى اتخذ واستشكل أمر هذا التمثل بأن جبريل عليه السلام شخص عظيم الجثة حسبما نطقت به الأخبار فمتى صار في مقدار جثة الإنسان يلزم أن لا يبقى جبريل أن تساقطت الأجزاء الزائدة على جثة الانسان وأن تتداخل الأجزاء إن لم يذهب شيء وهو محال وأيضا لو جاز التمثل ارتفع الوثوق وامتنع القطع بأن هذا الشخص الذي يرى الآن هو زيد الذي رئي أمس لاحتمال التمثل وأيضا لو جاز التمثل بصورة الإنسان فلم لا يجوز تمثله بصورة أخرى غير صورة الإنسان ومن ذلك البعوض ونحوه ومعلوم أن كل مذهب يجر إلى ذلك فهو باطل وأيضا لو جاز ذلك ارتفع الوثوق بالخبر المتواتر كخبر مقاتلة النبي عليه الصلاة و السلام يوم بدر لجواز أن يكون المقاتل المتمثل به وأجيب عن الأول

---

(١) روح المعاني، ١٥/٤٩

بأنه لا يمتنع أن يكون لجبريل عليه السلام أجزاء أصلية قليلة وأجزاء فاضلة فبالأجزاء الأصلية يكون متمكنا من التمثل بشرا هذا عند القائلين بأنه جسم وأما عند القائلين بأنه روحاني فلا استبعاد في أن يتدرع تارة بالهيكل العظيم وأخرى بالهيكل الصغير وعن الثاني بأنه مشترك الإلزام بين الكل فإن من اعترف بالصانع القادر يلزمه ذلك أيضا إذ يجوز أن يخلق سبحانه مثل زيد مثلا ومع هذا الجواز يرتفع الوثوق ويمتنع القطع على طرز ما تقدم وكذا من لم يعترف وأسند الحوادث إلى الاتصالات والتشكلات الفلكية يلزمه ذلك لجواز حدوث اتصال يقتضي حدوث مثل ذلك وحينئذ يمتنع القطع أيضا ولعله لما كان مثل ذلك نادرا لم يلزم منه قدح في العلوم العادية المستندة إلى الإحساس فلا يلزم الشك في أن زيدا الذي نشاهده الآن هو الذي شاهدناه بالأمس

وأجيب عن الثالث بأن أصل التجويز قائم في العقل وإنما عرف فساده بدلائل السمع وهو الجواب عن الرابع كذا قال الإمام الرازي وعندي أن مسئلة التمثل على القول بالجسمية مما ينبغي تفويض الأمر فيها إلى علام الغيوب ولا سبيل للعقل إلى الجزم فيها بشيء تنشرح له القلوب وإنما ذكرته تعالى بعنوان الرحمانية تذكيرا لمن رأته بالرحمة ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه أو مبالغة للعياذة به تعالى واستجلابا لآثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وما قيل من أن ذلك تذكير لمن رأت بالجزاء لينزجر فإنه يقال يارحمن الآخرة ليس بشيء لأنه ورد رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما إن كنت تقيا ٨١ شرط جواب محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه أي إن كان يرجى منك أن تتقي الله تعالى وتخشاه وتحتفل بالإستعاذة به فإني عائذة به منك كذا قدره الزمخشري ." (١)

" غير ذكر تعويلا على **دلالة السياق** عليهم ويكون التقدير والذين أتخذهم المشركون أولياء قائلين ما نعبدهم إلا ليقربونا عند الله زلفى إن الله يحكم بينهم وبين عبدتهم فيما الفريقان فيه يختلفون حيث يرجو العبدة شفاعتهم وهم يلعنوهم بإدخال ما هو منهم أهل للجنة الجنة وإدخال العبدة مع أصنامهم النار وتعقب بأنه بعد الأغضاء عما فيه من التعسفات بمعزل من السداد كيف لا وليس فيما ذكر من طلب الشفاعة واللعن مادة يختلف فيها الفريقان اختلافا محوجا إلى الحكم والفصل فإنما ذاك ما بين فريقي الموحدين والمشركين في الدنيا من الإختلاف في الدين الباقي إلى يوم القيامة فتدبر ولا تغفل

وقريء ما نعبدكم إلا لتقربونا حكاية لما خاطبوا به آلهتهم إن الله لا يهدي أي لا يوافق للإهتداء الذي هو طريق النجاة عن المكروه والفوز بالمطلوب من هو كاذب كفار

٣

– في حد ذاته وموجب شيء استعداده لأنه غير قابل للإهتداء والله عز و جل لا يفيض على القوابل إلا حسب القابليات كما يشير إليه قوله سبحانه : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه ثم هدى وقوله تعالى : قل كل يعمل على شاكلته وقوله عز و جل وما ظلمناهم ولكن كانوا أنفسهم يظلمون وهذا هو الذي حتم عليه جل شأنه ليسيء استعداده بالموافاة على الضلال قاله بعض الأجلة وقال الطبرس : لا يهدي إلى الجنة أي يوم القيامة من هو كاذب كفار في الدنيا

---

(١) روح المعاني، ٧٦/١٦

وقال ابن عطية : المراد لا يهدي الكاذب الكافر في حال كذبه وكفره وهذا ليس بشيء أصلا والمراد بمن هو كاذب كفار قيل من يعم أولئك المحدث عنهم وغيرهم وقيل : أولئك المحدث عنهم وكذبهم في دعواهم استحقاق غير الله تعالت للعبادة أو قولهم في بعض من اتخذوهم أولياء من دون الله إنهم بنات الله سبحانه أو أن المتخذ ابن الله تعالى عن ذلك علوا كبيرا فمن هو كاذب من الظاهر الذي أقيم المضمر على معنى أن الله تعالى لا يهديهم أي المتخذين تسجيلا عليهم بالكذب والكفر وجعل تمهيدا لما بعده وقال بعضهم : الجملة تعليل للحكم

وقرأ أنس بن مالك والجحدري والحسن والأعرج وابن يعمر كذاب كفار وقرأ زيد بن علي كذوب كفور وحملوا الكاذب هنا على الراسخ في الكذب لهاتين القرائتين وكذا حملوا الكفر على كفر النعم دون الكفر في الإعتقاد لقراءة زيد وذكر الإمام فيه احتمالين

لو أراد الله أن يتخد ولدا لاصطفى مما يخلق ما يشاء استئناف مسوق لتحقيق الحق وإبطال القول بأن الملائكة بنات الله وعيسى ابنه تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا ببيان استحالة اتخاذ الولد في حقه سبحانه على الإطلاق ليندرج فيه استحالة ما قيل اندراجا أوليا وحاصل المعنى لو أراد الله سصبحانه اتخاذ الولد لامتنعت تلك الإرادة لتعلقها بالممتنع أعني الإتخاذ لكن لا يجوز للباري إرادة ممتنعة لأنها ترجح بعض الممكنات على بعض

وأصل الكلام لو اتخذ الولد لامتنع لاستلزامه ما ينافي الألوهية فعدل إلى لو أراد الإتخاذ لامتنع أن يريده ليكون أبلغ وأبلغ ثم حذف هذا الجواب وجيء بدله لاصطفى تنبيها على أن الممكن هذا لا الأول وإنه لو كان هذا من اتخاذ الولد في شيء لجاز اتخاذ الولد عليه سبحانه وتعالى شأنه عن ذلك فقد تحقق التلازم وحق نفي اللازم وإثبات الملزوم دون صعوبة ويجوز أن يكون المراد لو أراد الله أن يتخذ لامتنع ولم يصح لكن على إرادة نفي الصحة على كل تقدير من تقديري الإرادة وعدمها من باب لو لم يخف الله لم يعصه فلا ينفي الثاني إذ ذاك ولا يحتاج إلى بيان الملازمة وإذا امتنع ذلك فالممكن الإصطفاء وقد اصطفى سبحانه من ." (١)

" بسم الله الرحمن الرحيم فمن أظلم ممن كذب على الله بأن أضاف إليه سبحانه وتعالى الشريك أو الولد وكذب بالصدق أي بالأمر الذي هو عين الحق ونفس الصدق وهو ما جاء به النبي صلى الله تعالى عليه وسلم إذ جاءه أي في أول مجيئه من غير تدبر فيه ولا تأمل فإذ فجائية كما صرح به الزمخشري لكن اشترط فيها في المغنى أن تقع بعد بينا أو بينما ونقله عن سيبويه فلعله أغلبي وقد يقال : هذا المعنى يقتضيه السياق من غير توقف على كون إذ فجائية ثم المراد أن هذا الكاذب المكذب أظلم من كل ظالم أليس في جهنم مثوى للكافرين

٣٢

- أي لهؤلاء الذين افتروا على الله سبحانه وتعالى وسارعوا إلى التكذيب بالصدق ووضع الظاهر موضع الضمير للتسجيل عليهم بالكفر والجمع معنى من كما أن الإفراد في الضمائر السابقة باعتبار لفظها أو لجنس الكفرى فيشمل أهل الكتاب ويدخل هؤلاء في الحكم دخولا أوليا وأيا ما كان فالمعنى على كفاية جهنم مجازاة لهم كأنه قيل : أليست جهنم كافية

---

(١) روح المعاني، ٢٣/٢٣٦

للكافرين مثوى كقوله تعالى : حسبهم جهنم يصلونها أي هي تكفي عقوبة لكفرهم وتكذيبهم والكفاية مفهومة من السياق كما تقول لمن سأل شيئا : ألم أنعم عليك تريد كفاك سابق أنعامي عليك واستدل بالآية على تكفير أهل البدع لأنهم مكذبون بما علم صدقه

وتعقب بأن من كذب مخصوص بمن كذب الأنبياء شفاها في تبليغهم لا مطلقا لقوله تعالى : إذ جاءه ولو سلم إطلاقه فهم لكونهم يتأولون ليسوا مكذبين وما نفوه وكذبوه ليس معلوما صدقه بالضرورة إذ لو علم من الدين ضرورة كان جاحده كافرا كمنكر فرضية الصلاة ونحوها

وقال الخفاجي : الأظهر أن المراد تكذيب الأنبياء عليهم السلام بعد ظهور المعجزات في أن ما جاؤا به من عند الله تعالى لا مطلق التكذيب وكأني بك تختار أن المتأول غير مكذب لكن لا عذر في تأويل ينفي ما علم من الدين ضرورة والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم كما أخرجه ابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم وابن مردويه والبيهقي في الأسماء والصفات عن ابن عباس وفسر الصدق بلا إله إلا الله والمؤمنون داخلون **بدلالة السياق** وحكم التبعية دخول الجند في قولك : نزل الأمير موضع كذا وليس هذا من الجمع بين الحقيقة والمجاز في شيء لأن الثاني لم يقصد من حاق اللفظ ولا يضر في ذلك أن المجيء بالصدق ليس وصفا للمؤمنين الأتباع كما لا يخفى والموصول على هذا مفرد لفظا ومعنى والجمع في قوله تعالى : أولئك هم المتقون

٣٣

– باعتبار دخول الأتباع تبعا ومراتب التقوى متفاوتة ولرسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم أعلاها وجوز أن يكون الموصول صفة لمحذوف أي الفوج الذي أو الفريق الذي الخ فيكون مفرد اللفظ مجموع المعنى فقيل : الكلام حينئذ على التوزيع لأن ." (١)

" وأبو خليد وابن عامر وحمزة والكسائي لنجزي بنون العظمة وقريء ليجزي بالياء والبناء للمفعول قوم بالرفع على أنه نائب الفاعل وقرأ شيبة وأبو جعفر بخلاف عنه كذلك إلا إنهما نصبا قوما وروي ذلك عن عاصم واحتج به من يجوز نيابة الجار والمجرور عن الفاعل مع وجود المفعول الصريح فيقول : ضرب بسوط زيدا فبما كسبوا نائب الفاعل ههنا ولا يجيز ذلك الجمهور وخرجت هذه القراءة على أن القائم مقام الفاعل ضمير المصدر أي ليجزي هو أي الجزاء ورد بأنه لا يقام مقامه عند وجود المفعول به أيضا على الصحيح وأجازه الكوفيون على خلاف في الأطلاق والأستحسان أو على أنه ضمير المفعول الثاني وهو الجزاء بمعنى ٣المجزي به كما في قوله تعالى : جزاؤهم عند ربهم جنات عدن وأضمر **لدلالة السياق** كما فيقوله سبحانه ولأبويه والمفعول الثاني في باب أعطي يقوم مقام الفاعل بلا خلاف وهذا من ذاك وأبو البقاء اعتبر الخير بدل الجزاء المذكور أو علأن قوما منصوب بأعني أو جزى مضمرالدلالة المجهول علأن ثم جازيا واختاره أبو حيان و ليجزي حينئذ من باب يعطي ويمنع وحيل بين العير والنزوان فمعناه ليفعل الجزاء ويكون هناك جملتان

من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها لا يكاد يسري عمل إلى غير عامله ثم إلى ربكم مالك أموركم ترجعون

---

(١) روح المعاني، ٢٤/٢

١٥

– فيجازيكم على أعمالكم حسبما تقتضيه الحكمة خيرا على الخير وشرا على الشر والجملة مستأنفة لبيان كيفية الجزاء ولقد آتينا بني إسرائيل الكتاب وهوالتوراة على أن التعريب للعهد وجوز جعله للجنس ليشمل الزبور والإنجيل ولا يضر في ذلك كون الزبور أدعية ومناجاة والأنجيل أحكامه قليلة جدا ومعظم أحكام عيسى عليه السلام من التوراة لأن إيتاء الكتاب مطلقا منة والحكم القضاء وفصل الأمور بين الناس لأن الملك كان فيهم واختاره أبو حيان أو الفقه في ادلين ويقال : لم يتسع فقه الأحكام على نبي ما اتسع على لسان موسى عليه السلام أو الحكم النظرية الأصلية والعملية الفرعية والنبوة حيث كثر فيهم الأنبياء عليهم السلام ما لم يكثر في غيرهم ورزقناهم من الطيبات المستلذات الحلال وبذلك تتم النعمة وذلك كالمن والسلوى وفضلناهم على العالمين

١٦

– حيث آتيناه مما لم نؤت غيرهم من فلق البحر وإظلال الغمام ونظائرهما فالمراد تفضيلهم على العالمين مطلقا من بعض الوجوه لا من كلها ولا من جهة المرتبة والثواب فلا ينافي ذلك تفضيل أمة محمد صلى الله عليه و سلم عليهم منوجه آخر ومن جهة المرتبة والثواب وقيل : المراد بالعالمين عالم و زمانهم

وآتيناهم بينات من الأمر دلائل ظاهرة في أمر الدين فمن بمعنى في والبينات الدلائل ويندرج فيها معجزات موسى عليه السلام وبعضهم فسرها بها وعن ابن عباس آيات من أمر النبي صص وعلامات مبينة لصدقه عليه الصلاة و السلام ككونه يهاجر من مكة إلى يثرب ويكون أنصاره أهلها إلى غير ذلك مما ذكر في كتبهم فما اختلفوا في ذلك الأمر إلامن بعد ما جاءهم العلم بحقيقة الحال فجعلوا ما يوجب زوال الخلاف موجب الرسوخه بغيا بينهم عدواة وحسدالا شكا فيه إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة بالمؤاخذة والجزاء فيما كانوا فيه يختلفون

١٧

– من أمر الدين ثم جعلناك على شريعة أي سنة وطريقة من شرعه إذا سنه ليسلك وفي البحر الشريعة في كلام العرب الموضع الذي يرد منه الناس في الأنهار ونحوها ." (١)

" فهو لا يرد الأستدلال إذ يكفي للمرتضي أن يقول : المولى في الخبر بمعنى المكان الذي يقال فيه أولى إذ يلزم على غيره العبث أو الكذب وإن أراد أن ذلك معنى لازم لما هو تفسير له كأن يكون تفسيره القائم بمصالحكم ونحوه مما يكون ذلك لازما ففي رده الأستدلال أيضا تردد وإن أراد شيئا آخر فنحن لا ندري ما هو وهو لم يبينه والحق أنه لو جعل المولى بمعنى الأولى أو المكان الذي يقال فيه الأولى لا يتم الأستدلال بالخبر على الأمامة التي تدعيها الإمامية للأمير كرم الله تعالى وجهه لما بين في موضعه وفي التحفة الأنثى عشرية ما فيه كفاية لطالب الحق

وقال ابن عباس أي مصيركم وتحقيقه على ما قال الإمام : إن المولى بمعنى موضع الولي وهنو القرب والمعنى هي موضعكم الذي تقربون منه وتصلون إليه وأنت تعلم أن الأخبار بأنها مأواهم ليس فيه كثير جدوى على أن وضع المكان

---

(١) روح المعاني، ١٤٨/٢٥

للموضع الذي يتصف صاحبه بالمأخذ حال كونه فيه والقرب من النار وصف لأولئك قبل الدخول فيها ولا يحسن وصفهم به بعد الدخول ولو اعتبر مجاز الكون كما لا يخفى وجوز بعضهم اعتبار كونه اسم مكان من الولي بمعنى القرب لكن على أن المعنى هي مكان قربكم من الله سبحانه ورضوانه على التهكم بهم وقيل : أي متوليكم أي المتصرفة فيكم كمتصرفكم فيما أوجبها واقتضاها في الدنيا من المعاصي والتصرف استعارة للأحراق والتعذيب وقيل : مشاكلة تقديرية وبئس المصير ١٥

– أي النار وهي المخصوص بالذم المحذوف **لدلالة السياق** ألم يأن للذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله استئناف لعتاب المؤمنين على الفتور والتكاسل فيما ندبوا إليه والمعاتب على ما قاله الزجاج طائفة من المؤمنين وإلا فمنهم من لم يزل خاشعا منذ أسلم إلى أن ذهب إلى ربه وما نقل عن الكلبي ومقاتل أن الآية نزلت في المنافقين فهم المراد بالذين آمنوا مما لا يكاد يصح وقد سمعت صدر السورة الكريمة ما روي عن ابن مسعود رضي الله تعالى عنه

وأخرج ابن المبارك وعبد الرزاق وابن المنذر عن الأعمش قال : لما قدم أصحاب رسول الله صلى الله عليه و سلم المدينة فأصابوا من لين العيش ما أصابوا بعد ما كان لهم من الجهد فكأنهم فتروا عن بعض ما كانوا عليه فعوتبوا فنزلت ألم يأن الآية

وأخرج ابن أبي حاتم وابن مردويه عن ابن عباس قال : إن الله تعالى استبطأ قلوب المهاجرين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن فقال سبحانه : ألم يأن الآية وفي خبر ابن مردويه عن أنس بعد سبع عشرة سنة من نزول القرآن

وأخرج عن عائشة قالت : خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم على نفر من أصحابه في المسجد وهم يضحكون فسحب رداءه محمرا وجهه فقال : أتضحكون ولم يأتكم أمان من ربكم بأنه قد غفر لكم وقد نزل في ضحككم آية ألم يأن للذين الخ قالوا : يا رسول الله فما كفارة ذلك قال : تبكون بقدر ما ضحكتم وفي خبر أن أصحاب النبي عليه الصلاة و السلام قد ظهر فيهم المزاح والضحك فنزلت وحديث مسلم ومن معه السابق مقدم على هذه الآثار على ما يقتضيه كلام أهل الحديث و يأن مضارع أني الأمر أنيا وأناءا وإناءا بالكسر إذا جاء أناه أي وقته أي ألم يجيء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره عز و جل

وقرأ الحسن وأبو السمال ألما بالهمزة ولما النافية الجازمة كلم إلا أن فيه أن المنفي متوقع ." (١)

" على الجار والمجرور محذوفا أي بكم وبما تعبدون وحذف اكتفاءا **بدلالة السياق** فليس بشيء

وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدا أي هذا دأبنا معكم لا نتركه حتى تؤمنوا بالله وحده وتتركوا ما أنتمعليه من الشرك فتنقلب العداوة ولاية والبغضاء محبة وفسر الفيروزابادي البغضاء بشدة البغض ضد الحب وأفاد أن العداوة ضد الصداقة وفسر الصداقة بالمحبة فالعداوة والبغضاء على هذا متقاربان وأفاد الراغب أن العداوة منافاة الألتئام قلبا وقال نفار

---

(١) روح المعاني، ١٧٩/٢٧

النفس عن الشيء الذي ترغب عنه وهو ضد الحب ثم قال : يقال : بغض الشيء بغضا وبغضة وبغضاء وهونحو كلام الفيروزابادي والذييفهم منكلام غير واحد أنه كثيرا ما يعتبر في العداوة التخاذل دون البغضاء فليراجع هذا المطلب

إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك استثناء من قوله تعالى : أسوة حسنة كما قاله قتادة وجماعة وهو على تقدير التجريد أو تفسيرا لأسوة بالأقتداء منقطع بلا ريب وأما على تقدير أن يراد بها مايؤتسى به فقيل : هو متصل وقيل : منقطع وإليه ذهب الأكثر توجيه الأستثناء إلى العدة بالأستغفار لا إلى نفس الأستغفارالمحكي عنه عليه السلام بقوله تعالى : واغفر لأبي الآية أنه المراد قيل : لأنها كانت هي الحاملة له عليه السلام عليه ويعلم من ذلك استثناء نفس الأستغفار بطريق الأولى وجعلها بعضهم كناية عن الأستغفار لأن عدة الكريم خصوصا مثل إبراهيم عليه السلام لا سيما إذا أكدت بالقسم يلازمها الإنجاز وليس بلازم كما لا يخفى وكأنهذهالعدة غير العدة السابقة في سورة مريم في قوله تعالى حكاية عنه عليه السلام : سأستغفر لك ربي الآية ولعلها وقعت منه عليه السلام بعد تلك تأكيدا لها وحكيت ههناعلى سبيل الأستثناء

وفي الأرشاد تخصيصها بالذكر دون ما وقع في سورة مريم لورودها على طريق التوكيد القسمي واستثناء ذلك من الأسوة الحسنة قيل : لأن استغفاره عليه السلام لأبيه الكافر بمعنى أن يوفقه الله تعالى للتوبة ويهديه سبحانه للإيمان وإن كان جائزا عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم وأنهيموت على الكفركما دل عليه ما في سورة التوبة لكنه ليس مما ينبغي أن يؤتسبه أصلا إذ المراد به ما يجب الأئتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بقوله تعالى بعد : ومنيتول فإنالله هو الغني الحميد فاستثناؤه عما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجق إيمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للأستثناء عليه قطعا وزعم الإمام على ما نقل عنه دلالة الآية على ذلك ولا يلزم أن يكون الأستغفار منه عليه الصلاة و السلام معصية لأنه كثيرا من خواص الأنبياء عليهم السلام لا يجوز التأسي به لأنه أبيح لهم خاصة وهو كما ترى إذ هو ظاهر في أن ذلك الأستغفار الذي وقع منه عليه السلام لو فرض واقعا من غيره لكان معصية وليس كذلك بل هو مباح ممن وقع

وعن الطيبي ما حاصله : إن إبراهيم عليه السلام لما أجاب قول أبيه : لأرجمنك واهجرني مليا بقوله : سأستغفر لك ربي رحمة ورأفة به ولم يكن عارفا بإصراره علىالكفر وفي بوعده وقال : واغفر لأبي فلما تبين إصراره ترك الدعاء وتبرأ منه فظهر أن استغفاره لم يكن منكرا وهوفي حياته بخلاف ما نحن فيه فإنه فصل عداوتهم وحرصهم على قطع أرحامهم بقوله تعالى : لن تنفعكم الخ وسلاهم عن القطيعة بقصة إبراهيم عليه السلام ثم استثنى منها ما ذكر كأنه قيل : لا تجاملوهم ولا تبدوا لهم الرأفة كما فعل إبراهيم لأنه لم يتبين ." (١)

" وبنائها وطحوها وتسويتها وتعقبه الومخشري بأنه ليس بالوجه لقوله تعالى فألهمها فجورها وتقواها وما يؤدي إليه من فساد النظم وذلك على ما في الحواشي لما يلزم من عطف الفعل على الأسم وأنه لا يكون له فاعل لا ظاهر وهو ظاهر ولا مضمر لعدم مرجعه واعترض بأن الأخير منتقض بالأفعال السابقة أعني بناها طحاها سواها على أن **دلالة السياق** في صحة الإضمار وأما الأول ففيه أن عطف الفعل على الأسم ليس بفاسد وإن كان خلاف الظاهر على أنه عطف على ما

---

(١) روح المعاني، ٧١/٢٨

بعد ما كانه قيل ونفس وتسويتها فألهامها فجورها وتقواها واعترض هذا بأن الفاء يدل على الترتيب من غير مهملة والتيوية قبل نفخ الروح والإلهام بعد البلوغ وأجيب بأن التسوية تعديل الأعضاء والقوى ومنها المفكرة والإلهام عبارة عن بيان كيفية إستعمالها في النجدين في هذا المحل وهو غير مفارق عنه منذ سوى نعم يزداد بحسب ازدياد القوى كيفية لا وجود على أن المهملة في نحوها عرفي وقد يعد متعقبا دون تراخ ثم أنه مشترك الألزام ولا معنى لقول الطيبي النظم السري يوجب موافقة القرائن فلا يجوز وتنفس وتسويتها فألهمها الله فهي حاصلة وإنما ذلك بناء على توهم أن قوله تعالى فألهمها جملة وبالجملة لا يلوح فساد هذا الوجه وأبي القاضي عبد الجبار إلا المصدرية دون المصدرية قال لما يلزم منها الأقسام بغير الله تعالى على إقسامه سبحانه بنفسه عز و جل وأجاب عنه الإمام بأن أعظم المحسوسات الشسمس فذكرها الله تعالى مع أوصافها الدالة على عظمتها ثم ذكر ذاته المقدسة ووصفها جل وعلا بصفات ثلاث ليحظى العقل بإدراك جلال الله تعالى وعظمته سبحانه كما يليق به جل جلاله ولا ينازعه الحس فكان ذلك طريقا إلى جذب العقل من حضيض عالم المحسوسات إلى بيداء أو بكبريائه جل شأنه وجوز أن تكون ما عبارة عن الأمر الذي ينيب السماء وطحيت وسويت النفس من الحكم والمصالح التي لا تحصى ويكون إسناد الأفعال إليها مجازا وفاعل ألهمها يجوز أن يكون ذلك أمر ويكون الإسناد مجازا أيضا وهو كما ترى والفجور والتقوى على ما أخرج عبد بن حميد وغيره عن الضحاك المعصية والطاعة مطلقا قلبيين كانا أو قالبيين وألهمهما النفس على ما أخرج هو وابن جرير وجماعة عن مجاهد تعريفهما إياها بحيث تميز رشدها ضلالها وروي ذلك عن ابن عباس كما في البحر وقريب منه قول ابن زيد ألهمها فجورها وتقواها بينهما لها وأخرج ابن المنذر وابن أبي حاتم وغيرهما نحوه عن قتادة والآية على ذلك نظير قوله تعالى وهديناه النجدين وقدم الفجور على التقوى لأن إلهامه بهذا المعنى من مباديء تجنبه وهو تخلية والتخلية مقدمة على التحلية وقيل قدم مراعاة للفواصل إلى ضمير النفس قيل إشارة إلى أن الملهم للنفس فجوز وتقوى قد استعدت لهما فهما لها بحكم الأستعداد وقيل رعاية للفواصل أيضا وقوله تعالى قد أفلح من زكيها جواب القسم على ما أخرجه الجماعة عن قتادة وإليه ذهب الزجاج وغيره وحذف اللام كثير لا سيما عند الكلام المقتضي للتخفيف أو لسده مسدها وفاعل زكاها ضمير من والضمير المنصوب للنفس وكذا في قوله تعالى وقد خاب من دسيها وتكرير قد لأبراز الأعتناء بتحقيق مضمونه والإيذان بتعلق القسم به أصالة والتزكية التنمية والتدسية والأخفاء وأصل دسى دسس فأبدل من ثالث التماثلات ياء ثم أبدلت ألفا لتحركها وانفتاح ما قبلها وأطلق بعضهم فقال أبدل من ذلك حرف علة كما قالوا في تقضض تقضي ودسس مبالغة في دس بمعنى أخفى قال الشاعر ودسست عمرا في التراب فأصبحت

حلائله منه أرامل ضيعا وفي الكشاف التزكية الإنماء والإعلاء والتدسية النقص والإخفاء أي لقد فاز بكل مطلوب ونجا من كل مكروه من أنمى نفسه وأعلاها بالتقوى علما وعملا ولقد خسر من نقصها وأخفاها بالفجور ." (١)

" أبونا قصي كان يدعى مجمعا

به جمع الله القبائل من فهر فلايدل يدل على مازعمه أصلا وهو في الاصل تصغي قرش بفتح القاف اسم لدابة في البحر أقوى دوابه تأكل ولاتؤكل وتعلو ولاتعلى وبذلك أجاب ابن عباس معاوية لما ساله لم سميت قريش قريشا وتلك الدابة

---

(١) روح المعاني، ١٤٣/٣٠

تسمى قرشا كما هو المذكور في كلام الحبر وتسمى قريشا وعليه قول تبع كما حكاه عنه أبو الوليد الازرقي وأنشده أيضا الحبر لمعاوبة الا أنه نسبه للجمحي وقريش هي التي تسكن البحر

بها سميت قريش قريشا تاكل الغث والسمين ولاتترك

يوما لذي جناحين ريشا هكذا في البلاد حي قريشا

يأكلون البلاد أكل كميشا ولهم آخر الزمان نبي يكثر

القتل فيهم والخموشا وقال الفراء هو من التقرش بمعنى التكسب سموا بذلك تجارتهم وقيل من التقريش وهو التفتيش ومنه قول الحرث ابن حلزة أيها الشامت المقرش عنا

عند عمرو فهل لنا ابقاء سموا بذلك لان أباهم كان يفتش عن أرباب الحوائج ليقضي حوائجهم وكذا كانوا يفتشون على ذي الخلة من الحاج ليسدوها وقبل من التقرش وهو من التجمع ومنه قوله اخوة قرشوا الذنوب علينا

في حديث من دهرهم وقديم سموا ذلك لتجمعهم بعد التفرق والتصغير اذا كان من المزيد تصغير ترخيم واذا كان من ثلاثي مجرد فهو على أصله وأياما كان فهو للتعظيم مثله في قوله وكل أناس سوف تدخل بينهم

دويهية تصفر منها الانامل والنسبة اليه قرشي وقرشي كما في القاموس وأجمعوا على صرفه هنا راعوا فيه معنى الحي ويجوز منع صرفه ملحوظا فيه معنى القبيلة للعمية والتانيث وعليه قوله

وكفى قريش المعضلات وسادها

وعن سيبويه أنه قال في نحو معد وقريش وثقيف هذه للاحياء اكثر اوان جعلت اسماء للقبائل فجائز حسن واللام في لايلاف للتعليل والجار والمجرور متعلق عند الخليل بقوله فليعبدوا وافاء لما في الكلام من معنى الشرط اذ المعنى ان نعم الله غير محصورة فان لم يعبدوا لسائر نعمه سبحانه فليعبدوا لهذه النعمة الجليلة ولما لم تكن في جواب شرط محقق كانت في الحقيقة زائدة فلا يمتنع تقديم معمول مابعدها عليها وقوله تعالى ايلافهم رحلة الشتاء والصيف بدل من ايلاف قريش ورحلة مفعول به لايلافهم على تقدير ان يكون من الالفة أما اذا كانت من المؤالفة بمعنى المعاهدة فهو منصوب على نزع الحافظض أي معاهدتهم على أو لأجل رحلة الخ واطلاق لأيلاف ثم ابدال المقيد منه للتفخيم وروى عن الاخفش أن الجار متعلق بمضمر أي فعلنا مافعلنا من اهلاك اصحاب الفيل لايلاف قريش وقال الكسائي والفراء كذلك الا انهما قدرا الفعل **بدلالة السياق** اعجبوا كأنه قيل أعجبوا لايلاف قريش رحلة الشتاء والصيف وتركهم عبادة اللع تعالى الذي أعزهم ورزقهم وآمنهم فلذا أمروا بعبادة ربهم المنعم عليهم بالرزق والامن عقبه وقرن بالفاء التفريعية وعن الاخفش أيضا أنه متعلق بجعلهم كعصف في السورة وقبله والقرآن كله كالسورة الواحدة فلا يضر الفصل بالبسملة خلافا لجمع والمعنى أهلك سبحانه من قصدهم من الحبشة ولم يسلطهم عليهم ليبقوا على ماكانوا عليه من ايلافهم رحلة الشتاء والصيف أو أهلك عز و جل من قصدهم ليعتبر الناس ولايجترىء عليهم أحد فيتم لهم الامن في رحلتهم ولاينافي هذا كون اهلاكهم ." (١)

---

(١) روح المعاني، ٢٣٩/٣٠

" والأضحية والوتر وأخرج بن أبي حاتم الأحوص أنه قال وانحر أي استقبل القبلة بنحرك واليه ذهب الفراء وقال يقال منازلهم تتناحر أي تتقابل وأنشد قوله أبا حكم هل أنت عم مجالد

وسيد أهل الابطح المتناحر واخرج أبن أبي حاتم وابن مردويه والحاكم والبيهقي في سننه عن علي كرم الله تعالى وجهه أنه لما قال نزلت هذه السورة على النبي صلى الله تعالى عليه وسلم انا أعطيناك الخ قال رسول عليه الصلاة و السلام لجبريل عليه السلام ماهذه النحيرة التي أمرني بها ربي فقال أنها ليست بنحيرة ولكن يأمرك اذا تحرمت للصلاة ان ترفع يديك اذا كبرت واذا ركعت واذا رفعت برأسك من الركوع فانها صلاتنا وصلاة الملائكة الذين هم في السموات السبع وان لكل شيء زينة وزينة الصلاة رفع اليدين عند كل تكبيرة وأخرج ابن جرير عن أبي جعفر رضى الله تعالى عنه أنه قال في ذلك ترفع يديك أول ما تكبر في الافتتاح وأخرج البخاري في تاريخه والدار قطنى في الافراد وآخرون عن الامير كرم الله تعالى وجهه أنه قال ضع يدك اليمنى على ساعد ايسرى ثم ضعها على صدرك في الصلاة وأخرج نحوه أبو الشيخ والبيهقي في سننه عن أنس مرفوعا ورواه جماعة عن ابن عباس وروى عباس وروى عن عطاء ان معناه اقعد بين السجدتين حتى يبدو نحرك وعن الضحاك وسليمان التيمي انهما قالا معناه ارفع يديك عقيب الصلاة عند الدعاء الى نحرك ولعل في صحة الاحاديث عند الاكثرين مقالا والا فمقالوا الذي قالوا وقد قال الجلال السيوطي في حديث علي كرم الله تعالى وجهه الاول انه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم في المستدرك بسند ضعيف وقال ابن كثير انه حديث منكر جدا بل أخرجه ابن الجوزي في الموضوعات وقال الجلال في الحديث الآخر عن الامير كرم الله تعالى وجهه أخرجه ابن أبي حاتم والحاكم بسند لابأس به ويرجح قول الاكثرين ان لم يصح عن النبي صالى اله تعالى عليه وسلم مايخالفه ان الاشهر استعمال النحر في نحر الابل دون تلك المعاني وان سنة القآن ذكر الزكاة بعد الصلاة وما ذكر بذلك المعنى قريب منها بخلافه على تلك المعاني وان ماذكروه من المعاني يرجع الى آداب الصلاة أو ابعاضها فيدخل تحت فصل لربك ويبعد عطفه عليه دون ماعليه الاكثر ومع أن القوم كانوا يصلون وينحرون لللاوثان فالانسب أن يؤمر صلى الله تعالى عليه وسلم في مقابلتهم بالصلاة وانحر له عز و جل هذا واعتبار الخلوص في فصل الخ كما أشرنا اليه لدلالة السياق عليه وقيل لدلالة لام الاختصاص وفي الالتفات عن ضمير العظمة الى خصوص اللب مضافا الى ضميره عليه الصلاة و السلام تأكيد لترغيبه صلى الله تعالى عليه وسلم في أداء ما أمر به على الوجه الاكمل ان شانئك أي مبغضك كائنا من كان هو الابتر الذي لاعقب له حيث لايبقى منه نسل ولاحسن ذكر وأما أنت فتبقى ذريتك وحسن صيتك وآثار فضلك الى يوم القيامة ولك في الاخرة ما لايتدرج تحت البيان وأصل البتر القطع وشاع في قطع الدنب وقيل لمن لاعقب له أبتر على الاستعارة شبه الولد والاثر الباقي بالذنب لكونه خافه فاكأنه بعده وعدمه بعدمه وفسره قتادة بالحقير الذليل وليس بذاك كما يفصح عنه سبب النزول وفيها عليه دلالة عالى أن أولاد البنات من الذرية كما قال غير واحد واسم الفاعل أعنى شانىء ههنا قيل بمعنى الماضي ليكون معرفة بالاضافة فيكون الابتر خبره ولايشكل ذلك بمن كان يبغضه عليه الصلاة و السلام قبل الايمان من لأكابر الصحابة رضى الله تعالى عنهم ثم هداه الله

تعالى للايمان وذاق حلاوته فكان صلى الله تعالى عليه وسلم أحب اليه من نفسه وأعز عليه من روحه ولم يكن أبتر لما أن الحكم على المشتق يفيد علية مأخذه فيفيد الكلام ان الابترية معللة ." (١)

"؟ *وفي تفسيره لقوله تعالى في سورة الطور ﴿ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾في سياق الحديث عن أحوال أهل الجنة: يقول الشوكاني : [وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وقيل يقول بعضهم لبعض بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة وقيل إن التساؤل بينهم عند البعث من القبور والأول أولى **لدلالة السياق** على أنهم قد صاروا في الجنة](١).

؟ وفي تفسيره لسورة الرحمن التي سيقت لبيان العديد من نعم الله عزوجل على الثقلين يبين الشوكاني وجه النعمة في بعض الآيات فنعم الله عز وجل منها الظاهر ومنها الباطن ، والنعم الباطنة تحتاج إلى تأمل وتفكر حتى ندرك وجه كونها نعمة وبهذا يتبين لنا وجوه الترابط بين الآيات التي سيقت لتعداد النعم :

؟ *من ذلك ما أورده في وجه كون الفناء من آلاء الرحمن قال تعالى ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ فَبِأَيِّ آلَاء رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ﴾

---

(١) – نفسه ٥ / ٩٨." (٢)

"فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة " حمزة " ، أو نرد قراءة " حمزة " إلى قراءة الجماعة بأن نقول : معنى أزالهما : أي صرفهما عن طاعة الله ، فأوقعهما في الزّلِةِ ؛ لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزّلة سبب للزوال ، ويحتمل أن تفيد كل قراءة معنى مستقلاً ، فقراءة الجماعة تؤذن بإيقاعها في الزّلِةِ ، فيكون " زلّ " بمعنى : استزلّ ، وقراءة : حمزة " تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما ، ولا بُدَّ من المجاز في كِلْتَا القراءتين ، لأن الزَّلَلَ أصله من زلّة القدم ، فاستعمل هنا في زلّة الرأي والتنحية لا يقدر عليها الشَّيطان ، وإنما يقدر على الوسوسة التي هي سبب التنحية.

و " عنها " متعلّق بالفعل قبله ، ومعنى " عن " هنا السَّببية إن أعدنا الضمير على " الشجرة " أي : أوقعهما في الزّلِة بسبب الشجرة.

قال " الزَّمخشري " لفظة " عن " في هذه الآية كما في قوله : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِي﴾ [الكهف : ٨٢].

ويجوز أن تكون على بابها من المُجاوزة إن عاد الضمير على " الجنّة " ، وهو الأظهر ، لتقدّم ذكرها ، وتجيء عليه قراءة " حمزة " واضحة ، ولا تظهر قراءته كلّ الظُّهور على كون الضمير لـ " الشجرة ".

قال " ابن عطيّة " فأما من قرأ " أزالهما " فإنه يعود على " الجنة " فقط.

---

(١) روح المعاني، ٢٤٧/٣٠

(٢) موقف الشوكاني في تفسيره من المناسبات، ص/٨٠

وقيل : الضَّمير للطاعة ، أو للحالة ، أو للسماء ، وإن لم يجر لهما ذكر لدلالة السياق عليهما.
وهذا بعيد جدًّا.
فإن قيل : إن الله – تعالى – قد أضاف الإزْلاَل إلى " إبليس " فلم عاتبهما على ذلك الفعل ؟ والجواب : أن قوله : " فأزلهما " أنهما عند وَسْوَسَتِهِ أتيا بذلك الفعل ، وأضيف ذلك إلى " إبليس "كما في قوله : ﴿فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآئِى إِلاَّ فِرَاراً﴾ [نوح : ٦] قال تعالى حاكياً عن إبليس : ﴿وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِّن سُلْطَانٍ إِلاَّ أَن دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي﴾ [إبراهيم : ٢٢] ، هذا قول المعتزلة ، والتحقيق في هذه الإضافة ما ذكرناه ، وهو أن القادر على الفعل والترك مع التَّسَاوي يستحيل أن يكون موجداً لأحد هذين الأمرين إلا عند انضمام الدَّاعي إليه ، والدَّاعي في حَقّ العبد عبارة عن علم أو ظن ، أو اعتقاد بكون الفعل مشتملاً على مصلحةٍ ، فإذا حصل ذلك العلم أو الظن بسبب منبّه نبه عليه كان الفعل مضافاً إلى ذلك المنبّه ؛ لأنه هو الفاعل لما لأجله صار الفَاعِلُ بالقوة فاعلاً بالفعل ، فهكذا المَعْنَى انضاف – ها هنا – إلى الوسوسة.
فإن قيل : كيف كانت الوَسْوَسَةُ ؟ فالجواب : هي التي حكى الله عنها في قوله : ﴿مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَاذِهِ الشَّجَرَةِ إِلاَّ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ﴾ [الأعراف : ٢٠] فلم يقبلا ذلك منه ، فلما أيس عدل إلى اليمين على ما قال تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] فلم يصدقاه.
والظاهر أنه بعد ذلك عَدَلَ إلى شيء آخر ، وهو أنه شغلهما باستيفاء اللاَّت المُبَاحَة حتى صارا مستغرقين فيها ، فَحَصَلَ بسبب استغراقهما فيها نِسْيَان النهي ، فعند ذلك حصل ما حصل ، والله اعلم.
فصل في بيان كيف وسوس إبليس لآدم اختلفوا في أنه كيف تمكّن إبليس من وَسْوَسَةِ آدم عليه الصلاة والسلام مع أن إبليس كان خارج الجنّة ، وآدم عليه الصَّلاة والسَّلام داخل الجنّة ؟ وذكروا فيه وجوهاً : أحدها : ما روي عن وهب بن منبّه والسدي عن ابن عباس وغيره : أن إبليس أراد دخول الجنة ، فمنعته الخزنة ، فأتى الحية بعد ما عرض نفسه على سائر الحيوانات فما قبله واحد من الحيوانات ، فابتلعته الحية وأدخلته الجَنَّة خفية من الخَزَنَةِ ، فلما دخلت الحَيّة الجنة خرج إبليس من فيها واشتغل بالوَسْوَسَةِ ، فلا جرم لعنت الحَيّةِ ، وسقطت قوائمها ، وصارت تمشي على بطنها ، وجعل رزقها في التراب ، وصارت عدواً بني آدم ، وأمرنا بقتلها في الحِلّ والحَرَمِ.
قال ابن الخطيب : وهذا وأمثاله يجب ألا يلتفت إليه ؛ لأن إبليس لو قدر على الدخول في فَمِ الحيّة فلم يقدر على أن يجعل نَفسه حَيّة ثم يدخل الجَنَة ؟ ولأن الحية لو فعلت ذلك ، فلم عوقبت مع أنها ليست بعاقلة ولا مكلفة ؟ وأيضاً فلما خرج من بطنها صارت في الجنة كانت الملائكة والخزنة يرونه.
وثانيها : أن " إبليس " دخل الجَنَّة في صورة دَابّة ، وهذا القول أقلّ فساداً من الأول.
وثالثها : قال بعض أَهْلِ الأصول : لعلّ آدم وحَوّاء – عليهما السلام – كانا يخرجان إلى باب الجنة ، وإبليس كان بقرب الماء يُوَسْوِسُ لهما.
ورابعها : قال الحسن : كان إبليس في الأرض ، وأوصل الوَسْوَسَةَ إليهما في الجنَة.
قال بعضهم : هذا بعيد ؛ لأن الوسوسة كلام خفيّ ، والكلام الخفيّ لا يمكن إيصاله من الأرض إلى السَّماء.

واختلفوا في أن " إبليس " باشر خطابهما ، أو أوصل الوسوسة إليهما على لسان بعض أتباعه.

حجّة الأول : قوله تعالى : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ﴾ [الأعراف : ٢١] ﴿فَدَلاَّهُمَا بِغُرُورٍ﴾ [الأعراف : ٢٢].

وحجّة الثاني : أن آدَمَ وحواء - عليهما الصَّلاة والسَّلام - ." (١)

"والثاني : أنه منصوبٌ على الصَّرف ، وقد تقدَّم معنى ذلك ، وأنه مذهب الكوفِيِّين ، وأنه لم يثبت بدليل.

والثالث : أنه منصوبٌ بإضمار " أنْ " في جواب النهي ، وهذا مذهب الأخفش ، وجوَّزه ابن عطيَّة والزَّمخشريُّ ، ومَكِّيٌّ ، وأبو البقاء ، قال أبو حيَّان : " وأمَّا إعراب الأَخْفَشِ ، وتجويزُ الزمخشريّ ذلك هنا ، فتلك مسألة : " لاَ تَأْكُلِ السَّمَكَ ، وتَشْرَب اللَّبَنَ " قال النحويُّون : إذا نصب ، كان الكلام نهياً عن الجمع بينهما ، وهذا المعنى : لا يصحُّ في الآية لوجهين : أحدهما : أنَّ النهي عن الجمع لا يستلزم النَّهي عن كلِّ واحدٍ منهما على انفراده ، والنَّهي عن كلِّ واحدٍ منهما يستلزم النَّهي عن الجمع بينهما ؛ لأن الجمع بينهما حصول كلِّ واحدٍ منهما ، وكلُّ واحدٍ منهما منهيٌّ عنه ضرورةً ؛ إلا ترى أنَّ أكل المال بالباطل حرامٌ سواءٌ أفرد أم جمع مغ غيره من المحرَّمات ؟ والثاني - وهو أقوى - : أنَّ قوله " لِتَأْكُلُوا " علَّةٌ لما قبلها ، فلو كان النهيُ عن الجمع ، لم تيصحَّ العلّةُ له ؛ لأنَّه مركَّبٌ من شيئين ، لا تصحُّ العلَّة أن تترتَّب على وجودهما ، بل إنما تترتَّب على وجود أحدهما : وهو الإدلاء بالأموال إلى الحكام ".

والإدلاء مأخوذٌ من إدلاء الدَّلو ، وهو إرساله إلى البئر ؛ للاستقاء ؛ يقال : " أدْلَى دَلْوَهُ " إذا أرسلها ، ودَلاَهَا : إذا أخْرَجَها ، ثم جُعِلَ كُلُّ إلقاء قول أو فعل إدلاء ؛ ومنه يقال للمحتجِّ أدْلَى بِحُجَّتِهِ ، كأنه يرسلها ، ليصل إلى مراده ؛ كإدلاء المستقي الدلو ؛ ليصل إلى مطلوبه من الماء ، وفلانٌ يدلي إلى الميِّت بقرابة ، أو رحم ؛ إذا كان منتسباً ، فيطلب الميراث بتلك النِّسبة.

و " بِهَا " متعلِّقٌ بـ " تُدْلُوا " وفي الباء قولان : أحدهما : أنها للتعدية ، أي لترسلوا بها إلى الحكَّام.

والثاني : أنَّها للسبب ؛ بمعنى أن المراد بالإدلاء الإسراع بالخصومة في الأموال ؛ إمَّ لعدم بيِّنةٍ عليها ، أو بكونها أمانةً ؛ كمال الأيتام ، والضمير في " بِهَا " : الظاهر أنه للأموال : وقيل : إنه لشهادة الزُّور ؛ **لدلالة السِّياق** عليها ، وليس بشيء.

و " مِنْ أَمْوَال " في محلّ نصبٍ صفةً لـ " فَرِيقاً " أي : فريقاً كائناً من أمْوَالِ النَّاس.

قوله : " بالإِثْمِ " تحتمل هذه الباء : أن تكون للسَّبب ، فتتعلَّق بقوله : " لِتَأْكُلُوا " وأن تكون للمصاحبة ، فتكون حالاً من الفاعل في " لتَأْكُلُوا وتتعلق بمحذوفٍ أي : لِتَأْكُلُوا ملتبسين بالإثم.

٣٢٥

فصل في سبب تسمية الرشوة بالإدلاء في تسمية الرَّشوة بالإدلاء وجهان :

٣٢٦

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٥١

أحدهما : أن الرَّشوة تقرِّب البعيد من الحاجة ؛ كما أنَّ الدَّلو المملوء يصل من

٣٢٧

البعيد إلى القريب بواسطة الرِّشاء ، فالمقصود البعيد يصير قريباً ، بسبب الرَّشوة.

والثاني : أن الحاكم بسبب أخذ الرّشوة يمضي في ذلك الحكم من غير تثبُّت ؛ كمضيّ الدَّلو في الرِّشاء ، ثم المفسِّرون ذكروا وجوهاً ؟ أحدها : قال ابن عبَّاس ، والحسن – رضي الله عنهما – وقتادة : المراد منه الودائعُ ، وما لا يقوم عليه البيّنة.

وثانيها : أن المراد هو مال اليتيم في يد الأوصياء يدفعون بعضه إلى الحاكم ، ليبقى لهم بعضه.

وثالثها : قال الكلبيُّ : المراد بالإدلاء إلى الحكَّام : هو شهادة الزُّور ورابعها : قال الحسن : هو أن يحلف ؛ ليذهب حقَّه ؛ كما تقدَّم في سبب النُّزول.

وخامسها : وهو أن يدفع إلى الحاكم رشوة ، وهذا أقرب إلى الظاهر ، ولا يبعد حمل اللفظ على الكُلِّ ؛ لأنها بأسرها أكلٌ للمال بالباطل.

٣٢٨

". (١)

"أي : فإنْ تَقْتُلُوا بعضنا.

يروى أن الأعمش قال لحمزة ، أرأيت قراءتك ، إذا صار الرجُلُ مَقْتُولاً ، فبعد ذلك كيف يصير قاتلاً لغيره ؟ ! قال حمزة : إنَّ العَرَبَ ، إذا قُتِلَ منهُم رجلٌ قالوا : قتلنا ، وإذا ضَرِبَ منهُم رجلٌ ، قالُوا ضُرِبنا وأجمعوا على " فَاقْتُلُوهُمْ " أنَّه من القتل ، وفيه بشارةٌ بأنَّهم ، إذا فعلوا ذلك ، فإنهم مُتَمَكّنون منهُمْ بحيثُ إنكم أُمِرْتُم بقتلهم ، لا بقتالهم ؛ لنُصْرتِكُمْ عليهم ، وخذْلانِهِمْ ؛ وهي تؤيِّدُ قراءةَ الأخوينِ ، ويؤيّدُ قراءة الجمهور : ﴿وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾.

و " عِنْدَ " منصوبٌ بالفعل قبله ، و " حَتَّى " متعلقةٌ به أيضاً غايةٌ له ، بمعنى " إلى " والفعلُ بعدها منصوبٌ بإضمار " أَنْ " والضميرُ في " فِيهِ " يعودُ على " عِنْدَ " إذ ضميرُ الظرفِ لا يتعدَّى غليه الفعلُ إلاَّ بـ " فِي " ؛ لأنَّ الضميرَ يَرُدُّ الأشياءَ إلى أصولها ، وأصلُ الظرفِ على إضمار " في " اللهم إلا أَنْ يُتَوَسَّعُ في الظرفِ ، فيتعدَّى الفعلُ غلى ضميره مِنْ غير " في " ولا يُقالُ : " الظَّرْف غيرُ المُتَصرِّف لا يتوسَّع فيه " ، فيتعدَّى إليه الفعلُ ، فضميرُهُ بطريق الأولى ؛ لأنَّ ضمير الظَّرف ليس حكمه حكمَ ظاهره ؛ ألا ترى أنَّ ضميره يُجَرُّ بـ " في " وإن كان ظاهرُه لا يجوزُ ذلك فيه ، ولا بدَّ مِنْ حذفٍ في قوله : ﴿فَإِن قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ﴾ أي : فإنْ قاتلُوكُم فيه ، فاقتلوهم فيه ، فَحَذَفَ **لدلالةِ السِّيَاق** عليه.

٣٤٤

فصل وهذا بيان بشرط كيفيَّة قتالهم في هذه البقعة خاصَّة ، وكان مِنْ قبلُ شرطاً في كلِّ قتالٍ وفي الأشهر الحرم ؛ وقد تمسَّك به الحنفيَّةُ في قتل الملتجيئ إلى الحرم ، وقالوا : لَمَّا لم يجز القتل عند المسجد الحرام ؛ بسبب جناية الكفر فبأن لا يجوز القتلُ في المسجد الحرام بسبب الذَّنب الذي هو دون الكُفر أولى.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٥٨٠

قوله : " كَذَلِكَ جَزَاءُ " فيه وجهان : أحدهما : أنَّ الكافر في محلِّ رفعٍ بالابتداءِ ، و " جَزَاءُ الكَافِرِينَ " خبرُه ، أي : مِثْلُ ذَلِكَ الجَزَاءِ جَزَاؤُهُمْ ، وهذا عند مَنْ يرى أن الكاف اسمٌ مطلقاً ، وهو مذهبُ الأخفش.

والثاني : أن يكونَ " كَذَلَكَ " خبراً مقدَّماً ، و " جَزَاءٌ " مبتدأً مؤخَّراً ، والمعنى : جزاءُ الكافرين مثلُ ذلك الجَزَاءِ ، وهو القتلُ ، و " جَزَاءُ " مصدرٌ مضافٌ لمفعوله ، أي : جزاءُ اللَّهِ الكافرين ، وأجاز أبو البقاء أان يكونَ " الكَافِرِينَ " مرفوع المحلِّ على أن المصدر مقدَّرٌ من فِعْل مبنيٍّ للمفعول ، تقديرُه : كذلك يُجْزَى الكافِرُون ، وقد تقدَّم لنا الخلافُ في ذلك.

قوله تعالى : ﴿فَإِنِ انتَهَوْاْ فَإِنَّ اللّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ أي : لهم.

ومتعلق الانتهاء محذوفٌ أي : عن القتال ، و " انْتَهَى " " افْتَعَلَ " من النَّهي ، وأصلُ " انْتَهَوا " " انْتَهَيُوا " فاسْتُثْقَلَت الضَّمةُ على الياء ؛ فحُذِفَتْ فالتقى ساكنان ؛ فَحُذِفت الياءُ ؛ لالتقاء الساكنين ، أو تقول : تَحَرَّكَتِ الياء ، وانفتحَ ما قبلها ؛ فَقُلِبَتْ ألفاً ؛ فالتقى ساكنان ؛ فَحُذِفَتِ الألفُ ، وبقِيت الفتحة تَدُلُّ عليها.

فصل في اختلافهم في متعلِّق الانتهاء هذا البيانُ لبقاء هذا الشَّرط في قتالهم قال ابن عبَّاس - رضي الله عنهما - فإن انتهوا عن القتال ؛ لأنَّ المقصُود من الإذان في القتال منعُ الكُفّار عن المُقاتلة.

وقال الحسنُ : فإن انتهوا عن الشِّرك ؛ لأنَّ الكَافِرَ لا يَنَالُ المغفرة والرِّحمة بترك القتال ، بل بترك الكُفرِ.

فصل في دلالة الآية على قبول التَّوبة من كلِّ ذنب دلَّت الآية على أنَّ التوبة مِنْ كُلِّ ذنبٍ مقبولةٌ ومَنْ قال : إنَّ التوبة عن قتل العَمْد غيرُ مقبولةٍ ، فقد أخطأ ؛ لأنَّ الشرك أشدُّ من القتل ، فإذا قَبِلَ الله تبوة الكافِرِ ، فقبُولُ توبة

٣٤٥

" (١).

"العدم إلى الوجود ، وذلك لأنَّ الله - تعالى - هو الذي أخرج الإنسان من العدم إلى الوجود ؛ قال تعالى : ﴿وَقَضَى رَبُّكَ أَلاَّ تَعْبُدُوا اْ إِلاَّ إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً﴾ [الإسراء : ٢٣] فأشار إلى أنه ليس بعد رعاية حقِّ الله - تعالى - من شيءٍ أوجب من رعاية حقِّ الوالدين ؛ فلذلك قدمهما ، ثم الأقربين ؛ لأنَّ الإنسان أعلم بحال الفقير القريب من غيره ؛ ولأنَّه إذا لم يراع قريبه الفقير لاحتاج الفقير إلى الرجوع إلى غيره ، وذلك عار في حقِّ قريبه الغنيِّ.

فإن قيل : إنَّه تعالى ذكر " الْوَالِدَيْنِ " ثمَّ عطف عليه " الأَقْرَبِينَ " والعاطف يقتضي

٥٢١

المغايرة ، وذلك يدلُّ على أن الوالدين لا يدخلون في مسمَّى الأقربين ، فهو خلاف الإجماع ؛ لأنَّه لو وقف على " الأَقْرَبين " حمل فيه الوالدين بغير خلافٍ.

فالجواب : أنَّ هذا من عطف العامِّ على الخاصِّ ؛ كقوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَاكَ سَبْعاً مِّنَ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنَ الْعَظِيمَ﴾ [الحجر : ٨٧] فعطف القرآن على السبع المثاني ، وهي من القرآن ، وقال - عليه السّلام - " أفضل ما قتل أنا والنبيُّون من قبلي...

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٥٩٠

" فعطف " النَّبِيِّين " على قوله : " أَنَا " وهو من النبيين ، وذلك شائعٌ في لسان العرب ، ثمَّ ذكر بعدهم اليتامى ؛ لأنهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب ، وليس لهم أحدٌ يكتسب لهم ، فالطفل اليتيم : قد عدم الكسب ، والمكاسب ، وأشرف على الضياع ، ثم ذكر بعدهم المساكين ؛ لأنَّ حاجتهم أقلُّ من حاجة اليتامى ؛ لأنَّ قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى ، ثم ذكر ابن السبيل بعدهم ؛ لأنه بسبب انقطاعه عن بلده ، قد يحتاج ، ويفتقر ، فهذا أصحُّ تركيبٍ ، وأحسن ترتيبٍ في كيفيَّة الإنفاق ، ثم لَّما فصَّل هذا التَّفصيل الحسن الكامل ، أردفه بالاجمال ، فقال : ﴿وَمَا تَفْعَلُواْ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ﴾ والعليم مبالغةٌ في كونه عالماً لا يعزب عن علمه مثقال ذرَّةٍ في الأرض ، ولا في السَّماء.

و " ما " هذه شرطيةٌ فقطح لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى.

وقرأ عليٌّ رضي الله عنه : " وما يفعلوا " بالياء على الغيبة ، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب ، وأن يكون من الإضمار لدلالة السياق عليه ، أي : وما يفعل الناس.

فصل في المراد بالخير قال أكثر العلماء : المراد بـ " الخَيْر " هو المال ؛ لقوله تعالى : ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات : ٨] ، وقال : ﴿إِن تَرَكَ خَيْراً الْوَصِيَّةُ﴾ [البقرة : ١٨].

وقيل : المراد بالخير هذا الإنفاق ، وسائر وجوه البرّ ، والطاعة.

فصل هل الآية منسوخة أم لا ؟ قال بعضهم : هذه الآية منسوخة بآية المواريث.

وقال أهل التفسير : إنها منسوخة بالزكاة.

٥٢٢

قال بعضهم : وكلاهما ضعيفٌ ؛ لأنَّه يمكن حمل الآية على وجوهٍ لا يتطرق النَّسخ إليها.

أحدها : قال أبو مسلم الأصفهاني : الغنفاق على الوالدين ، واجبٌ عند قصورهما عن الكسب والملك ، والمراد بـ " الأَقْرَبِينَ " الولد ، وولد الولد ، وقد تلزم نفقتهم عند فقد الملك ، وعلى هذا فلا وجه للقول بالنَّسخ ؛ لأنَّ هذه النفقة تلزم في حال الحياة ، والميارث يصل بعد الموت ، وما وصل بعد الموت لا يوصف بأنه نفقةٌ.

وثانيها : أن يكون المراد من أحبَّ التقرب إلى الله تعالى بالنفقة ، فالولى أن ينفقه في هذه الجهات ، فيكون المراد التطوع.

ثالثها : أن يكون المراد ا االوجوب فيما يتصل بالوالدين والأقربين من حيث الكفاية ، وفيما يتصل بالتيامى والمساكين مما يكون زكاةً.

ورابعهما : يحتمل أن يريد بالإنفاق على الوالدين والأقربين ما يكون بعثاً على صلة الرَّحم ، وفيما يصرفه لليتامى والمساكين ما يخلص للصدقة ، فظاهر الآية محتملٌ لكل هذه الوجوه من غير نسخ.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٥١٧

قرئ : ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ﴾ : ببناء " كَتَب " للفاعل ؛ وهو ضمير الله تعالى ، ونصبِ " القِتَالِ ".

قال القرطبي : وقرأ قومٌ : " كُتِبَ عَلَيْكُمْ الْقَتْلُ " ؛ قال الشاعر : [الخفيف] ١٠٤٨ أ - كُتِبَ الْقَتْلُ وَالْقَتَالُ عَلَيْنَا وَعَلَى الغَانِيَاتِ جَرُّ الذُيُولِ

قوله تعالى : " وَهُوَ كُرْهٌ " هذه واو الحال ، والجملة بعدها في محلِّ نصبٍ عليها ، والظاهر أنَّ " هو " عائدٌ على القتال.

وقيل : يعود على [المصدر] المفهوم من كتب ، أي : وكتبه وفرضه.

وقرأ الجمهور "كُرْهٌ " بضمِّ الكاف ، وهو الكراهية بدليل قوله : ﴿وَعَسَى أَن تَكْرَهُواْ شَيْئاً﴾ ثم فيه وجهان : أحدهما : أنَّ وضع المصدر موضع الوصف سائغٌ كقول الخنساء : [البسيط] ١٠٤٨ب - ....

فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَادْبَارُ

٥٢٣

" (١).

"برفع اللأَّءات.

قال ابن الأنباريّ : العرب تقولُ في الجمع من غير الحيوان ، الّتي ، ومن الحيوان : اللاتي ، كقوله : ﴿أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَاماً﴾ [النساء : ٥].

وقال في هذه الآية : اللاتي ، واللائي ، والفرق هو أن الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد وأمَّا جمع الحيوان ليس كذلك بل كلُّ واحدةٍ منهما غير متميزة عن غيرها بخواص وصفات فافترقا ، ومن العَرَبِ من يسوّي بين البابين ، فيقولُ : كما فعلت الهندات التي من أرمها كذا ، وما فعلت الأثواب التي من قصتهن كذا ، والأوَّلُ هو المختار وفي محلّ " اللاتي " قولان : أحدهما : الجملة من قوله : ﴿فَاسْتَشْهِدُواْ عَلَيْهِنَّ﴾ وجاز دخول الفاء زائدة في الخبر ، وإن لم يَجُزْ زيادتها في نحو : " زيدٌ فاضرِبْ " على رأي الجمهور ؛ لأن المبتدأ أشبه الشرك في كونه موصولاً عامّاً صلته فِعْلُ مستقبل ، والخبرُ مستحقٌّ بالصّلة.

الوجه الثاني : أنَّ الخبر محذوف ، والتقدير : " فيما يتلى عليكم حكم اللاتي " فحذف الخبر والمضاف إلى المبتدأ للدلالة عليهما ، وأقيمَ المضافُ إلى مُقامَه ، وهذا نظيرُ ما فَعَلَهُ سيبويه في نحو : ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُواْ﴾ [النور : ٢] ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا اأ﴾ [المائدة : ٣٨] ، أي فيما يُتلى عليكم حُكْمُ الزانية ، ويكون قوله : " فاستشهدوا عليهن " " فاجلدوا " دالاًّ على ذلك الحكم المحذوف لأنه بيان له.

والقولُ الثاني : أنَّه منصوبٌ بفعل مقدر **لدلالة السِّياق** عليه لا على جهة الاشتغال لما نذكره ، والتقدير : اقصدوا اللاتي يأتين ، أو تعمَّدوا ولا يجوز أن ينتصب بفعل مضمر يفسره قوله : " فاستشهدوا " فتكون المسألةُ من باب الاشتغال ؛ لأنَّ هذا الموصولَ أشبَهَ اسْمَ الشّرطِ ، كما تقدَّم تقديره ، واسم الشرط ولا يجوز أن ينتصب على الاشتغال ، لأنَّهُ لا يعمل فيه ما قبله فلو نصبناه بفعل فقد لزم أن يعمل فه ما قبله هذا ماق اله بعضهمْ ، ويقرُب منه ماق اله أبُو البَقَاءِ فإنَّهُ قال : وإذا كان كذلك ، أي : كونه في حُكْمِ الشَّرْطِ لم يحسن النَّصب ، لأنَّ تقدير الفعل قبل أداء الشرط لا يجوز وتقديره بعد الصِّلَةَ يحتاج إلى إضمار فعل غير قوله " فاستشهدوا " ؛ لأن " استشهدوا " لا يَصِحُّ أن يعمل النصب في " اللاتي " ، وفي عبارته مناقشةٌ يطول ذكرُهَا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٦٨٤

٢٣٧

والثّاني : أنَّهُ منصوب على الاشتغال ، ومَنَعَهُمْ ذلك بأنَّه يَلْزَمُ أن يعمل فيه ما قبله جوابه أنَّا نُقَدِّرُ الفعلَ لا قَبْلَهُ ، وهذا خلافٌ مشهور في أسماءِ الشَّرْطِ والاستفهام ، هل يَجْرِي فيها الاشتغال أم لا ؟ .

فمنعه قَوْمٌ لِمَا تقدم وأجازه آخرون مقدِّرين الفعل بعد الشَّرْطِ والاستفهامِ.

وكونُهُ منصوباً على الاشتغال هو ظاهر كلام مكِّيٍ ، فإنَّهُ ذكر ذلك في قوله : ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا﴾ [النساء : ١٦] فالآيتانُ من وادٍ واحد ولا بُدَّ من إيراد نَصِّه لِيتَّضِحَ لك قوله ؛ قال – رحمه الله – : ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا﴾ [النساء : ١٦] الاختيار عند سيبويه في " اللذان " الرفع ، وإن كان معنى الكلام الأمْرَ ؛ لأنَّه لَمَّا وَصَلَ بالفعلِ تمكَّنَ معنى الشَّرط فيه ، إذْ لا يقع على شيء بعينه ، فلمَّا تمكَّنَ معنى الشَّرط والإبهام جرى مَجْرَى الشَّرطِ في كونه لم يَعْمل فيه مَا قَبْلَهُ ، كما لا يعمل في الشَّرط ما قبله من مُضْمَر أو مظهر ، ثم قال : " والنَّصْبُ جائزٌ على إضمار فعلٍ مدلولٍ عليه كما تَقَدَّمَ نقله عن بعضهم ، لأنه لم يكُنْ لتعليله بقوله : " لأنه إنما أشبه الشرط إلى آخره " فائدة ، إذ النصبُ كذلك لا يحتاج إلى هذا الاعتذار.

فصل قال القرطبيُّ : الفاحشة في هذا الموضع الزنا ، فالمرادُ بالفاحشة : الفعلة القبيحة وهي مصدر كالعَاقِبَةِ والعَافِيَةِ ، وقرأ ابن مسعود " بالفاحشة " بباء الجرِّ وقوله : " من نسائكم " في محلِّ النصب على الحال من الفاعل في " يأتين " ، فهو يتعلق بمحذوفٍ أي : ياتين كائناتٍ من نسائكم.

وأما قوله : " منكم " ففيه وجهان : أحدهما : أن يتعلَّق بقوله : " فاستشهدوا ".

والثاني : أن يَتَعَلَّق بمحذوفٍ على أنَّهُ صفة لـ " أربعة " فيكون في محل نصبٍ تقديره : فاستشهدوا عليهنَّ أربعةً كائنة منكم.

فصل معنى يأتين الفاحشة أي يفعلنها يقال : أتيت أمراً قبيحاً ، أي : فعلته قال تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْتِ شَيْئاً فَرِيّاً﴾ [مريم : ٢٧] وقوله تعالى : ﴿لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئاً إِدّاً﴾ [مريم : ٨٩]

٢٣٨

". (١)

"قوله : " كُلَّ المَيْلِ " : نصبٌ على المَصْدرية ، وقد تقرر أن " كل " بحسَبِ ما تُضَاف إليه ، إنْ أضيفَت إلى مَصْدرٍ – كانت مَصْدَراً – أو ظرفٍ ، أو غَيْرِه ؛ فكذلك.

قوله : " فَتَذَرُوهَا " فيه وجهان : أحدهما : أنه مَنْصُوب بإضْمَارِ " أنْ " في جَوابِ النَّهْي.

والثاني : أنه مَجْزُوم عَطْفاً على الفِعْل قبله ، أي : فلا تَذرُوها ، ففي الأوَّل نَهْيٌ عن الجمع بينهما ، وفي الثاني نهيٌ عن كلِّ على حِدَتِهِ وهو أبلغُ ، والضَّميرُ في " تَذَرُوها " يعود على المُميلِ عنها ؛ **لدلالة السِّياق** عليها.

قوله : " كالمُعلَّقة " : حال من " ها " في " تَذَروها " فيتعلَّق بمَحْذُوف ، أي : فتذرُوها مُشْبِهةً المُعَلَّقة ، ويجُوز عندي :

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٤٠٠

أن يَكُون مفعولاً ثانياً ؛ لأن قولك : " تَذَر " بمعنى : تَتْرك ، و " تَرَك " يتعدَّى لاثْنَيْن إذا كان بِمَعْنَى : صيَّر.
والمعنى : لا تَتَّبِعُوا هَوَاكُم ، فَتَدَعُوا الأخْرى كالمُعَلَّقَة لا أيِّماً ، ولا ذَات بَعْل ؛ كما أن الشَّيء المُعَلَّق لا [يَكُون] على الأرْضِ ، ولا على السَّماءِ ، وفي قِرَاءة أبَيّ : " فَتَذَرُوها كالمَسْجُونَة " ، وفي الحَدِيث : " من كَانَت له امْرأتَانِ يميلُ مع إحْدَاهُمَا ، جاء يَوْم القِيَامة وأحدُ شِقَّيْه مَائِلٌ ".
قوله : " وإن تُصْلِحُوا " بالعدل في القَسْم ، و " تَتَّقُوا " : الجور ﴿فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ غَفُوراً رَّحِيماً﴾ لما حَصَل في القَلْبِ من المَيْلِ إلى بَعْضِهِنَّ دون بَعْضٍ.
وقيل المعنى : وإن تُصْلحوا ما مَضَى من مَيْلِكُم ، وتَتَدَارَكُوه بالتَّوْبَة ، وتَتَّقُوا في
٥٧
المُسْتَقْبَل عن مِثْلِه ، غفر الله لكم ذَلِكَ ، وهذا أوْلَى ؛ لأن التَّفَاوُت في المَيْل القَلْبي ليس في الوُسْع ، فلا يحتاج إلى المَغْفِرَة.
قوله " وَإِنْ يَتَفَرَّقَا " يعني : الزَّوْج والمَرْأة بالطَّلاق ، ﴿يُغْنِ اللَّهُ كُلاًّ مِّن سَعَتِهِ﴾ : من رزقه ، يعني : المَرْأة بِزَوْج آخر ، والزَّوْج بامرأة أخْرى.
وقيل : يُغْنِي اللَّهُ كل واحِدٍ منهما عن صَاحِبِه بعد الطَّلاقِ ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ وَاسِعاً حَكِيماً﴾ وصف نفسه بِكَوْنه وَاسِعاً ؛ ولم يُضِفْه إلى شَيْء ؛ لأنه - تعالى - وَاسِعُ الفَضْل ، واسع الرِّزْقِ ، واسع النِّعْمَةِ ، واسع الرَّحْمَةِ ، واسع القُدْرَةِ ، واسِعُ العِلْمِ ، واسعٌ في جميع الكمالات ، فلو قالَ : واسِعٌ في كذا ، لاخْتَصَّ بذلك المَذْكُور ، وقوله : " حكيماً " قال ابن عبَّاسٍ : يريد فيما أمرَ ونَهَى ، وقال الكلبيُّ : فيما حَكَم على الزَّوْج من إمْسَاكِهَا بمعرُوفٍ ، أوْ تسريحٍ بإحْسَانٍ.
فصل حُكْم الرَّجلِ إذا كان تَحْتَهُ امْرأتَان أوْ أكْثَر ، يجِبُ عليه التَّسْوِيَة بَيْنَهُنَّ في القَسْم ، فإن ترك التَّسْوِيَة بَيْنَهُنَّ في القَسْم ، عَصَى اللَّه - تعالى - ، وعليه القَضَاءُ للمَظْلُومة ، والتَّسْوِيَة شَرْط في البَيْتُونَةِ أمَّا في الجِمَاع فَلاَ ؛ لأنه يَدُور على النَّشاطِ وليس ذَلِكِ إليه ، ولو كانت تَحْتَه حُرَّةٌ وأمَةٌ فإنَّه يَبِيتُ عِنْد الحُرَّة لَيْلَتَيْن ، وعند الأمَة لَيْلَة ، وإذا تَزَوَّج جَدِيدَةً على قَدِيمَة ، يخص الجَدِيدَة بأن يَبِيت عِنْدَهَا سَبْعَ لَيَالٍ على التَّوالِي إن كانت بِكْراً ، وإن كانت ثَيِّباً ، فثلاث لَيَالٍ ، ثم يُسَوِّي بعد ذَلِك بين الكُلِّ ، ولا يجب قَضَاء هذه الثلاث للقَدِيمَات ؛ لقول أنسٍ : من السُّنَّةِ إذا تزوَّج البكر على الثَّيِّب أن يُقِيم عِنْدَها سَبْعَةً ، وإذا تزوَّج الثَّيِّب على البِكْرِ ، أن يُقِيم عندها ثلاثاً ، فإن أحبَّت الثَّيِّبُ أن يُقِيم عِنْدَها سبْعاً ، فعل ، ثم قَضَاه للبَوَاقِي ؛ لأن " النَّبِي صلى الله عليه وسلم لما تَزَوَّج أمَّ سَلَمَة أقام عِنْدَها سَبْعاً ، ثم قال : لَيْس بك هَوانٌ على أهْلِكِ ، إن شِئْت سَبَّعْت لَكِ ، وإن سَبَّعْت لك سَبَّعْت لِنِسَائي " ، وإذا أرادَ الرَّجُل سفرَ حَاجَةٍ ، فيجُوزُ له أنْ يحمل بَعْضَ نِسَائِه [معه بالقُرْعَة بَيْنَهُنَّ] ، ولا يَجِبُ عليه [أن] يَقْضِي للبَاقِيَات مُدَّة سَفَرِه وإن طَالَتْ إذا لَمْ يزدْ مَقَامُهُ في بَلْدة على مُدَّة المُسَافِرِين ؛ لأن النَّبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سَفَراً ، أقْرَعَ بين نِسَائِه ، فأيَّتهن خَرَج سهمُهَا ،
٥٨
خرج بِهَا مَعَهُ ، أما إذا أرَادَ سَفَرَ نَقْلةٍ ، فَلَيْسَ له تَخْصِيصُ بَعْضِهِن ، لا بِقُرْعَة ولا بِغَيْرِها.

جزء : ٧ رقم الصفحة : ٥٦

". (١)

"وعن الثاني : أنه – عليه الصلاة والسلام – لو كان مأموراً بأن يَسْتَدِلَّ بالدليل الذي اسْتَدَلَّ به الأنبياءُ المتقدِّمُون لم يكن ذلك مُتَابَعَةً ؛ لأن المسلمين لما اسْتَدَلُّوا بحدوث العالم على وجود الصانع لايقال : إنهم مُتَّبِعُونَ لليهود والنَّصارى في هذا الباب ؛ لأن المستدلَّ بالدليل يكون أصلاً في ذلك الحكم ، ولا تعلُّ له بمن قبله ألْبَتَّةَ ، والاقتداء والاتِّبَاعُ لا يحصل إلا إذا كان فعل الأوَّل سَبَباً لوجوب الفِعْلِ عن الثاني.

وعن الثالث : أنه أمر الرَّسُولَ بالاقْتِدَاءِ بجميعهم في جميع الصِّفَاتِ الحميدة ، والأخلاق الشريفة ، وذلك لا يوجب كونه أقَلَّ مرتبة من الكُلِّ على ما يأتي في الفَصْلِ الذي بعده.

فصل في أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم احْتَجَّ العملاء بهذه الآية على أن الرَّسول صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصَّلاةُ والسَّلام ؛ لأن خِصَالَ الكمالِ وصفاتِ الشَّرفِ كانت مفرّقة فيهم فـ " داود " و " سليمان " كانا من أصحاب الشكر على النعمة ، و " أيُّوب "كان من أصحاب الصَّبْرِ على البلاءِ ، و " يوسف "كان جَامِعاً لِهَاتَيْنِ الحالتين ، و " موسى " عليه الصلاة والسلام كان صاحب الشرعيةِ القويَّةِ القاهرة ، والمعجزات الظاهرة و " زكريا " و " يحيى " و " عيسى " و " إلياس "كانوا أصحاب الزُّهْدِ ، و " إسماعيل "كان صاحب الصِّدْق و " يونس "كان صاحب التَّضَرُّعِ.

وثبت أنه – تعالى – إنما ذكر كُلُّ واحد من هؤلاء الأنبياء ؛ لأن الغالب عليه خَصْلَةٌ مُعيَّنةٌ من خِصال المَدْح والشرف ، ثم إنه تعالى لما ذكر الكلّ أمر محمداً – عليه الصَّلاة والسَّلام – بأن يقتدي بهم بأسْرِهِمْ ، فكان التقدير كأنه – تعالى – أمر محمداً أن يجمع من خِصالِ العُبُوديَّة والطاعة كُل الصفات التي كانت مُتفرِّقَةً فيهم بأجمعهم ، ولما أمره الله – تبارك وتعالى – بذلك امْتَنَعَ أن يقال : إنه قَصَّر في تحصيلهم ، فثبت أنه حَصَّلَهَا ، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال : إنه أفْضَلُهُمْ بكليتهم.

قوله : ﴿قُل لاَّ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ لما أمره الاقتداء بهدى الأنبياء المتقدمين ، وكان من جُمْلَةِ هدايتِهِمْ تَرْكُ طلب الأجْرِ في إيصال الدين ، وإبلاغ الشريعة لا جَرَم اقتدى بهم في ذلك فقال : " قُلْ لا أسْألُكُمْ عليْهِ أجْراً " [و " الهاء " في " عليه "] تعود على القرآن والتبليغ أضمرا وإن لم يَجْرِ لهما ذِكْرٌ **لدلالة السِّياق** عليهما ، و " أن " نافية ولا عمل لها على المَشْهُور ، ولو كانت عَامِلةً لبطل عملها بـ " إلاَّ " في قوله : " إنْ هُوَ إلاَّ ذِكْرَى " أن يذكره ويعظه.

" وللعالمين " متعلق بـ " ذكرى " و " اللام " معدية أي : إن القرآن العظيم إلاَّ تذكير للعالمين ، ويجوز أن تكون متعلِّقَةً بمحذوف على أنها صِفَةٌ للذِّكْرَى ، وهذه الآية تَدُلُّ على أنه صلى الله عليه وسلم مَبْعُوثٌ إلى كل أهْلِ الدنيا لا إلى قَوْمٍ دون قَوْمٍ.

٢٧٣

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/١٦٢٦

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٢٦٩

قوله : وما قدروا الله حق قدره الآية الكريمة.

اعلم أن مَدَارَ القرآن على إثْبَاتِ التوحيد والنُّبُوَّةِ ، فالله – تعالى – لما حَكَى عن إبراهيم – عليه الصَّلاة والسَّلام – أنه أثْبَتَ دليل [التوحيد ،] وإبطال الشرك ذَكَرَ بعده تَقْرِيرَ أمر النبوة ، فقال : " وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ " حين انركوا النُّبُوَّةَ والرسالة ، فهذا بيان وَجْهِ النَّظْمِ.

" حَقّ قَدْرِهِ " منصوب على المَصْدَرِ ، وهو في الأصل صِفَةٌ للمصدر ، فلما أضيف الوصف إلى موصوفه انْتَصَبَ على مَا كَانَ يَنْتَصِبُ عليه مَوْصُوفُهُ ، والأصل قدره الحقّ كقولهم : " جَرْد قَطِيفَة وسحق عمامة ".

وقرأ الحسنُ البَصْرِيُّ " ، وعيسى الثقفي : " قَدَّروا " بتشديد الدَّال " قدَره " بتحريكها ، وقد تقدَّم أنهما لُغَتَانِ.

قوله : " إذْ قَالُوا " مَنْصُوبٌ ب " قدروا " ، وجعله ابن عطية منصوباً ب " قدره " [وفي كلام ابن عطية ما يشعر بأنها] للتعليل ، و " من شيء " مفعول به زيدت فيه " من " لوجود شَرْطَي الزيادة.

فصل في معنى الآية قال ابن عبَّاسٍ : ما عَظَّمُوا الله حقَّ تعظيمه.

وروي عنه أيضاً أنه قلا : معناه ما آمنوا أن الله على كُلِّ شيء قدير.

وقال أبو العَالِيَةِ : ما وصفوا الله حقَّ صِفَتِهِ.

وقال الأخْفَشُ : ما عرفوه حَقَّ معرفته ، وحقَّق الواحدي رحمه الله – تعالى – فقال : قَدَرَ الشَّيءَ إذا سَبَرَهُ وحَرَّرَهُ ، وأراج ان يعمل مقداره يقدره بالضمير قدراً ، ومنه قوله

٢٧٤

." (١)

"قوله : " وليقُولُوا " جوابه ؛ لأن الإضافة تقع بأدْنَىَ مُلابَسَةٍ ، وإلا فكلامُ إمَامٍ يَتَكَرَّرُ لا يُحْمَلُ على فَسَادٍ.

وأما القراءات التي في " درست " فثلاث في المتواتر : فقرا ابن عامر : " دَرَسَتْ " بِزِنَةِ : ضَرَبَتْ ، وابن كثير وأبو عمرو " دَارَسْتَ " بِزِنَةِ : قَابَلْتَ أنت ، والباقون " دَرَسْتَ " بِزِنَةِ ضَرَبْتَ أنت.

فأمَّا قرءاة ابن عامر : فمعناها بَلِيَتْ وقَدُمَتْ ، وتكرَّرَتْ على الأسْمَاعِ ، يشيرون إلى أنها من أحَادِيثِ الأوَّلينَ ، كما قالوا : " أسَاطِيرُ الأوَّلِينَ ".

وأما قراءة ابن كثير ، وأبي عمروا : فمعناها : دَارَسْتَ يا محمد غَيْرَكَ من أهْلِ الأخبار الماضية ، والقرون الخالية حتى حَفِظْتَهَا قَفُلْتَهَا ، كما حكى عنهم فقال : ﴿إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ﴾ [النحل : ١٠٣].

وفي التفسير : أنهم كانوا يقولون : هو يُدَارِسُ سَلْمَانَ وعَدَّاساً.

وأما قراءة الباقين : فمعناها : حَفِظْتَ وأتْقَنْتَ بالدَّرْسِ أخبارَ الأوَّلين ، كما حُكِيَ عنهم ﴿وَقَالُوا اْ أَسَاطِيرُ الأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾ [الفرقان : ٥] أي : تكرر عليها بالدرس يحفظها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢١١٧

قال ابن عباس رضي الله عنهما : وليقولوا أهل " مكة " حين تَقْرَأُ عليهم القرآن : ودَرَستْ تعلمت من يسارٍ وجبر ، وكانا عَبْدَيْنِ من سَبي الروم قرأت علينا تَزْعُمُ أنه من عند الله.

حكى الواحدي في قوله : درس الكتاب قولين : الأول : قال الأصمعيُّ : أصله من قولهم : درس الطعام إذا دَرَسَهُ دراساً ، والدَّرْسُ الدِّيَاسُ بِلُغَةِ أهل " الشام " ، قال : ودرس الكلام من هذا ، أي : يدرسه فيخفُّ على لسانه.

والثاني : قال أبو الهيثم : درست الكتاب ، أي : ذللته بكثرةِ القراءة خَفَّ حِفْظُهُ من قولهم : درست الثوب أدْرُسُهُ دَرْساً ، فهو مَدْرُوسٌ ودَرِيسٌ ، أي : أخْلَقْتُهُ ، ومنه قيل للثوب الخلق : دريسٌ لأنه قد لان والدراسةُ الرياضة ، ومنه درست السُّورة حتى

٣٥٧

حفظتها قال الواحدي : وهذا القول قريب مما قال الأصمعيُّ ، بل هو نفسه لأن المعنى يعود إلى التَّذْليل والتَّلْيين.

وقرئ هذا الحرف في الشَّاذِّ عشر قراءات أخر فاجتمع فيه ثلاثة عشرة قراءة ؛ فقرا ابن عباس بخلاف عنه ، وزيد بن علي ، والحسن البصري ، وقتادة " دُرِسَتْ " فعلاً ماضياً مبنياً للمفعول مسنداً لضمير الإناث ، وفسَّرها ابن جنيّ والزمخشري بمعنيين في أحدهما إشكال.

قال أبو الفتح : " يحتمل أن يُرَادَ عَفَتْ أو بَلِيَتْ ".

وقال أبو القاسم : " بمعنى قُرِئَتْ أو عُفِيَتْ ".

قال أبو حيَّان : " أما معنى قُرِئَتْ وبَلِيَتْ فظاهِرٌ لأن دَرَسَ بمعنى كرَّرَ القراءة متعدٍّ ، وأما " دَرَس " بمعنى بلي وانمحى فلا أحْفَظُهُ متعدياً ، ولا وَجَدْنا فيمن وقَفْنَا على شعره [من العرب] إلا لازماً ".

قال شهاب الدين : لا يحتاج هذا إلى استقراء ، فغن معناه لا يحتمل أن يكون متعدياً ؛ إذْ حَدَثُهُ لا يتعدَّى فاعله ، فهو كـ " قام " و " قعد " فكما أنا لا نحتاج في مَعْرِفةِ قصور " قام " و " قعد " إلى استقراءٍ ، بل نَعْرِفُهُ بالمعنى ، فكذا هذا.

وقرئ " دَرَّسْتَ " فعلاً ماضياً مسدّداً مبيناً للفاعل المخاطب ، فيحتمل أن يكون للتكثير ، أي : دّرَّسْتَ الكُتُبَ الكثيرة كـ " ذبَّحت الغنم " ، و " قَطَّعْتُ الأثواب " وأن تكون للتَّعديَةِ ، والمفعولان محذوفان ، أي : دَرَّسْتَ غيرك الكتاب ، ولي بظاهرٍ ؛ إذ التفسير على خلافه.

وقُرِئ دُرِّسْتَ كالذي قبله إلا أنه مَبْنِيٌّ للمفعول ، أي : دَرَّسَكَ غَيْرُكَ الكتب ، فالتضعيف للتعدية لا غير.

وقرئ " دُوْرِسْتَ " مسنداً لتاء المُخاطبِ من " دَارَس "كـ " قاتل " إلا أنه بُنِيَ للمفعول ، فقلبت ألِفُهُ واواً ، والمعنى : دارسَكَ غَيْرُكَ.

وقرئ " دَارَسَتْ " بتاء ساكنة للتأنيث لَحِقَتْ آخر الفعل ، وفي فاعله احتمالان : أحدهما : أنه ضمير الجَمَاعَةِ أضْمِرَتْ ، وإن لم يَجْرِ لها ذِكْرٌ لدلالة السياق عليها أي : دراستك الجمَاعةُ يُشيرون لأبي فكيهة ، وسلمان ، وقد تقدَّم ذلك في قراءة ابن كثير ، وأبي عمرو رحمها الله تعالى.

والثاني : ضمير الإناث على سبيلِ المُبالغةِ ، أي : إن الآيات نفسها دارَسَتْكَ ، وإن كان المراد أهْلَهَا.

٣٥٨

". (١)

"وقرئ " دَرُسَتْ" بفتح الدال ، وضم الراء مُسْنَداً إلى ضمير الإناث ، وهو مُبالغةٌ في " دَرَسَتْ " بمعنى : بَلِيَتْ وقدُمَتْ وانمحَتْ ، أي : اشتدَّ دُرُوسُهَا وبلاهَا.

وقرأ أبَيٌّ " دَرَسَ " وفاعله ضمير النَّبِيّ صلى الله عليه وسلم ، أو ضمير الكتاب بمعنى قرأهُ النَّبِيُّ ، وتلاهُ ، وكُرِّرَ عليه ، أو بمعنى بلي الكتاب وامَّحى ، وهكذا في مصحف عبد الله " دَرَسَ ".

وقرأ الحسنُ في رواية " دَرَسْنَ " فعلاً ماضياً مسنداً لنون الإناثِ هي ضمير الآياتن وكذا هي في بَعضِ مصاحفِ ابن مسعود.

وقرئ " دَرَّسْنَ " كالذي قبله إلا أنه بالتَّشديد بمعنى اشتدَّ دُرُوسُهَا وبلاهَا ، كما تقدم.

وقرئ " دَارِسَاتٌ " دمع " دَارِسَة " ؛ بمعنى : قديمات ، أو بمعنى ذات دُرُوس ، نحو : ﴿فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٢١] و ﴿خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ﴾ [الطارق : ٦] وارتفاعها على خبر ابتداء مضمرٍ ، أي : هُنَّ دارسات ، والجملة في محلٍ ِّ نصب بالقولِ قبلها.

قوله : " ولنبيِّنَه " تقدم أنَّ هذا عطفٌ على ما قَبْلَهُ ؛ فحكمه حُكْمُه ، وفي الضمير المَنْصُوب أربعةُ احتمالات : أحدها أنه يَعُود على الآياتِ ، وجاز ذلك وإن كانت مُؤنَّثَة ؛ لأنَّها بِمَعْنَى : القُرآن.

الثاني : أنَّه يَعُود على الكتاب ، لدلالة السِّياق عليه ، ويُقَوِّي هذا : أنَّه فاعل بـ " دَرَسَ " في قَراءة مَنْ قَرَأه كذلك.

الثالث : أنَّه يَعُود على المصدَر المفهوم من نُصَرِّف ، أي : نبيِّن التَّصْريف.

الرابع : أنه يَعُود على المَصْدَر المَفْهُوم من " لِنُبَيِّنه " أي : نُبَيِّن التَّبْيِن ، نحو : " ضَرَبْتُه زَيْداً " أي : " ضربت الضَّرْب زَيْداً " ، و " لقوم " معلِّقٌ بالفعل قبله ، و " يعْلَمُون " : في محل جرّ صفة للنَّكرة قبلها.

قال ابن عباس - ضي الله عنهما - يُرِيد أوْلِيَاءَهُ الذين هداهم إلى سبيل الرَّشاد.

وقيل : نصرِّف الآيات ليشقى بها قَوْم ، ويَسْعد بها آخرون ؛ فمن قال : " دَرَسْت " فهو شقي ، ومن تَبَيَّن له الحقُّ ، فهو سِعِيدٌ.

جزء : ٨ رقم الصفحة : ٣٥٤

لما حَكَى عَن المُشْرِكِين أنَّهُم يَنْسِبُونه في إظْهَار هذا القُرْآن العظيم إلى الافْتِرَاء ، وإلى مُدَارسة من يَسْتَفِيد هذه العلُوم مِنْهُم ، ثمَّ ينظِّمُهَا قُرْآناً ، ويدَّعي أنَّه نزل عليه من

٣٥٩

الله ، أبتعه بقوله : ﴿اتَّبِعْ مَآ أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ لئلا يصير ذلك القول سَبَاً لفتوره عن تَبْلِيغ الدَّعْوَة والرِّسالة ، والمقصُود : تقوية " قَلْبِه " ، وإزالة الحُزْن الذي حَصَل بسَمَاع تلك الشُّبْهَة.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢١٦٥

قول : " ما أوحِي " يجُوز أن تكُون " ما " : اسميَّة ، والعائد هو القائمُ مقام الفاعل ، و " إليك " : فَضْلَه ، وأجَازُوا أن تكون مَصْدريَّة ، والقائِم مقام الفاعل حينئذٍ : الجار والمجرُور ، أي : الايحاء الجَائي مِنْ ربّك ، و " مِنْ " لابْتِدَاء مَجَازاً ، ف " مِنْ ربِّك " : متعلِّقٌ ب " أوحِيَ ".

وقيل بل هُو حالٌ من " ما " نَفْسِها.

وقيل : بل هُو حالٌ من الضَّمير المُسْتتِرِ في " أوحِيَ " وهو بِمَعْنَى ما قَبْلَه.

وقوله : " لا إلهَ إلاَّ هُو " جملة مُعْتَرِضة بَيْن هاتَيْن الجُمْلَتيْن الأمْريَّتيْن ، هذا هو الأحْسن.

وجوّز أبُو البقاءِ أن تكُون حالاً من " ربّك " وهي حالٌ مؤكّدَةٌ ، تقديره : من ربّك مُنْفَرِداً.

قوله : " وأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكين " أي : لا تُجَادِلْهم.

وقيل : المرادُ : ترك المُقاتَلة ؛ فلذلك قالوا : إنَّه مَنْسوخٌ ، وهذا ضعيف ؛ لأن الأمْر بترك المُقاتلة في الحالِ لا يُفِيدُ الأمر بتَرْكِها دائماً ، وإذاكان الأمْر كذلك لم يَجِبِ التزام النَّسْخ.

قوله : " ولوْ شَاء اللَّه " مفعول المشيئة مَحْذُوف ، أي : " لو شَاءَ اللَّه إيمانَهُم " وقد تقدَّم أنه لا يُذْكر إلا لِغَرَابتِه ، والمعنى : لا تلتفتْ إلى سَفَاهَات هؤلاء الكُفَّار ، فإنِّي لو أرَدْت إزالَة الكُفْرِ عنهم ، لَقَدَرْت ، ولكنِّي تركْتُهم مع كُفْرِهم ، فلا يَشْتَغِل قلبك بِكلماتِهم.

وتمسَّك أهل السُّنَّة بقوله - تعالى - : ﴿وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ مَآ أَشْرَكُواْ﴾ والمعنى : لو شَاءَ ألاَّ يُشْرِكوا ، ما أشْرَكوا ، وحيث لَمْ يَحْصُلِ الجَزَاء ، لم يَحْصُل الشَّرْط.

وقالت المُعتزلَة : ثبت بالدَّلِيل أنَّه - تعالى - أراد مِنَ الكُلِّ الإيمان ، وما شَاءَ من أحدٍ الكُفْر ، وهذه الآيَة الكريمة تَقْتَضِي : أنَّه - تعالى - ما شَاءَ من الكُلِّ الإيمانَ ؛ فوجب التَّوفيق بين الدَّليليْن ، فيجعل مَشِيئةِ اللَّه لإيمانهم ، على مَشِيئة الإيمان الاخْتِيَاريِّ الموجبِ للثُّواب ، ويحمل عدم مشيئته لإيمانِهِم ، على الإيمان الحاصِل بالقَهْر والجَبْر ، يعني : أنه - تبارك وتعالى - ما شاء أن يَحْمِلَهُم على الإيمان على سبيل القَهْر والإلْجَاء ؛ لأنَّ

٣٦٠

." (١)

"يريد أفعنك بَرْقٌ ، وقد خرجَّه أبُو حيَّان على احتمال كَوْنِهَا عاطفة ، وحذف المعطوف ، والتقديرُ : أفعنك لا عن غَيْرِك.

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٢٩

الضمير في " منها " قال ابن عباس : " يُرِيدُ من الجنَّة ؛ لأنه كان من سُكَّانها "

٣٥

قال ابن عباس : كان في عدنٍ ، لا في جنَّة الخلْدِ.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢١٦٦

وقيل : تعودُ على السَّمَاءِ ، لأنه روي عن ابن عباس : " أنَّهُ وَسْوَسَ إليهما وهو في السَّمَاءِ " ، ولأنَّ الهبوط إنَّما يكون من ارتفاع.

وقيل : يعود على الأرْضِ ، أمِر أن يخرج منها إلى جَزائر البحار ولا يدخل في الأرض إلا كالسَّارِقِ.

وقيل : يَعُودَ على الرُّتْبَةِ المُنيفَةِ ، والمَنْزِلَةِ الرَّفيعَةِ.

وقيل : يَعُودُ على الصُّورةِ والهيئة الَّتي كان عَلَيْهَا ؛ لأنَّهُ كان مُشْرِقَ الوَجْهِ فَعَادَ مظلماً.

قوله : " فَاخْرُجْ " تأكِيدٌ لـ " اهْبِطْ " إذْ هو بمعناهُ.

وقوله : " فِيهَا " لا مفعوم لهُ يعني : أنَّهُ لا يتوهَّمُ أنَّهُ يجوزُ أنْ يتكبَّرَ في غَيْرِهَا ولما اعْتَبَر بَعْضَهُمْ ؛ احْتَاجَ إلى تقدير حذفِ مَعْطُوفٍ كقوله : ﴿تَقِيكُمُ الحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] قال : والتقدير : " فَمَا يَكُونُ لَكَ أنْ تَتَكَبَّرَ فيها ، ولا في غيرها إنَّكَ من الصَّاغِرينَ ، الأذلاَّء ، والصَّغَارُ الذُّلُّ والإهانة ".

جزء : ٩ رقم الصفحة : ٣٥

قوله : ﴿قَالَ أَنظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ أي : أخرني ، وأمْهِلْني فلا تميتني إلى يوم يُبعَثُونَ من قُبُورهم ، وهي النَّفْخَةُ الأخِيرَةُ عند قِيَام السَّاعَةِ.

والضَّميرُ في " يُبْعَثُونَ يعودُ على بَنِي آدَمَ لدلالة السِّياقِ عليهم ، كما دَلَّ على ما عاد عليه الضَّميرانِ في " منها " وفيها كما تقدم.

قوله : فـ ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ قال بعضُ العُلَمَاءِ ، إنَّهُ تعالى أنظره إلى النَّفْخَةِ الأولى ؛ لأنَّهُ تعالى قال في آيةٍ أخرى : ﴿قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ [الحجر : ٣٧ ، ٣٨] ، المراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحْيَاءُ كلهُمْ.

وقال آخرون : لم يُوقِّتِ اللَّهُ تعالى له أجلاً بل قال : ﴿إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ﴾ وقوله في الآيةِ الأخْرَى ﴿إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ﴾ المرادُ منه الوقت المَعْلُومُ في عِلْمِ الله تعالى.

قالوا : والدَّليلُ على صِحَّتِهِ : أنَّ إبليس كان مُكَلَّفاً ، والمُكَلَّفُ لا يجوزُ أن يعلم أنَّ اللَّهَ تعالى أخَّرَ أجَلَهُ إلى الوقت الفُلانِيِّ لأنَّ ذلك المُكَلّفَ يعلمُ أنَّهُ متى تَابَ قُبِلَتْ تَوْبَتُهُ ، وإذا علم أنَّ وقت موته هو الوَقْتُ الفُلانِيُّ أقدم على المعصية بقلب فارغ ، فإذا قَرُبَ وَقْتُ أجَلِهِ ؛ تاب عن تلك المعاصي ، فَثَبَتَ أن تعريف وقت المَوْتِ بعينه يَجْرِي

٣٦

". (١)

"والباقون بهمزتين استفهاماً ، وقد تقدَّم قراءتهم في هاتين الهمزتين تخفيفاً ، وتسهيلاً وغير ذلك ، فأمَّا قراءة ابن كثير ، فيحتمل أن تكون خبراً محضاً واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أنَّ القائل واحد.

وقد أجيب عن ذلك بأنَّ بعضهم قاله استفهاماً ، وبعضهم قاله خبراً ، ويحتمل أن يكون استفهاماً حذف منه الأداة لدلالة السِّياق ، والقراءة الأخرى عليه ، وقد تقدَّم نحو هذا في الإعراب.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٢٢٩٣

وقرأ أبيّ (أَوَأَنْتَ يوسف) فمن قرأ بالاستفهما قالوا : إنَّ يوسف لما قال لهم : ﴿هل علمتم ما فعلتم﴾ تبيَّنوا يوسف ، فأبصروا ثناياه كاللّؤلؤ المنظُوم.

وروى الضحاكُ عن ابنِ عبَّاسٍ ـ رضي الله عنهما ـ لما قال هذا القول تبسَّم فرأوْا ثناياه كاللّؤلؤن فشبهوه بيوسف ، ولم يعرفوه ، فقالوا استفهاماً : ﴿أَإِنَّكَ لأَنتَ يُوسُفُ﴾ ويدلُّ على أنه استفهام قوله : " أنَا يُوسفُ " ، وإنَّما أجابهم عما اسْتَفْهَمُوا عنه ، ومن قرأ على الخبر فحجته ما روى الضحاك عن ابن عباس ـ رضي الله عنهما ـ أنَّه قال : إنَّ أخوة يوسف لم يعرفوه حتّى وضع التَّاج عن رأسه ، كان في قرنه شامة وكان لإسحاق ، ويعقوب مثلها تشبه التَّاج عرفوه بتلك العلامة.

وقال ابن إسحاقك "كان يتكلَّم من وراء ستر ، فلما قال : ﴿هَلْ عَلِمْتُمْ مَّا فَعَلْتُم بِيُوسُفَ﴾ رفع الحجاب فعرفوه " وقيل : قالوه على التَّوُّهمِ.

" واللام في : " لأنْتَ " لام الابتداء ، و " أنْتَ " مبتدأ ، و " يُوسفُ " خبره والجملة خبر " إنَّ " ويجوز أن تكون " أنْتَ " فصلاً ، ولا يجوز أن يكن تأكيداً لاسم " إنَّ " لأنَّ هذه اللام لا تدخل على التوكيد ".

وقرأ أبي : (أئنك أو أنت يوسف) وفيها وجهان : أحدهما : قال أبُوا الفتح : إنَّ الأصل : أئنك لغير يوسف ، أو أنت يوسف فحذف خبر " إن " لدلالة المعنى عليه.

والثاني : ما قاله الزمخشريُّ : المعنى : أئنَّك يوسف ، أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالته ، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع ، فهو يكرِّر الاستثبات فقال : ﴿أَنَاْ يُوسُفُ وَهَاذَا أَخِي﴾ وإنَّما صرَّح بالاسم تعظيماً لما نزل به من ظلم إخوته ، وما عوضه الله من الظَّفر والنَّصر ، فكأنه قال : أنا الذي ظلمتموني على أعظم الوجوه ، والله أوصلني إلى أعظم المناصب ، أنا ذلك العاجزُ الذي قصدتم قتله ، وإلقاءه في الجبِّ ، ثمَّ صرتُ كما ترون ، ولهذا قال : " وهَذا أخِي " مع أنَّهم كانوا يعرفونه ؛ لأن مقصوده أن يقول : وهذا أيضاً كان مظلوماً كما كنت ، ثم إنه صار منعماً عليه من قبل الله كما ترون.

﴿قَدْ مَنَّ اللَّهُ

٢٠١

عَلَيْنَآ﴾ قال ابنُ عباسٍ ـ رضي الله عنه ـ بكلِّ عزٍ في الدنيا والآخرة..

وقيل : بالجمع بيننا بعد الفرقة.

قوله : ﴿إِنَّهُ مَن يَتَّقِ وَيِصْبِرْ﴾ قرأ قنبل " يتقي " بإثبات الياء وصلاً ووقفاً ، والباقون بحذفها فيهما.

فأمَّا قراءة الجماعة فواضحة ؛ لأنَّه مجزومٌ ، وأمَّا قراءة قنبلٍ ، فاختلف فيها النَّاس على قولين : أحدهما : أنَّ إثبات حرف العلَّة في الجزم لغة لبعض العرب ؛ وأنشدوا : [الوافر] ٣١٤٥. أَلَمْ يَأتِيكَ والأنْبَاءُ تَنْمِي

بِمَا لاقَتْ لبُونُ بَنِي زِيَادِ

جزء : ١١ رقم الصفحة : ١٩٧

وقول الآخر : [البسيط] ٣١٤٦. هَجَوْتَ زبَّات ثُمَّ جِئتَ مُعْتَذِراً

مِنْ هَجْوِ زبَّان لَمْ تَهْجُوا ولَمْ تَدعِ

وقول الآخر : [الرجز] ٣١٤٧. إذَا العَجُوزُ غَضِبَتْ فَطلِّقِ

ولا تَرضَّاهَا ولا تَمَلَّقِ

وقول الآخر : [الرجز] ٣١٤٨. إِنِّي إِذَا مَا ما القَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَهْ

واضْطَرَبَ القَوْمَ اضطرابَ الأَرْشِيَهْ

هُنَاكَ أَوْصِينِي ولا تُوصِي بِيَهْ ومذهب سيبويه : أنَّ الجازم بحذف الحركة المقدرة ، وأنَّما تبعها حرف العلَّة في الحذف تفرقة بين المرفوع ، والمجزوم.

واعترض عليه : بأنَّ الجازم يبين أنَّه مجزوم ، وعدمه يُبيّنُ أنه غيرُ مجوزم.

وأجيب : بأنه ف بعض الصُّورِ يلتبس فاطرد الحذف ، بيانه : أنَّك إذا قلت " زُرْنِي أعْطِتكَ " بثبوت الياءِ ، احتمل أن يكون " أعْطِيكَ " جزاء الزيارة ، وأن يكون خبراً مستأنفاً ، فإذا قلت : " أعْطِكَ " بحذفها تعين أن يكون جزاء له ؛ فقد وقع اللَّبس بثبوت حرف العلِّة ،

٢٠٢

". (١)

"وأصل الزَّكاة النُّمو والزيادة.

وقيل : أرخص طعاماً ﴿فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِّنْهُ﴾ أي : قوتٍ وطعامٍ تأكلونه.

قوله : " ولْيَتلَطَّفْ " قرأ العامة بسكون لام الأمر ، والحسنُ بكسرها على الأصل ، [وقتيبة الميَّال] " وليُتَلَطَّفْ " مبنياً للمفعول ، وأبو جعفر وأبو صالحٍ ، وقتيبة " ولا يشعُرنَّ " بفتح الياء وضمِّ العين.

فإن قيل : " بكُمْ " " أحدٌ " فاعل به.

فالجواب : معنى " وليَتَلطَّفْ " أي : يكون في سترة ، وكتمانٍ في دخول المدينة ، قاله الزمخشريُّ ، ويجوز أن يعود على قومهم ؛ **لدلالة السِّياق** عليهم.

وقرأ زيدُ بن عليّ " يُظْهرُوا " مبنيًّا للمفعول.

فصل ﴿يَظْهَرُواْ عَلَيْكُمْ﴾ ، أي : يطَّلعوا عليكم ، ويعلموا مكانكم.

وقيل : أو يشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم : ظهرتُ على فلانٍ ، إذا علوتهُ ، وظهرتُ على السَّطح ، إذا صرت فوقه ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَأَصْبَحُواْ ظَاهِرِينَ﴾ [الصف : ١٤] أي عالين.

وقوله : ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾ [التوبة : ٣٣] أي : ليعليه.

قوله : ﴿يَرْجُمُوكُمْ﴾.

قال ابن جريج : يَشْتموكُمْ ، ويُؤذُوكم بالقول ، وقيل : يقتلوكم بالحجارة ، والرجمُ بمعنى القتل كثيرٌ.

قال تعالى : ﴿وَلَوْلاَ رَهْطُكَ لَرَجَمْنَاكَ﴾ [هود : ٩١] وقوله : ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان : ٢٠] والرجم أخبث القتل ، قاله الزجاج.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٠٢٤

﴿أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ﴾ أي يردُّوكم إلى دينهم.

قوله : ﴿وَلَن تُفْلِحُوا اْ إِذاً أَبَداً﴾ أي إن رجعتم إلى دينهم ، لم تسعدوا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، فـ " إذاً " جوابٌ وجزاءٌ ، أي : إن يظهروا ، فلن تفلحوا.

وقال الزجاج : لن تُفْلِحُوا ، إذا رجعتم إلى ملتهم أبداً ، فإن قيل : أليس أنَّهم لو أكرهوا على الكفر ، حتى أظهروا الكفر ، لم يكن عليهم مضرَّة ، فكيف قالوا : ﴿وَلَن تُفْلِحُوا اْ إِذاً أَبَداً﴾ ؟ .

٤٥١

فالجواب : يحتمل أن يكون المراد أنَّهم لو ردُّوا إلى الكفر ، وبقوا مظهرين له ، فقد يميل بهم ذلك غلى الكفر ، ويصيروا كافرين حقيقة ، فكان تخوُّفهم من هذا الاحتمال.

جزء : ١٢ رقم الصفحة : ٤٤٨

قوله : ﴿وَكَذالِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ﴾ : أي : وكما أنمناهم ، وبعثناهم ، لما فيه من الحكم الظاهرة ؛ أعثرنا ، أي : أطلعنا.

وتقدَّم الكلام على مادَّة " عثر " في المائدة.

يقال : عثرتُ على كذا ، أي : علمته ، وأصله أن من كان غافلاً عن شيءٍ فعثر به ، نظر إليه ، فعرفه ، وكان العثارُ سبباً لحصول العلم ، فأطلق اسم السَّببِ على المسبَّب " لِيَعْلَمُوا " متعلق بـ " أعْثَرْنَا " والضمير : قيل : يعود على مفعول " أعْثَرنَا " المحذوف ، تقديره : أعثرنا النَّاس ، وقيل : يعود على أهل الكهف.

فصل في سبب تعرف الناس عليهم اختلفوا في السَّبب الذي عرف الناس به واقعة أصحاب الكهف ، فقيل : لطول شعورهم ، وأظفارهم ؛ بخلاف العادة ، وظهرت في بشرة وجوههم آثار عجيبةٌ يستدلُّ بها على أن مدَّتهم طالت طولاً بخلاف العادة.

وقيل : لأن أحدهم لما ذهب إلى المدينةِ ؛ ليشتري الطَّعام ، أخرج الدراهم لثمن الطَّعام ، فقال صاحب الطعام : هذه النُّقود غير موجودة في هذا الزَّمان ، وإنها كانت موجودة قبل هذا الوقت بمدَّة مديدة ؛ [فلعلك] وجدتَّ كنزاً ، فحملوه إلى ملك تلك المدينة ، فقال له الملك : أين وجدتَّ تلك الدَّراهم ؟ فقال : بعتُ بها أمس تمراً ، وخرجنا فراراً من الملك دقيانوس ، فعرف الملك أنَّه ما وجد كنزاً ، وأنَّ الله تعالى بعثه بعد موته.

ومعنى قوله : ﴿لِيَعْلَمُوا اْ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ أي : إنما أطلعنا القوم على أحوالهم ؛ ليعلم القوم أنَّ وعد الله حقٌّ بالبعث والنَّشر ؛ فإنَّ ملكَ ذلك الزَّمان كان منكر البعث ، فجعل الله أمر الفتية دليلاً للملكِ.

وقيل : اختلف أهلُ ذلك الزَّمانِ ، فقال بعضهم : الرُّوحُ والجسد يبعثان جميعاً.

وقال آخرون : إنَّما يبعثُ الرُّوح فقط ، فكان الملك يتضرَّع إلى الله تعالى أن يظهر له آية يستدلُّ بها على الحقِّ في هذه المسالة ، فأطلعه الله تعالى على أصحاب الكهف ، فاستدلَّ بهم على صحَّة بعث الأجساد ؛ لأنَّ انتباههم بعد ذلك النَّوم الطويل يشبه من يموت ، ثم يبعث.

٤٥٢

(١) ".

"قوله : ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحاً فَرَأَوْهُ مُصْفَرّاً﴾ لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون مُنيبِينَ آيِسِينَ ، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضاً لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريحٌ مفسِد لكفروا فهم متقلبون غير تأمِّين نظرهم إلى الحالة لا إلى المآلِ.

فصل سمى النافعة رياحاً ، والضارة ريحاً لوجوه : أحدها : أن النافعة كثيرة ألنواع كبيرة الأفراد ، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تَهُبُّ) نفحات من الرياح النافعة ، (و) لا تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.

الثاني : أن النافعة لا تكون إلا رياحاً وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السَّمُوم.

الثالث : جاء في الحديث " أن ريحاً هَبَّتْ فقال عليه (الصلاة و) السلام : " اللَّهم اجْعلها رِيَاحاً وَلاَ تَجْعَلْهَا رِيحاً " إشارة إلى قوله تعالى : ﴿يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرىً بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ﴾ [الأعراف : ٥٧] وقوله : ﴿يُرْسِلَ الرِّيَاحَ مُبَشِّرَاتٍ﴾ [الروم : ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى : ف ﴿أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الرِّيحَ الْعَقِيمَ﴾ [الذاريات : ٤١] وقوله : ﴿رِيحاً صَرْصَراً فِي يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ تَنزِعُ النَّاسَ﴾ [القمر : ١٩ ، ٢٠].

فصل معنى الآية ولئن أرسلنا ريحاً أي مُضرّة أفسدت الزرعَ فرأوه مصفراً بعد الخُضْرَة لظلّوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخَصْب ، ولو أرسلت عذاباً على زرعهم (جحدوا) سالِفَ نعمتي.

قوله : " فَرَأَوْهُ " أي فرأوا النبات لدلالة السياق عليه أو على الأثر ، لأن الرحمة هي

٤٢٧

الغيث وأثرها هو النبات وهذا ظاهر على قراءة الإفراد ، وأما على قراءة الجمع فيعود على المعنى.

وقيل : الضمير للسَّحَابِ.

وقيل : للريح.

وقرأ (جَنَاح) بْنُ حبيش مُصْفَاراً بألف و " لظلوا " جواب القسم الموطأ لَهُ " بِلَئِنْ " وهو ماض لفظاً مستقبل معنى ، كقوله : ﴿مَّا تَبِعُواْ قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة : ١٤٥] والضمير في " من بعده " يعود على الاصفرار المدلول عليه بالصفة كقوله : ٤٠٤٥ – إِذَا نُهِيَ السَّفِيهُ جَرَى إِلَيْهِ

....

جزء : ١٥ رقم الصفحة : ٤٢٧

أي السَّفَهُ ، لدلالة السفيه عَلَيهِ.

قوله (تَعَالَى :) ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ لما علم رسوله وجوه الأدلة ووعد وأوعد ولم يزدهم دعاؤه إلا فراراً وكفراً وإصراراً

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٣٤٠٨

، قال : ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ وقد تقدم الكلام على نحو ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ﴾ إلى آخره في الأنبياء ، وفي النمل.
واعلم أن إرشاد الميّتِ محالٌ والمحالُ أبعد من الممكن ثم إرشاد الأصمّ صعبٌ فإنه لا يسمع الكلام وإنما يفهم بالإشارة والفهام بالإشارة صعب ثم إرشاد الأعمى أيضاً صعب وإنك إذا قلت له الطريق على يمينك يدور إلى يمينه لكنه لا يبقى عليه بل يَحيد عن قرب ، وإرشاد الأصَمُ أصعب ولهذا تكون المعاشرة مع الأعمى أسْهَل من المعاشرة مع الأصم الذي لا يسمع لأن غايته الإفهامُ بالكلام وليس كلّ ما يفهم بالكلام يفهم بالإشارة ، فإن المعدومَ والغائب لا إشارة إليه فقال : ﴿فَإِنَّكَ لاَ تُسْمِعُ الْمَوْتَى ﴾ (ثم قال : وَلاَ الصُمَّ وَلاَ تَهْدِي العُمْيَ) وقال في الأصم : ﴿إِذَا وَلَّوْاْ مُدْبِرِينَ﴾ ؛ ليكون أدخل في الامتناع لأن الأصمَّ وإن كان يَفْهم فإنما يفهم بالإشارة ، (فإذَا وَلَّى لا يكون نظره إلى المشير فامتنع إفهامه بالإشارة أيضاً) ثم قال : ﴿وَمَآ أَنتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَن ضَلاَلَتِهِمْ إِن تُسْمِعُ إِلاَّ مَن يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا﴾ لما نفى
٤٢٨
" (١).

"فالجواب : تبين الفرق بينه وبنيهم لأنهما من قبيلة واحدة وأيضاً فالعذاب كان مختصاً بهم أكرم أحدهما غاية الإكرام بسبب الإيمان وأُهين الآخر غاية الإهانة بسبب الكفر ونسبهما نم قبلية واحدة وأيضاً فالعذاب كان مختصاً بهم وهم أقاربه لأن غيرهم من قوم الرسل آمنوا بهم فلم يُصِبْهُم العذاب.
فإن قيل : لم خصص عدم الإنزال بما بعده والله تعالى لم ينزل عليهم جنداً قبله أيضاً فما فائدة التخصيص ؟ .
فالجواب : أن استحقاقهم العذاب كان بعده حيث أصروا واستكبروا فبين حال الإهلاك.
فإن قيل : قال : " من السماء " وهو تعالى لم ينزل عليهم ولا أرسل إليهم جنداً من الأرض فما فائدة التقييد ؟ .
فالجواب من وجهين : أحدهما : أن يكون المراد ما أنزل عليهم جنداً بأمر من السماء فتكون للعموم.
والثاني : أن العذاب نزل عليهم من السماء فبين أن النازل لم يكن جنداً وإنما كان بصيحة أخذتهم وخربت ديارهم.
فإن قيل : أي فائدة في قوله : ﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾ مع قوله : ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا﴾ وهو يستلزم أن لا يكون من المنزلين ؟ .
فالجواب : أنه قوله : " وما كنا " أي ما كان ينبغي أن ينزل لأن الأمر كان يتم بدون ذلك والمعنى وما أنزلنا وما كنا محتاجين إلى الإنزال أو وما أنزلنا وما كمنا منزلين في مثل تلك الواقعة جنداً في غير تلك الواقعة أي وما أنزلنا على قومه من بعده أي على قوم حبيب من بعد قتله من جنده وما كنا منزلين ما ننزله على الأمم إذا أهلكناهم كالطُّوفَانِ والصَّاعِقَةِ والرِّيح.
فإن قيل : فكيف أنزل الله جنوداً في يوم " بدر " وفي غير ذلك حيث قال تعالى : ﴿رِيحاً وَجُنُوداً لَّمْ تَرَوْهَا﴾ [الأحزاب : ٩].
فالجواب : أن ذلك تعظيماً لمحمد – عليه (الصلاة والسلام) وإلاَّ لكان تحريك رِيشَةٍ من جَنَاح ملكٍ كافياً في استئصالهم ولم تكن رسل (عيسى) عليه الصلاة

---
(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٠٨٠

١٩٩

والسلام في درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقالك " إنْ كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً واحَدِةً ".

قوله : ﴿إن كَانَتْ إلاَّ صَيْحَةً﴾ العامة على النصب على أنَّ " كان " ناقصة واسمها ضمير الأَخْذ **لدلالة السِّياق** عليها و " صَيْحَةً " خبرها وقرأ أبو جعفر وشيبَةُ ومُعاذ القَارئ برفعها على أنها التامة أي إن وَقَعَ وحَدَثَ وكان ينبغي أن لا يلحق تاء التأنيث للفصل " بإلا " بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء نحو : مَا قَامَ إلاَّ هِنْدٌ وقد شذ الحسن وجماعة فقرأوا : ﴿لاَ يُرَى إلاَّ مَسَاكِنُهُمْ﴾ [الأحقاف : ٢٥] كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله : ٤١٧٥ - ....

وَمَا بَقِيَتْ إلاَّ الضُّلُوعُ الجَرَاشِعُ

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ١٩٧

وقوله : ٤١٧٦ - مَا بَرِئَت مِنْ رِيبَة وَذَمّ

فِي حَرْبِنَا إلاَّ بَنَاتُ العَمّ

قال الزمخشري : أصله إن كان شيء إلا صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أنّث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله : " وَاحِدَةٌ " تأكيد لكون الأمر هيّناً عنده وقوله : ﴿فَإذَا هُمْ خَامِدُون﴾ إشارة إلى سرعة الهلاك فإن خمودهم كان من الصيحة في وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لأن الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم وهم كانوا كذلك أما الغضب.

٢٠٠

فإنهم قتلوا مؤمناً كان ينصحهم وأما الشهوة فلأنهم احتلموا العذاب الدائم بسبب استيفاء اللذات الخالية فإذن كانوا كالنار الموقَدَة لأنهم كانوا جبارين ومستكبرين كالنار ومن خلق منها " فَإذَا هُمْ خَامِدُونَ " ميتون.

قال المفسرون : أخذ جبريل بعضادتي باب المدينة ثم صح بهم صيحة واحدة فإذا هُمْ خامدن ميتون.

قوله : ﴿يا حَسْرَةً﴾ العامة على نصبها وفيه وجهان : أحدهما : أنها منصوبة على المصدر والمنادى محذوف تقديره يا هؤلاء تَحسَّرُوا حَسْرَةً.

والثاني : أنها منونة لأنها منادى منكر فنصبت على أصلها كقوله : ٤١٧٧ - فَيَا رَاكِباً إما عَرَضْتَ فَبَلِّغاً

نَدَامَاي مِنْ نَجْرَانَ أَنْ لاَ تَلاَقِيَا

ومعنى النداء هنا على المجاز ، كأنه قيل : هذا أوانك فاحضري وقرأ قتادة وأبيّ - في أحد وجهيه - يا حسرة بالضم جَعَلها مقبلاً عليها وأبيّ أيضاً وابن عباس وعلي بن الحُسَيْن " يَا حَسْرَةَ العِبادِ " بالإضافة فيجوز أن تكون مضافاً لفاعله أي تَتَحَسَّرُونَ على غيرهم لما يرون من عذابهم وأن يكون مضافاً لمفعوله أي يَتَحَسَّرُ عليهم (من) غيرهم.

وقرأ أبو الزناد وابن هُرْمز وابن جُنْدُب " يا حَسْرَهْ " بالهاء

٢٠١

(المهملة) المبدلة من تاء التأنيث وصلاً وكأنهم أَجْروا الوَصْل مُجْرَى الوقف وله نظائر مرت وقال صحب اللوامح وقفوا بالهاء

مبالغة في التحسر لما في الهاء من التَّاهَةِ بمعنى التأوه ثم وصلوا على تلك الحال وقرأ ابن عباس أيضاً : يا حَسْرَة بفتح التاء من غير تنوين ووجهها أن الأصل يا حسرتا فاجتزئ بالفتحة عن الألف كما اجتزئ بالكسرة عن الياء ومنه : ٤١٧٨ – وَلَسْتُ براجِعٍ مَا فَاتض مِنِّي
" (١).

"وقيل : هو الذي يجمع بين يديه ويسويهما ، وأما الذي يقف على سنبكه فاسمه المُخِيم ، قاله أبو عبيدة.

وقيل : هو القائم مطلقاً أي سواء كان من الخيل ، أو من غيرها ، قاله القُتَبِيّ واستدل (بحديث) وبقوله عليه (الصلاة و) السلام " مَنْ سَرَّهُ أنْ يَقُومَ النَّاسُ لَهُ صُفُوناً فَلْيَتَبَوَّأْ مَقعَدَهُ مِنَ النَّار " أي يديمون له القيام.

وحكاه قطرب أيضاً وجاء في الحديث " قُمْنَا صُفُوناً " أي صافِّين أقدامَنا ، وقيل : هو القيام مطلقاً سواء وقفت على طرف سنبك أم لا ، قال الفراء : على هذا رأيت أشعارَ العرب ، وقال النابغة : ٤٢٧٠ – لَنَا قُبَّةٌ مَضْرُوبَةٌ بِفِنَائِهَا
عِتَاقُ المَهَارَى والجِيَادُ الصَّوَافِنُ

جزء : ١٦ رقم الصفحة : ٤١٢

والجياد إما من الجَوْدَة ، يقال : جَادَا الفرسُ يَجودُ جَوْدَةً وجُودَةً بالفتح والضم فهو جَوَاد ، للذكر والأنثى.

والجمع جِيَادٌ وأَجْوَادٌ ، وأَجاوِيدُ ، وقيل : جمع لِجَوْد بالفتح كثَوْبٍ وثِيَاب.

وقيل : جمع جَيِّد.

وإما م الجِيدِ وهو العُنُق ، والمعنى : طويلة الأعناق الأجياد.

وهو دال على فراهَتِها.

قوله : ﴿حُبَّ الْخَيْرِ﴾ فيه أوجه : أحدها : هو مفعول أحببت لأنه بمعنى آثرت ، و " عن " على هذا بمعنى " عَلَى " أي على ذكر ربِّي ، لأنه روي أن عرض الخيل حتى شغلته عن صلاة العصر أول الوقت حتى غَربت الشَّمْسُ.

وقال أبو حيان – وكأنه منقول عن الفراء – إنّه ضمن " أَحْبَبْتُ " معنى آثرتُ ، حيث نصب " حب الخير " مفعولاً (به) وفيه نظر ؛ لأنه متعد بنفسه وإنما يحتاج إلى التضمين وإن لم يكن مُتَعَدِّياً.

٤١٤

الثاني : أن " حب " مصدر على حذف الزوائدة ولاناصب له " أَحْبَبْتُ ".

الثالث : أنه مصدر تشبيهي أي حُبًّا مِثْلَ حُبِّ الخَيْر.

الرابع : أنه قيل : ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعَنْ.

الخامس : أن أحببت بمعنى لَزمْتُ.

قال ابن الخطيب : إن الإنسان قد يحب (شيئاً ولكنه يجب أن) لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في مرضه فأما من أحب شيئاً وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة ، فقوله : ﴿أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ﴾ أي أحببت حبير للخير.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٢٣٢

السادس : أن أحببت من أَحَبَّ البعيرُ إذا سقط وَبَرَكَ من الإعياء ، والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون " حب الخير " على هذا مفعولاً من أجله ، والمراد بقوله : ﴿عَن ذِكْرِ رَبِّي﴾ قيل : عن صلاة العصر ، وقيل : عن كتاب ربي وهو التوراة ، لأن إرتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوحٌ فكذلك في التوراة ممدوح وقوله ﴿ذِكْرِ رَبِّي﴾ يجوز أن يكون مضافاً للمفعول أي عن أن أذكر ربي ، وأن يكون مضافاً للفاعل أي عن ذكر بي ربي والمراد بالخير : الخيل والعرب تعاقبت بين الراء واللام (تقول) : خَتَلْتُ الرجلَ وخَتَرْتُه أي خَدَعْتُه ، وسميت الخيلُ (خيراً) لأنه معقود بواصيها الخَيْر الأجرُ والمَغْنم.

قوله : ﴿حَتَّى تَوَارَتْ﴾ في الفاعل وجهان : أحدهما : هو : " الصّافنات " ، والمعنى : حتى دخلت إصْطَبْلاَتِهَا فتوارتْ وغابت.

والثاني : أنه : " الشمس " أضمرت **لدلالة السياق** عليها ، وقيل : لدلالة " العَشِيّ "

٤١٥

عليها فإنها تشعر بها ، وقيل : يدل عليها الإشراق في قصة داودَ وما أَبْعَدَهُ.

قوله : ﴿رُدُّوهَا﴾ هذا الضمير للصّافنات ، وقيل : للشمس وهو غريب جدًّا قال ابن الخطيب : وهذا بعيد لوجوه : منها : أن الصَّافِنَات مذكورة بالتصريح ، والشمس غير مذكورة وعود الضمير إلى المذكور أولى من عوده إلى المقدَّر ، ومنها : أنه لو اشتغل بالخيل حتى غربت الشمس وفاتت صلاة العصر كان ذلك ذنباً عظيماً ومن كان هذا حاله فطريقةُ التّضرع والبكاء والمبالغة في إظهار التوبة فإما أن يقول على سبيل العَظَمَة لربِّ العالمين مثل هذه الكلمة العارية عن كل جهات الأدب عقيب ذلك الجُرْم العظيم (فهذا) لا يصدر عن أبعد الناس عن الخير فكيف يجوز إسناده للرسول المطهر المكرم ومنها أن القادر على تحريك الأفلاك والكواكب هو الله تعالى فكان يجب أن يقول رُدَّها عليَّ ، ولا يقول : ردوها عليَّ لأن هذا اللفظ مشعر بأعظم أنواع الاستعلاء فيكف يليق بهذا اللفظ رعاية التعظيم ؟ ومنها : أن الشمس لو رجعت بعد الغروب لصار ذلم مشاهداً لأهل الدنيا ولو كان كذلك لوفرت الدواعي على نقهل وحيث لم ينقل عِلِمْنَا فَسَادَهُ.

قوله : ﴿فَطَفِقَ مَسْحاً﴾ نصب " مسحاً " بفعل مقدر ، هو خبر طفق أي (ف)طفق يَمْسَحُ مَسْحاً ، لأن خبر هذه الأفعال لا يكون إلا مضارعاً في الأمر العام وقال أبو البقاء – وبه بدأ – : مصدر في موضع الحال وهذا ليس بشيءٍ ؛ لأن " طَفِقَ " لا بدّ لها من خَبَرٍ.

وقرأ زيد بن علي : مِسَاحاً بزنة قِتَال ، والباء في " بالسوق " مزيدة مثلها في قوله : ﴿وَامْسَحُواْ بِرُؤُوسِكُمْ﴾ [المائدة : ٦] وحكى سيبويه : مَسَحْتُ رَأْسَهُ وبرأسِهِ بمعنى واحدٍ.

ويجوز أن تكون للإلصاق كما تقدم ، وتقدم همز السوق وعدمه في النمل.

٤١٦

".(١)

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٣١٩

"قال ابن الخطيب : وإنما قالوا بالنسخ ، لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يَقْتلُوا ولا يقاتِلوا فلما أمروا بالمقاتلة كان نسخاً.

والأقرب أن يقال : إنه محمول على ترك المنازعة ، وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وقوله : ﴿لاَ يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ﴾ قال ابن عباس : لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية وتقدير تفسير " أيام الله " عند قوله : ﴿وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ اللَّهِ﴾ [إبراهيم : ٥].

قوله : ﴿لِيَجْزِيَ قَوْماً﴾ قرأ ابن عامر والأَخَوَانِ : لنَجْزِيَ بنون العظمة ، أي لنَجْزي نَحْنُ.

وباقي السبعة ليَجْزِيَ بالياء من تحت مبنياً للفاعل ؛ أي ليجزي اللهُ.

وأبو جعفر . بخلاف عنه وشيبةُ وعَاصمٌ . في رواية .كذلك إلا أنه مبني للمفعول هذا مع نصب " قوماً ".

وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه : أحدها : ضمير المفعول الثاني ، عاد الضمير عليه لدلالة السِّياق تقديره : ليجزي هو أي الخير قوماً والمفعول الثاني من باب أعطى ، بقوم مقام الفاعل بلا خلافٍ ، ونظيرهن : الدِّرْهَمَ أُعْطِيَ زَيْداً.

الثاني : أن القائم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل ، أي ليُجْزَى الجَزَاءَ.

وفيه نظر لأنه لا يترك المفعول به ، ويقام المصدر ، لا سيما مع عدم التصريح به.

الثالث : أن القائم مقامه الجار والمجرور ، وفيه حجة للأخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده وأنشدوا : ٤٤٤١..........................

لَسُبَّ بِذَلِكَ الجِرْوِ الكِلاَبَا

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٥٢

٣٥٥

و :

٤٤٤٢. لَمْ يُعْنَ بالْعَلْيَاءِ إلاَّ سَيِّدَا

والبصريون لا يُجِيزُونه.

فصل المعنى لكي نجازي بالمغفرة قوماً يعملون الخير.

فإن قيل : ما الفائدة من تنكير " قَوْماً " مع أن المراد بهم المؤمنون المذكورون في قوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ ؟ فالجواب : أن التنكير يدل على تعظيم شأنهم ، كأنه قيل : ليجزِيَ قَوْماً وأَيّ قوم قوماً من شأنهم الصَّفْحُ عن السّيئات ، والتجاوز عن المؤذيات ، وتجرع المكروه ، كأنه قيل : لا تكافئوهم أنتم حتى نُكَافِئَهُمْ نحن.

ثم ذكر الحكم العام فقال : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ مثل ضربه الله للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول والمؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٥٢

٣٥٥

و :

٤٤٤٢. لَمْ يُعْنَ بالْعَلْيَاءِ إلاَّ سَيِّدَا

والبصريون لا يُجِيزُونَه.

فصل المعنى لكي نجازي بالمغفرة قوماً يعملون الخير.

فإن قيل : ما الفائدة من تنكير " قَوْماً " مع أن المراد بهم المؤمنون المذكورون في قوله : ﴿قُل لِّلَّذِينَ آمَنُواْ يَغْفِرُواْ﴾ ؟ فالجواب : أن التنكير بدل على تعظيم شأنهم ، كأنه قيل : ليجزِي قَوْماً وأَيّ قوم قوماً من شأنهم الصَّفْحُ عن السّيئات ، والتجاوز عن المؤذيات ، وتجرع المكروه ، كأنه قيل : لا تكافئوهم أنتم حتى نُكَافِئَهُمْ نحن.

ثم ذكر الحكم العام فقال : ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ﴾ وهو مثل ضربه الله للذين يغفرون ﴿وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا﴾ مثل ضربه الله للكفار الذين كانوا يؤذون الرسول والمؤمنين ﴿ثُمَّ إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٣٥٢

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِى إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ﴾ يعني التوراة ﴿وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ﴾ والمراد بهذه الآية أنه تعالى بين أنه أنعم بنعم كثيرة على نبي إسرائيل مع أنه حصل بينهم الاختلاف على سبي البغي والحسد ، والمقصود منه أن يبين أن طريقة قومِهِ كطريقة مَنْ تَقَدَّم.

واعلم أن المراد بالكتاب التوراة أما الحكم ، فقيل : المراد به العِلْم والحُكْمُ.

وقيل : المراد العلم بفصل الحكومات.

وقيل : معرفة أحكام الله وهو علم الفقه.

وأما

٣٥٦

." (١)

"قال : فضرب رأس مرحب فقتله ، ثم كان الفتح على يديه.

(ومعنى أكليكم بالسيف كيل السندرة أي أقتلكم قتلاً واسعاً ذريعاً.

والسَّندرة مكيال واسع.

قيل يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النَّبْل ، والقِسِيُّ ، والسَّنْدرة أيضاً العجلة ، والنون زائدة.

قال ابن الأثير : وذكرها الجَوْهَرِيُّ في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها).

وروي فتح خيبر من طرق أُخَر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض.

قوله : " وأخرى " يجوز فيها أوجه : أحدها : أن تكون مرفوعة بالابتداء و ﴿لَمْ تَقْدِرُواْ عَلَيْهَا﴾ صفتها و ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ خبرها.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٥٣٠

الثاني : أن الخبر " منهم " محذوف مقدر قبلها ، أي وَثَمَّ أخرى لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا.
الثالث : أن تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير ، فتقدر بالفعل من معنى المتأخر وهو ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي وقَضَى اللهُ أُخَرى.
(الرابع : أن تكمون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير ، بل **لِدَلاَلَة السِّياقِ** ، أي ووَعَدَ أُخْرَى ، أو وآتاكُمْ أخرى.
الخامس : أن تكون مجرورة بـ " رُبَّ " مقدرة ، ويكون الواو واو " رب " ذكره
٤٩٨
الزمخشري.
وفي المجرور بعد الواو المذكورة خلاف مشهور أهنو برُبَّ مضمرة أم بنفس الواو ؟ إلا أبا حيان قال : ولم تأت " رُبَّ " جارة في القرآن على كَثْرة دورها ، يعني جارة لفظاً وإلا تقدر.
قيل : إنها جارة تقديراً هنا وفي قوله : ﴿رُّبَمَا﴾ [الحجر : ٢] على قولنا : إنّ ما نكرة موصوفةٌ).
قوله : ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ يجوز أن يكون خبراً لـ " أُخْرَى " كما تقدم ، أو صفة ثانية إذَا قِيلَ بأن أخرى مبتدأ وخبرها مضمر أو حالاً أيضاً.
فصل قال المفسرون : معناه أي وعدكم فتح بلدة أخرى لم تقِدروا عليها قد أحاط الله بها حتى يفتحها لكم كأنه حفظها لكم ، ومنعها من غيركم حتى تأخذوها.
قال ابن عباس ـ (رضي الله عنهما) ـ علم الله أنه يفتحها لكم.
قال ابن الخطيب : تقديره : وعدكم الله مغانم تأخذونها ، ومغانم لا تأخذونها أنتم ولا تقدرون عليها ، وإنما يأخذها من يجيء بعدكم من المؤمنين.
وهذا تفسير الفراء.
قال : معنى قوله : ﴿قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا﴾ أي حفظها لمؤمنيي ، لا يجري عليها هلاك وفناء إلى أن يأخذها المسلمون كإحاطة الحُرَّاسِ بالخَزَائِنِ.
٤٩٩
واختلفوا فيها فقال ابنُ عباس والحسن ومقاتل : هي فارس والرومُ ، وما كانت العرب تقدر على قتال فارس والروم ، بل كانوا حولاً لهم حتى قدروا عليها الإسلام.
وقال الضَّحَّاكُ وابنُ زيد : هي خيبر وعدها الله ـ عزّ وجلّ ـ نبيه ـ صلى الله عليه وسلم ـ قبل أن يصيبها ولم يكونوا برجونها.
وقال قتادة : هي مكّة.
وقال عِكْرِمَةُ : حُنَيْن.
وقال مجاهد : وما فَتَحُوا حتى اليوم ، ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيراً﴾.

قوله تعالى : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كفَرُواْ﴾ يعني أسداسً وغطفانَ وأَهْلَ خَيْبَرَ ﴿لَوَلَّوُاْ الأَدْبَارَ﴾ ، قال ابن الخطيب : وهذا يصلح جواباً لمن يقول : كَفّ الأيدي عنهم كان أمراً اتفاقياً ، ولو اجتمع عليهم العرب كما زعموا لمنعوهم من فتح خيبر واغتنام غنائمها ، فقال : ليس كذلك بل سواء قاتلوا أو لم يقاتلوا لا ينصرون والغلبة واقعة للمسلمين ، فليس أمرهم أمراً اتفاقياً ، بل هو أمر إلهيٌّ محكوم به محتوم.

وثم قال ﴿لاَ يَجِدُونَ وَلِيّاً وَلاَ نَصِيراً﴾.

قوله : ﴿سُنَّةَ اللَّهِ﴾ مصدر مؤكد لمضمون الجملة المقدمة ، أي سَنَّ اللهُ ذَلك سنةً.

قال ابن الخطيب : وهذا جواب عن سؤال آخر يقوله قومٌ من الجُهَّال وهو : إن الطَّوَالِعَ والتأثيرات والاتِّصالاتِ تأثيراتٌ وتغييرات فقال : ليس كذلك ، بل سنة الله نصرة رسوله ، وإهلاك عدوه ، والمعنى : هذه سنة الله في نصرة أوليائه ، وقهر أعدائه ﴿تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلاً﴾.

جزء : ١٧ رقم الصفحة : ٤٩٥

قوله تعالى : ﴿وَهُوَ الَّذِي كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِن بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ﴾ وهذا تبيين لما تقدم من قوله : ﴿وَلَوْ قَاتَلَكُمُ الَّذِينَ كفَرُواْ لَوَلَّوُاْ الأَدْبَارَ﴾ [الفتح : ٢٢]

٥٠٠

" (١).

"على الترتيب ، وذكر في كل واحد منها ما يدل على كماله ، فقوله : " جَنّات " إشارة إلى المسكن وقال : " فاكهين " إشارة إلى عدم التَّنغُّص وعلو المرتبة بكونه مما آتاهم الله ، وقال : ﴿كُلُواْ وَاشْرَبُواْ هَنِيئَاً﴾ أي مأمون العاقبة من التُّخَم والسَّقَم ، وترك ذكر المأكول والمشروب دلالة على تنوعهما وكثرتهما ، وقوله : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ إشارة إلى أنه تعالى يقول : إني مع كوني ربكم وخالقَكم وأدْخَلْتُكُم الجنة بفضلي فلا مِنَّة لي عليكم اليوم وإنما مِنَّتي عليكم كان في الدنيا هديتكم ووفقتكم للأعمال الصالحة كما قال : ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ﴾ [الحجرات : ١٧] وأما اليوم فلا مِنَّةَ عليكم لأن هذا إنجازُ الوَعْدِ.

فإن قيل : قال في حقّ الكفار : ﴿إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور : ١٦] وقال في حق المؤمنين : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ فما الفرق بينهما ؟ .

فالجواب من وجوه : الأول : أن كلمة " إنَّما " للحصر ، أي لا يجزون إلا ذلك ، ولم يذكر هذا في حق المؤمن ، لأنه يجزيه أضعاف ما عَمِلَ ، ويَزِيدُهُ من فضله.

الثاني : قال هنا : " بِمَا كُنْتُمْ " وقال هناك : ﴿مَا كُنتُمْ﴾ [النمل : ٩٠] أي تجزون عن أعمالكم.

وهذا إشارة إلى المبالغة في المماثلة ، كأنه يقول : هذا عينُ ما عملت.

وقوله في حق المؤمن : بِمَا كُنْتُم كأنَّ ذلك أمر ثابتٌ مستمرٌّ يفيدكم هذا.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٥٩٤

الثالث : أنه ذكر الجزاء هناك ، وقال هنا : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ لأَنَّ الجزاء يُنْبِئ عن الانقطاع ، فإن من أحسن إلى أحد فأتى بجزائه لا يتوقع المحسنُ منه شيئاً آخر.

فإن قيل : فالله تعالى قال في موضع آخر : ﴿بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [المرسلات : ٤٣] في الثواب.

فالجواب : أنه في تلك المواضعِ لَمَّا لم يخاطب المجزيَّ ولم يقل : بما كنت تفعل أتى بما يفيد العلم بالدوام وعدم الانْقِطَاع.

وأما في السرر فذكر أموراً : أحدها : الاتّكاء فإنه هيئة مختصّة بالمنعم والفارغ الذي لا كُلْفَة عليه.

وجمع السرر لأَمْرَيْنِ : أظهرهما : أن يكون لكل واحد سُرَرٌ ؛ لأنه قوله : " مَصْفُوفة " يدل على أنه لواحدٍ ، لأن سرر الكل لا تكون في موضع واحد مصطفَّة ، ولفظ السَّرِير فيه حروف السُّرُور ، بخلاف التَّخْتِ وغيره ، وقوله : " مَصْفُوفَة " أي منتظمة بعضُها إلى جَنْبِ بعض فإنها لو كانت متفرقة لقيل في كل موضع واحد يتكئ عليه صاحبه إذا حضر هذا الموضع.

وقوله

١٢٦

تعالى : ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ إشارة إلى النِّعمة الرابعة ، وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه : الأول : أنه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يُزوج عباده بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء.

الثاني : قال : " وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُور " ولم يقل : وَزَوَّجْنَاهُمْ حوراً مع أن لفظ التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف ، تقول زَوَّجْتُكَهَا ، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب : ٣٧] وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم ، وإنما زوجوا للذتهم بالحور لا لِلَذَّة الحور بهم.

الثالث : عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحُسْن واختار الأحسن من الأحسن ، فإنَّ أحْسَنَ ما في صورة الآدميّ وَجْهُهُ ، وأحسنَ ما في الوجه العَيْنُ.

قوله : ﴿وَالَّذِينَ آمَنُواْ﴾ فيه ثلاثة أوجه : أحدها : أنه مبتدأ ، والخبر الجملة من قوله : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ ، والذُّرِّيَّات هنا يصدق على الآباء ، وعلى الأبناء ، أي أن المؤمن إذا كان عمله أكثر أُلْحِقَ به مَنْ دُونَهُ في العمل ابناً كان أو أباً.

وهو منقول عن ابنِ عَبَّاسٍ وغيره.

الثاني : أنه منصوب بفعل مقدر ، قال أبو البقاء على تقدير : وَأَكْرَمْنَا الَّذِينَ آمَنُوا.

قال شهاب الدين : فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال ، وأن قوله : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ مفسرٌ لذلك الفعل من حيثُ المعنى وأن يريد أنه مضمرٌ لدلالة السِّياق عليه ، فلا تكون المسألة من الاشتغال في شَيْء.

الثالث : قال ابن الخطيب : إنه معطوف على : ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ﴾ ثم قال : فإذا كان كذلك فَلِمَ أعَادَ لفظ " الَذين آمنوا " وكان المقصود يحصل بقوله تعالى : ﴿أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ﴾ بعد قوله ﴿وَزَوَّجْنَاهُم﴾ كان يصير التقديرُ : وزوَّجْنَاهم وألحقنا بهم ؟ نقول : فيه فائدة وهي أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، فقال ههنا : الذين آمنوا بمجرد الإيمان يصير ولده من أهل الجنة ، ثم إن ارتكب الأب كبيرةً أو صغيرة لا يعاقب به ولده

بل الوالد ، وربما يدخل الجنةَ الابنُ قبل الأب ، وقد ورد في الخبر أن الوَلَد الصغيرَ يشفع لأبيه ، وذلك إشارة إلى الجزاء.
١٢٧
(١) ".

"فصل في معنى الآية المعنى : لأنتم يا معشر المسلمين ﴿أَشَدُّ رَهْبَةً﴾ أي خوفاً وخشية في صدورهم من الله ، يعني صدور بني النضير.

وقيل : صدور المنافقين ، ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين ، أي : يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم ، " ذَلِكَ " إشارة إلى الخوف أي ذلك الخوف ﴿بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ يَفْقَهُونَ﴾ قدر عظمة الله وقدرته حتى يخشوه حقَّ خشيته.

قوله تعالى : ﴿لاَ يُقَاتِلُونَكُمْ جَمِيعاً﴾ يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين " إلاَّ " إذا كانوا ﴿فِي قُرَى مُّحَصَّنَةٍ﴾ بالخنادق والدُّروب والحيطان [يظنُّون] أنها تمنعهم منكم ، ﴿أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍ﴾ أي : من خلف حيطانٍ يستترون بها لجبنهم ورهبتهم.

قوله : " جَمِيعاً " حال ، و ﴿إِلاَّ فِي قُرَى﴾ متعلق بـ " يُقَاتِلُونَكُمْ ".

وقوله : " جُدُرٍ ".

قرأ ابن كثير وأبو عمرو : " جدار " بالإفراد.

وفيه أوجه : أحدها : أنه السُّورُ ، والسُّورُ الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم.

والثاني : أنه واحد في معنى الجمع لدلالة السياق عليه.

والثالث : أن كل فرقة منهم وراء جدار لا أنهم كلهم وراء جدار.

والباقون قرأوا : " جُدُر " - بضمتين - اعتباراً بأن كل فرقة وراء جدار ، فجمع لذلك.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن وثاب والأعمش ، ويروى عن ابن كثير وعاصم : بضمة وسكون ؛ وهي تخفيف الأولى ، وقرأ ابن كثير - أيضاً - في رواية هارون عنه ، وهي قراءة كثير من المكيين : " جَدْر " بفتحة وسكون.

فقيل : هي لغة في الجدار.

وقال ابن عطية : معناه أصل بنيات كالسور ونحوه : قال : ويحتمل أن يكون من
٦٠١
جَدْر النخيل أي من وراء نخيلهم.

يقال : أجدر النخل إذا طلعت رءوسه أول الربيع.

والجدر : نبت ، واحده جدرة.

وقرئ : " جَدَرٌ " - بفتحتين - حكاها الزمخشري.

وهي لغة في الجدار أيضاً.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٦٧٩

وقرئ : " جُدْر " - بضم الجيم وإسكان الدَّال - جمع الجدار.
قال القرطبي : ويجوز أن تكون الألف في الواحد كألف " كتاب " وفي الجمع كألف " ظِراف " ومثله " ناقة هجان ، ونوق هجان " لأنك تقول في التثنية " هجانان " ، فصار لفظ الواحد والجمع مشتبهين في اللفظ مختلفين في المعنى.
قاله ابن جني.
قوله : ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾.
" بَيْنَهُمْ " متعلق بـ " شديد " و " جميعاً " مفعول ثانٍ ، أي : مجتمعين.
وقوله : ﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾.
جملة حالية ، أو مستأنفة للإخبار بذلك.
والعامة على " شتى " بلا تنوين ، لأنها ألف تأنيث.
ومن كلامهم : " شَتَّى تتوب الحلبة " أي متفرقين.
وقال آخر : [الطويل] ٤٧٥٣ - إلَى اللَّهِ أشْكُو نِيَّةً شَقَّتِ العَصَا
هِيَ اليَوْمَ شَتَّى ، وهيَ أمْسِ جَمِيعُ
جزء : ١٨ رقم الصفحة : ٥٩٥
وقرأ مبشر بن عبيد : " شَتًّى " منونة ، كأنه جعلها ألف الإلحاق.
وفي قراءة ابن مسعود : " وقُلُوبُهُمْ أشتُّ " يعني أشد تشتيتاً أي أشد اختلافاً.
فصل في معنى الآية معنى ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ أي : عداوة بعضهم لبعض.
قاله ابن عباس.
وقال مجاهد : ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ بالكلام والوعيد لنفعلن كذا.
٦٠٢
وقال السُّدي : المراد اختلاف قلوبهم حتى لا يتفقوا على أمر واحدٍ.
وقيل : ﴿بَأْسُهُمْ بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ﴾ إذا لم يلقوا عدوًّا نسبوا أنفسهم إلى الشدة والبأس ، وإذا لقوا العدو انهزموا.
﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾.
يعني اليهود والمنافقين.
قاله مجاهد.
وعنه أيضاً : يعني المنافقين.
وقال الثوري : هم المشركون وأهل الكتاب.
وقال قتادة : ﴿تَحْسَبُهُمْ جَمِيعاً﴾ أي : مجتمعين على أمْر ورأي.
﴿وَقُلُوبُهُمْ شَتَّى ﴾ : أي : متفرقة فأهل الباطل مختلفة آراؤهم وهم مجتمعون في عداوة أهل الحق.
وعن مجاهد أيضاً : أراد أن دين المنافقين مخالف لدين اليهود ، وهذا يقوي أنفس المؤمنين عليهم ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لاَّ

يَعْقِلُونَ﴾ أي : ذلك التشتيت والكفر بأنهم قوم لا يعقلون أمر الله.

وقيل : لا يعقلون ما فيه الحظ لهم.

وقيل : لا يعقلون أن تشتيت القلوب مما يوهن قواهم.

قوله تعالى : ﴿كَمَثَلِ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

خبر مبتدأ مضمر ، أي : مثلهم مثل هؤلاء.

و " قريباً " فيه وجهان : أحدهما : أنه منصوب بالتشبيه المتقدم ، أي : يشبهونهم في زمن قريب سيقع لا يتأخر ، ثم بين ذلك بقوله : ﴿ذَاقُواْ وَبَالَ أَمْرِهِمْ﴾.

والثاني : أنه منصوب بـ " ذاقوا " أي : ذاقوا في زمن قريب.

أي : ذاقوه في زمن قريب سيقع ولم يتأخّر.

وانتصابه في وجهيه على ظرف الزَّمان.

فصل في معنى الآية يعني مثل هؤلاء اليهود كمثل الذين من قبلهم.

٦٠٣

." (١)

"وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه : بفتحها.

فالأولى على التقاء الساكنين ، ولا يجوز أن يكون مجروراً على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله ، كقولهم " اللَّهِ لأفعلَنَّ " ، لوجهين : أحدهما : أنه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها.

والثاني : أنه كان ينبغي أن ينون ، ولا يحسن أن يقال : هو ممنوع الصرف اعتباراً بتأنيث السورةن لأنه كان ينبغي ألاَّ يظهر فيه الجر بالكسر ألبتة.

وأما الفتح ، فيحتمل ثلاثة أوجه : أحدها : أن يكون بناء ، وأوثر على الأصل للخفة كـ " أين وكيف ".

الثاني : أن يكون مجروراً بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة ، وقد تقدم ذلك في قراءة " فالحقّ والحقِّ " [ص : ٨٤] ، بجرّ " الحقّ " ، ومنعت الصرف اعتباراً بالسورة.

والثالث : أن يكون منصوباً بفعل محذوف ، أي : ، اقرأوا نوناً ثم ابتدأ قسماً بقوله : " والقَلمِ " أو يكون منصوباً بعد حذف حرف القسم ؛ كقوله : [الوافر] - ....

فَذَاكَ أَمَانَةَ اللَّهِ الثَّرِيدُ

جزء : ١٩ رقم الصفحة : ٢٦١

ومنع الصرف لما تقدم ، وهذا أحسن لعطف العلم على محله.

قوله : ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾.

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل . موافق للمطبوع، ص/٤٨٨٠

" ما " موصولة ، اسمية أو حرفية ، أي : والذي يسطرونه من الكتب ، وهم الكتّاب والحفظة من الملائكة وسطرهم.

والضمير عائد على من يسطر **لدلالة السياق** عليه ولذكر الآلة المكتتب بها.

وقال الزمخشري يجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون لاضمير في " يَسْطُرونَ " لهم.

يعني فيصير كقوله : ﴿أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ﴾ [النور : ٤٠] تقديره : أو كذي ظلمات فالضمير في " يغْشَاه " يعود على " ذي " المحذوف.

فصل في المراد بالقلم في " القلم " المقسم به قولان : أحدهما : أن المراد بها الجنس ، وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض ، قال تعالى : ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ الَّذِى عَلَّمَ بِالْقَلَمِ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾ [العلق : ٣ ، ٤ ، ٥] ،
٢٦٤

ولأنه ينتفع به كما ينتفع بالنطق كما قال تعالى : ﴿خَلَقَ الإِنسَانَ عَلَّمَهُ البَيَانَ﴾ [الرحمن : ٣ ، ٤] ، فالقلم يبين كما يبين اللسان في المخاطبة بالكتاب للغائب والحاضر.

والثاني : أنه القلم الذي جاء في الخبر ، عن ابن عباسٍ : أول ما خلق الله القلم ثم قال له : اكتب قال : ما أكتب ؟ قال : ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة من عملٍ ، أو أجلٍ ، أو رزقٍ ، أو أثرٍ ، فجرى القلمُ بما هو كائن إلى يوم القيامة ، قال : ثم ختم في القلم فلم ينطق ولا ينطق إلى يوم القيامة ، قال : وهو قلم من نور طوله كما بين السماء والأرض.

وروى مجاهد ، قال : اول ما خلق الله القلم ، فقال : اكتب القدر ، فكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة ، وإنما يجري الناس على أمر قد فرغ منه.

قال القاضي : هذا الخبر يجب حمله على المجاز ؛ لأن القلم آلة مخصوصة للكتابة ، ولا يجوزأن يكون حياً عاقلاً فيؤمر وينهى ؛ فإن الجمع بين كونه حيواناً مكلفاً وبين كونه آلة للكتابة محال بل المراد منه أنه تعالى أجراه بكل ما يكون وهو كقوله تعالى ﴿إِذَا قَضَى أَمْراً فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [آل عمران : ٤٧] فإنه ليس هناك أمر ، ولا تكليف ، وهو مجرد نفاذ القدرةِ في المقدور من غير منازعة ، ولا مدافعة.

وقيل : القلم المذكور هو العقل وأنه شيء هو كالأصل لجميع المخلوقات ، قالوا : والدليل عليه أنه قد روي في الأخبار : أن أول ما خلق الله القلم.

وفي خبر آخر : أول ما خلق الله العقل ، فقال الجبار : ما خلقت خلقاً أعجب غلي منك ، وعزتي وجلالي لأكلمنك فيمن أحببت ولأبغضنك فيمن أبغضت ، قال : ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أكمل النَّاسِ عقلاً أطوْعهُمْ للهِ وأعْلمُهُمْ بطاعته.

وفي خبر آخر : أول ما خلق الله جوهرة ، فنظر إليها بعين الهيبة فذابت ، وسخنت ، فارتفع منها دخان وزبد ، فخلق من الدخان السموات ، ومن الزبد الأرض.

قالوا : فهذه الأخبار مجموعها تدل على أن القلم والعقل وتلك الجوهرة التي هي أصل المخلوقات شيء واحد ، وإلا حصل التناقض.

قوله : ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ ، أي : وما يكتبون ، يريدك الملائكة يكتبون أعمال بني آدم.

قال ابن عباس.

وقيل : وما يكتبون الناس ويتفاهمون به.

وقال ابن عباس : معنى ﴿وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ وما يعملون.

٢٦٥

". (١)

"الاحتمال الأول أنها تكملة لمحاورة الطائفة من أهل الكتاب بعضهم بعضا ، وأن جملة ﴿ قل إن الهدى هدى الله ﴾ معترضة في أثناء ذلك الحوار ، وعلى هذا الاحتمال تأتي وجوه نقتصر منها على وجهين واضحين :

أحدهما : أنهم أرادوا تعليل قولهم : ﴿ ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم ﴾ على أن سياق الكلام يقتضي إرادتهم استحالة نسخ شريعة التوراة ، واستحالة بعثة رسول بعد موسى ، وأنه يقدر لام تعليل محذوف قبل (أن) المصدرية وهو حذف شائع مثله.

ثم إما أن يقدر حرف نفي بعد (أن) يدل عليه هذا السياق ويقتضيه لفظ (أحد) المراد منه شمول كل أحد : لأن ذلك اللفظ لا يستعمل مرادا منه الشمول إلا في سياق النفي ، وما في معني النفي مثلل استفهام الإنكار ، فأما إذا استعمل (أحد) في الكلام الموجب فإنه يكون بمعنى الوصف بالوحدة ، وليس ذلك بمناسب في هذه الآية.

فتقدير الكلام لأن لا يوتى أحد مثل ما أوتيتم وحذف حرف النفي بعد لام التعليل ، ظاهرة ومقدرة ، كثير في الكلام ، ومنه قوله تعالى : ﴿ يبين الله لكم أن تضلوا ﴾ [النساء : ١٧٦] ، أي لئلا تضلوا.

والمعنى : أن قصدهم من هذا الكلام تثبيت أنفسهم على ملازمة دين اليهودية ، لأن اليهود لا يجوزون نسخ أحكام الله ، ويتوهمون أن النسخ يقتضي البداء.

الوجه الثاني : أنهم أرادوا إنكار أن يوتى أحد النبوءة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل فيكون الكلام استفهاما إنكاريا حذفت منه أداة الاستفهام **لدلالة السياق** ؛ ويؤيده قراءة ابن كثير قوله : ﴿ أن يؤتى أحد ﴾ بهمزتين.." (٢)

"﴿ولو افتدى به﴾ قال ابن المنير في "الانتصاف" : إن هذه الواو المصاحبة للشرط تستدعي شرطا آخر تعطف عليه الشرط المقترنة به ضرورة والعادة في مثل ذلك أن يكون المنطوق به منبها على المسكوت عنه بطريق الأولى مثاله قولك : أكرم زيدا ولو أساء فهذه الواو عطفت المذكور على محذوف تقديره أكرم زيدا لو أحسن ولو أساء إلا أنك نبهت بإيجاب إكرامه وإن أساء على أن إكرامه إن أحسن بطريق الأولى ؛ ومنه ﴿كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم﴾ [النساء : ١٣٥] فإن معناه والله تعالى أعلم لو كان الحق على غيركم ولو كان عليكم ولكنه ذكر ما هو أعسر عليهم فأوجبه تنبيها على أن ما كان أسهل أولى بالوجوب ، ولما كانت هذه الآية مخالفة لهذا النمط من الاستعمال لأن قوله

---

(١) تفسير اللباب لابن عادل ـ موافق للمطبوع، ص/٤٩٩٧

(٢) جامع لطائف التفسير، ٢٠٨/١٤

سبحانه : ﴿ولو افتدى به﴾ يقتضي شرطا آخر محذوفا يكون هذا المذكور منبها عليه بطريق الأولى ، والحالة المذكورة أعني حالة افتدائهم بملء الأرض ذهبا هي أجدر الحالات بقبول الفدية ، وليس وراءها حالة أخرى تكون أولى بالقبول منها خاض المفسرون بتأويلها فذكر الزمخشري ثلاثة أوجه حاصل الأول : أن عدم قبول ملء الأرض كناية عن عدم قبول فدية ما **لدلالة السياق** على أن القبول يراد للخلاص وإنما عدل تصويرا للتكثير لأنه الغاية التي لا مطمح وراءها في العرف ، وفي الضمير يراد ﴿ملء الأرض﴾ على الحقيقة فيصير المعنى لا تقبل منه فدية ولو افتدى بملء الأرض ذهبا ففي الأول نظر إلى العموم وسده مسد فدية ما ، وفي الثاني إلى الحقيقة أو لكثرة المبالغة من غير نظر إلى القيام مقامها ، وحاصل الثاني : أن المراد ولو افتدى بمثله معه كما صرح به في آية أخرى ولأنه علم أن الأول فدية أيضا كأنه قيل : لا يقبل ملء الأرض فدية ولو ضوعف ، ويرجع هذا إلى جعل." (١)

"ولما كان التقدير : وتتقدم إليهم بأبلغ مقال في تشديد الأقوال والأفعال ، أشار تعالى إلى أنه وقع في غضون ذلك منه ومنهم كلام كثير خفي وجلي بقوله : ﴿والله﴾ أي والحال أن الملك الأعظم الذي أنتم في طاعته ﴿سميع﴾ أي لأقوالكم ﴿عليم﴾ أي بنياتكم في ذلك وغيره فاحذروه ، ولعله خص النبي صلى الله عليه وسلم بلذيذ الخطاب في التذكير تحريضا لهم مع ما تقدمت الإشارة إليه على المراقبة تعريضا لهم بأنهم خفوا مع الذين ذكرهم أمر بعاث حتى تواثبوا حين تغاضبوا إلى السلاح – كما ذكر في سبب نزول قوله تعالى : ﴿يا أيها الذين آمنوا إن تطيعوا فريقا من الذين أوتوا الكتاب﴾ [آل عمران : ١٠٠] ، فوقفوا عن نافذ الفهم وصافي الفكر خفة إلى ما أراد بهم عدوهم فاقتضى هذا التحذير كله ، ويؤيد ذلك إقباله في الخطاب عليهم عند نسبة الفشل إليها – كما يأتي قريبا ، ولعله إنما خص هذه الغزوة بالذكر دون ما ذكرت أن واو عطفها دلت عليه مما أيدوا فيه بالنصر لأن الشماتة بالمصيبة أدل على البغضاء والعداوة من الحزن بما يسر ، ودل ذكرها على المحذوف لأن المدعي فيما قبلها شيئان : المساءة بالحسنة ، والفرح والمسرة بالمصيبة ، فإذا برهن المتكلم على الثاني عليم ولا بد أنه حذف برهان الأول ، وأنه إنما حذفه – وهو حكيم – لنكتة ، وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه **بدلالة السياق** مع واو العطف عليه ، وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا – كما ترى – بعد محكمة ستذكر ، وأطلق سبحانه وتعالى – كما عن الطبري وغيره – التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة فإن الكفار لما نزلوا يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة في سفح أحد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر فيهم ما يأتيه من الوحي بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس وليلة." (٢)

"يقول تعالى : ﴿ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ على كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ ﴾ أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية ﴿ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُوداً إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ ﴾ [يونس : ٦١] ، وقال تعالى : ﴿ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا ﴾ [الأنعام : ٥٩] ، وقال : ﴿ سَوَآءٌ مِّنْكُمْ مَّنْ أَسَرَّ القول وَمَنْ جَهَرَ بِهِ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍ بالليل وَسَارِبٌ بالنهار ﴾ [الرعد : ١٠] ، وقال : ﴿ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ والله

---

(١) جامع لطائف التفسير، ٧٧/١٥

(٢) جامع لطائف التفسير، ٢٠١/١٦

بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾ [الحديد : ٤] ، أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تكشف ضراً عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه ، وهو قوله : ﴿ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ﴾ أي عبدوها معه من أصنام وانداد وأوثان ، ﴿ قُلْ سَمُّوهُمْ ﴾ أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فإنهم لا حقيقة لهم ، ولهذا قال : ﴿ أَمْ تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لاَ يَعْلَمُ فِي الأرض ﴾ أي لا وجود له ، لأنه لو كان لها وجود في الأرض لعلمها ، لأنه لا تخفى عليه خافية ﴿ أَم بِظَاهِرٍ مِّنَ القول ﴾ ، قال مجاهد : بظنٍّ من القول ، وقال الضحاك وقتادة : بباطل من القول ، أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة ، ﴿ إِنْ هِيَ إِلاَّ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَآبَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ الله بِهَا مِن سُلْطَانٍ ﴾ [النجم : ٢٣] ، ﴿ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُواْ مَكْرُهُمْ ﴾ قال مجاهد : قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إلأيه آناء الليل وأطراف النهار ، كقوله تعالى : ﴿ وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُواْ لَهُم ﴾ [فصلت : ٢٥] أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله ، ولهذا قال : ﴿ وَمَن يُضْلِلِ الله فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ ، كما قال : ﴿ وَمَن يُرِدِ الله فِتْنَتَهُ فَلَن تَمْلِكَ لَهُ مِنَ الله شَيْئاً ﴾ [المائدة : ٤١] ، وقال : ﴿ إِن تَحْرِصْ على هُدَاهُمْ فَإِنَّ الله لاَ يَهْدِي مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِّن نَّاصِرِينَ ﴾ [النحل : ٣٧] .." [1]

"يخبر تعالى عما أرصده للكافرين من خلقه ، من السلاسل والأغلال والسعير وهو اللهب ، والحريق في نار جهنم كما قال تعالى : ﴿ إِذِ الأغلال فِي أَعْنَاقِهِمْ والسلاسل يُسْحَبُونَ * فِي الحميم ثُمَّ فِي النار يُسْجَرُونَ ﴾ [غافر : ٧١-٧٢] ، ولما ذكر ما أعده لهؤلاء الأشقياء من السعير قال بعده : ﴿ إِنَّ الأبرار يَشْرَبُونَ مِن كَأْسٍ كَانَ مِزَاجُهَا كَافُوراً ﴾ ، وقد علم ما في الكافور من التبريد والرائحة الطيبة ، مع ما يضاف إلى ذلك من اللذاذة في الجنة ، قال الحسن : برد الكافور في طيب الزنجبيل ، ولهذا قال : ﴿ عَيْناً يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ الله يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ أي هذا الذي مزج لهؤلاء الأبرار من الكافور ، هو عين يشرب بها المقربون من عباد الله صرفاً بلا مزج ويروون بها ، قاب بها ، قال بعضهم : هذا الشراب في طيبه كالكافور ، وقال بعضهم : هو من عين كافور ، وقوله تعالى : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ أي يتصرفون فيها حيث شاءوا وأين شاءوا ، من قصورهم ودورهم ومجالسهم ومحالهم ، والتفجير هو الانباع ، كما قال تعالى : ﴿ وَقَالُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حتى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأرض يَنْبُوعاً ﴾ [الإسراء : ٩٠] ، وقال : ﴿ وَفَجَّرْنَا خِلالَهُمَا نَهَراً ﴾ [الكهف : ٣٣] وقال مجاهد : ﴿ يُفَجِّرُونَهَا تَفْجِيراً ﴾ يقودونها حيث شاءوا ، وقال الثوري : يصرفونها حيث شاءوا ، وقوله تعالى : ﴿ يُوفُونَ بالنذر وَيَخَافُونَ يَوْماً كَانَ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ أي يتعبدون الله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر ، وفي الحديث : « من نذر أن يطيع الله فليطعه ، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه » ، ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي يكون ﴿ شَرُّهُ مُسْتَطِيراً ﴾ أي منتشراً عاماً على الناس إلاّ من رحم الله ، قال ابن عباس : فاشياً ، وقال قتادة : استطار والله شر ذلك اليوم ملأ السماوات والأرض .

وقوله تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبِّهِ ﴾ قيل : على حب الله تعالى **لدلالة السياق** عليه ، مجاهد ومقاتل ، واختاره ابن جرير كقوله تعالى : ﴿ وَآتَى المال على حُبِّهِ ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكقوله تعالى : ﴿ لَن تَنَالُواْ البر حتى تُنْفِقُواْ مِمَّا

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/١٢٨٧

تُحِبُّونَ ﴾ [آل عمران : ٩٢] ، وروى البيهقي عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنباً أول ما جاء العنب ، فأرسلت صفية يعني امرأة فانتشرت عنقوداً بدرهم ، فاتبع الرسول سائل ، فلما دخل به قال السائل : السائل ، فقال ابن عمر : أعطوه إياه فأعطوه إياه ، وفي الصحيح : « أفضل الصدقة أن تصدّق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر » أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ، ولهذا قال تعالى : ﴿ وَيُطْعِمُونَ الطعام على حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما ، وأما الأسير فقال الحسن والضحّاك : الأسير من أهل القبلة ، وقال ابن عباس : « كان أسراؤهم يومئذٍ مشركين ، يشهد لهذا أن رسول الله A أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى ، فكانوا يقدموهم على أنفسهم عند الغداء »." (١)

"يخبر تعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم ، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي ، فأعقبهم ذلك تكذيباً في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم E من الهدى واليقين ﴿ إِذِ انبعث أَشْقَاهَا ﴾ أي أشقى القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاقر الناقة ، وهو الذي قال الله تعالى : ﴿ فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فتعاطى فَعَقَرَ ﴾ [القمر : ٢٩] الآية ، وكان هذا الرجل عزيزاً شريفاً في قومه ، نسيباً رئيساً مطاعاً ، كما قال الإمام أحمد : « خطب رسول الله A فذكر الناقة ، وذكر الذي عقرها ، فقال : » ﴿ إِذِ انبعث أَشْقَاهَا ﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة « » وروى ابن أبي حاتم ، عن عمار بن ياسر قال ، قال رسول الله A لعلي : « ألا أحدثك بأشقى الناس؟ » قال : بلى ، قال : « رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة ، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه » يعني لحيته « وقوله تعالى : ﴿ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ الله ﴾ يعني صالحاً عليه السلام ﴿ نَاقَةَ الله ﴾ أي احذروا ناقلة الله أن تمسوها بسوء ، ﴿ وَسُقْيَاهَا ﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ، ولكم شرب يوم معلوم ، قال الله تعالى : ﴿ فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا ﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به ، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة ، التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم ، ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنبِهِمْ ﴾ أي غضب عليهم فدمّر عليهم ، ﴿ فَسَوَّاهَا ﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء . قال قتادة : بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيره وذكرهم وأنثاهم ، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها ، وقوله تعالى : ﴿ وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ قال ابن عباس : لا يخاف الله من أحد تبعة ، وقال الضحّاك والسدي : ﴿ وَلاَ يَخَافُ عُقْبَاهَا ﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع ، والقول الأول أولى **لدلالة السياق** عليه ، والله أعلم .." (٢)

"١- أن سياق الآيات يدل على إرادة هذا المعنى الراجح، وقد صرح **بدلالة السياق** عليه الإمام ابن عطية بقوله: " ((وأرض الله)) يريد بها البلاد المجاورة التي تقتضيها القصة التي الكلام فيها "(١).

٢- كذلك دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم عليه تؤيد المعنى الراجح المراد من هذه الآية، منها قوله تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي NخإkَّRrےà& قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الْأَرْضِ (#ûq٥ّ٩$s٪ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ

---

(١) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢٦٤٥

(٢) تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير، ص/٢٧١٢

اللَّهِ Zpyèﷻ¨ur فَتُهَاجِرُوا فِيهَا ﴾ [سورة النساء: ٩٧]. وقوله تعالى: ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ (#qûãZtB#u إِنَّ أَرْضِي ×pyèﷻ¨Sf"'} ur*خsù فَاعْبُدُونِ (٥٦) ﴾ [سورة العنكبوت: ٥٦]، وقد أشار إلى هذا الزمخشري(٢) ونظام الدين النيسابوري(٣)، وأبوحيان(٤)، وابن كثير(٥)، والشوكاني(٦)، والقنوجي(٧)،والشنقيطي(٨).

٣- كونه اختيار جمهور المفسرين، بدلالة كثرة القائلين به قديماً وحديثاً. وإجماع الجمهور على تفسير يقدمه على غيره(٩).

---

(١) المحرر الوجيز لابن عطية ٥١٥/٠١٢).

(٢) الكشاف للزمخشري (١١٣/٤).

(٣) غرائب القرآن لنظام الدين النيسابوري (١١٩/٢٣).

(٤) البحر المحيط لأبي حيان (١٩٠/٩).

(٥) تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٤٨/٤).

(٦) فتح القدير للشوكاني (٤٣٧/٤).

(٧) فتح البيان للقنوجي (٩١/١٢).

(٨) أضواء البيان للشنقيطي (٤٦/٧).

(٩) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٨٨/١).." (١)

"ديوثاً زوج بغي، فإن الله تعالى فطر الناس على استقباح ذلك واستهجانه ولذلك إذا بالغوا في سب الرجل قالوا: زوج قحبة، فحرم الله على المسلم أن يكون كذلك. فظهرت حكمة التحريم وبان معنى الآية، والله الموفق "(١). والله أعلم بالصواب.

- - -

المراد بالعذاب

٢- قوله تعالى: ﴿ وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ (٨) ﴾ [سورة النور: ٨].

مجمل الأقوال الواردة في الآية:

١- أن المراد بالعذاب: الحد(٢).

٢- أن المراد بالعذاب: الحبس(٣).

ترجيح الشنقيطي:

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٤

قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله-: " المراد بالعذاب هنا: الحد. والدليل على ذلك من أوجه:

الأول: منها سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهاداتها هو الحد.

الثاني: أنه أطلق اسم العذاب في مواضع أخر على الحد مع **دلالة السياق** على أن المراد بالعذاب فيها الحد؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: ﴿ الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِئَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآَخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا ×pxے ح !$s غ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ (٢) ﴾ [سورة النور: ٢]، فقوله: ((وليشهد عذابهما)) أي حدهما بلا نزاع، وكذلك قوله تعالى في الإماء ﴿ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ﴾ [سورة النساء: ٢٥] أي نصف ما على الحرائر من الجلد "(٤).

الموافقون:

قال بالمعنى الذي ذهب إليه الشنقيطي عدد من أعلام المفسرين، منهم:

---

(١) بدائع التفسير لابن القيم (٣/٢٤٥).

(٢) جامع البيان للطبري (١٨/٦٨)، تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٢٦٥)، أنوار التنزيل للبيضاوي (٢/٥٩).

(٣) مدارك التنزيل للنسفي (٣/١٠٢).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٦/١٣١-١٣٢) بتصرف.." [١]

"الوجه الخامس: أن السياق كله من أول السورة إلى هذه الآية إنما هو في القرآن(١) قال تعالى ﴿ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ (١) إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ (٢) أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ ﴾ [سورة الزمر: ١-٣] فذكر في أول السورة كتابه ودينه والكلم الطيب والعمل الصالح فخير الكلام كتابه وخير العمل إخلاص الدين له، ثم أعاد ذكر الأصليين في قوله ﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَى ﴾ [سورة الزمر: ١٧] فهذا إخلاص الدين له، ثم قال: ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ (١٧) الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾ فهذا كتابه فتضمنت ذكر كتابه ودينه كما تضمنت (ذلك) أول السورة فما لأقوال المغنين والمغنيات هاهنا، ثم قال: ﴿ أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٢٢) ﴾ [سورة الزمر: ٢٢]. ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ﴾ [سورة الزمر: ٢٣]، فأثنى على أهل السماع والوجد للقول والحديث الذي أنزله ولم يثن سبحانه على مطلق الحديث ومستمعيه، ثم أعاد سبحانه ذكر القرآن في قوله: ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) ﴾ [سورة الزمر: ٣٣].

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/١٧

(١) دلالة السياق قاعدة في الترجيح عند المفسرين، قواعد الترجيح عند المفسرين لحسن الحربي (١٢٥/١).." [1]

"... من النظر في أقوال المفسرين، يظهر –والله أعلم– أن الراجح هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل ما قاله، وأن الآية فيها حكاية ما ادّعاه المشركون من جعل (جزء) نصيب من عباد الله – عز وجل – الذين خلقهم، جعلوهم أولاداً لله، بل خصوصاً هم من البنات، على أن كلمة (جزء) تحمل على المعاني الثلاثة (ولد – بنت – نصيب)، يؤيد هذا الترجيح أمور؛ منها:

١– ما صرح به عدد من المفسرين من دلالة السياق على هذا المعنى(١)، وأن ترجيح أن يراد بـ (الجزء) خصوص البنات قد دل عليه سياق الآيات، فلقد أنكر الله – عز وجل – على المشركين قسمتهم الجائرة هذه، وأنه لو –جدلاً– أرادوا أن يجعلوا ولداً لله – عز وجل – ، أيجعلونه مما هم لا يحبونه ولا يريدونه. تعالى الله – عز وجل – عن قولهم علواً كبيراً. ولا شك أن دلالة السياق من المرجحات القوية بين الأقوال لدى المفسرين(٢).

---

(١) جامع البيان للطبري (٣٤/٢٥)، التسهيل لابن جزي (٤٦/٤)، أنوار التنزيل للبيضاوي (١٩٩/٢)، جواهر الحسان للثعالبي (١٢٣/٤).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).." [2]

"... الذي يظهر –والله أعلم– صحة حمل الآية على جميع المعاني الواردة عن المفسرين سواء قالوا ((فلا يستطيعون سبيلاً)) أي طريقاً إلى الحق والصواب أو كان المعنى لا يجدون في أمر الرسول – صلى الله عليه وسلم – حيلة يقدحوا بها في نبوته – صلى الله عليه وسلم – ، فإن سياق الآيات محتمل لها. والله – عز وجل – بعد أن ذكر أن الكفار قالوا تلك الأحوال العجيبة والصفات الغريبة عن النبي – صلى الله عليه وسلم – ، في قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ آخَرُونَ فَقَدْ جَاءُوا ظُلْمًا وَزُورًا (٤) وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٥) قُلْ أَنْزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا (٦) وَقَالُوا مَالِ هَذَا الرَّسُولِ يَأْكُلُ الطَّعَامَ وَيَمْشِي فِي الْأَسْوَاقِ لَوْلَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُ نَذِيرًا (٧) أَوْ يُلْقَى إِلَيْهِ كَنْزٌ أَوْ تَكُونُ لَهُ جَنَّةٌ يَأْكُلُ مِنْهَا وَقَالَ الظَّالِمُونَ إِنْ تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا (٨) انْظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا (٩) ﴾ [سورة الفرقان: ٤–٩]. ختم الحديث بقوله: ((فلا يستطيعون سبيلا)) أي لن يستطيعوا الوصول إلى طريق الحق والصواب ما داموا على منهجهم ذلك في الكفر، أو لا يستطيعوا أن يجدوا وسيلة يقدحوا بها في نبوة محمد – صلى الله عليه وسلم – مهما حالوا واخترعوا. وقاعدة دلالة السياق من القواعد المهمة في تفسير كلام الله – عز وجل – (١).

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/١٨

(٢) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٧٢

(١) قواعد التفسير لخالد السبت (١/٢٤٩)، قواعد الترجيح عند المفسرين (١/١٢٥).." (١)

"الذي يظهر –والله أعلم– أن الراجح رجوع الإشارة إلى السعير وما أعد الله – عز وجل – فيها من العذاب الشديد للكفار. وهو القول الذي رجحه الشيخ الشنقيطي ومن وافقه، والأدلة على رجحان هذا القول أمور عدة؛ منها:

١– دلالة آيات أخرى من القرآن الكريم على هذا القول الراجح، وقد سبق آنفاً ذكر الآيات الواردة في سورة الصافات، وفي سورة فصلت المؤكدة لهذا القول تحت فقرة ترجيح الشنقيطي، ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن هو أعلى درجات التفسير وأقواها، وأول ما يجب على المفسر أن يطلبه عند تفسير كتاب الله – عز وجل – (١).

٢– **دلالة السياق** على هذا المعنى الراجح، فإن سياق الآيات في أن الله – عز وجل – أعد لمن كذب بالساعة سعيراً وهي جهنم وأنها إذا رأت الكفار تغيظت وزفرت وأن الأماكن التي يلقى فيها الكفار في جهنم ضيقة وأنهم يُلقون فيها وهم مقيدين مكبّلين، فإذا ألقوا فيها دَعَوْا على أنفسهم بالهلاك، ثم يختم الله – عز وجل – هذا الوصف الرهيب لجهنم وما أعد فيها للمكذبين بقوله: ((أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون))، وفي هذا دلالة واضحة من ظاهر السياق(٢) على رجوع الإشارة إلى السعير.

---

(١) الإتقان للسيوطي (٢/٤٩٧)، شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين (١٢٧)، قواعد التفسير لخالد السبت (١/١٠٩)،.

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١/١٢٥)، قاعدة: إدخال الكلام في معاني ما قبله وما بعده أولى...." (٢)

"١– إجماع أئمة التفسير قديماً وحديثاً على المعنى الراجح، وقد سبق استعراض أقوال عدد منهم عند ذكر الموافقين، وقد صرّح بعضهم بأنه قول الجمهور(١)، وأنه أقوى الأقوال(٢).

٢– القول الراجح قال به من قال استناداً على مرجحات قوية، منها:

أ– دلالة آيات أخرى من كتاب الله – عز وجل – على المعنى الراجح، وقد سبق استعراض عدد منها تحت فقرة (ترجيح الشنقيطي) وفقرة (الموافقون)، ومعلوم أن تفسير القرآن بالقرآن أعلى درجات التفسير(٣).

ب– **دلالة السياق**؛ فالقول بأن يوم الفتح فتح مكة تردّه قرينة ظاهرة في سياق الآية، وهي قوله تعالى: ((لا ينفع الذين كفروا إيمانهم...)) وكيف وقد آمن الطلقاء يوم فتح مكة وقَبِل ذلك منهم النبي – صلى الله عليه وسلم – . ووجود قرينة في السياق تؤيد القول الراجح أو تردّ القول المرجوح من القواعد التي يستخدمها العلماء في الترجيح بين الأقوال(٤).

٣– عدد من أئمة التفسير صرّحوا بالرّدَ على القول المخالف، من هؤلاء:

أ– الطبري –قال بعد أن ذكر القول الراجح–: " ولو كان معنى قوله ((متى هذا الفتح)) على ما قاله من قال يعني به فتح

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٩٢

(٢) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/١٠٥

مكة لكان لا توبة لمن أسلم من المشركين بعد فتح مكة، ولا شك أن الله قد تاب على بشر كثير من المشركين بعد فتح مكة ونفعهم بالإيمان به وبرسوله، فمعلوم بذلك صحة ما قلنا من التأويل وفساد ما خالفه "(٥).

---

(١) الإمام أبوحيان في البحر المحيط (٤٤٢/٨).

(٢) الإمام ابن عطية في المحرر الوجيز (٥٥٥/١١).

(٣) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧)، وقواعد التفسير لخالد السبت (١٠٩/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣١٢/١).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (١٣/١)، وقواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٢٩٩/١).

(٥) جامع البيان للطبري (٧٣/٢١).." [1]

"١- أنه من باب تفسير القرآن بالقرآن، الذي هو أحسن طرق التفسير وأعلاها(١)، وقد دل سياق الآية على هذا المعنى، **ودلالة السياق** على المعنى المراد من ناحيتين وهما: الأمران اللذان ذكرهما الشيخ الشنقيطي في نهاية استدلاله على ترجيحه وقد ذكرا قريباً تحت فقرة: ترجيح الشنقيطي. ثم إن الترجيح **بدلالة السياق** من القواعد المهمة في الترجيح عند المفسرين(٢).

٢- أن هذا القول هو اختيار الجمهور، وقد سبقت الإشارة إلى ما نقله القرطبي عن عدد من أئمة التفسير، وكذلك ما حكاه الألوسي أن هذا هو قول الجمهور.

---

(١) شرح مقدمة التفسير لابن عثيمين ص(١٢٧).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١): المبحث الثاني قواعد الترجيح المتعلقة بالسياق القرآني، المطلب الأول: إدخال في معاني ما قبله وما بعده أولى من الخروج به عنهما إلا بدليل يجب التسليم له. وكذلك قواعد التفسير لخالد السبت (١١٠/١): أقسام البيان من جهة الاتصال وعدمه، الأول: البيان المتصل.." [2]

"تعقيب الباحث:

... الذي يظهر -والله أعلم- أن الأرجح في معنى هذه الآية ((لتنذر قوماً ما أنذر آباءهم فهم غافلون)) هو ما ذهب إليه الشنقيطي ومن قال بمثل قوله من أن لفظة ((ما)) في الآية يراد بها النفي، ويكون معنى الآية: لم ينذر آباؤهم، يؤيد ذلك أمور:

١- كون هذا القول هو قول الجمهور، يدل على ذلك تصريح عدد من المفسرين بذلك كالإمام النسفي(١)، وابن الجوزي(٢)، والقرطبي(٣)، والشوكاني(٤)، والقنوجي(٥).

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٢١٧

(٢) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٢٣٤

٢- بالرغم من وجود أقوال أخرى، إلاّ أنه لم يوجد قديماً ولا حديثاً من رجّح قولاً مخالفاً لما ذهب إليه الجمهور.

٣- وقبل هذا كله بل هو الأساس في ترجيح هذا القول الراجح؛ **دلالة السياق**(٦)، فإن سياق الآية يدل عليه، فبداية الآية قوله تعالى ((لتنذر قوماً ما أنذر آباؤهم)) وختامها ((فهم غافلون)) فكونهم غافلون يناسبه عدم الإنذار لا الإنذار(٧).

٤- كذلك دلالة آيات أخرى على المعنى الراجح(٨) في آية سورة يس هذه، وهو كون آبائهم لم يأتهم نذير قبل النبي محمد - صلى الله عليه وسلم - وقد مر معنا عند فقرة ترجيح الشنقيطي ذكر عدد من الآيات في الهامش- ومن الآيات الدالة بوضوح أيضاً على كون آبائهم ضالين؛ قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) ﴾ [سورة الصافات: ٦٩] فكون الآباء ضالين معناه أنهم لم يأتهم نذير يزيح عنهم هذا الضلال وتلك الغفلة. والله أعلم بالصواب.

- - -

المراد بقوله تعالى ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْنَاقِهِمْ =n"xWör î&.. ﴾

(١) مدارك التنزيل للنسفي (٣/٤).

(٢) زاد المسير لابن الجوزي (٢٦٢/٦).

(٣) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (٧/١٥).

(٤) فتح القدير للشوكاني (٣٤٩/٤).

(٥) فتح البيان للقنوجي (٢٧١/١١).

(٦) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

(٧) أضواء البيان للشنقيطي (٦٤٩/٦).

(٨) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (٣١٢/١).." (١)

"٢- أن هذا التفسير هو المناسب لسياق الآية، فإن قوله تعالى ((وارتبتم)) يراد به " شككتم في توحيد الله - عز وجل - وفي نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - "(١)، ومجيء لفظ ((ارتبتم)) بعد لفظ ((تربصتم)) يناسبه أن يكون معنى التربص هو تربصهم الدوائر بالنبي - صلى الله عليه وسلم - والمؤمنين، فإن شكّهم في أمر الدين والنبوة هو الذي يدفعهم إلى هذا التربص، فيظنوا أنه إن مات النبي - صلى الله عليه وسلم - أو انهزم المسلمون؛ فيستريحوا ويبقوا على كفرهم ولا يدخلوا في الإسلام ولا يريدونه. **ودلالة السياق** على المعنى الراجح قاعدة متبعة عند المفسرين(٢).

٣- وأخيراً كثرة القائلين به يشبه أن يكون إجماعاً منهم على صحته ورجحانه. والله أعلم بالصواب.

- - -

المراد بأمر الله - عز وجل -

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٢٦٠

٩٩- قوله تعالى: ﴿ Nهـktxrكـث$Zuƒr 9sN& `٣ن Rt ٣N٣q#) B¨èy٣٩$ s% t?n'4 /ن٣¨ Z٣"ru9s ùsGt^Gç٥O N٣ن |،àـےL÷ &rRن٣êُـ—/t ur9s? OçG٥?s ;٥ru#$'
/خ!$$" xîurچﷺ .Dr& "!$# N`yگِ ‏%!â Lym ن«u ٤س #$ ﴾T$tBF 'خگ xîurچﷺ ؟٣ّNم r'âچt٩ٍٍ$$# اتحب ﴾ [سورة الحديد: ١٤].

مجمل الأقوال الواردة:

١- أن المراد بأمر الله – عز وجل – : الموت.

٢- أو يكون المراد: إلقاؤهم في النار.

٣- أو أن يكون المراد بأمر الله – عز وجل – : نصرة نبيّه – صلى الله عليه وسلم – (٣).

ترجيح الشنقيطي:

... قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي –رحمه الله–: " وقوله ((حتى جاء أمر الله)) الأظهر أنه الموت؛ لأنه ينقطع به العمل "(٤).

الموافقون:

... عدد كبير من المفسرين ذهبوا إلى مثل ما ذهب إليه الشنقيطي، ورجحوا أن المراد بأمر الله – عز وجل – في هذه الآية: هو الموت، منهم:

---

(١) جامع البيان للطبري (١٣٠/٢٧).

(٢) قواعد الترجيح عند المفسرين لحسين الحربي (١٢٥/١).

(٣) الأقوال الثلاثة مجتمعة ذكرها القرطبي في الجامع لأحكام القرآن (٢٤٧/١٧).

(٤) أضواء البيان للشنقيطي (٨١٠/٧).." [(١)]

"[حتي تأتيهم الساعة بغتة] أى حتى تأتيهم الساعة فجأة دون أن يشعروا ، قال قتادة : ما أخذ الله قوما قط إلا عند سكرتهم وغرتهم ونعمتهم فلا تغتروا بالله إنه لا يغتر بالله إلا القوم الفاسقون

[أو يأتيهم عذاب يوم عقيم] أي أو يأتيهم عذاب يوم القيامة ، وسمي " عقيما " لأنه لا يوم بعده ، قال أبو السعود : كان كل يوم يلد ما بعده من الأيام ، فما لا يوم بعده يكون عقيما ، والمراد به القيامة نفسها كأنه قيل : أو يأتيهم عذابها ، ووضع ذلك موضع الضمير لمزيد التهويل

---

(١) دراسة ترجيحات الشيخ محمد الأمين الشنقيطي في تفسيره أضواء البيان، ص/٢٦٨

[الملك يومئذ لله] أي الملك يوم القيامة له وحده ، لا منازع له فيه ولا مدافع

[يحكم بينهم] أي يفصل بين عباده بالعدل ، فيدخل المؤمنين الجنة ، والكافرين النار ، ولهذا قال :

[فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم] أى فالذين صدقوا الله ورسوله وفعلوا صالح الأعمال ، لهم النعيم المقيم في جنات الخلد

[والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين] أى والذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسله ، لهم العذاب المخزى ، مع الإهانة والتحقير في دار الجحيم

[والذين هاجروا في سبيل الله] أى تركوا الأوطان والديار إبتغاء مرضاة الله ، وجاهدوا لاعلاء كلمة الله

[ثم قتلوا أو ماتوا] أي قتلوا في الجهاد ، أو ماتوا على فرشهم

[ليرزقنهم الله رزقا حسنا] أي ليعطينهم نعيما خالدا لا ينقطع أبدا ، وهو نعيم الجنة

[وإن الله لهو خير الرازقين] أي هو تعالى خير من أعطى ، فإنه يرزق بغير حساب

[ليدخلنهم مدخلا يرضونه] أي ليدخلنهم مكانا يرضونه وهو الجنة ، التي (فيها ما لا عين رأت ، ولا أذن سمعت ، ولا خطر على قلب بشر)

[وأن الله لعليم حليم] أى عليم بدرجات العاملين (حليم) لا يعجل العقوبة لمن عصاه

[ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به] أي من جازى الظالم بمثل ما ظلمه

[ثم بغي عليه لينصرنه الله] أي ثم اعتدى الظالم عليه ثانيا ، لينصرن الله ذلك المظلوم

[إن الله لعفو غفور] أي مبالغ في العفو والغفران ، وفيه تعريض بالحث علي العفو والصفح ، فإنه تعالى مع كمال قدرته على الإنتقام يعفو ويغفر ، فغيره أولى بذلك

[ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل] أى ذلك النصر بسبب أن الله قادر ، ومن آيات قدرته تعالى أيلاج الليل في النهار ، بأن ينقص من الليل فيزيد في النهار ، وبالعكس وهذا مشاهد ملموس في الصيف والشتاء

[وأن الله سميع بصير] أي سميع لأقوال عباده ، بصير بأحوالهم ، لا تخفى عليه خافية

[ذلك بأن الله هو الحق] أي ذلك بأن الله هو الإله الحق

[وأن ما يدعون من دونه هو الباطل] أى وأن الذي يدعوه المشركون من الأصنام والأوثان ، هو الباطل الذى لا يقدر على شيء

[وأن الله هو العلي الكبير] أي هو العالي على كل شئ ، ذو العظمة والكبرياء ، فلا أعلى منه سبحانه ولا أكبر! !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - صيغة المبالغة [خوان كفور] لأن فعال وفعول من صيغ المبالغة .

٢ - الحذف **لدلالة السياق** عليه [أذن للذين يقاتلون] أي أذن بالقتال للذين يقاتلون الأعداء ، دفعا للظلم والعدوان .

.

٣ – تأكيد المدح بما يشبه الذم [إلا أن يقولوا ربنا الله] أى لا ذنب لهم إلا هذا ، وهذا ليس بذنب ، فهو من باب تأكيد المدح .

٤ – المقابلة للطيفة بين [فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم] وبين [والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم] .

٥ – جناس الاشتقاق [وما أرسلنا من رسول] .

٦ – الطباق بين [بنسخ . . ثم يحكم] .

." (١)

"[وورث سليمان داود] أي ورث سليمان أباه في النبوة ، والعلم ، والملك دون سائر أولاده ، قال الكلبي : كان لداود تسعة عشر ولدا فورث سليمان من بينهم نبوته وملكه ، ولو كانت وراثة مال لكان جميع أولاده فيه سواء

[وقال يا أيها الناس علمنا منطق الطير] أي وقال تحدثا بنعمة الله : يا أيها الناس لقد أكرمنا الله فعلمنا منطق الطير وأصوات جميع الحيوانات

[وأوتينا من كل شيء] أى وأعطانا الله من كل شيء من خيرات الدنيا يعطاها العظماء والملوك

[إن هذا لهو الفضل المبين] أي إن ما أعطيناه وما خصنا الله به من أنواع النعم لهو الفضل الواضح الجلي ، قاله على سبيل الشكر والمحمدة ، لا على سبيل العلو والكبرياء

[وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس والطير] أي جمعت له جيوشه وعساكره وأحضرت له في مسيرة كبيرة فيها طوائف الجن والإنس والطير ، يتقدمهم سليمان في أبهة وعظمة كبيرة

[فهم يوزعون] أي فهم يكفون ويمنعون عن التقدم بين يديه ، قال ابن عباس : جعل على كل صنف من يرد أولاها على أخراها لئلا يتقدموا في المسير كما تصنع الملوك

[حتى إذا أتوا على واد النمل] أي حتى إذا وصلوا إلى واد بالشام كثير النمل

[قالت نملة يا أيها النمل ادخلوا مساكنكم] أي قالت إحدى النملات لرفيقاتها : ادخلوا بيوتكم ، خاطبتهم مخاطبة العقلاء ، لأنها أمرتهم بما يؤمر به العقلاء

[لا يحطمنكم سليمان وجنوده] أي لا يكسرنكم سليمان وجيوشه بأقدامهم

[وهم لا يشعرون] أي وهم لا يشعرون بكم ولا يريدون حطمكم عن عمد حذرت ثم اعتذرت لأنها علمت أنه نبي رحيم ، فسمع سليمان كلامها وفهم مرامها

[فتبسم ضاحكا من قولها] أي فتبسم سرورا بما سمع من ثناء النملة عليه وعلى جنوده ، فإن قولها : [وهم لا يشعرون] وصف لهم بالتقوى والتحفظ عن مضرة الحيوان

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى، ٢/٢٢٤

[وقال رب أوزعني أن أشكر نعمتك التي أنعمت علي وعلى والدي] أي ألهمني ووفقني لشكر نعمائك وأفضالك ، التي أنعمت بها علي وعلى أبوي

[وأن أعمل صالحا ترضاه] أي ووفقني لعمل الخير الذي يقربني منك ، والذي تحبه وترضاه

[وأدخلني برحمتك في عبادك الصالحين] أي وأدخلني الجنة دار الرحمة ، مع عبادك الصالحين المتقين ، الذين ترحمهم في الآخرة ، وهو دعاء وثناء !

البلاغه :

تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - الإشارة بالبعيد عن القريب [تلك آيات القرآن] للإيذان ببعد منزلته في الفضل والشرف .

٢ - التنكير للتفخيم والتعظيم [وكتاب مبين] أي كتاب عظيم الشأن رفيع القدر.

٣ - ذكر المصدر بدل إسم الفاعل للمبالغة [هدى وبشرى] أي هاديا ومبشرا .

٤ - تكرير الضمير لإفادة الحصر والاختصاص [وهم بالآخرة هم يوقنون] ومثله [وهم في الآخرة هم الأخسرون] وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين .

٥ - التأكيد بأن واللام [وإنك لتلقى القرآن] لوجود المتشككين في القرآن الكريم ، لأن القسم والتأكيد لا يكون إلا للمنكر.

٦ - إيجاز الحذف [وألق عصاك فلما رآها تهتز] حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية إلخ وذلك **لدلالة السياق** عليه .

٧ - الطباق بين [حسنا بعد سوء] وبين [ولي مدبرا . . ولم يعقب] .

٨ — الاستعارة [آياتنا مبصرة] استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن بالعينين يبصر الإنسان الأشياء .

٩ - التشبيه المرسل المجمل [كأنها جان] ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مرسلا مجملا .

١٠ - حسن الاعتذار [وهم لا يشعرون] .

لطيفة :

(١) ".

"[ورأوا العذاب لو أنهم كانوا يهتدون] أي وتمنوا حين شاهدوا العذاب ، لو أنهم كانوا في الدنيا مهتدين للحق

[ويوم يناديهم فيقول ماذا أجبتم المرسلين] توبيخ آخر للمشركين ، أى ويوم يناديهم الله ويسألهم : ماذا أجبتم رسلي ؟ هل صدقتموهم أم كذبتموهم ؟

[فعميت عليهم الأنباء يومئذ فهم لا يتساءلون] أى فخفيت عليهم الحجج ، وأظلمت عليهم الأمور ، فلم يعرفوا ما يقولون ، فهم حيارى واجمون ، لا يسأل بعضهم بعضا عن الجواب ، لفرط الدهشة والحيرة

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابونى، ٢/٢٩٩

[فأما من تاب وآمن وعمل صالحا فعسى أن يكون من المفلحين] أى فأما من تاب من الشرك ، وجمع بين الإيمان والعمل الصالح ، فعسى أن يكون من الفائزين بجنات النعيم ، قال الصاوي : والترجى في القرآن بمنزلة التحقق ، لأنه وعد كريم ، من رب رحيم ، ومن شأنه تعالى أنه لا يخلف وعده

[وربك يخلق ما يشاء ويختار] أى هو تعالى الخالق المتصرف ، يخلق ما يشاء ، ويفعل ما يريد ، فلا اعتراض لأحد! على حكمه ، قال مقاتل : نزلت في " الوليد بن المغيرة " حين قال : [لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم]

[ما كان لهم الخيرة] أى ما كان لأحد من العباد اختيار ، إنما الاختيار والإرادة لله الواحد القهار

[سبحان الله وتعالى عما يشركون] أى تنزه الله العظيم الجليل وتقدس ، أن ينازعه أحد في ملكه ، أو يشاركه في اختياره وحكمته ، قال القرطبي : المعنى وربك يخلق ما يشاء من خلقه ، ويختار من يشاء لنبوته ، والخيرة له تعالى في أفعاله ، وهو أعلم بوجوه الحكمة ، فليس لأحد من خلقه أن يختار عليه

[وربك يعلم ما تكن صدورهم وما يعلنون] أى هو تعالى العالم بما تخفيه قلوبهم من الكفر والعداوة للرسول والمؤمنين ، وما يظهرونه على ألسنتهم من الطعن في شخص رسوله الكريم ، حيث يقولون : ما أنزل الله الوحي ، إلا على يتيم أبي طالب ! !

[وهو الله لا إله إلا هو] أى هو جل وعلا الله المستحق للعبادة ، لا أحد يستحقها إلا هو

[له الحمد في الأولى والآخرة] أى له الثناء الكامل في الدنيا والآخرة ، لأنه تعالى المتفضل على العباد ، بالنعم كلها في الدارين

[وله الحكم] أى وله القضاء النافذ ، والفصل بين العباد

[وإليه ترجعون] أي اليه وحده مرجع الخلائق يوم القيامة ، فيجازي كل عامل بعمله .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - التشبيه البليغ [بصائر للناس] أى أعطيناه التوراة كأنها أنوار لقلوب الناس ، حذف أداة الشبه ووجه الشبه فأصبح بليغا ، قال في حاشية البيضاوي : أى مشبها بأنوار القلوب ، من حيث إن القلوب لو كانت خالية عن أنوار التوراة وعلومها ، لكانت عمياء لا تستبصر ، ولا تعرف حقا من باطل .

٢ - المجاز العقلي [أنشأنا قرونا] المراد به الأمم أى أنهم يخلقون في تلك الأزمنة فنسب إلى القرون بطريق (المجاز العقلي) .

٣ - جناس الاشتقاق [تصيبهم مصيبة] .

٤ - المجاز المرسل [بما قدمت أيديهم] والمراد بما كسبوا ، وهو من باب (إطلاق الجزء وإرادة الكل) ، قال الزمخشري : ولما كانت أكثر الأعمال تزاول بالأيدي ، جعل كل عمل معبرا عنه باجتراح الأيدى .

٥ - حذف الجواب **لدلالة السياق** [ولولا أن تصيبهم مصيبة] حذف منه الجواب وتقديره : ما أرسلناك يا محمد رسولا

إليهم ، وهو من باب الإيجاز بالحذف .
٦ – التحضيض [لولا أوتي مثل ما أوتى موسى] أى هلا أوتي فهي للتحضيض ، وليست حرف امتناع لوجود .
٧ – التعجيز [قل فأتوا بكتاب] فالأمر خرج عن حقيقته إلى معنى التعجيز .
٨ – طباق السلب [إنك لا تهدي . . ولكن الله يهدي] .
٩ – المجاز العقلي [حرما أمنا] نسب الأمن إلى الحرم وهو لأهله .
١٠ – أسلوب السخرية والتهكم [أين شركائي الذين كنتم تزعمون] ؟ .
" (١).

"[أولم يروا أنا جعلنا حرما آمنا ويتخطف الناس من حولهم] أي أولم ير هؤلاء الكفار ، رؤية تفكر واعتبار ، أنا جعلنا بلدهم (مكة) حرما مصونا عن السلب والنهب ، آمنا أهله من القتل والسبي ، والناس حولهم يسبون ويقتلون ؟ قال الضحاك : [ويتخطف الناس من حولهم] أي يقتل بعضهم بعضا ، ويسبي بعضهم بعضا
[أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] أي أفبعد هذه النعم الجليلة ، يؤمنون بالأوثان ويكفرون بالرحمن ؟
[ومن أظلم ممن افترى على الله كذبا أو كذب بالحق لما جاءه] أي لا أحد أظلم من عبد غير الله ، وكذب بالقرآن حين جاءه
[أليس في جهنم مثوى للكافرين] ؟ أي أليس في جهنم مسكن وموضع إقامة ، للكافرين بآيات الله ؟ جزاء افترائهم وكفرهم ؟
[والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا] أي والذين جاهدوا النفس والشيطان ، والكفرة أعداء الدين ، ابتغاء مرضاتنا لنهدينهم طريق السير إلينا
[وإن الله لمع المحسنين] أي مع المؤمنين بالنصر والعون ، ومن كان الله معه فهو في أمن وأمان .
البلاغه :
تضمنت الآيات وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :
١ – التحضيض [لولا أنزل عليه آيات من ربه] أي هلا أنزل عليه .
٢ – الطباق بين] آمنوا بالباطل وكفروا بالله] .
٣ – إفادة القصر [أولئك هم الخاسرون] أي لا غيرهم .
٤ – الإطناب بذكر العذاب مرات للتشنيع على المشركين [ويستعجلونك بالعذاب ولولا أجل مسمى] [يستعجلونك بالعذاب لأن جهنم] [يوم يغشاهم العذاب] إلخ .
٥ – الإضافة للتشريف والتكريم [يا عبادي الذين آمنوا] .
٦ – الطباق بين [يبسط الرزق . . ويقدر] ومثله [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، ٢/٣٢٥

٧ – المجاز العقلي [حرما آمنا] أي آمنا أهله .

٨ – التشبيه البليغ [وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب] أي كاللهو وكاللعب ، حذفت أداة التشبيه ووجه الشبه ، فأصبح بليغا على حد قولهم : " زيد أسد " ومحمد قمر.

٩ – الإيجاز بحذف جواب الشرط **لدلالة السياق** عليه [لو كانوا يعلمون] أي لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة ، ولا الفانية على الباقية . ١

٥ – مراعاة الفواصل لما لها من وقع عظيم على السمع ، يزيد الكلام رونقا وجمالا ، مثل [أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون] [بل أكثرهم لا يعلمون] [إذا هم يشركون] الخ

تنبيه :

لا ينبغي لمسلم أن يبقى بأرض ، لا يتيسر له فيها عبادة الله ، فأرض الله واسعة ، وقد أشارت الآيات إلى وجوب الهجرة إلى دار الإسلام وكما قيل " وكل مكان ينبت العز طيب." (١)

"[وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيرا ونذيرا] أي وما أرسلناك يا محمد للعرب خاصة ، وإنما أرسلناك لعموم الخلق ، مبشرا للمؤمنين بجنات النعيم ، ومنذرا للكافرين من عذاب الجحيم

[ولكن أكثر الناس لا يعلمون] أي ولكن هؤلاء الكافرين لا يعلمون ذلك ، فيحملهم جهلهم على ما هم عليه من الغي والضلال

[ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين] أي ويقول المشركون على سبيل الاستهزاء والسخرية : متى هذا العذاب الذي تخوفوننا به ؟ إن كنتم صادقين فيما تقولون ؟ والخطاب للنبي والمؤمنين

[قل لكم ميعاد يوم لا تستأخرون عنه ساعة ولا تستقدمون] أي لكم زمان معين للعذاب يجيء في أجله الذي قدره الله له ، لا يستأخر لرغبة أحد ، ولا يتقدم لرجاء أحد ، فلا تستعجلوا عذاب الله ، فهو آتي لا محالة . . ثم أخبر تعالى عن تمادي المشركين في العناد والتكذيب ، فقال سبحانه :

[وقال الذين كفروا لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه] أي لن نصدق بالقرآن ، ولا بما سبقه من الكتب السماوية ، الدالة على البعث والنشور

[ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم] أي ولو شاهدت يا محمد حال الظالمين المنكرين للبعث ، في موقف الحساب

[يرجع بعضهم إلى بعض القول] أي يلوم بعضهم بعضا ، ويؤنب بعضهم بعضا ، وجواب [لو] محذوف للتهويل ، تقديره : لرأيت أمرا فظيعا مهولا

[يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين] أي يقول الأتباع للرؤساء : لولا إضلالكم لنا لكنا مؤمنين مهتدين

[قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جاءكم] ؟ أي قال الرؤساء جوابا للمستضفين

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، ٢/٣٤٤

: أنحن منعناكم عن الإيمان بعد أن جاءكم ؟ لا ، ليس الأمر كما تقولون

[بل كنتم مجرمين] أي بل انتم كفرتم من ذات أنفسكم ، بسبب أنكم كنتم مجرمين ، راسخين فى الإجرام

[وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر الليل والنهار] أي وقال الأتباع للرؤساء : بل مكركم بنا في الليل والنهار ، هو الذي صدنا عن الإيمان

[إذ تأمروننا أن نكفر بالله ونجعل له أندادا] أي وقت دعوتكم لنا إلى الكفر بالله ، وأن نجعل له شركاء ، ولولا تزيينكم لنا الباطل ما كفرنا

[وأسروا الندامة لما رأوا العذاب] أي أخفى كل من الفريقين الندامة على ترك الإيمان ، حين رأوا العذاب ، أخفوها مخافة التعيير

[وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا] أي وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار ، زيادة على تعذيبهم بالنار

[هل يجزون إلا ما كانوا يعملون] أي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها ، ولا يعاقبون إلا بكفرهم وإجرامهم !

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - ا لطباق بين لفظ [يمين . . وشمال] وبين [بشير . . ونذير] وبين [تستقدمون وتستأخرون] وبين [استضعفوا . . واستكبروا] وهو من المحسنات البديعية .

٢ - جناس الاشتقاق [وقدرنا فيها السير سيروا] فإن كلمة [سيروا] مشتقة من السير .

٣ - التعجيز بدعاء الجماد الذي لا يسمع ولا يحس [قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله] .

٤ - التوبيخ والتبكيت [قل من يرزقكم من السموات والأرض] ؟ .

٥ - حذف الخبر لدلالة السياق عليه [قل الله] أي قل الله الخالق الرازق للعباد ، ودل على آلمحذوف سياق الآية .

٦ - المبالغة بذكر صيغ المبالغة [إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور] فإن فعال وفعيل وفعول من صيغ المبالغة ، ومثلها [وهو الفتاح العليم] .

٧ - حذف الجواب للتهويل والتفظيع [ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم] حذف الجواب للتهويل أي لو ترى حالهم لرأيت أمرا فظيعا مهولا .

". (١)

"[قل إن ربي يقذف بالحق] أي يبين الحجة ويظهرها ، قال ابن عباس : يقذف الباطل بالحق كقوله : [بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فإذا هو زاهق]

[علام الغيوب] أي هو تعالى الذي أحاط علما بجميع الغيوب التي غابت وخفيت عن الخلق

[قل جاء الحق] أي جاء نور الحق وسطع ضياؤه وهو الإسلام

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ٣/٦٢

[وما يبدىء الباطل وما يعيد] أي ذهب الباطل بالمرة ، فليس له بدء ولا عود ، قال الزمخشري : إذا هلك الإنسان لم يبق له إبداء ولا إعادة ، فجعلوا قولهم : لا يبدىء ولا يعيد مثلا في الهلاك ، والمعنى : جاء الحق وهلك الباطل كقوله تعالى [وقل جاء الحق وزهق الباطل

[قل إن ضللت فإنما أضل على نفسي] أي قل يا محمد لهؤلاء المشركين إن حصل لي ضلال – كما زعمتم – فإن إثم ضلالي على نفسي ، لا يضر غيري

[وإن اهتديت فبما يوحي إلى ربي] أي وإن اهتديت إلى الحق فبهداية الله بي توفيقه

[إنه سميع قريب] أي سميع لمن دعاه ، قريب الإجابة لمن رجاه ، قال ابو السعود : يعلم قول كل من المهتدي والضال وفعله ، وإن بالغ في إخفائهما

[ولو ترى إذ فزعوا] أي ولو ترى يا محمد حال المشركين عند فزعهم ، إذا خرجوا من قبورهم

[فلا فوت] أي فلا مخلص لهم ولا مهرب

[وأخذوا من مكان قريب] أي أخذوا من الموقف – أرض المحشر – إلى النار ، وجواب [لو] محذوف تقديره : لرأيت أمرا عظيما وخطبا جسيما ، ترتعد له الفرائص

[وقالوا آمنا به] أي وقالوا عندما عاينوا العذاب آمنا بالقرآن وبالرسول

[وأنى لهم التناوش من مكان بعيد] أي ومن أين لهم تناول الإيمان ؟ وهم الآن في الآخرة ؟ ومحل الإيمان في الدنيا ، وقد ذهبت الدنيا فصارت منهم بمكان بعيد ؟ قال ابو حيان : مثل حالهم بحال من يريد أن يتناول الشيء من بعد ، كما يتناوله الآخر من قرب

[وقد كفروا به من قبل] أي والحال أنهم قد كفروا بالقرآن وبالرسول ، من قبل ذلك في الدنيا ، فكيف يحصل لهم الإيمان بهما في الآخرة ؟

[ويقذفون بالغيب من مكان بعيد] أي يرمون بظنونهم في الأمور المغيبة فيقولون : لا بعث ولا حساب ، ولا جنة ولا نار ، قال القرطبي : والعرب تقول لكل من تكلم بما لا يعرف ، هو يقذف ويرجم بالغيب ، على جهة التمثيل لمن يرمي ولا يصيب

[وحيل بينهم وبين ما يشتهون] أي وحيل بينهم وبين الإيمان ودخول الجنان

[كما فعل بأشياعهم من قبل] أي كما فعل بأشباههم في الكفر من الأمم السابقة

[إنهم كانوا في شك مريب] أي كانوا في الدنيا في شك وارتياب ، من أمر الحساب والعذاب ، وقوله : [مريب] من باب التأكيد كقولهم عجب عجيب .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ – الطباق بين [يبسط . . ويقدر] وبين [نفعا . . وضرا] وبين [معنى . . وفرادى] .

٢ – المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار [إلا من آمن وعمل صالحا . .] وقوله [والذين يسعون في آياتنا معاجزين] .

٣ – الالتفات من الغائب إلى المخاطب [وما أموالكم ولا أولادكم] والغرض المبالغة في تحقيق الحق ، وتنبيه الغافلين إلى سبيل النجاة .

٤ – اسلوب التقريع والتوبيخ [أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون] الخطاب للملائكة تقريعا للمشركين .

٥ – وضع الظاهر موضع الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم [وقال الذين كفروا للحق] والأصل وقالوا .

٦ – الإيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه [وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى] حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه ، أي ما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا .

٧ – الاستعارة اللطيفة [بين يدى عذاب شديد] استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان .

٨ – الكناية اللطيفة [وها يبدىء الباطل وما يعيد] كناية عن زهوق الباطل ومحو أثره .

". (١)

"[قالوا ربنا يعلم إنا إليكم لمرسلون] أي أجابهم الرسل بقولهم : الله يعلم إننا رسله إليكم ، ولو كنا كذبة لإنتقم الله منا أشد الإنتقام قال ابن جزي : أكدوا الخبر هنا باللام [لمرسلون] لأنه جواب المنكرين ، بخلاف الموضع الأول ، فإنه إخبار مجرد

[وما علينا إلا البلاغ المبين] أي وليس علينا إلا أن نبلغكم رسالة الله ، بلاغا واضحا جليا لا غموض فيه ، فإن آمنتم فلكم السعادة ، وإن كذبتم فلكم الشقاوة قال ابو حيان : وفي هذا وعيد لهم ، ووصف البلاغ ب [المبين] لأنه الواضح بالآيات الشاهدة بصحة الإرسال ، كما روي في هذه القصة من المعجزات الدالة على صدق الرسل ، من إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الميت

[قالوا إنا تطيرنا بكم] أي قال لهم أهل القرية : إنا تشاءمنا بكم وبدعوتكم القبيحة لنا إلى الإيمان ، وترك عبادة الأوثان ، قال المفسرون : ووجه تشاؤمهم بالرسل أنهم دعوهم إلى دين غير ما يدينون به ، فإستغربوه ، وإستقبحوه ، ونفرت عنه طبيعتهم المعوجة ، فتشاءموا بمن دعا إليه ، كأنهم قالوا : أعاذنا الله مما تدعوننا إليه ، ثم توعدوا الرسل بقولهم

[لئن لم تنتهوا] أي والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم ، ودعوتكم لنا إلى التوحيد ، ورفض ديننا

[لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم] اي لنرجمنكم بالحجارة حتى تموتوا ، ولنقتلنكم شر قتلة

[قالوا طائركم معكم] أي قالت الرسل لهم : ليس شؤمكم بسببنا ، وإنما شؤمكم بسببكم ، وبكفركم ، وعصيانكم ، وسوء أعمالكم

[أئن ذكرتم] ؟ شرط جوابه محذوف **لدلالة السياق** عليه أي أئن ذكرناكم ووعظناكم ودعوناكم إلى توحيد الله ، تشاءمتم بنا وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب ؟

[بل أنتم قوم مسرفون] أي ليس الأمر كما زعمتم ، بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والإجرام ، وهو توبيخ لهم مع الزجر والتقريع

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، ٦٦/٣

[وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى] أي وجاء من أبعد أطراف المدينة رجل يعدو ، يسرع في مشيه وهو " حبيب النجار " قال ابن كثير : إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم ، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه ، وهو – حبيب النجار – كان يعمل الحرير وهو الحباك ، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه ((والقول بأن اسم الرجل " حبيب النجار " مروي عن ابن عباس)) وقال القرطبي : كان(حبيب) مجذوما ومنزله عند أقصى أبواب المدينة ، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة ، يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره ، فما استجابوا له ، فلما أبصر الرسل ودعوه إلى الله قال : هل من آية ؟ قالوا : نعم نحن ندعو ربنا القادر ، فيفرج عنك ما بك! فقال : إن هذا لعجيب ، إني أدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع ، فكيف يفرجه ربكم في غداة واحدة ؟ قالوا : نعم ربنا على ما يشاء قدير ، وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر ، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به ، فلما هم قومه بقتل الرسل ، جاءهم مسرعا وقال ما قصه القرآن

[قال يا قوم اتبعوا المرسلين] أي اتبعوا الرسل الكرام الداعين إلى توحيد الله ، وإنما قال [يا قوم] تأليفا لقلوبهم ، وإستمالة لها لقبول النصيحة ، ثم كرر القول تأكيدا وبيانا للسبب ، فقال :

[اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون] أي اتبعوا هؤلاء الرسل الصادقين المخلصين ، الذين لا يسألونكم أجرة على الإيمان ، وهم على هدى وبصيرة ، فيما يدعونكم إليه من توحيد الله

[وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون] تلطف فى الإرشاد لهم ، كأنه ينصح نفسه ، ويختار لهم ما يختار لنفسه ، وفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم ، والمعنى : أي شيء يمنعني من أن أعبد خالقي الذي أبدع خلقي ؟ وإليه مرجعكم بعد الموت فيجازي كلا بعمله ؟

(١) ".

"[وإن كل لما جميع لدينا محضرون] أي وإن جميع الأمم الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي أحكم الحاكمين ، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها ؟ قال ابو حيان : وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الإهلاك تبيينا إلى أن الله تعالى لا يترك المهلكين ، بل بعد الهلاك جمع وحساب ، وثواب وعقاب .

البلاغة :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ – التأكيد بأكثر من مؤكد لأن المخاطب منكر مثل [إنك لمن المرسلين ، إنا إليكم لمرسلون] فقد أكد كل منهما ب " إن " و " اللام " ويسمى هذا الضرب إنكاريا .

٢ – الإستعارة التمثيلية [إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا. .] الآية شبه حال الكفار في إمتناعهم من الهدى والإيمان ، بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسل والأغلال ، فأصبح رأسه مرفوعا لا يستطيع خفضا له ولا التفاتا ، وبمن سدت الطرق في وجهه فلم يهتد لمقصوده ، وذلك بطريق الإستعارة التمثيلية .

---

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ٨٦/٣

٣ – الطباق [من بين أيديهم . . ومن خلفهم] .

٤– طباق السلب [أأنذرتهم أم لم تنذرهم] .

٥– الجناس الناقص [نحن نحي] لتغير بعض الحروف .

٦– الإطناب بتكرار الفعل [اتبعوا المرسلين . اتبعوا من لا يسألكم أجرا] .

٧– الإستفهام للتوبيخ [أأتخذ من دونه آلهة] ؟

٨– الحذف لدلالة السياق عليه [قيل ادخل الجنة] أي فلما أشهر إيمانه قتلوه فقيل له ادخل الجنة .

٩– جناس الإشتقاق بين [تطيرنا . . وطائركم] وبين [أرسلنا . . والمرسلون] .

١٠– مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان ، وحسن الوقع على السمع ، كقوله [يستهزءون] [محضرون] [مهتدون] .

تنبيه :

من محاسن التنزيل الكريم ، وبلاغته الخارقة ، هو الإيجاز في القصص والأنباء ، والإشارة إلى روحها وسرها ، لأن القصد من القصص التذكير والإعتبار ، ولهذا لم يذكر في القصة إسم البلدة ، ولا إسم الشخص الذي دعاهم إلى الله ، ولا إسم الرسل الكرام ، لأن كل ذلك ليس هو الهدف من القصة ، وقس على هذا سائر قصص القرآن

قال الله تعالى : [وآية لهم الأرض الميتة أحييناها . .] إلى قوله [سلام قولا من رب رحيم] من آية (٣٣) إلى نهاية آية (٥٨) .

المناسبة :

لما ذكر تعالى قصة أهل القرية ، وإهلاك الله لهم بالصيحة بسبب تكذيبهم المرسلين ، ذكر هنا الأدلة والبراهين على القدرة والوحدانية ، في إخراج الزروع والثمار ، وتعاقب الليل والنهار ، وفي الشمس والقمر يجريان بقدرة الواحد القهار ، ثم ذكر شبهات المشركين حول البعث ، ورد عليها بالأدلة القاطعة ، والبراهين الساطعة .

اللغة :

[آية] علامة لأنها دالة على وجود الله ، قال ابو العتاهية : فياعجبا كيف يعصى الإله أم كيف يجحده الجاحد ؟ ولله في كل تحريكة وتسكينة أبدا شاهد وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

[الأزواج] الأصناف والأنواع

[نسلخ] السلخ : الكشط والنزع قال تعالى [فانسلخ منها] ويقال فسلخ الجزار جلد الشاة أي نزع الجلد عن اللحم

[العرجون] من الإنعراج وهو الإنعطاف ، والعرجون : عود عذق النخلة الذي فيه عناقيد الرطب قال الجوهري : هو أصل العذق الذى يعوج وتقطع منه الشماريخ فيبقى على النخل يابسا

[المشحون] المملوء الموقر بالأشياء الثقيلة

[صريخ] مغيث

[يخصمون] يختصمون في أمورهم غافلين عما حولهم

[الأجداث] جمع جدث وهو القبر

[ينسلون] يسرعون في الخروج ، يقال : عسل الذئب ونسل أي أسرع في المشي.

التفسير :

." (١)

"[قال هل أنتم مطلعون] ؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة : هل أنتم مطلعون إلي النار لننظر كيف حال ذلك القرين ؟ قال تعالي

[فاطلع فرآه في سواء الجحيم] أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظي سعيرها

[قال تالله إن كدت لتردين] أي فخاطبه المؤمن شامتا وقال له : والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك

[ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين] أي ولولا فضل الله علي بتثبيتي علي الإيمان ، لكنت معك في النار محضرا ومعذبا في الجحيم ، ثم يخاطبه مستهزءا ساخرا ، كما كان ذلك الكافر يستهزىء به في الدنيا

[أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولي وما نحن بمعذبين] ؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة ؟ وأنه لا بعث ولا جزاء ، ولا حساب ولا عذاب ؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر! ! وللتحدث بنعمة الله ، قال تعالي مخبرا عن المؤمن :

[إن هذا لهو الفوز العظيم] أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم

[لمثل هذا فليعمل العاملون] أي لمثل هذا الجزاء الكريم ، يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون . قال المفسرون : أشارت الآيات الكريمة إلي قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم ، فكان أحدهما يعبد الله ، ويقصر في التجارة والنظر إلي أمور الدنيا ، وكان الآخر مقبلا على تكثير ماله ، فانفصل من شريكه لتقصيره ، وكان كلما إشتري دارا أو جارية أو بستانا أو نحو ذلك عرضه على المؤمن ، وفخر عليه بكثرة ماله ، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو من ذلك ليشتري له به قصرا في الجنة ، فإذا لقيه صديقه قال : ما صنعت بمالك ؟ قال : تصدقت به لله ! فكان يسخر منه ويقول : أئنك لمن المصدقين ؟ فكان أمرهما ما قص الله علينا في كتابه العزيز.

البلاغه :

تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ - الطباق [بل عجبت ويسخرون] لأن السخرية في مقابلة التعجب .

٢ - التأكيد بإن واللام [إن إلهكم لواحد] ومقتضي الكلام يقتضيه لإنكار المخاطبين للوحدانية .

٣ - الأسلوب التهكمي [فاهدوهم إلي صراط الجحيم] وردت الهداية بطريق التهكم ، لأن الهداية تكون إلي طريق النعيم لا الجحيم .

---

(١) صفوة التفاسير . للصابوني، ٨٨/٣

٤ – الإيجاز بالحذف [إذا قيل لهم لا إله إلا الله] أي قولوا لا إله إلا الله ، وحذف لدلالة السياق عليه .
٥ – الالتفات من الغيبة إلي الخطاب [إنكم لذائقوا العذاب الأليم] والأصل إنهم لذائقو وإنما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم .
٦ – الكناية [قاصرات الطرف] كنى بذلك عن الحور العين لأنهن عفيفات لا ينظرن إلي غير أزواجهن .
٧ – التشبيه المرسل والمجمل [كأنهن بيض مكنون] حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا .
٨ – مراعاة الفواصل وهو من المحسنات البديعية مثل [شهاب ثاقب ، عذاب واصب ، طين لازب] إلي آخره .
قال الله تعالي : [أذلك خير نزلا أم شجرة الزقوم . .] إلي قوله [ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين] . من آية (٦٢) إلي آية (١١٣) .
المناسبة :
لما ذكر تعالي ما أعده للأبرار في دار النعيم ، ذكر ما أعده للأشرار في دار الجحيم ، ليظهر التمييز بين الفريقين ، ثم ذكر قصة " نوح " وقصة " إبراهيم " ، وما فيهما من العظات والعبر للمعتبرين .
اللغة :
[نزلا] النزل : الضيافة والتكرمة ، وأصله ما يعد للأضياف من الطعام والشراب وغيرهما
[طلعها] ثمرها ، سمي طلعا لطلوعه
[شوبا] خلطا ومزاجا من شاب الطعام يشوبه إذا خلطه بشيء آخر
[يهرعون] يسرعون قال الفراء : الإهراع : الإسراع مع رعدة ، وقال المبرد : المهرع : المستحث يقال : جاء فلان يهرع إلي النار ، إذا استحثه البرد إليها
[شيعته] شيعة الرجل أعوانه وأنصاره ، ومن سار على طريقته ومنهاجه
[إفكا] كذبا وباطلا
". (١)

"[يسبحون بحمد ربهم] أي يسبحون الله ويمجدونه ، تلذذا دون جهل! ولا عناء
[وقضي بينهم بالحق] أي وقضى بين العباد بالعدل
[وقيل الحمد لله رب العالمين] أي وقيل الحمد لله على عدله وقضائه ، قال المفسرون : القائل هم المؤمنون والكافرون ، المؤمنون يحمدون الله على فضله ، والكافرون يحمدونه على عدله ، وقال ابن كثير : نطق الكون أجمعه ، ناطقه وبهيمه ، لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله ، ولهذا لم يسند القول إلى قائل ، بل أطلقه ، فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.
البلاغة :

---

(١) صفوة التفاسير ـ للصابوني، ١٠٤/٣

تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي :

١ – ا لطباق بين [تكفروا . . وتشكروا] وبين [يرجو . . ويحذر] وبين [فوقهم . . وتحتهم] وبين [ضر . . ورحمة] وبين [الغيب . . والشهادة] وبين [يبسط . . ويقدر] وبين [إهتدى . . وضل] إلخ .

٢ – جناس الاشتقاق [يتوكل المتوكلون] وكذلك في قوله : [أحسنوا في هذه الدنيا حسنة] .

٣ – الأسلوب التهكمي [لهم من فوقهم ظلل من النار] إطلاق الظلة عليها تهكم لأنها محرقة ، والظلة تقي من الحر.

٤ – المقابلة الرائعة [وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة . .] الآية فقد قابل بين الله والأصنام ، وبين السرور والاشمئزاز ، وكذلك توجد مقابلة بين آيتي السعداء والأشقياء [وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا] وقابل ذلك بقوله : [وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا . .] والمقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر ، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب وهو من المحسنات البديعية .

٥ – الإيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه [أفمن شرح الله صدره للإسلام] ؟ حذف خبره وتقديره كمن طبع الله على قلبه ؟ ومثله [أفمن هو قانت آناء الليل] ؟ أي كمن هو كافر جاحد لربه ؟ .

٦ – الأمر الذي يراد منه التهديد [قل تمتع بكفرك] ومثله [اعملوا على مكانتكم] للمبالغة في الوعيد .

٧ – المجاز المرسل [أفأنت تنقذ من في النار] ؟ أطلق المسبب وأراد السبب ، لأن الضلال سبب لدخول النار .

٨ – الاستعارة اللطيفة [له مقاليد السموات والأرض] أي مفاتيح خيراتهما ، ومعادن بركاتهما ، فشبه الخيرات والبركات بخزائن واستعار لها لفظ المقاليد ، بمعنى المفاتيح ، ومعنى الآية : خزائن رحمته وفضله بيده تعالي .

٩ – الاستعارة التمثيلية [والأرض جميعا قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه] مثل لعظمته وكمال قدرته ، وحقارة الأجرام العظام التي تتحير فيها الأوهام ، بالنسبة لقدرته تعالي بمن قبض شيئا عظيما بكفه ، وطوى السموات بيمينه بطريق (الاستعارة التمثيلية) . والأظهر أن الآية على ظاهرها ، كما جاء في الحديث الصحيح : (يقبض الله تعالى الأرض ويطوي السماء بيمينه ، ثم يقول : أنا الملك ، أنا الملك ، أين ملوك الأرض ..) أخرجه البخاري .

١٠ – الكناية [أن تقول نفس يا حسرتا علي ما فرطت في جنب الله] جنب الله كناية عن حق الله وطاعته ، وهذا من لطيف الكنايات ، أي يا حسرتا على ما فرطت في حق الله تعالى ، وما قصرت في واجب طاعته وعبادته .

١١ – الالتفات من التكلم إلي الغيبة [لا تقنطوا من رحمة الله] والأصل : لا تقنطوا من رحمتي ، قال علماء البيان : وفي الآية الكريمة [قل يا عبادى الذين أسرفوا علي أنفسهم . .] الآية من أنواع المعاني والبيان أمور حسان : منها الالتفات من المتكلم إلي الغيبة [من رحمة الله] ومنها إضافة الرحمة للفظ الجلالة الجامع لجميع الأسماء والصفات ، ومنها الإتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بإن وضمير الفصل [إنه هو الغفور الرحيم] . ١

(١) ".

(١) صفوة التفاسير . للصابونى، ١٤٣/٣

" قوله : ٢٥ - ﴿ ربكم أعلم بما في نفوسكم ﴾ أي بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم أو الإصرار عليه ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجا أوليا وقيل إن الآية خاصة بما يجب للأبوين من البر ويحرم على الأولاد من العقوق والأول أولى اعتبارا بعموم اللفظ فلا تخصصه **دلالة السياق** ولا تقيده ﴿ إن تكونوا صالحين ﴾ قاصدين الصلاح والتوبة من الذنب والإخلاص للطاعة فلا يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم عنه ﴿ فإنه كان للأوابين غفورا ﴾ أي الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة وعن عدم الإخلاص إلى محض الإخلاص غفورا لما فرط منهم من قول أو فعل أو اعتقاد فمن تاب تاب الله عليه ومن رجع إلى الله رجع الله إليه ." (١)

" ١٠٧ - ﴿ قل آمنوا به أو لا تؤمنوا ﴾ أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه و سلم أن يقول للكافرين المقترحين للآيات آمنوا به أو لا تؤمنوا فسواء إيمانكم به وامتناعكم عنه لا يزيده ذلك ولا ينقصه وفي هذا وعيد شديد لأمره صلى الله عليه و سلم بالإعراض عنهم واحتقارهم ثم علل ذلك بقوله : ﴿ إن الذين أوتوا العلم من قبله ﴾ أي أن العلماء الذين قرأوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة كزيد بن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام ﴿ إذا يتلى عليهم ﴾ أي القرآن ﴿ يخرون للأذقان سجدا ﴾ أي يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه وإنما قيد الخرور وهو السقوط بكونه للأذقان : أي عليها لأن الذقن وهو مجتمع اللحيين أول ما يحاذي الأرض قال الزجاج : لأن الذقن مجتمع اللحيين وكما يبتدئ الإنسان بالخرور للسجود فأول ما يحاذي الأرض به من وجهه الذقن وقيل المراد تعفير اللحية في التراب فإن ذلك غاية الخضوع وإيثار اللام في للأذقان على للدلالة على الاختصاص فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور أو خصوا الخرور بأذقانهم وقيل الضمير في قوله : ﴿ من قبله ﴾ راجع إلى النبي صلى الله عليه و سلم والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن **لدلالة السياق** على ذلك وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه و سلم وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بأنبيائه فلا تبال بذلك فقد آمن به أهل العلم وخشعوا له وخضعوا عند تلاوته عليهم خضوعا ظهر أثره البالغ بكونهم يخرون على أذقانهم سجدا لله ." (٢)

" قوله : ٢٢ - ﴿ قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله ﴾ هذا أمر للنبي صلى الله عليه و سلم بأن يقول لكفار قريش أو للكفار على الإطلاق هذا القول ومفعولا زعمتم محذوفان : أي زعمتموهم آلهة **لدلالة السياق** عليهما قال مقاتل : يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنين الجوع ثم أجاب سبحانه عنهم فقال : ﴿ لا يملكون مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ﴾ أي ليس لهم قدرة على خير ولا شر ولا على جلب نفع ولا دفع ضرر في أمر من الأمور وذكر السموات والأرض لقصد التعميم لكونهما ظرفا للموجودات الخارجية ﴿ وما لهم فيهما من شرك ﴾ أي ليس للآلهة

---

(١) فتح القدير، ٣/٣١٦

(٢) فتح القدير، ٣/٣٧٧

في السموات والأرض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف ﴿ وما له منهم من ظهير ﴾ أي وما لله سبحانه من تلك الآلهة من معين يعينه على شيء من أمر السوات والأرض ومن فيهما ." (١)

" ٢٥ - ﴿ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون ﴾ أي يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهم وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق وقيل يقول بعضهم لبعض : بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة ؟ وقيل إن التساؤل بينهم عند البعث من القبور والأول أولى **لدلالة السياق** على أنهم قد صاروا الجنة ." (٢)

" لأن الله قرن الأيام به فقال : ٢ - ﴿ وليال عشر ﴾ أي ليالي عشر من ذي الحجة وبه قال السدي والكلبي وقيل المعنى : وصلاة الفجر أو رب الفجر والأول أولى وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله : ﴿ إن ربك لبالمرصاد ﴾ كذا قال ابن الأنباري وقيل محذوف **لدلالة السياق** عليه : أي ليجازين كل أحد بما عمل أو ليعذبن وقدره أبو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله : أي والفجر الخ لإيابهم إلينا وحسابهم علينا وهذا ضعيف جدا وأضعف منه قول من قال : إن الجواب قوله : ﴿ هل في ذلك قسم لذي حجر ﴾ وأن هل بمعنى قد لأن هذا لا يصح أن يكون مقسما عليه أبدا ﴿ وليال عشر ﴾ هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين وقال الضحاك : إنها الأواخر من رمضان وقيل العشر الأول من المحرم إلى عاشرها يوم عاشوراء قرأ الجمهور ﴿ ليال ﴾ بالتنوين وعشر صفة لها وقرأ ابن عباس وليال عشر بالإضافة قيل والمراد ليالي أيام عشر وكان حقه على هذا أن يقال عشرة لأن المعدود مذكر وأجيب عنه بأنه إذا حذف المعدود جاز الوجهان ." (٣)

"بعده، فلم يحتج إلى وصية في ذلك ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهرا من إشارته وإيمائه إلى الصديق؛ ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " (١) وكان كذلك، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى. من لم يتغن بالقرآن وقول الله تعالى:
﴿ أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم ﴾ [العنكبوت: ٥١].
حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يأذن الله لشيء، ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن " ، وقال صاحب له: يريد يجهر به فرد من هذا الوجه. ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به (٢) . قال سفيان: تفسيره: يستغني به، وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة (٣) ومعناه: أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

---

(١) فتح القدير، ٤٦١/٤
(٢) فتح القدير، ١٤٠/٥
(٣) فتح القدير، ٦١٣/٥

وهو، سبحانه وتعالى، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة، رضي الله عنها: سبحان الله الذي وسع سمعه الأصوات (٤) . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ الآية [يونس: ٦١] ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذن هاهنا بالأمر، والأول أولى لقوله: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن" أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ **لدلالة السياق** عليه، وكما قال تعالى: ﴿ إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت ﴾ [الانشقاق: ١-٥] أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لله أشد أذنا إلى الرجل (٥) الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به] (٦) من صاحب القينة إلى قينته " (٧) .

وقال سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني: يستغنى به، فإن أراد: أنه يستغنى عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها (٨) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢١٧) ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٣ ، ٥٠٢٤).

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٩٢) وسنن النسائي (٢/ ١٨٠).

(٤) رواه النسائي في السنن (٦/ ١٦٨) ورواه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٨٥) معلقا.

(٥) في ط، جـ: "أذنا الرجل".

(٦) زيادة من ابن ماجة.

(٧) سنن ابن ماجة برقم (١٣٤٠).

(٨) نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٧٠) عن ابن الجوزي أربعة أقوال في معنى يتغنى: تحسين الصوت، الاستغناء، التحزن كما قال الشافعي، التشاغل به. قال: وحكى ابن الأنباري قولا خامسا وهو التلذذ والاستحلاء.." [١]

"وفي الصحيحين: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿ وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد ﴾ [هود: ١٠٢]. (١)

﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ﴾

يقول تعالى: ﴿ أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت ﴾ أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٥٩/١

العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ [يونس: ٦١] وقال تعالى: ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال ﴿ وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين ﴾ [هود:٦] وقال ﴿ سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار ﴾ [الرعد: ١٠] وقال ﴿ يعلم السر وأخفى ﴾ [طه: ٧] وقال ﴿ وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير ﴾ [الحديد[٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها (٢) لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه، وهو قوله: ﴿ وجعلوا لله شركاء ﴾ أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿ قل سموهم ﴾ أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: ﴿ أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض ﴾ أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له (٣) وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿ أم بظاهر من القول ﴾ قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، ﴿ إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ﴾ [النجم: ٢٣].

﴿ بل زين للذين كفروا مكرهم ﴾ قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى، رضي الله عنه.

(٢) في ت، أ: "عبدوها".

(٣) في ت، أ: "لها".." (١)

"تفسير سورة سأل سائل

وهي مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من الله ذي المعارج (٣) تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤) فاصبر صبرا جميلا (٥) إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧) ﴾

﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ فيه تضمين دل عليه حرف "الباء" ، كأنه مقدر: يستعجل سائل بعذاب واقع. كقوله: ﴿ ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده ﴾ أي: وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: النضر بن الحارث بن كلدة.

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٤/٤٦٣

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع.
وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: تعالى ﴿ سأل سائل ﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿ اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم ﴾ [الأنفال: ٣٢] .
وقال ابن زيد وغيره: ﴿ سأل سائل بعذاب واقع ﴾ أي: واد في جهنم، يسيل يوم القيامة بالعذاب. وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد. والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه.
وقوله: ﴿ واقع للكافرين ﴾ أي: مرصد معد للكافرين.
وقال ابن عباس: ﴿ واقع ﴾ جاء ﴿ ليس له دافع ﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه؛ ولهذا قال ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ ذي المعارج ﴾ قال: ذو الدرجات.
وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ ذي المعارج ﴾ يعني: العلو والفواضل.
وقال مجاهد: ﴿ ذي المعارج ﴾ معارج السماء. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم.." (١)

"قال الإمام مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه" ، رواه البخاري من حديث مالك (١) .
ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله.
قال ابن عباس: فاشيا. وقال قتادة: استطار -والله- شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض.
قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:
فبانت وقد أسأرت في الفؤا ... د صدعا، على نأيها مستطيرا (٢)
يعني: ممتدا فاشيا.
وقوله: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ قيل: على حب الله تعالى. وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل **لدلالة السياق** عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ [البقرة : ١٧٧] ، وكقوله تعالى: ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ [آل عمران : ٩٢].
وروى البيهقي، من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا -أول ما جاء العنب-فأرسلت صفية -يعني امرأته-فاشترت عنقودا بدرهم، فاتبع الرسول السائل، فلما دخل به قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل، فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا. ثم أرسلت بدرهم

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٨/٢٢٠

آخر فاشترت به (٣) .

وفي الصحيح: "أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر" (٤) أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ أما المسكين واليتيم، فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير: فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير: من أهل القبلة. وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدموهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحس، وقتادة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠).

(٢) تفسير الطبري (١٢٩/٢٩).

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٥/٤).

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [١]

"قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة. وكذا قال مجاهد، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، وغيرهم.

وقال الضحاك والسدي: ﴿ ولا يخاف عقباها ﴾ أي: لم يخف (١) الذي عقرها عاقبة ما صنع. والقول الأول أولى؛ **لدلالة السياق** عليه، والله أعلم.

آخر تفسير "والشمس وضحاها".

---

(١) في أ: "لم يخف الله".." [٢]

"يقول تعالى مسليا لرسوله صلى الله عليه وسلم في تكذيب من كذبه من قومه: ﴿ولقد استهزىء برسل من قبلك﴾ أي فلك فيهم أسوة ﴿فأمليت للذين كفروا﴾ أي أنظرتهم وأجلتهم، ﴿ثم أخذتهم﴾ أخذة رابية، فكيف بلغك ما صنعت بهم وعاقبتهم وأمليت لهم، كما قال تعالى: ﴿وكأين من قرية أمليت لها وهي ظالمة ثم أخذتها وإلي المصير﴾ وفي الصحيحين "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته" ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾

﴿أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركآء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد﴾

يقول تعالى: ﴿أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت﴾ أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا

---

(١) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٢٨٨/٨

(٢) تفسير ابن كثير / دار طيبة، ٤١٥/٨

عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ ، وقال تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾، وقال: ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾، وقال: ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾، وقال: ﴿يعلم السر وأخفى﴾، وقال: ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها، لا تسمع ولا تبصر، ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه وهو قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان ﴿قل سموهم﴾ أي أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي لا وجود له، لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها، لأنه لا تخفى عليه خافية ﴿م بظاهر من القول﴾ قال مجاهد: بظن من القول. وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول، أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال مجاهد: قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم﴾ الآية، ﴿وصدوا عن السبيل﴾ من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه، وأنه حق دعوا إليه، وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾ كما قال ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾ وقال ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾.

﴿لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دآئم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار﴾

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر." (١)

"سورة المعارج

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سأل سآئل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع من الله ذي المعارج تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فاصبر صبرا جميلا إنهم يرونه بعيدا ونراه قريبا﴾

﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ أي وعذابه واقع لا محالة. قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس ﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿سأل سآئل﴾ دعا داع بعذاب واقع

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٦٢٨/٢

يقع في الآخرة قال وهو قولهم ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ وقال ابن زيد وغيره ﴿سأل سآئل بعذاب واقع﴾ أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه.

وقوله تعالى: ﴿واقع للكافرين﴾ أي مرصد معد للكافرين، وقال ابن عباس: واقع جاء ﴿ليس له دافع﴾ أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى: ﴿ من الله ذي المعارج ﴾ قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿ذي المعارج﴾ قال: ذو الدرجات، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ذي المعارج يعني العلو والفواضل، وقال مجاهد: ذي المعارج معارج السماء، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم. وقوله تعالى: ﴿تعرج الملائكة والروح إليه﴾ قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد، وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا، قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه: "فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله" والله أعلم بصحته، فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: ﴿يثبت الله الذين آمنوا." (١)

"مالك ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله قال بن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض قال بن جرير ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال ومنه قول الأعشى:

فبانت وقد أسأت في الفؤا

...

د صدعا على نأيها مستطيرا

يعني ممتدا فاشيا وقوله تعالى ﴿ ويطعمون الطعام على حبه ﴾ قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل **لدلالة السياق** عليه والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره بن جرير كقوله تعالى ﴿ وآتى المال على حبه ﴾ وكقوله تعالى ﴿ لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون ﴾ وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال مرض بن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل السائل فقال بن عمر أعطوه إياه فأعطوه إياه فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل فلما دخل قال السائل السائل فقال بن عمر أعطوه إياه فأعطوه

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٠٤/٤

إياه فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به وفي الصحيح أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه ولهذا قال تعالى ﴿ ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا ﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك الأسير من أهل القبلة وقال بن عباس كان أسراؤهم يومئذ مشركين ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء وقال عكرمة هم العبيد واختاره بن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء في غير ما حديث حتى أنه كان آخر ما أوصى أن جعل يقول الصلاة وما ملكت أيمانكم قال مجاهد هو المحبوس أي يطعمون الطعام لهؤلاء وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال ﴿ إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿ لا نريد منكم جزاء ولا شكورا ﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس قال مجاهد وسعيد بن جبير أما والله ما قالوه بألسنتهم ولكن علم الله به من قلوبهم فأثنى عليهم به ليرغب في ذلك راغب ﴿ إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا ﴾ أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير قال علي بن أبي طلحة عن بن عباس ﴿ عبوسا ﴾ ضيقا ﴿ قمطريرا ﴾ طويلا وقال عكرمة وغيره عنه في قوله ﴿ يوما عبوسا قمطريرا ﴾ قال يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران وقال مجاهد ﴿ عبوسا ﴾ العابس الشفتين ﴿ قمطريرا ﴾ قال يقبض الوجه بالبسور وقال سعيد بن جبير وقتادة تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿ قمطريرا ﴾ تقليص الجبين وما بين العينين من الهول وقال بن زيد العبوس الشر والقمطرير الشديد وأوضح العبارات وأجلاها وأحلاها وأعلاها وأولاها قول بن عباس رضي الله عنه قال بن جرير والقمطرير هو الشديد يقال هو يوم قمطرير ويوم قماطر ويوم عصيب وعصبصب وقد اقمطر اليوم يقمطر اقمطرارا وذلك أشد الأيام وأطولها في البلاء والشدة ومنه قول بعضهم:

بني عمنا هل تذكرون بلاءنا

...

عليكم إذا ما كان يوم قماطر." (١)

"صنع، والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم.

آخر تفسير سورة والشمس وضحاها، ولله الحمد والمنة.." (٢)

"حدثنا يحي بن بكير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يأذن الله لشيء، ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن " ، وقال صاحب له: يريد يجهر به فرد من هذا الوجه. ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن

---

(١) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٥٤٨/٤

(٢) تفسير ابن كثير / دار الفكر، ٦٣٠/٤

الزهري به (٢) . قال سفيان: تفسيره: يستغنى به، وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة (٣) ومعناه: أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

وهو، سبحانه وتعالى، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة، رضي الله عنها: سبحان الله الذي وسع سمعه الأصوات (٤) . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿ وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه ﴾ الآية [يونس: ٦١] ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذن هاهنا بالأمر، والأول أولى لقوله: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن" أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ **لدلالة السياق** عليه، وكما قال تعالى: ﴿ إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت ﴾ [الانشقاق: ١-٥] أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجة بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لله أشد أذنا إلى الرجل (٥) الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به] (٦) من صاحب القينة إلى قينته " (٧) .

٨٣ ". (١)

"سأل سائل بعذاب واقع (١)

سأل سائل بعذاب واقع

فيه تضمين دل عليه حرف الباء كأنه مقدر استعجل سائل بعذاب واقع كقوله تعالى " ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده " أي وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي حدثنا بشر بن خالد حدثنا أبو أسامة حدثنا سفيان عن الأعمش عن المنهال بن عمرو عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى" سأل سائل بعذاب واقع " قال النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس " سأل سائل بعذاب واقع " قال ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع بهم وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى " سأل سائل " دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم " اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم " وقال ابن زيد وغيره " سأل سائل بعذاب واقع " أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه .

أي مرصد معه للكافرين

١٢٦ ". (٢)

---

(١) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ٨٢/١

(٢) تفسير ابن كثير - ط قرطبة، ١٢٥/١٤

"نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا" وقال " وفجرنا خلالهما نهرا " .
وقال مجاهد " يفجرونها تفجيرا " يقودونها حيث شاءوا وكذا قال عكرمة وقتادة وقال الثوري يصرفونها حيث شاءوا .
يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا (٧)
يوفون بالنذر ويخافون يوما كان شره مستطيرا

أي يتعبدون لله فيما أوجبه عليهم من فعل الطاعات الواجبة بأصل الشرع وما أوجبوه على أنفسهم بطريق النذر قال الإمام مالك عن طلحة بن عبد الملك الأيلي عن القاسم بن مالك عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال" من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه " رواه البخاري من حديث مالك .
ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله قال ابن عباس فاشيا وقال قتادة استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض قال ابن جرير : ومنه قولهم استطار الصدع في الزجاجة واستطال ومنه قول الأعشى :
فبانت وقد أسأت في الفؤا ... د صدعا على نأيها مستطيرا
يعني ممتدا فاشيا .
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا (٨)
ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا

" على حبه " قيل على حب الله تعالى وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل **لدلالة السياق** عليه والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى " وآتى المال على حبه " وكقوله تعالى " لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون " .
وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال : مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما
٢١٠ ". (١)

"القرظي عن محمد بن خثيم بن أبي مرثد عن عمار بن ياسر قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي " ألا أحدثك بأشقى الناس ؟ " قال بلى قال " رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة والذي يضربك يا علي على هذا – يعني قرنه – حتى تبتل منه هذه " يعني لحيته.
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها (١٣)
فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٤/٢٠٩

قوله تعالى " فقال لهم رسول الله " يعني صالحا عليه السلام " ناقة الله " أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء " وسقياها " أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم ولكم شرب يوم معلوم .

فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها (١٤)

فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها

قال الله تعالى " فكذبوه فعقروها " أي كذبوه فيما جاءهم به فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم " فدمدم عليهم ربهم بذنبهم " أي غضب عليه فدمر عليهم " فسواها " أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء قال قتادة بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى بايعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم فلما اشترك القوم عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم فسواها .

ولا يخاف عقباها (١٥)

ولا يخاف عقباها

قوله تعالى " ولا يخاف " وقرئ فلا يخاف " عقباها " قال ابن عباس لا يخاف الله من أحد تبعة ، وكذا قال مجاهد .

والحسن وبكر بن عبد الله المزني وغيرهم وقال الضحاك والسدي ولا يخاف عقباها أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع والقول الأول أولى لدلالة السياق عليه والله أعلم .

آخر تفسير سورة الشمس وضحاها ولله الحمد والمنة .

٣٧١ ". (١)

"أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية " وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه " وقال تعالى " وما تسقط من ورقة إلا يعلمها " وقال " وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين " وقال " سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار" وقال " يعلم السر وأخفى " وقال " وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير " أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها ؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء بدلالة السياق عليه وهو قوله " وجعلوا لله شركاء " أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان " قل سموهم " أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فإنهم لا حقيقة لهم ولهذا قال " أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض " أي لا وجود له لأنه لو كان لها وجود في الأرض لعلمها لأنه لا تخفى عليه خافية " أم بظاهر من القول" قال مجاهد : بظن من القول وقال الضحاك وقتادة بباطل من القول أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة" إن هي إلا أسماء سميتموها

---

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٤/٣٧٠

أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى" " بل زين للذين كفروا مكرهم " قال مجاهد قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى " وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم " الآية "

١٥٥ ". (١)

"وقد بان لك من هذا أن عدم القدرة على النكاح نقص ، وإنما الفضل في كونها موجودة ثم قمعها : إما بمجاهدة كعيسى ، أو بكفاية من الله عز وجل كيحيى عليه السلام ... والمقصود أن مدح يحيى بأنه حصور ليس أنه لا يأتي النساء ، بل معناه كما قاله هو وغيره : إنه معصوم من الفواحش والقاذورات ، ولا يمنع ذلك من تزويجه بالنساء الحلال وغشيانهن وإيلادهن ، بل قد يفهم وجود النسل له من دعاء زكريا المتقدم حيث قال : ﴿ p^W ¤W‡gJه Yض فY ع ذكSںVPض ـTTWQà ےVYQTT%Wà$] ¢R¤XQ؛ " [آل عمران:٣٨] ، كأنه قال : ولدا له ذرية ونسل وعقب ، والله سبحانه وتعالى أعلم) (١) .

فالخلاصة : أن معنى الحصور الممتنع عن جماع النساء ، وهذا لا نزاع فيه ، إنما خلاف العلماء في السبب الذي منعه من جماع النساء ، ولا يخفى أن **دلالة السياق** إرادة المدح ، ولا يكون كذلك إلا إذا كان تركا للشهوات مع قدرته عليها ، ولذا قال أبو حيان بعد ذكر أقوال المفسرين : (والذي يقتضيه مقام يحيى عليه السلام ، أنه كان يمنع نفسه من شهوات الدنيا ، من النساء وغيرهن ، ولعل ترك النساء زهادة فيهن كان شرعهم إذ ذاك) (٢) .

والله تعالى أعلم .

قال تعالى : ﴿ لله :ﷺWQظVصTWTث W¨JڑY©Wu ... KVSإ Sطـ`ق Yع TpِWRõR﴾[٢]

"على ذلك أن الإمام أحمد رأى أنه لا يجوز للإنسان أن يرجع في هبته، واستدل عليه بقول النبي – صلى الله عليه وسلم – " العائد في هبته كالكلب يقيء ثم يعود في قيئه " فقال الإمام الشافعي الكلب لا يحرم عليه العود في قيئه فكذلك العائد في هبته، فقال له الإمام أحمد في بقية الحديث: " ليس لنا مثل السوء " فدل ذلك على أننا لا نماثل مثل هذه المخلوقات في هذا الفعل، فكذلك لا نفعل الفعل المشبه به، فهنا التفت الإمام إلى **دلالة السياق** " ليس لنا مثل السوء "

.

قال المؤلف: هنا (نفي المجاز) تقدم معنى أن المجاز هو استعمال اللفظ في غير ما وُضِعَ له أولا، ونفيه – يعني نفي القول بإثبات المجاز– فلا يوجد في لغة العرب مجاز، وقد يراد به نفي وجود المجاز في القرآن، قال المؤلف (صرح) المراد بكلمة صرح يعني تكلموا بذلك بلا احتمال، فالصريح من الألفاظ هو الذي لا يوجد معه احتمال يدل على خلاف ذلك التصريح، (صرح بنفيه) يعني ينفي وجود المجاز في لغة العرب (المحققون) وتقدم أن ممن صرح بذلك أبو علي الفارسي وأبو إسحاق

(١) تفسير ابن كثير – ط قرطبة، ١٥٤/٨

الإسفراييني، وشيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم.

وقوله (المحققون) يريد به المؤلف مَن حقق المسائل، ورجَّح بين الأقوال باستيعاب أدلة هذه المسائل والنظر في المناقشات والأجوبة الواردة عليها، فعرف الراجح من خلال ذلك، قال : (ولم يُحفظ) يعني لم يُنقل (عن أحد من الأئمة) يعني في العصور الفاضلة مثل الأئمة الأربعة ومن وافقهم في زمانهم كالثوري وإسحاق أو من تقدمهم كالزهري والسفيانين وغيرهم من الأئمة (القول به) يعني إثبات وجود المجاز في لغة العرب أو في القرآن، فلم يُعهد عن أحد من هؤلاء الأئمة أنه قسم اللغة إلى حقيقة ومجاز وهذا كما هو منفي عن أئمة علماء الشرع كذلك هو منفي عن أئمة علماء اللغة، فلا نجد مثل ذلك في كلام الأصمعي ولا كلام الخليل بن أحمد ولا كلام سيبويه.." (١)

"الأمر الثاني: مما يشترط على المفسر أن يعرفه: معاني الأسماء والأفعال، فما هو المراد بهذا الاسم وما هو المقصود بهذا الفعل، هذا مما يشترط على المفسر أن يعرفه، وهذه الأمور يرجع فيها إلى أهل اللغة، أهل اللغة يراد بهم العرب الفصحاء، أو من نقل كلام العرب الفصحاء من المؤلفين في المعاجم اللغوية.

ومنه –يعني من الشروط التي لا بد على المفسر من معرفتها–: معرفة ما وضع له الضمير وما يعود عليه، فيعرف الضمير هل وضع للمفرد أو للجمع، للمذكر أو للمؤنث، للحاضر المخاطب أو الغائب، ويعرف عود الضمير إلى من يعود، والأصل في الضمائر أن تعود إلى أقرب مذكور ما لم يدل السياق على غير ذلك، وقد يكون الضيم عائدا إلى اسم ظاهر سابق للضمير، كما في قوله: ﴿ * وَإِذِ ابْتَلَى إِبْرَاهِيمَ رَبُّهُ ﴾ (١) الهاء تعود على إبراهيم المذكور، أو قد يكون الضمير عائدا إلى اسم متضمن في السياق وإن لم يكن موجودا، مثل قوله: ﴿ مَا تَرَكَ عَلَى ظَهْرِهَا مِنْ دَابَّةٍ ﴾ (٢) ظهرها يعني ظهر الأرض، ولم يوجد ذكر سابق للأرض، وإنما يفهم **بدلالة السياق**، بل يكون الضمير عائدا إلى اسم مذكر بعده، كما في قوله –تعالى–: ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى (٦٧) ﴾ (٣) في نفسه الهاء تعود على موسى المذكور متأخرا، والنظر في الضمائر وعودها مما يخدم المفسر كثيرا، ومن أعظم أسباب الخطأ في التفسير عدم معرفة ما يعود إليه الضمير.

وكذلك على المفسر أن يعرف التذكير والتأنيث، ويفرق بينهما، وهل هذه الأسماء مذكرة أو مؤنثة، وكذلك يعرف التعريف والتنكير، ما هي وسائل التعريف؟ وما هي المعارف؟ الضمائر معارف، وما فيه "أل" معرفة، والمضاف إلى معرفة معرفة؛ وذلك لأنه يترتب عليه معرفة معنى الكلام، ويختلف المعنى بسبب اختلاف كونه

....

....

---

(١) – سورة البقرة آية : ١٢٤.

---

(١) شرح أصول التفسير، ص/١٠٣

(٢) – سورة فاطر آية : ٤٥.

(٣) – سورة طه آية : ٦٧.." [1]

"وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم بن حنظلة فنزلا بعياش وقالا له : إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تأكل ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاستشار عمر فقال : هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به

١٧٨

حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر : أما إذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل : إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال : نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وأوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت : لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضي تعالى الله عنه وأرضاه ونفعنا به في الدنيا والآخرة ، ولما كان التقدير فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه **لدلالة السياق** عليه عطف عليه زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين قوله تعالى :

﴿

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٧

والذين آمنوا وعملوا﴾ تحقيقا لإيمانهم ﴿الصالحات لندخلهم في الصالحين﴾ أي : الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم ، أو ندخلهم وهم الجنة ، والصلاح منتهى درجات المؤمنين ومنتهى أنبياء الله والمرسلين ، ولما بين سبحانه وتعالى المؤمن بقوله تعالى : ﴿فليعلمن الله الذين صدقوا﴾ وبين الكافر بقوله تعالى : ﴿وليعلمن الكاذبين﴾ بين أنه بقي قسم ثالث مذبذب بقوله تعالى :

﴿ومن الناس من يقول آمنا بالله فإذا أوذي في الله﴾ بأن عذبهم الكفرة على الإيمان ﴿جعل فتنة الناس﴾ أي : له بما يصيبه من أذيتهم في منعه عن الإيمان إلى الكفر ﴿كعذاب الله﴾ أي : في الصرف عن الكفر إلى الإيمان ﴿ولئن﴾ لام قسم ﴿جاء نصر﴾ أي : للمؤمنين ﴿من ربك﴾ أي : بفتح وغنيمة ﴿ليقولن﴾ حذف منه نون الرفع لتوالي النونات ، والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين ﴿إنا كنا معكم﴾ في الإيمان فأشركونا في الغنيمة وأما عند الشدة فيجبنون كما قال الشاعر :

*وما أكثر الأصحاب حين تعدهم ** ولكنهم في النائبات قليل *

قال الله تعالى : ﴿أو ليس الله بأعلم﴾ أي : بعالم ﴿بما في صدور﴾ أي : قلوب ﴿العالمين﴾ من الإيمان والنفاق.

﴿وليعلمن الله الذين آمنوا﴾ أي : بقلوبهم ﴿وليعلمن المنافقين﴾ فيجازي الفريقين ، واللام في الفعلين لام قسم ، ولما بين الفرق الثلاثة وأحوالهم ذكر أن الكافر يدعو من يقول آمنت إلى الكفر بقوله تعالى :

﴿وقال الذين كفروا﴾ أي : ظاهرا وباطنا ﴿للذين آمنوا﴾ أي : ظاهرا وباطنا لم تتحملون الأذى والذل ؟

---

(١) شرح أصول التفسير، ص/١٧٢

﴿اتبعوا سبيلنا﴾ أي : الذي نسلكه في ديننا تدفعوا عن أنفسكم ذلك ، فقالوا : نخاف من عذاب الله تعالى على خطيئة اتباعكم فقالوا لهم اتبعونا ﴿ولنحمل خطاياكم﴾ إن كان ذلك خطيئة أو إن كان بعث ومؤاخذة ، قال الجلال المحلي : والأمر بمعنى الخبر وهو أولى من قول البيضاوي : وإنما أمروا أنفسهم بالحمل عاطفين على أمرهم بالاتباع مبالغة في تعليق الحمل بالاتباع والوعد بتخفيف الأوزارعنهم إن كان تشجيعا للمؤمنين على الاتباع وبهذا الاعتبار رد عليهم وكذبهم بقوله ﴿وما هم﴾ أي : الكفار ﴿بحاملين من خطاياهم﴾ أي : المؤمنين ﴿من شيء أنهم لكاذبون﴾ في ذلك ، قال الزمخشري : وترى في المتسمين بالإسلام من يستن بأولئك فيقول لصاحبه إذا أراد أن يشجعه على ارتكاب بعض العظائم افعل هذا وإثمه في عنقي وكم من مغرور

١٧٩

بمثل هذا الضمان من ضعفة العامة وجهلتهم ؟

.

ومنه ما يحكي أن أبا جعفر المنصور رفع إليه بعض أهل الحشو حوائجه فلما قضاها قال : يا أمير المؤمنين بقيت الحاجة العظمى قال : وما هي قال شفاعتك يوم القيامة فقال : له عمرو بن عبيد رحمه الله إياك وهؤلاء فإنهم قطاع الطريق في المأمن ، فإن قيل كيف سماهم الله تعالى كاذبين وإنما ضمنوا شيئا علم الله تعالى أنهم لا يقدرون على الوفاء به وضامن ما لا يعلم اقتداره على الوفاء به ، لا يسمى كاذبا لا حين ضمن ولا حين عجز لأنه في الحالين لا يدخل تحت حد الكاذب وهو المخبر عن الشيء لا على ما هو عليه ؟

أجيب : بأن الله تعالى شبه حالهم حيث علم أن ما ضمنوه لا طريق لهم إلى أن يفوا به فكان ضمانهم عنده لا على ما عليه المضمون بالكاذبين الذين خبرهم لا على ما عليه المخبر عنهم ، ويجوز أن يراد أنهم كاذبون لأنهم قالوا ذلك وقلوبهم على خلافه كالكاذبين الذين يعدون الشيء وفي قلوبهم نية الخلف ، تنبيه : من الأولى : للتبيين ، والثانية : مزيدة ، والتقدير : وما هم بحاملين شيئا من خطاياهم.

جزء : ٣ رقم الصفحة : ١٧٧

فإن قيل قال الله تعالى : ﴿وما هم بحاملين من خطاياهم من شيء﴾ ثم قال الله تعالى : ." (١)

"ولما كان محط الفائدة إلزامه سبحانه لنفسه بما تفضل به قدمه تعجيلا للسرور وتطييبا للنفوس فقال تعالى ﴿وكان﴾ أي : على سبيل الثبات والدوام ﴿حقا علينا﴾ أي : مما أوجبناه بوعدنا الذي لا خلف فيه ﴿نصر المؤمنين﴾ أي : العريقين في ذلك الوصف في الدنيا والآخرة ، ولم يزل هذا دأبنا في كل ملة على مدى الدهر فليعتد هؤلاء لمثل هذا وليأخذوا لمثل ذلك أهبة لينظروا من المغلوب وهل ينفعهم شيء ، روى الترمذي وحسنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال : "ما من امرئ مسلم يرد عن عرض أخيه إلا كان حقا على الله أن يرد عنه نار جهنم يوم القيامة ثم تلا قوله تعالى ﴿وكان حقا علينا نصر المؤمنين﴾ قال البقاعي : فالآية من الاحتباك أي : وهو أن يؤتى بكلامين يحذف من كل منهما شيء يكون

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ٣/١٢٠

نظمهما بحيث يدل ما أثبت في كل على ما حذف من الآخر ، فحذف أولا الإهلاك الذي هو أثر الخذلان لدلالة النصر عليه ، وثانيا الإنعام لدلالة الانتقام عليه ، ثم نبه تعالى على كمال قدرته فهو الناصر للمؤمنين بقوله تعالى :

﴿

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٩

الله﴾ أي : وحده ﴿الذي يرسل﴾ مرة بعد أخرى ﴿الرياح﴾ مضطربة هائجة بعد أن كانت ساكنة ﴿فتثير سحابا﴾ أي : تزعجه وتنشره ﴿فيبسطه﴾ بعد اجتماعه ﴿في السماء﴾ أي : جهة العلو ﴿كيف يشاء﴾ في أي ناحية شاء قليلا تارة كمسير ساعة وكثيرا أخرى كمسير أيام على حسب إرادته واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها ﴿ويجعله﴾ إذا أراد ﴿كسفا﴾ أي : قطعا غير متصل بعضها ببعض اتصالا يمنع نزول الماء ، وقرأ ابن عامر بسكون السين بخلاف عن هشام ، والباقون بفتحها ﴿فترى﴾ بسبب إرسال الله له أو بسبب جعله ذا مسام وفروج يا من هو من أهل الرؤية ، أو يا أشرف خلقنا الذي لا يعرف هذا حق معرفته سواه ﴿الودق﴾ أي : المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي : السحاب الذي هو اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال ﴿فإذا أصاب﴾ أي : الله ﴿به﴾ أي : بالودق ﴿من﴾ أي : أرض من ﴿يشاء﴾ ونبه على أن ذلك فضل منه لا يجب عليه لأحد شيء أصلا بقوله تعالى : ﴿من عباده﴾ أي : الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لأمره ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي : يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق له البشرة حال الإصابة ظهورا بالغا عظيما بما يرجونه مما يحدث عنه من الأثر النافع من الخصب والرطوبة واللين ، ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى :

﴿وإن﴾ أي : والحال أنهم ﴿كانوا﴾ في الزمن الماضي ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ أي : المطر ، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بسكون النون وتخفيف الزاي ، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. وقوله تعالى ﴿من قبله﴾ من باب التكرير والتأكيد كقوله تعالى ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها﴾ (الحشر : ١٧)

ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول بعدما استحكم بأسهم. وقوله تعالى ﴿لمبلسين﴾ إشارة إلى أنه تمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك ، وقبل الأولى ترجع إلى المطر والثانية إلى إنشاء السحاب فلا تأكيد.

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ والرحمة : هي الغيث وأثرها هو النبات ، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بألف بعد الثاء المثلثة ، والباقون بغير ألف ورسمت رحمت هذه مجرورة ، فوقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء ﴿كيف يحيي﴾ أي : الله

٢٣١

﴿الأرض﴾ بإخراج النبات ﴿بعد موتها﴾ أي : يبسها ﴿إن ذلك﴾ أي : القادر العظيم الشأن الذي قدر على إحياء الأرض ﴿لمحيي الموتى﴾ كلها من الحيوانات والنباتات أي : ما زال قادرا على ذلك كما قال تعالى ﴿وهو على كل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿قدير﴾ لأن نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى إلى كل ممكن على حد سواء ، ولما بين أنهم عند توقف الخير يكونون آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بقوله تعالى :

جزء : ٣ رقم الصفحة : ٢٢٩

﴿ولئن أرسلنا﴾ أي : بعد وجود هذا الأثر الحسن ﴿ريحا﴾ عقيما ﴿فرأوه﴾ أي : الأثر لأن الرحمة هي الغيث وأثرها هو النبات أو الزرع **لدلالة السياق** عليه ﴿مصفرا﴾ قد بدل وأخذ في التلف من شدة يبس الريح إما بالحر أو البرد ، وقيل : رأوا السحاب لأنه إذا كان مصفرا لم يمطر ، ويجوز أن يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب.." (١)

"الأمر بالتقوى واقترانه بصفة الخلق

وقوله تعالى: ﴿ اتقوا ربكم ﴾ التقوى: أن تجعل بينك وبين غضب الله تعالى عليك وقاية، أو تجعل بينك وبين عذاب الله تعالى وقاية، فأصل التقوى مأخوذة من التغطية أو التستر، قال الشاعر: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد أي: غطت وجهها بيديها.

قوله تعالى: ﴿ اتقوا ربكم الذي خلقكم ﴾ ، قال كثير من أهل العلم: عبر بلفظ الخلق أو بصفة الخلق هنا دون غيرها من الصفات؛ لأن الناس المخاطبين بالآية كانوا يقرون بصفة الخلق، فمن ثم خاطبهم بالصفة التي يقرون بها، كما قال سبحانه: ﴿ ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله ﴾ [الزخرف:٨٧] ، فلما خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿ اتقوا ربكم الذي خلقكم ﴾ خاطبهم بصفة يقرون بها، ويدينون بها لله سبحانه وتعالى مسلمهم وكافرهم، ويقرون بأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿ الذي خلقكم من نفس واحدة ﴾ النفس الواحدة هي آدم صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ هي حواء عليها السلام، ولم يرد لحواء ذكر في الكتاب العزيز باسمها، وأما سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد فيها ذكر حواء، ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها).

وقوله تعالى: ﴿ وخلق منها زوجها ﴾ يفيد أن حواء خلقت من آدم وهو الصحيح لا شك، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوضح ذلك، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة خلقت من ضلع) الحديث، فهي خلقت من أحد أضلاع آدم على ما فهم من حديثه عليه الصلاة والسلام، وعلى ما ذكره الشراح، ولذلك تجد المرأة تميل إلى الرجل، والرجل يميل إلى المرأة.

وفي قوله تعالى: ((زوجها)) دليل على إطلاق لفظ الزوج على المرأة، ولفظ الزوجة وإن كان جائزا، لكن الأفصح استعمال (زوج) بغير تاء، كما قال سبحانه: ﴿ هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها حملت حملا خفيفا فمرت به ﴾ [الأعراف:١٨٩]، وأما لفظ (الزوجة) فمنه قول عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (والله إني أعلم أنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعوه أم تتبعوها).

لكن الأفصح أن يقال: (زوج) بغير تاء.

---

(١) تفسير السراج المنير . موافق للمطبوع، ١٥٦/٣

قوله تعالى: ﴿ وخلق منها زوجها وبث منهما ﴾ بث، أي: فرق ونشر، و(منهما) أي: من آدم وحواء.

وقوله تعالى: ﴿ رجالا كثيرا ونساء ﴾ أي: ونساء كثيرا كذلك، فحذفت كثيرا عند ذكر النساء **لدلالة السياق** عليها، وهذا وارد بكثرة في كتاب الله تعالى، ومنه قول الله تعالى حكاية عن سليمان صلى الله عليه وسلم: ﴿ إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص:٣٢]، أي: حتى توارت الشمس، فحذفت **لدلالة السياق** عليها.

فإن قال قائل: فما هو الدليل على أن النساء كثير؟ قلنا: إن النساء أكثر –لا شك– من الرجال، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء)، وأهل النار أكثر بكثير من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿ وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين ﴾ [يوسف:١٠٣]، ولقوله تعالى: ﴿ وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله ﴾ [الأنعام:١١٦]، إلى غير ذلك.." (١)

"حقيقة الكلالة والمراد بالأخوة في آيتي الكلالة

قوله تعالى: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة ﴾ [النساء:١٢]: أي: أو امرأة تورث كلالة، وحذفت: (تورث كلالة) **لدلالة السياق** عليها، والحذف **لدلالة السياق** مستساغ، وقد قدمنا ما فيه الكفاية في هذا الباب.

قوله: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة ﴾ [النساء:١٢]: الكلالة: من لا ولد له ولا والد، وهذه المسألة من المسائل التي أشكلت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى قال: (ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة مثلما سألته، حتى ضرب يده في صدري وقال: يا ابن الخطاب ، ألا تكفيك آية الكلالة التي في آخر سورة النساء؟!)، ومع ذلك كان يقول في آخر حياته عمر : (ثلاث مات النبي صلى الله عليه وسلم ولوددت أنه عهد إلينا فيهن عهدا: الكلالة، ومسائل من الربا ...) إلى آخر ما ذكر عمر رضي الله عنه.

إذا الكلالة: من لا ولد له ولا والد، أي: ليس له أب ولا ابن، ولا جد ولا حفيد، ولا شيء أعلى ولا شيء أنزل، قال العلماء: الكلالة هي مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس.

قوله: ﴿ وله أخ أو أخت ﴾ [النساء:١٢] هنا تقدير أجمع العلماء عليه: له أخ أو أخت من الأم.

والكلالة فيها آيتان: هذه أولاهما: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت ﴾ [النساء:١٢]: أي: أخ أو أخت من الأم.

والثانية هي آخر آية في النساء: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة ﴾ [النساء:١٧٦].

الكلالة هنا: الإخوة الأشقاء، أو الإخوة لأب، حتى لا تتضارب الأفهام؛ لأن حكم الكلالة في الآية الأولى من النساء، غير حكم الكلالة التي في آخر النساء.

الكلالة هنا: يقول الله سبحانه: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ [النساء:١٢].

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٤/١

لكن التي في آخر النساء: ﴿ يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك ﴾ [النساء:١٧٦].

فقد يقال: كيف تقول: إن الأخت لها نصف ما ترك في الأخيرة، وهنا تقول: لها السدس؟ فالإجابة: أن هذه الآية الأولى في الإخوة لأم.

والتي في آخر النساء في الإخوة الأشقاء.

والإخوة لأم يفترقون عن الإخوة الأشقاء في أمور: منها: أنهم لا يرثون الأخ إلا في الكلالة.

منها: أن ذكرهم يساوي أنثاهم في الميراث؛ لأن الله قال: ﴿ وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس ﴾ [النساء:١٢]، فسوى الأخ بالأخت.

لكن في الكلالة التي في آخر النساء: ﴿ وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين ﴾ [النساء:١٧٦]، وهي في الإخوة الأشقاء.

ومنها: أن ميراث الإخوة لام لا يتجاوز الثلث؛ لقوله تعالى: ﴿ فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث ﴾ [النساء:١٢].

أما الإخوة الأشقاء فيستحوذون على التركة كلها إن لم يوجد وارث للميت من يقدم عليهم.." (١)

"الدين شامل لجميع مناحي الحياة

﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة:١٠] وهذا فيه إشارة يشير إليها العلماء وهي: أن العبادات إذا انتهت لا تظن أنك ابتعدت عن ربك سبحانه، فلست مع الرب في الصلاة فقط كما يقول أهل الكفر وغيرهم الذين يرون أن الصلاة في المساجد فقط، وخارج المساجد لا دخل للدين بالحياة، ولا دخل للدين بالسياسة، بل ربنا يقول: ﴿ فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة:١٠] أي: فليكن ذكر الله منك على بال في عملك وفي طرقك.

وهكذا أيضا قيل في الحج: ﴿ فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ [البقرة:٢٠٠]، إذا قضيتم المناسك وانتهيتم من أعمال الحج لا تظنوا أن الرب غاب عنكم، أو أنكم غبتم عنه وابتعدتم عن الرب، بل: ﴿ إذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا ﴾ [البقرة:٢٠٠].

كذلك بعد الانتهاء من الصيام: ﴿ ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون ﴾ [البقرة:١٨٥].

كذلك دبر الصلوات، وبعد أن تنتهي من الصلاة، ويبوب العلماء لذلك: باب الذكر بعد الصلاة، وقد قال ابن عباس : (كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير)، وفي رواية أخرى: (إن رفع الصوت بالتكبير عند الانتهاء من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم).

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٣/١٥

فكلما انتهيت من عبادة بعد أن تلبست بها لا تظن أنك فارقت الذكر، بل حث ربنا على الذكر في كل المواطن: ﴿ يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الأنفال:٤٥] تبدأ عملك باسم الله، أنت الشافي يا رب! أنت المعين يا رب! تدعو الله عز وجل، تجعل ذكر الله دائما لك على بال، لا تفارق الذكر، فإنك مهما كنت معتصما بالذكر فشيطانك مهزوم، وتعلوه سياط التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، أما إذا غفلت نشط عليك الشيطان وتمكن منك، فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بالخناس في قوله تعالى: ﴿ قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس) * من شر الوسواس الخناس ﴾ [الناس:١-٤] يخنس: أي: يختفي عند ذكر الله سبحانه وتعالى.

﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون ﴾ [الجمعة:١٠] فأفادت الآية أن ذكر الله كثيرا يجلب لك الفلاح، والفلاح: هو الفوز بالمطلوب والفرار من المرهوب.

﴿ واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها ﴾ [الجمعة:١٠-١١] لم لم يقل: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليهما؟ فالإجابة على هذا كالإجابة على قوله تعالى: ﴿ واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين ﴾ [البقرة:٤٥] ولم يقل: وإنهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا ﴾ [النساء:١١٢] ولم يقل: ثم يرم بهما بريئا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين ﴾ [التوبة:٦٢] ولم يقل: والله ورسوله أحق أن يرضوهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها ﴾ [التوبة:٣٤] ولم يقل: ولا ينفقونهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿ وجعلنا ابن مريم وأمه آية ﴾ [المؤمنون:٥٠] ولم يقل: آيتين، إلى غير ذلك.

فقال العلماء: اجتزئ بأحدهما لدلالته على الآخر، كما قال تعالى: ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل:٨١] أي: وتقيكم أيضا البرد، ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم ﴾ [النحل:٨١] فالسرابيل تقي الحر كما أنها تقي أيضا من البرد، فحذف البرد لدلالة الحر عليه، وكذلك تقدم في قوله تعالى: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء:١] أي: ونساء كثيرا، حذفت كثيرا لدلالة السياق عليها، والله أعلم.." (١)

"حكم من طلق زوجته ثلاثا في مجلس واحد وهي حائض

Q ما حكم رجل طلق زوجته ثلاث تطليقات في جلسة واحدة وهي حائض؟

A حائض أو ليست بحائض فالطلقة واقعة، وهذا رأي الجماهير من العلماء، ورأي الأئمة الأربعة، صحيح أن الذي يطلق امرأته في أثناء حيضتها مخالف للسنة، لكن مع مخالفته الطلقة أيضا واقعة، فمخالف السنة لا يكرم ويقال له: طلقتك

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ١٤/٦٣

ليست واقعة، بل يقال له: طلقتك واقعة، وإذا طلقتها عند الطهر واقعة أيضا لرأي الجمهور؛ لأن ابن عمر قال: (حسبت علي تطليقة)، هذه واحدة.

والثانية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (مروه فليراجعها) ولا مراجعة إلا بعد وقوع، وقد قدمنا الكلام على هذا باستفاضة، ولكن أكرر التنبيه على الوهم الذي وهم فيه العلامة ابن القيم رحمه الله تبعا لـ أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى، فهو وهم نشأ عن اختصار مخل أفسد الاختصار.

مما استدل به القائلون بأن طلاق المرأة في حيضتها لا يقع: ما ورد عن ابن عمر أنه سئل عن طلاق المرأة وهي حائض أيعتد بتلك؟ فقال: (لا يعتد بتلك) هكذا روي الأثر مختصرا عند ابن حزم بهذا اللفظ: (لم يعتد بتلك)، والأثر لما وقفنا عليه مطولا عند ابن أبي شيبة وغيره، وفيه: (سئل ابن عمر عن رجل طلق امرأته وهي حائض أيعتد بتلك الحيضة؟) يعني: يعتد بتلك الحيضة كقرء من الأقراء وتحسب كما في قوله: ﴿ والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء ﴾ [البقرة:٢٢٨] فهو سأل: هل يعتد بتلك الحيضة من زمن التطليقات أم لا؟ فقال: (لا يعتد بتلك)، أي: لا يعتد بالحيضة التي طلقت فيها المرأة، وهذا إشكال! لما اختصر المتن، وقع ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هذا الوهم؛ لأنه قد شنع بهذه الرواية تشنيعا غير مقبول؛ لما سمعتموه من أن **دلالة السياق** المختصرة أخلت بالمعنى إخلالا كبيرا.

فنقول للرجل: أشهد شاهدي عدل أنك طلقت زوجتك مرة وراجعتها.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق)

قال تعالى: ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ [القيامة:٢٦]، ما هي التي بلغت؟ قدمنا أن العرب تحذف كلمات من السياق **لدلالة السياق** عليها، فهنا: (إذا بلغت)، أي: الروح، كما في قوله: ﴿ فلولا إذا بلغت الحلقوم ﴾ [الواقعة:٨٣]، والتي بلغت الحلقوم هي الروح أيضا، وقوله: ﴿ حتى توارت بالحجاب ﴾ [ص:٣٢]، أي الشمس، ﴿ إنها ترمي بشرر كالقصر ﴾ [المرسلات:٣٢]، أي: النار.

فالعرب تحذف شيئا من السياق إذا كان السياق يدل عليه وكان المخاطب يفهم هذا المحذوف، فيقول الله سبحانه: ﴿ كلا إذا بلغت التراقي ﴾ [القيامة:٢٦]، والتراقي: هي عظام الترقوة.

قوله تعالى: ﴿ وقيل من راق ﴾ ، للعلماء فيه قولان: القول الأول: هل من شخص يرقي هذا المريض، أو طبيب يداويه؟ وهذا معنى تقلده فريق من المفسرين .." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (إن علينا للهدى)

قال تعالى: ﴿ إن علينا للهدى ﴾ [الليل:١٢]، أي: علينا أن نبين للناس طريق الهداية، وطريق الغواية كذلك يبينه الله للعباد، ولكن حذف **لدلالة السياق** عليه، كما قال تعالى: ﴿ وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر ﴾ [النحل:٨١]، أي: وتقيكم البرد، وفهم أنها تقينا البرد من كونها تقينا الحر، وكذلك قوله: ﴿ يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٦٣/٣٣

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٨٠/٧

واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء ﴾ [النساء:١]، أي: ونساء كثيرا كذلك، فقوله تعالى: (إن علينا للهدى)، أي: وإن علينا أيضا بيان طريق الضلالة كذلك، كما قال تعالى في الآية الأخرى، ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان:٣]، وكما قال في الآية الثالثة: ﴿ وهديناه النجدين ﴾ [البلد:١٠]، يعني: بينا له الطريقين.

وقوله سبحانه: (إن علينا للهدى) فيها قولان لأهل العلم: القول الأول: إن علينا أن نبين لخلقنا طريق الهداية وطريق الغواية، ﴿ إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا ﴾ [الإنسان:٣]، فهذا هو القول الأول.

القول الثاني: إن هداية الناس مردها إلينا لا إلى غيرنا، فلا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿ وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله ﴾ [يونس:١٠٠]، وكما قال سبحانه: ﴿ ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا ﴾ [يونس:٩٩]، وكما قال أهل الإيمان: ﴿ الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله ﴾ [الأعراف:٤٣]، وكما قال تعالى: ﴿ ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم ﴾ [الحجرات:٧]، فهذا هو القول الثاني، (إن علينا للهدى) أي: إن أمر الهداية وكذلك أمر الغواية موكول إلينا نحن، ولا يستطيعه نبي ولا ملك ولا بشر ولا أي خلق، إنما مرده إلينا، والمراد بالهداية: هداية التوفيق، أما هداية الدلالة، فقال الله عنها: ﴿ إنما أنت منذر ولكل قوم هاد ﴾ [الرعد:٧]، ﴿ وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم ﴾ [الشورى:٥٢]، فهذه هداية الدلالة، أما هداية التوفيق فمردها إلى الله وحده، لم يملكها نوح لولده، ولا إبراهيم لأبيه، ولا نوح ولا لوط لزوجتيهما، ولا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لعمه، ولا يملكها أحد، قال الله سبحانه: ﴿ إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة ﴾ [الليل:١٢-١٣]، أي: للدار الآخرة، (والأولى)، أي: الحياة الدنيا.." (١)

"واعذرني أخي القارئ، فإنني أريد أن أُعيد لك ما قلته آنفاً: إن الآيات التي جاء التعبير فيها بـ "ذي القربى " فإن موضوعها إما أن يكون في النصرة أو الإنفاق العام، وإنما جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في النصرة؛ لأن النصرة إنما هي عند العرب عامة في كل القرابة، اقتربت أم بعدت؛ لأن النصرة إنما هي من مفهوم العشيرة والقبيلة، وكذلك جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في الإنفاق العام ليشمل كل القرابة وإن بعدت قرابتهم.

وجاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في قوله تعالى (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ...)؛ لأنها آية عامة، يناسب سياقها الكلام بعمومٍ عن موضوع إيتاء القربى.

– (وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ) حُذف ذِكر الفاعل جل جلاله؛ **لدلالة السياق** عليه (إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ .... وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ)، وحُذف ذكر المفعول به للفعل "ينهى"؛ للدلالة على العموم؛ حتى يشمل كلَّ مخاطَب.

– الأمر بالعدل والإحسان يلزم منه النهي عن الفحشاء والمنكر، فلماذا وقع النص بالنهي مع أنه معلوم بدلالة الأمر؟ وقع النص بالنهي مع أنه معلوم بدلالة الأمر؛ لأن التنصيص زيادة في التأكيد والبيان، وتثبيت لمعنى النصوص في القلوب. وأيضاً فإن المقامَ مقامُ بيانٍ لبيانِ القرآن، والقرآن الكريم احتوى على الأمر مفصّلاً، واحتوى على النهي كذلك.

– (الْفَحْشَاءِ) هو: ما حكم الشرع بعِظم قبحه من الأقوال والأفعال، فيندرج تحته كل الذنوب العظيمة، أذكر منها: القتل

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي، ٨/٩٤

والزنا والسرقة والغصب وقطع الطريق والقذف.

- (وَالْمُنْكَر) هو: ما حكم الشرع بقبحه من الأقوال والأفعال، وتندرج الفحشاء ضمن المنكر من جهة كون الشرع قد قبَّحها ونهى عنها.

(وَالْمُنْكَر) اسم مفعول من "أنكر"، أي أن هذا الشيء تنكر الشريعة فعله، فهو أمر غير معروف بالخير عندها.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (ولما ضرب ابن مريم مثلا وجعلناه مثلا لبني إسرائيل)

ثم قال تعالى: ﴿ولما ضرب ابن مريم مثلا إذا قومك منه يصدون * وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا بل هم قوم خصمون﴾ [الزخرف:٥٧ - ٥٨].

((ولما ضرب ابن مريم مثلا)) هذه الآية فيها عدة تفاسير منها: ((ولما ضرب ابن مريم مثلا)) يعني: في كونه كآدم، كما قال تبارك وتعالى: ﴿إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون﴾ [آل عمران:٥٩].

والمعنى: أنه بين وصفه الحق من أنه عبد مخلوق منعم عليه بالنبوة، عبادته كفر، ودعاؤه شرك، إذ لم يأذن الله بعبادة غيره.

وقوله: ((إذا قومك منه)).

أي: من هذا المثل المضروب، ووصفه المبين ((يصدون)).

أي: يعرضون ولا يعون.

وقوله: ((وقالوا أآلهتنا خير أم هو)) يعنون بآلهتهم الملائكة الذين عبدوهم، زعما منهم أنهم بنات الله تعالى كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة، يريدون أنهم خير من عيسى وأفضل؛ لأنهم من الملأ الأعلى، والنوع الأسمى، فإذا جازت عبادة المفضول فبالأولى عبادة الأفضل، هذا لأنهم يقررون على شركهم أصولا صحيحة، ويبنون على تمسكهم أقيسة صريحة، وغفلوا لجهلهم عن بطلان المقيس والمقيس عليه، وأن البرهان القاطع قام على بطلان عبادة غيره تبارك وتعالى.

يعني: أنهم يستدلون بعبادة النصارى لعيسى عليه السلام على عبادتهم للملائكة، والملائكة أفضل من عيسى، فأولى أن تعبد الملائكة؛ لأنهم أفضل من عيسى! ولا شك في بطلان هذا القياس، وبطلان المقيس عليه، فأولا: هل عبادتهم عيسى عليه السلام مما يرضي الله؟ أو هل أمر الله به؟ فالمقيس باطل، وهذا مجرد دعوى وكفر، وكذلك المقيس نفسه باطل، وهو عبادة الملائكة؛ للأدلة الواضحة التي سوف نذكرها، وكأنهم يقررون على شركهم أصولا صحيحة، ويبنون على تمسكهم بالباطل أقيسة صريحة، وغفلوا لجهلهم عن بطلان المقيس والمقيس عليه، وأن البرهان القاطع قام على بطلان عبادة غير الله تعالى، وعلى استحالة التوالد في ذاته العادية، وإذا اتضح الهدى، فما وراءه إلا الضلال، والمشاغبة بالجدال.

فهذا أمر واضح وضوح الشمس، فإن كلا العبادتين باطل، سواء عبادة الملائكة أو عبادة المسيح عليه السلام.

فإذا: هم في هذا الكلام يعرفون جيدا أن هذا باطل، لكنهم ما أرادوا إلا المشاغبة والجدال العقيم، ولذلك قال سبحانه وتعالى: ((وقالوا أآلهتنا خير أم هو ما ضربوه لك إلا جدلا))، يعني: هم مقتنعون أنهم لا يقيمون حجة، إنما يجادلون لدفع الحق.

---

(١) رسالة في بيان أجمع آية في القرآن، سامي القدومي ص/١٥

فقوله: ((ما ضربوه لك إلا جدلا))، أي: ما ضربوا لك هذا القول إلا لأجل الجدل والخصومة، لا عن اعتقاد؛ لظهور بطلانه.

وقوله: ((بل هم قوم خصمون))، أي: شديدو الخصومة للباطل تمويها، كما قال صلى الله عليه وسلم: (ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجهل) وما ذكرناه في تفسير هذه الآية هو الجلي الواضح **لدلالة السياق** والسباق، فقابل بين ما حكيناه وبين ما حكاه غيرنا وأنصف.

ثم رفع الله جل وعلا شأن عيسى عليه السلام فقال سبحانه وتعالى: ﴿إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل﴾ [الزخرف:٥٩].

((إن هو إلا عبد)) أي: عبد لله، ((أنعمنا عليه)) أي: بالنبوة والرسالة.

وقوله: ((وجعلناه مثلا لبني إسرائيل)) أي: آية وحجة عليهم، لما ظهر على يديه، مما أيد نبوته ورسالته، وصدق دعواه.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (وما لكم لا تؤمنون بالله)

قال تعالى: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم وقد أخذ ميثاقكم إن كنتم مؤمنين * هو الذي ينزل على عبده آيات بينات ليخرجكم من الظلمات إلى النور وإن الله بكم لرءوف رحيم﴾ [الحديد:٨ - ٩].

((وما لكم لا تؤمنون بالله)) أي: وما يصدكم عن الإيمان بالله وقد ظهرت دواعيه واتضحت سبله لذويه.

((والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم))، والرسول صلى الله عليه وسلم يدعوكم بطريق النظر والتفكر إلى الإيمان بالذي رباكم بنعمه، وصرفكم بآلائه؛ فوجب عليكم شكره.

((وقد أخذ ميثاقكم)) بالإيمان إذ ركب فيكم العقول، ونصب الأدلة، ومكنكم من النظر بل أودع في فطركم ما يضطركم لذلك إذا نبهتم، وقد حصل ذلك بتنبيه الرسول؛ فما عليكم إلا أن تأخذوا سبيله فطرة الإيمان، وهي موجودة وكامنة في قلب كل إنسان، حتى إذا ما علتها الأغشية أو الصدأ فإن التنبيه من الرسول ودعوته إياكم من شأنها أن تنبهكم إلى هذا الرصيد الباقي في نفوسكم من فطرة الإيمان والتوحيد.

((إن كنتم مؤمنين)) يعني: إن بقي نور الفطرة والإيمان الأزلي فيكم، وإن بقي فيكم نور الفطرة الذي جبلكم الله عليه؛ فإن دعوة الرسول تأتي بنور على نور، نور الفطرة مع نور الوحي فينبهكم ويحثكم على الإيمان.

((هو الذي ينزل على عبده آيات بينات))، أي: حججا واضحة وبراهين قاطعة.

((ليخرجكم)) أي: ليخرجكم الله، أو ليخرجكم عبده الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بآيات الله ((من الظلمات إلى النور))، أي: من ظلمات الجهل والكفر والأهواء المتضادة إلى نور الهدى واليقين الذي تشعر به النفوس، وتطمئن به القلوب.

((وإن الله بكم لرءوف رحيم))، أي: في إنزاله الكتب وإرساله الرسل لهدايتكم، إزاحة للعلل، وإزالة للشبه.

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٢٠/١٠٣

ولما كان إنزال هذه السورة للأمر بالإنفاق في سبيل الله والترغيب فيه؛ أكثر الله سبحانه وتعالى من ذكره في ضروب من البيان وفنون من الأحكام، ولذلك قال الله تبارك وتعالى بعد أن أمرهم بالإيمان: ((وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول)) أي: وقد توافرت الدواعي التي تؤزكم أزا على هذا الإيمان.

وإن كان قد قال: ((وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه))، فقد قال أيضا: ((وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ولله ميراث السموات والأرض))، أي: يرث كل شيء فيهما ولا يبقى لأحد مال، وإذا كان كذلك فما أجدر أن ينفق المرء في حياته، ويتخذه له ذخرا يجده بعد مماته و: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ [القصص:٨٨]، فإذا علام البخل ولله ميراث السموات والأرض، أي: يئول إليه كل ما في السماوات والأرض، فلماذا تضنون بما هو زائل عنكم لا محالة؟ يقول الشهاب رحمه الله تعالى: هذا من أبلغ ما يكون في الحث على الإنفاق؛ لأنه قرنه بالإيمان أولا لما أمرهم به، ثم وبخهم على ترك الإيمان في قوله: ﴿وما لكم لا تؤمنون بالله والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم﴾ مع سطوع براهينه، ووبخهم أيضا على ترك الإنفاق في سبيل من أعطاه لهم ((وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله)) أي: لماذا لا تنفقون في سبيل الله المال الذي آتاكم الله إياه، فالله سبحانه هو الذي آتاكم هذا المال وأمركم بإنفاقه؟ فهذا توبيخ على ترك الإنفاق في سبيل الله الذي أعطاهم هذا المال مع أنهم على وشك الموت، وعدم بقائه لهم إن لم ينفقوا، كما يقول العامة: إن الأكفان لا جيوب لها، وإن أغنى أغنياء الأرض لن يدفن بأمواله وبذهبه؛ فلابد أن يترك المال أو يتركه المال.

وقد يصيبه الفقر كما يحصل لكثير من الناس، فمالك هو ما أنفقت وما قدمته بين يديك، ومال وارثك هو ما خلفت، وسبيل الله كل خير يوصلهم إليه.

وقوله: ((ومالكم ألا تنفقوا في سبيل الله)) عام يشمل كل خير يوصل الناس إلى الله سبحانه وتعالى، فهو أعم من الجهاد وغيره، وقصر بعضهم إياه على الجهاد؛ لأنه فرضه الأكمل، ولأنه النوع الأكمل الذي ينطبق عليه قوله: ((في سبيل الله)) من باب قصر العام على أهم أفراده وأشملها، فهو عام يراد به الخصوص؛ باعتبار أن هذا الخاص هو أهم أفراد هذا العام، لا سيما وسبب النزول كان للنفقة في سبيل الله في الجهاد.

((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح))، والفتح يراد به فتح مكة أو صلح الحديبية، وهناك ارتباط وثيق بين فتح مكة وصلح الحديبية؛ لأن صلح الحديبية هو الفتح الأعظم، وهو الذي مهد لكل ما تلاه من فتوحات، كفتح خيبر وفتح مكة ودخول الناس في دين الله أفواجا؛ لأن صلح الحديبية أوقف الصراع المسلح مع المشركين، ثم إن المشركين بدءوا يعملون عقولهم ويستمعون للأدلة ويقتنعون بالإسلام؛ فمن ثم دخل الناس في دين الله أفواجا ببركة هذا الفتح الأعظم.

إذا: الفتح المبين الذي ورد في أول سورة الفتح إنما هو فتح الحديبية، ﴿إنا فتحنا لك فتحا مبينا﴾ [الفتح:١]، فقوله تعالى: ((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل))، يعني: أنفق وقاتل لتعلو كلمة الحق، وجاهد في سبيل الله بماله وبنفسه، فلا يستوي هؤلاء ومن أنفق من بعد وقاتل في حال قوة الإسلام وعزة أهله، فكانت شدة الحاجة إلى نصرة الدين والتضحية في سبيله في ذلك الوقت أعظم وأشد، بخلاف ما بعد الفتح من كثرة الناس الذين دخلوا في دين الله أفواجا، فحذف الثاني لوضوح الدلالة عليه؛ فإن الاستواء لا يتم إلا بذكر شيئين.

فنقول: لا يستوي من فعل كذا ومن فعل كذا، لكن حذف الثاني هنا **لدلالة السياق** عليه، أو لوضوح الدلالة عليه: ((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل)) وتكون تقدير الكلام: لا يستوي هو ومن أنفق من بعد الفتح وقاتل، لكن حذف لوضوح الدلالة عليه؛ على أنه أشير إليه بقوله مستأنفا عنهم زيادة للتنويه بهم: ((أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا))، فبهذا يفهم المحذوف من سياق العبارة السابقة، وهي قوله تعالى: ((لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل))) أي: مع الذين أنفقوا من بعد الفتح وقاتلوا.

((أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا))، أي: لعظم موقع نصرة الرسول صلى الله عليه وسلم بالنفس وإنفاق المال في تلك الحال، وفي المسلمين قلة وفي الكافرين شوكة وكثرة عدد؛ فكانت الحاجة إلى النصرة والمعاونة أشد بخلاف ما بعد الفتح؛ فإن الإسلام صار في ذلك الوقت قويا والكفر ضعيفا، ويدل عليه قوله تبارك وتعالى: ﴿والسابقون الأولون من المهاجرين والأنصار﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال صلى الله عليه وسلم: (لا تسبوا أصحابي فلو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه)، وهذا فيه نهي عن سب الصحابة رضي الله تعالى عنهم، وإيذان برعاية حرمتهم، ولذلك قال النبي صلى الله عليه وسلم: (من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين).

وهذه الآية دالة على فضل من سبق إلى الإسلام وأنفق وجاهد مع الرسول صلى الله عليه وآله وسلم، فهنا مراعاة الأولية والأسبقية في الأعمال الصالحة، وفي بعض الأحاديث في مراعاة أولويات الإمامة في الصلاة، قال (فإن كانوا في السن سواء فأقدمهم هجرة)، وهذه إشارة إلى نوع من السبق.

وقال في الإكليل: في الآية دليل على أن للصحابة مراتب، وأن الفضل للسابق.

فللصحابة مراتب، ولابد أن يشكل هذا جزءا من اعتقادنا، ولذلك نجد مسألة الإيمان بفضل الصحابة ومراعاة حرمتهم وترتيبهم في الأفضلية مما ينص عليه في كل كتب العقيدة السلفية، وسبق أن نبهنا أن بعض كتب العقيدة كشرح الطحاوية لا تستوعب كل مسائل الإيمان والعقيدة، وإن كانت تستوعبها في الغالب وتركز على المسائل التي جرى فيها الخلاف بين أهل السنة ومن خالفهم من الفرق، ولذلك كل مسألة توضع للرد على فرقة انحرفت في هذا الباب بالذات، فمن ذلك نجد الكلام على مكانة الصحابة رضي الله تعالى عنهم وهذا أصل من أصول العقيدة السلفية؛ لأن الصحابة هم شهود الشرع، فإذا فتح باب الطعن في الشاهد؛ فإن ذلك يفتح باب الطعن في المشهود، وهو القرآن الكريم والسنة، لأن الذين نقلوا إلينا القرآن والسنة هم الصحابة، ففتح باب الطعن فيهم حيلة لإبطال دين الإسلام بالكلية، لأن هؤلاء إذا خانوا -كما يقول الشيعة لعنهم الله وقبحهم الله وكما يقول الخميني الهالك وغيره من أعداء الإسلام الذين يدعون الإسلام- فقد بطلت الشريعة.

وقد كثر الكلام في الفترة الأخيرة على موضوع الصحابة، وخاصة أن بعض الأشرطة انتشرت لتتكلم عن ذلك بالتفصيل، فسبق أن نبهنا إلى أن عموم الناس بل خواصهم أيضا ينبغي أن ينشغلوا بدراسة مناقب وفضائل الصحابة رضي الله تعالى عنهم، أما إثارة ما شجر بين الصحابة ابتداء من غير داع يوجب ذلك، فهذا يخالف منهج السلف في أن واجبنا أن نمسك عما شجر بين الصحابة رضي الله تعالى عنهم، لكن إذا وجد الإنسان قوما يكثرون الطعن في الصحابة ويوردون الشبهات

على بعض الصحابة الكرام رضي الله تعالى عنهم، أو وجد في بعض مناهج التعليم عدوان على بعض الصحابة؛ ففي هذه الحالة ينبغي الرد على هذه الشبهات.

ومن الشبهات تفسير الحديث تفسيرا منحرفا، أو فهم آية وتأويلها تأويلا لا يتوافق مع عقيدتنا في الصحابة، أو التزوير الذي حصل في التاريخ؛ فحين يتصدى بعض الباحثين لمثل هذه القضية فليبحثها ضوء منهج أهل الحديث وليس منهج المؤرخين، ومنهج أهل الحديث يعنى بصحة السند والمتن وعقيدة السلف، وعندئذ فلا مانع من ذلك لمن تعرض لشيء من الشبهات.

كذلك يوجد الآن كتاب قيم في هذا الباب،." (١)

"ملخص كلام المفسرين في قوله تعالى: (عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا إلا من ارتضى)

إذا: الزمخشري ومن تابعه على أن قوله: ((على غيبه)) ليس فيه صيغة عموم، كذلك أبو السعود والنسفي يقولان: ليس هذا هو المقصود بقوله تبارك وتعالى: ((فلا يظهر على غيبه أحدا)) فيكفي في العمل بمقتضاه ألا يظهر تعالى خلقه على غيب واحد من غيوبه، فنحمله على وقت وقوع القيامة، فيكون المراد من الآية أنه تعالى لا يظهر على هذا الغيب بالذات أحدا، فلا يبقى في الآية دلالة على أنه لا يظهر شيئا من الغيوب لأحد.

والذي يؤكد هذا التأويل أنه تعالى إنما ذكر هذه الآية عقيب قوله: ﴿قل إن أدري أقريب ما توعدون أم يجعل له ربي أمدا﴾ [الجن:٢٥]، فالكلام هنا عما توعدون من قيام الساعة، يعني: لا أدري وقت وقوع القيامة.

فقوله بعده: ((عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحدا)) أي: غيبه الذي هو علم وقت القيامة.

وبالجملة فقوله: ((على غيبه)) لفظ مفرد مضاف، فيكفي في العمل به حمله على غيب واحد وهو قيام الساعة، لكن هناك أنواع أخرى من الغيب يمكن أن يطلع عليها الرسل، كما ذكرنا.

ويحتمل أن يكون الاستثناء منقطعا، يعني: كأن الله سبحانه وتعالى قال: عالم الغيب فلا يظهر على غيبه المخصوص جدا، والغيب المخصوص هو وقت القيامة.

قوله: ((إلا من ارتضى من رسول فإنه يسلك من بين يديه ومن خلفه رصدا)) أي: حفظة يحفظونه من شر مردة الإنس والجن؛ لأنه تعالى إنما ذكر هذا الكلام جوابا لسؤال من سأله عن وقت وقوع القيامة على سبيل الاستهزاء به والاستحقار لدينه ومقالته.

وملخصه تخصيص الغيب بوقت وقوع القيامة **بدلالة السياق**، وتخصيص الرسول بالملك.." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به)

﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا ومن النخل من طلعها قنوان دانية وجنات من أعناب والزيتون والرمان مشتبها وغير متشابه انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه إن في ذلكم لآيات

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٣/١٥٧

(٢) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ١٣/١٨٣

لقوم يؤمنون﴾ [الأنعام:٩٩].

ثم بين تبارك وتعالى حجة كبرى على كمال قدرته، ومنة أخرى من مننه ونعمه، فقال عز وجل: ﴿وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء﴾ [الأنعام:٩٩].

قوله: (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي: من السحاب.

لقوله: ﴿أفرأيتم الماء الذي تشربون * أأنتم أنزلتموه من المزن أم نحن المنزلون﴾ [الواقعة:٦٨ - ٦٩]، و (المزن) السحاب، وسمى السحاب سماء لأن العرب تسمي كل ما علا سماء، فسماء الحجرة هو السقف، والدليل قوله تعالى: ﴿من كان يظن أن لن ينصره الله في الدنيا والآخرة فليمدد بسبب إلى السماء ثم ليقطع فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ﴾ [الحج:١٥] وفي هذه الآية إشارة إلى حتمية نصر الله عز وجل لنبيه صلى الله عليه وسلم، ومن لا يصدق هذا وكان يظن أن الله لن ينصر محمدا صلى الله عليه وسلم ويعز دينه فليس له حل إلا أن يموت، وهذا مثل أن تقول لواحد: اذهب ومت، حيث لا توجد فائدة إلا كذلك.

فمن كان يظن أن الله لن ينصر محمدا ويعز دينه صلى الله عليه وسلم فلا يوجد أمامه غير أنه يموت؛ لأن هذا لن يقع.

فقوله: (فليمدد بسب) أي: ليربط حبلا في السماء، والمراد: يربط الحبل في سقف الحجرة ويثبته حوله عنقه -بنفس نظرية الشنق- ويقف على الكرسي ويحرك الكرسي ثم يتدلى ثم ليقطع صلته بالأرض فيتدلى في الهواء، (فلينظر هل يذهبن كيده ما يغيظ) يعني: هو لا يكيد إلا نفسه، ولن يستطيع بهذا الظن أو بهذا الأمل في خذلان الإسلام أن يضر إلا نفسه.

فهذا منتهى كيده أنه يكيد نفسه، لكن لا يستطيع أبدا أن يعطل وعد الله بنصرة نبيه صلى الله عليه وسلم، فهذا معنى: (فليمدد بسبب إلى السماء).

وكذلك هنا قوله: ﴿(وهو الذي أنزل من السماء ماء﴾ [الأنعام:٩٩]، ففي لغة العرب كل ما علاك فهو سماء.

فقوله: (وهو الذي أنزل من السماء ماء) أي: من السحاب (فأخرجنا به) هنا أسلوب بلاغي يسمى أسلوب التفات، وهذا التفات بشأن ما أنزل الماء لأجله، أي: فأخرجنا بعظمتنا ذلك الماء مع وحدته ماء نبات كل شيء، إشارة بهذا الالتفات إلى بيان كمال اعتناء الله سبحانه وتعالى بهذا الذي أخرجه من ماء واحد، ومع ذلك أخرج بماء واحد نبات كل شيء، أي: كل صنف من أصناف النبات والثمار المختلفة الطعوم والألوان، كقوله تعالى: ﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ [الرعد:٤].

وقوله: (فأخرجنا منه)، الهاء تعود على النبات في قوله: ((وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه)) يعني: من النبات.

والمقصود: من أصول النبات (خضرا) أي: شيئا غضا أخضر.

يقال: أخضر وخضر، كأعور وعور، وهو ما تشعب من أصل النبات الخارج من الحبة.

وقوله: (نخرج منه) صفة لـ (خضرا)، أي: نخرج من هذا الخضر (حبا متراكبا) أي: متراكما بعضه على بعض، مثل سنابل البر والشعير والأرز.

قال الرازي: ويحصل فوق السنبلة أجسام دقيقة حادة كأنها الإبر، والمقصود من تخليقها أن تمنع الطيور من التقاط تلك

الحبات المتراكبة.

ونحن نلاحظ هذا، فمن نظر إلى السنابل يجد فيها أشياء مثل الإبر حتى لا تأتي الطيور فتلتقط تلك الحبوب من السنبلة.

وهذا -أيضا- علم عجيب جدا من العلوم، فمن كان يقرأ في هذه الأشياء والوسائل الدفاعية التي يزود الله سبحانه وتعالى بها الكائنات من أجل الحفاظ على بقائها وعلى حياتها؟! ومما سمعته من إخواننا الذين يشتغلون بزراعة التين أنهم يقولون: إن التينة ما لم تصل إلى استوائها ونضجها يوجد في أسفلها مادة لبنية تظهر إذا عصرت أسفلها، وهذه المادة اللبنية هي التي تحدث الشقوق والجروح في الشفتين وفي اللسان، فالذي يأكل تينا كثيرا يحس أنه يوجد جرح في الشفتين وفي اللسان، فإذا استوت التينة لا توجد فيها هذه المادة، يقولون: كأن هذه عقوبة لمن يقطف الثمرة قبل أوانها.

فعليك أن تعرف ذلك، وأن تتجنب أكل الشيء قبل أن يستوي وينضج، ومن تعجل الثمرة قبل أوانها وقبل نضجها واستوائها فإنه يفيد حلقه ولسانه هذا الإفراز اللبني الموجود في أسفل التينة.

وهذا سمعته من الذين عندهم خبرة في زراعة التين، فهذا من الوسائل الدفاعية، حتى النبات يزوده الله سبحانه وتعالى بما يدفع عنه.

وبعض الحيوانات البحرية يفرز حبرا أسود إذا ما تعرض لخطر وهذه المادة تعكر الرؤية على العدو القادم الذي يريد أن يلتهمه أو يؤذيه، وهكذا العالم كله عجيب جدا، وكل هذا الذي نقوله من آيات الله عز وجل.

فبين تعالى ما يخرج عن النوى من الشجر فقال: ((وهو الذي أنزل من السماء ماء فأخرجنا به نبات كل شيء فأخرجنا منه خضرا نخرج منه حبا متراكبا)) يعني: متراكما بعضه فوق بعض ثم بين تعالى ما ينشأ عن النوى من الشجر إثر بيان ما ينشأ عن الحب من النبات فقال سبحانه: ((ومن النخل من طلعها قنوان دانية)) أي: الطلع أول ما يبدو من ثمر النخيل، فإن أول ما يظهر من ثمر النخيل هو الطلع، يكون كالكيزان الذي فيه العذق، فإذا شق عنه كيزانه سمي عذقا، وهو القنو، وهو -أيضا- العرجون بما فيه الشماريخ، وجمعه قنوان، والجمع والمثنى سواء، فالمثنى قنوان والجمع -أيضا- قنوان، ولا يفرق بينهما إلا الإعراب.

و (دانية) بمعنى: ملتفة يقرب بعضها من بعض، أو قريبة من المتناول، ولذا اقتصر على ذكرها لدلالتها على مقابلها، أي: البعيدة، كقوله تعالى: ﴿سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١] ولزيادة النعمة فيها؛ لأنه قال عز وجل هنا: ((ومن النخل من طلعها قنوان دانية))، (دانية) أي: إما أنها قريبة من بعضها، وإما قريبة لمن يتناولها، ولذا يجدها دانية.

فهي تشمل الدانية والبعيدة، لكن لإظهار كمال النعمة اقتصر على ذكر الدانية، وإن كان السياق من حيث التفسير والمعنى يشمل -أيضا- نعمة الله فيه البعيدة، لكن اقتصر على إحداهما **لدلالة السياق** عليه، كما اقتصر في قوله: (سرابيل تقيكم الحر) يعني: والبرد.

قوله: ((وجنات من أعناب)) عطف على: (نبات كل شيء) أي: وأخرجنا به جنات.

أو عطف على (خضرا).

(مشتبها وغير متشابه) حال من الزيتون، واكتفى به عن حال ما بعده، أو حال من الرمان لقربه، والمحذوف حال الأول.

قال الزمخشري: اشتبه الشيئان وتشابها، كقولك: استويا وتساويا.
والافتعال والتفاعل يشتركان كثيرا، ولذلك قال هنا: (مشتبها) من فعل (اشتبه) (وغير متشابه) من الفعل (تشابه).
وقرئ: (متشابها وغير متشابه)، والمعنى: بعضه متشابها وبعضه غير متشابه في الهيئة والمقدار واللون والطعم، وغير ذلك من الأوصاف الدالة على كمال قدرة صانعها وحكمة منشئها ومبدعها.
وقوله: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر) أي: ثمر كل واحد من ذلك إذا أخرج ثمره، انظروا كيف يكون ضئيلا ضعيفا لا يكاد ينتفع به (وينعه) يعني: انظروا إليه في بداية خروج الثمر، وكيف يكون هذا الثمر ضئيلا وضعيفا، ثم انظروا إلى (ينعه) أي: إلى حال ينعه ونضجه، وكيف يعود شيئا جامعا لمنافع وملاذ، أي: انظروا إلى ذلك نظر اعتبار واستفسار واستدلال، وليس المقصود أي نظر، ولا مجرد حاسة النظر المادي، وإنما المقصود التدبر والتفكر والاستبصار، ولا شك في أن الإنسان يعتبر بذلك.
ولو سألك أحد عن دليل توحيد الله سبحانه وتعالى وعظم قدرته وعمله عز وجل فافتح له ثمرة الرمان، وقل: هذه دليل الوحدانية وتأمل في العجائب في مثل هذه الثمرة، وهذا مجرد أنموذج، والقرآن يدلنا على ما هو أكثر من ذلك، فتأمل في خلق ثمرة الرمان، وبدائع صنع الله سبحانه وتعالى فيها، سواء في منظرها، أو في مذاقها، أو في طريقة تركيبها، وحاول أن تعمل عقلك: كيف يخرج هذا من بين ماء وطين؟! و ﴿يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾ [الرعد:٤] فانظر إلى هذه الثمار وتفكر فيها، والإنسان يعتقد أن ثمرة الرمان خاصة من أعظم ما يتجلى فيه عجيب صنع الله سبحانه وتعالى، فافتح مرة ثمرة الرمان لا لتأكلها ولكن لتتأمل فيها، ودقق في تراكب حباتها وعظم صنع الله سبحانه وتعالى فيها! يقول عز وجل: (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) يعني: تأملوا حالة الثمر، سواء في بداية خروج الثمرة، وهي حالة الضعف؛ إذ لا يمكن أن ينتفع بهذه الثمرة، أو إلى حالة ينعها، وهي حالة النضج، وكيف ينتقل إلى هذه المرحلة من النضج والاستواء والانتفاع والملاذ.
والمقصود: انظروا نظر اعتبار واستدلال على توحيد الله وقدرته، وعلى وقع الرحمة والحكمة من حال إلى حال، فإن في ذلك آيات عظيمة دالة على ذلك، كما قال عز وجل: ﴿إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون﴾، فلا ينظر نظر اعتبار واستدلال على قدرة الله إلا هؤلاء العقلاء الذين يؤمنون، يعني: يصدقون بأن الذي أخرج هذا النبات وهذه الثمار هو المستحق للعبادة دون ما سواه، وأنه هو القادر على أن يحيي الموتى ويبعثهم.
وقوله: (إن في ذلكم لآيات لقوم يؤمنون) يعني: يؤمنون بأن بالذي يخرج هذا الثمار هو الله وحده الذي يستحق العبادة، أو (يؤمنون) أي: يستدلون بها على البعث والن." (١)

"أعلى من مراتبهم ألحق الأبناء بالآباء، ولم ينقص الآباء من عملهم شيئا.
وكذلك إن كان عمل الآباء أنقص، ألحق الآباء بالأبناء.
* * *

---

(١) تفسير القرآن الكريم - المقدم، محمد إسماعيل المقدم ٧/٥٥

وقوله عز وجل: (وما ألتناهم من عملهم من شيء).

معناه ما أنقصناهم، يقال ألته يألته ألتا إذا نقصة.

قال الشاعر

أبلغ بني ثعل عني مغلغلة. . . جهد الرسالة لا ألتا ولا كذبا

ويقال لأته يليته ليتا إذا نقصه وصرفه عن الشيء.

قال الشاعر:

وليلة ذات ندى سريت. . . ولم يلتني عن هواها ليت (١)

* * *

وقوله عز وجل: (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون (٣٧) المصيطرون: الأرباب المتسلطون.

يقال: قد سيطر علينا وتسيطر وتسيطر. بالسين والصاد.

والأصل السين، وكل سين بعدها طاء يجوز أن تقلب صادا، تقول: سيطر وصيطر، وسطا وصطا.

وتفسير (أم عندهم خزائن ربك)

أي عندهم ما في خزائن ربك من العلم.

وقيل - في " خزائن ربك " أي رزق ربك.

* * *

وقوله عز وجل: (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين (٣٨)

وقال أهل اللغة: - معنى يستمعون فيه، يستمعون عليه ومثله:

(لأصلبنكم في جذوع النخل)

أي على جذوع النخل.

(فليأت مستمعهم بسلطان مبين).

---

(١) قال السمين:

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾: فيه ثلاثة أوجه، أحدها: أنه مبتدأ، والخبر الجملة من قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ والذرية هنا تصدق على الآباء وعلى الأبناء أي: إن المؤمن إذا كان عمله أكبر ألحق به من دونه في العمل، ابنا كان أو أبا، وهو منقول عن ابن عباس وغيره. والثاني: أنه منصوب بفعل مقدر. قال أبو البقاء: «على تقدير وأكرمنا الذين آمنوا». قلت: فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال وأن قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى، وأن يريد أنه مضمر **لدلالة**

السياق عليه، فلا تكون المسألة من الاشتغال في شيء.

والثالث: أنه مجرور عطفا على «حور عين». قال الزمخشري: «والذين آمنوا معطوف على» حور عين «أي: قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي: بالرفقاء والجلساء منهم، كقوله: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمؤانسة الإخوان». ثم قال الزمخشري: «ثم قال تعالى: ﴿بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أي: بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجتهم ذريتهم، وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم».

قال الشيخ: «ولا يتخيل أحد أن» والذين آمنوا «معطوف على» بحور عين «غير هذا الرجل، وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره». قلت: أما ما ذكره أبو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته، وليس في كلام العربي القح ما يدفعه، بل لو عرض على ابن عباس وغيره لأعجبهم. وأي مانع معنوي أو صناعي يمنعه؟.

وقوله: ﴿واتبعتهم﴾ يجوز أن يكون عطفا على الصلة، ويكون «والذين» مبتدأ، ويتعلق «بإيمان» بالاتباع بمعنى: أن الله تعالى يلحق الأولاد الصغار، وإن لم يبلغوا الإيمان، بأحكام الآباء المؤمنين. وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك. ويجوز أن يكون معترضا بين المبتدأ والخبر، قاله الزمخشري. ويجوز أن يتعلق «بإيمان» بألحقنا كما تقدم. فإن قيل: قوله: «اتبعتهم ذريتهم» يفيد فائدة قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾. فالجواب أن قوله: «ألحقنا بهم» أي: في الدرجات والاتباع إنما هو في حكم الإيمان، وإن لم يبلغوه كما تقدم. وقرأ أبو عمرو و «وأتبعناهم» بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه. والباقون «واتبعتهم» بإسناد الفعل إلى الذرية وإلحاق تاء التأنيث. وقد تقدم الخلاف في إفراد «ذريتهم» وجمعه في سورة الأعراف محررا بحمد الله تعالى.

قوله: ﴿ألتناهم﴾ قرأ ابن كثير «ألتناهم» بكسر اللام، والباقون بفتحها. فأما الأولى فمن ألت يألت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم.

وأما الثانية فتحتمل أن تكون من ألت يألت كضرب يضرب، وأن تكون من ألات يليت كأمات يميت، فألتناهم كأمتناهم. وقرأ ابن هرمز «آلتناهم» بألف بعد الهمزة، على وزن أفعلناهم. يقال: آلت يؤلت كآمن يؤمن. وعبد الله وأبي والأعمش وطلحة، وتروى عن ابن كثير «لتناهم» بكسر اللام كبعناهم يقال: لاته يليته، كباعه يبيعه. /

وقرأ طلحة والأعمش أيضا «لتناهم» بفتح اللام. قال سهل: «لا يجوز فتح اللام من غير ألف بحال» ولذلك أنكر «آلتناهم» بالمد: وقال: «لا يدل عليها لغة ولا تفسير». وليس كما زعم؛ بل نقل أهل اللغة: آلت يؤلت. وقرىء «ولتناهم» بالواو ك «وعدناهم» نقلها هارون. قال ابن خالويه: «فيكون هذا الحرف من لات يليت، وولت يلت، وألت يألت، وألت، وألات يليت. وكلها بمعنى نقص. ويقال: ألت بمعنى غلظ. وقام رجل إلى عمر يعظه فقال له رجل: لا تألت أمير المؤمنين أي: لا تغلظ عليه». قلت: ويجوز أن يكون هذا الأثر على حاله، والمعنى: لا تنقص أمير المؤمنين حقه، لأنه إذا أغلظ له القول نقصه حقه.

قوله: ﴿من عملهم من شيء﴾ «من شيء» مفعول ثان ل «ألتناهم» و «من» مزيدة فيه. والأولى في محل نصب على الحال من «شيء» لأنها في الأصل صفة له، فلما قدمت نصبت حالا. وجوز أبو البقاء أن يتعلق ب «ألتناهم» وليس

بظاهر. وفي الضمير في «ألتناهم» وجهان، أظهرهما: أنه عائد على المؤمنين. والثاني: أنه عائد على أبنائهم. قيل: ويقويه قوله: ﴿كل امرىء بما كسب رهين﴾.

اهـ (الدر المصون).." (١)

"سورة (ن)

(مكية)

بسم الله الرحمن الرحيم

قوله عز وجل: (ن والقلم وما يسطرون (١)

قرئت بإدغام النون في الواو، وقرئت بتبيين النون عند الواو.

وقرئت نون والقلم - بفتح النون.

والذي اختار إدغام النون في الواو كانت الواو ساكنة أو متحركة.

لأن الذي جاء في التفسير يباعدها من الإسكان والتبيين، لأن من

أسكنها وبينها فإنما يجعلها حرف هجاء والذي يدغمها فجائز أن يدغمها وهي مفتوحة (١).

وجاء في التفسير أن " نون " الحوت التي دحيت عليها سبع الأرضين

وجاء في التفسير أيضا أن النون الدواة، ولم يجئ في التفسير كما فسرت

حروف الهجاء -، والإسكان لا يجوز أن يكون فيه إلا حرف هجاء.

وجاء في التفسير أن أول ما خلق الله القلم، فقال له: اكتب، فقال:

أي رب، وما أكتب؟ قال: القدر، فجرى القلم بما هو كائن إلى يوم القيامة، وجرى فيما جرى به القلم (تبت يدا أبي لهب).

* * *

وقوله: (وما يسطرون).

معناه: وما تكتب الملائكة.

* * *

وقوله: (ما أنت بنعمة ربك بمجنون (٢)

---

(١) قال السمين:

قوله: ﴿ن﴾: كقوله: ﴿ص والقرآن﴾ [ص: ١] وجواب القسم الجملة المنفية بعدها. وزعم قوم أنه اسم لحوت وأنه واحد

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٥/٦٦

النينان. وقوم أنه اسم الدواة، وقوم أنه اسم لوح مكتوب فيه. قال الزمخشري: «وأما قولهم هو الدواة فما أدري: أهو وضع لغوي أم شرعي، ولا يخلو إذا كان اسما للدواة من أن يكون جنسا أو علما، فإن كان جنسا فأين الإعراب والتنوين؟ وإن كان علما فأين الإعراب؟ وأيهما كان فلا بد له من موقع في تأليف الكلام؛ لأنك إذا جعلته مقسما به وجب إن كان جنسا أن تجره وتنونه، ويكون القسم بدواة منكرة مجهولة، كأنه قيل: ودواة والقلم، وإن كان علما أن تصرفه وتجره، أو لا تصرفه وتفتحه للعلمية والتأنيث، وكذلك التفسير بالحوت: إما أن يراد به نون من النينان، أو يجعل علما للبهموت الذي يزعمون، والتفسير باللوح من نور أو ذهب والنهر في الجنة نحو ذلك». وهذا الذي أورده أبو القاسم من محاسن علم الإعراب، وقل من يتقنه.

وقرأ العامة: «ن» ساكن النون كنظائره. وأدغم ابن عامر والكسائي وأبو بكر عن عاصم بلا خلاف، وورش بخلاف عنه النون في الواو، وأظهرها الباقون، ونقل عمن أدغم الغنة وعدمها. وقرأ ابن عباس والحسن وأبو السمال وابن أبي إسحاق بكسر النون وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه بفتحها، فالأولى على التقاء الساكنين. ولا يجوز أن يكون مجرورا على القسم، حذف حرف الجر وبقي علمه كقولهم: «الله لأفعلن» لوجهين، أحدهما: أنه مختص بالجلالة المعظمة، نادر فيما عداها. والثاني: أنه كان ينبغي أن ينون. ولا يحسن أن يقال: هو ممنوع الصرف اعتبارا بتأنيث السورة، لأنه كان ينبغي أن لا يظهر فيه الجر بالكسرة ألبتة.

وأما الفتح فيحتمل ثلاثة أوجه، أحدها: أن يكون بناء، وأوثر على الأصل للخفة كأين وكيف. الثاني: أن يكون مجرورا بحرف القسم المقدر/ على لغة ضعيفة. وقد تقدم ذلك في قراءة «فالحق والحق» [ص: ٨٤]. بجر «الحق»، ومنعت الصرف، اعتبار بالسورة، والثالث: أن يكون منصوبا بفعل محذوف، أي: اقرؤوا نون، ثم ابتدأ قسما بقوله «والقلم»، أو يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم كقوله:

٤٢٩٠. . . . . فذاك أمانة الله الثريد

ومنع الصرف لما تقدم، وهذا أحسن لعطف «والقلم» على محله.

قوله: ﴿وما يسطرون﴾ «ما» موصولة اسمية أو حرفية، أي: والذي يسطرونه من الكتب، وهم: الكتاب أو الحفظة من الملائكة وسطرهم. والضمير عائد على من يسطر **لدلالة السياق** عليه. ولذكر الآلة المكتتب بها. وقال الزمخشري: «ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في» يسطرون «لهم» يعني فيصير كقوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه﴾ [النور: ٤٠] تقديره: أو كذي ظلمات، فالضمير في «يغشاه» يعود على «ذي» المحذوف.

اهـ (الدر المصون).." (١)

"وقوله تعالى: ﴿بالحق﴾ أي بالوحي، كأنه أوحى إليه وأمره بالخروج لأن جبريل نزل وأخبره بعير قريش وأمره بالمسير إليها، هذا معنى قول الكلبي (١)، قال عطاء عن ابن عباس: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ يريد الهجرة من مكة إلى المدينة (٢)، ﴿وإن فريقا من المؤمنين لكارهون﴾ يريد لتركهم مكة وديارهم وأموالهم.

---

(١) معاني القرآن وإعرابه للزجاج الزجاج ٥/٢٠٣

(١) روى الثعلبي في "تفسيره" ٦/ ٣٩ ب عن الكلبي قال في قوله تعالى: ﴿كما أخرجك ربك من بيتك بالحق﴾ قال: امض على الذي أخرجك ربك من بيتك، وروى الثعلبي أيضا في "تفسيره" ٦/ ٤٠/ ب قصة خروج النبي – صلى الله عليه وسلم – لعير قريش عن ابن عباس وابن زيد وابن يسار والسدي وفيه: فنزل جبريل عليه السلام وقال: إن الله وعدكم إحدى الطائفتين إما العير وإما قريشا، وروى نحو ذلك ابن جرير في "تفسيره" ٩/ ١٨٧ عن ابن عباس وابن جريج.

(٢) ذكر هذا القول دون نسبة إلى ابن عباس: البغوي في "تفسيره" ٣/ ٣٢٨، وابن الجوزي في تفسيره "زاد المسير" ٣/ ٣٢٢ وهو ضعيف لما يأتي:

١ – مخالفته لسياق الآيات فما قبل هذه الآية وما بعدها حديث عن غزوة بدر.

٢ – مخالفته لأسباب نزول هذه الآية، انظرها في "تفسير ابن كثير" ٢/ ٣١٩ مع التنبه إلى أن كل سبب بمفرده لا يخلو من مقال فبعضها من كلام مجاهد وبعضها من كلام السدي، وما رفع منها ففي سنده عبد الله بن لهيعة، وقد اختلط بعد احتراق كتبه، كما أنه مدلس وقد عنعن.

انظر: "إتحاف ذوي الرسوخ بمن رمي بالتدليس من الشيوخ" ص ٣٣، ولكن مجموع الروايات وأقوال المفسرين مع دلالة السياق يشهد أن الآية نزلت في الخروج إلى بدر.

٣ – أن الواحدي لم يذكر سند هذه الرواية حتى يحكم عليه صحة وضعفا ولم أجد من أسندها.

٤ – أن هذا القول مخالف للقول الثابت عن ابن عباس وهو ما رواه البخاري في (٤٦٤٥) كتاب التفسير، تفسير سورة الأنفال عن سعيد بن جبير؛ قال: قلت لابن عباس –رضي الله عنه– سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر اهـ. فلم يخصص منها شيئا.." (١)

"وأما إذا لم ينو الالتجاء إلى فئة من المسلمين، وانهزم هزيمة على الحقيقة؛ فإن كان المشركون أكثر من ضعف المسلمين لم يعص ولم يأثم، وإن كانوا ضعفهم أو أقل استحق الوعيد وعصى وأثم.

فإن قيل: إن قوله: ﴿ومأواه جهنم﴾ يدل على أن المنهزم إذا عصى بالهزيمة بقي في النار خالدا (١)، قلنا: قد ذكرنا أن الآية مخصوصة بأهل بدر على قول الأكثرين، قال يزيد بن أبي حبيب (٢): أوجب الله لمن فر يوم بدر النار، فلما كان يوم أحد بعد ذلك قال: ﴿إنما استزلهم الشيطان ببعض ما كسبوا ولقد عفا الله عنهم﴾ [آل عمران: ١٥٥]، ثم كان يوم حنين بعد ذلك فقال: ﴿ثم وليتم مدبرين﴾ [التوبة: ٢٥]، ﴿ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ [التوبة: ٢٧] (٣).

(١) في (م): (مخلدا).

(٢) هو: يزيد بن أبي حبيب أبو رجاء المصري، الإمام الحجة، مفتي الديار المصرية، كان من جلة العلماء العاملين، ارتفع بالتقوى والعلم مع كونه مولى حبشيا، مات سنة ١٣٢٨ هـ.

(١) التفسير البسيط الواحدي ٣٢/١٠

انظر: "التاريخ الكبير" ٢/ ٤/ ٣٣٦، و"الكاشف" ٢/ ٣٨ (٦٢٨٩)، و"سير أعلام النبلاء" ٦/ ٣١، و"تهذيب التهذيب" ٤/ ٤٠٨.

(٣) رواه البغوي ٣/ ٣٣٧، ورواه أيضا مع زيادة ابن جرير ٩/ ٢٠٢، وما جاء في حادثتي أحد وحنين يؤكد تحريم الفرار من الزحف حيث وصف بأنه استزلال من الشيطان وأن الله قد عفا عن الفارين، أما سياق يزيد بن أبي حبيب للآيتين في قصة حنين فقد يفهم منه أن التوبة على الصحابة الفارين وليس الأمر كذلك بل على من أسلم من كفار هوازن **بدلالة السياق** حيث قال الله تعالى: ﴿وعذب الذين كفروا وذلك جزاء الكافرين (٢٦) ثم يتوب الله من بعد ذلك على من يشاء﴾ وعلى فرض أنه على الصحابة الفارين فإنها تأكيد على تحريم الفرار وأنه من كبائر الذنوب التي تحتاج إلى توبة.." [1]

"قال قتادة: معنى ذلك أنه قريب من قلبه، لا يخفى عليه شيء أظهره أو أسره (١)، قال أبو بكر: فيكون المعنى على هذا: أنه تعالى أقرب إلى المرء من قلبه، ولا تخفى عليه خافية، يدل على ذلك قوله: ﴿ونحن أقرب إليه من حبل الوريد﴾ (٢).

وقال الزجاج: معناه: واعلموا أن الله مع المرء في القرب بهذه المنزلة (٣). وفي هذا تحذير شديد للعباد.

وحكى الزجاج قولا آخر وهو أن المعنى: أنه يحول بين الإنسان وما يسوف به نفسه بالموت (٤).

ويكون المعنى على هذا أن الله (٥) يحول بين المرء وما تمنى بقلبه من البقاء وطول العمر فيسوف بالتوبة، ويقدم المعصية، أي: فاعملوا ولا تعتمدوا على ما يقع في قلوبكم من تأميل البقاء، وطول الأجل، فإن ذلك لا يوثق به.

وحكي عن مجاهد أنه قال: يحول بين المرء وعقله (٦).

---

(١) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٧، والثعلبي ٦/ ٥١ ب.

(٢) ق: ١٦. وهذا القول بناء على أحد القولين في المراد بالآية وأنه قرب الله تعالى، وفي الآية قول آخر وهو أن المراد بالقرب قرب الملكين الموكلين بالإنسان، انظر: "تفسير ابن كثير" ٢/ ٣٣٠، و"شرح حديث النزول" لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٣٥٥، وهو القول الراجح **بدلالة السياق**.

(٣) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٠٩.

(٤) المصدر السابق.

(٥) في (ح): (المرء)، وهو خطأ.

(٦) رواه ابن جرير ٩/ ٢١٦ ، ورواه بمعناه ابن أبي حاتم ٥/ ١٦١٨، والثعلبي ٦/ ٥١." [2]

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٦٦

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٩٢

"وقال المفسرون: قال أبو بكر لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – لما خاف (١) الطلب: يا رسول الله: إن قتلت فأنا رجل واحد، وإن قتلت هلكت الأمة، وكان حزنه شفقة (٢) على رسول الله –صلى الله عليه وسلم–، وخوفا أن يطلع عليه (٣)، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم–: "لا تحزن إن الله معنا" (٤)، قال الزجاج: لما أصبح المشركون اجتازوا بالغار فبكى أبو بكر، فقال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– "ما يبكيك؟ " فقال: أخاف أن تقتل فلا يعبد الله بعد اليوم، فقال له رسول الله –صلى الله عليه وسلم: "لا تحزن إن الله معنا" أي إن الله –عز وجل– يمنعهم منا وينصرنا، قال: أهكذا يا رسول الله؟ قال: "نعم" فرقأ دمع أبي بكر وسكن (٥)، وقال أبو بكر: قلت للنبي – صلى الله عليه وسلم – ونحن في الغار: لو [أن واحدا] (٦) نظر إلى قدميه لأبصرنا، فقال: "يا أبا بكر ما ظنك باثنين الله ثالثهما" (٧) فهذا معنى قوله تعالى: ﴿إن الله معنا﴾.

---

(١) في (ي): (ضاق).

(٢) في (ج): (شفقته)، والصواب ما أثبته **بدلالة السياق**.

(٣) في هذا أبلغ الرد على الرافضة الذين ينتقصون أبا بكر بحزنه المذكور، وانظر تفصيل ذلك في: "أحكام القرآن" لابن العربي ٢/ ٩٥٣.

(٤) انظر: "تفسير الثعلبي" ٦/ ١٠٩ أ، والبغوي ٤/ ٤٩.

(٥) "معاني القرآن وإعرابه" ٢/ ٤٤٨، وقد روى الأثر بمعناه مختصرا ابن أبي حاتم في "تفسيره" ٦/ ١٧٩٨ – ١٧٩٩ ولفظه: فقلت: هذا الطلب قد لحقنا يا رسول الله وبكيت، فقال: "ما يبكيك؟ " فقلت: أما والله ما على نفسي أبكي، ولكن أبكي عليك. لكن هذا في مسيرهما إلى المدينة وليس في الغار.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ي).

(٧) رواه بنحوه البخاري (٤٣٨١) كتاب التفسير، باب قوله ﴿ثاني اثنين إذ هما في الغار﴾، ومسلم (٢٣٨١) كتاب: فضائل الصحابة، باب: من فضائل أبي بكر الصديق.." [1]

"وقال الأخفش: يقال: أوضعت (١) وجئت موضعا ولا توقعه على شيء، قال: وقد يقول بعض قيس (٢): أوضعت بعيري، فلا يكون لحنا (٣)، وقال أبو عبيد: فيما روي عنه – صلى الله عليه وسلم – أنه أفاض من عرفة وعليه السكينة، وأوضع في وادي محسر (٤)، الإيضاع: سير مثل الخبب (٥)، فحصل من هذه الأقوال أن الإيضاع في قول أكثر أهل اللغة معناه حمل البعير على العدو، حتى لا يجوز أن يقال: أوضع الرجل: إذا سار بنفسه سيرا حثيثا، [وعند الأخفش وأبي عبيد يجوز أن يقال: أوضع بمعنى سار سيرا حثيثا] (٦) من غير أن يراد أوضع ناقته أو بعيره، وأكثر ما جاء في الشعر (أوضع) إنما جاء من غير إيقاع على شيء، قال لبيد (٧):

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١٠/٤٤٠

(١) في (ج): (وضعت)، وأثبت ما في (م) و (ي) لموافقته لـ"تهذيب اللغة".

(٢) هو جد قديم، وهو قيس بن مضر بن نزار بن معد بن عدنان، وبنوه قبائل كثيرة منه "هوازن" و"سليم" و"غطفان" و"باهلة". انظر: "جمهرة أنساب العرب" ص ٢٣٢، و"الأعلام" ٥/ ٢٠٧.

(٣) انظر: قول الأخفش في "تهذيب اللغة" (وضع) ١/ ٣٩٠٥.

(٤) رواه النسائي في "سننه"، كتاب: مناسك الحج، باب: الأمر بالسكينة في الإفاضة ٥/ ٢٥٨، والدارمي في "سننه"، كتاب: المناسك، باب: الوضع في وادي محسر رقم (١٨٩١) ٢/ ٨٤، وأحمد في "المسند" ٣/ ٣٣٢، ٣٦٧، ٣٩١، وبنحوه الترمذي (٨٨٦) كتاب: الحج، باب: ما جاء في الإفاضة من عرفات.

(٥) "غريب الحديث" لأبي عبيد ١/ ٤٦٠.

(٦) ما بين المعقوفين ساقط من (ج).

(٧) لم أجد من ذكر البيت للبيد سوى الرازي ١٦/ ٨١ وهو ناقل النص من الواحدي **بدلالة السياق**، والمشهور أنه لامرئ القيس وهو في "ديوانه" ص ٤٣ ونسب إليه أيضا في "الصحاح" (سحر) ٢/ ٦٧٩ مع الشك في ذلك، وعبارته: وينشد لامريء القيس، وذكر البيت، كما نسب إليه أيضا في "البحر المحيط" ٥/ ٤٩، و"الدر المصون" ٢/ ٣١، و"لسان العرب" (سحر) ٤/ ١٩٥٢ وبعده في الديوان: =." [1]

"أعقبهم الله (١) رد الضمير في ﴿يلقونه﴾ إلى اسم الله عز وجل، ومن قال: أعقبهم بخلهم، رد الضمير إليه، بمعنى: يلقون جزاء بخلهم (٢).

وقوله تعالى: ﴿بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون﴾ هذا بيان عما يوجبه الكذب مع إخلاف الوعد من النفاق، فمن أخلف في المواثيق مع الله فقد تعرض للنفاق، وكان جزاؤه من الله إفساد قلبه بما يكسبه (٣) النفاق، فأما ما روي عن النبي -صلى الله عليه وسلم-: "ثلاث من كن فيه فهو منافق وإن صلى وصام وزعم أنه مؤمن، إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف، وإذا ائتمن خان" (٤)، فقد أجرى هذا الخبر على ظاهره الحسن (٥) وعبد الله بن عمرو (٦) ومحمد بن كعب (٧)، وقال عطاء بن أبي (٨) رباح: (حدثني جابر بن

---

(١) في (ى): (بخلهم)، وهو خطأ واضح **بدلالة السياق**.

(٢) قال ابن الجوزي في "زاد المسير" ٣/ ٤٧٥: في الضمير في (أعقبهم) قولان: أحدهما: أنها ترجع إلى الله، فالمعنى: جازاهم الله بالنفاق، وهذا قول ابن عباس ومجاهد. والثاني: أنها ترجع إلى البخل، فالمعنى: أعقبهم بخلهم بما نذروا إنفاقا. قاله الحسن.

(٣) في (ى): (كسبه)، وفي (م): (يكسب).

(٤) رواه مسلم (١٠٩)، كتاب: الإيمان، باب: بيان خصال المنافق، وأحمد في "المسند" ٢/ ٣٩٧، ورواه مختصرا البخاري (٣٣)، كتاب: الإيمان، باب: علامة المنافق، والترمذي (٢٦٣١)، كتاب: الإيمان، باب: ما جاء في علامة المنافق.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٦٧/١٠

(٥) انظر: "تفسير ابن جرير" ١٠/ ١٩٢ - ١٩٣، والثعلبي ٦/ ١٣٢ وفي سنده محمد المحرم، منكر الحديث كما قال البخاري في "التاريخ الكبير" ١/ ٢٤٨، ثم إن في آخر الحديث ما يفيد رجوع الحسن عن رأيه.

(٦) انظر: "تفسير ابن جرير" ١٠/ ١٩١ - ١٩٢ وليس في خبره ما يشعر أن عبد الله بن عمرو أجراه على ظاهره، بل ذكر آية المنافق، واستشهد على قوله بالآية المذكورة.

(٧) انظر: المصدر السابق، الصفحة التالية.

(٨) ساقط من (ح).." [(١)]

"حتى إذا ما أضاء النجم في غلس ... وغودر البقل ملوي ومحصود (١)

معناه: منه ملوي ومنه محصود.

وعلى الجواب الأول يرتفع الجزاء باللام المضمرة؛ لأن التقدير: لهم جزاء سيئة بمثلها، والباء صلة الجزاء و (الذين) يرتفعون برجوع الهاء عليهم، وصلح إضمار (لهم) كما تضمره العرب في قولهم: رأيت لعبد الله ذكاء وفطنة وعلم واسع، يريدون وله علم واسع، أنشد الفراء (٢):

هزئت هنيدة أن رأت لي رثة ... وفما (٣) به قصم وجلد أسود (٤)

أراد ولي جلد أسود (٥). انتهى كلامه.

وهذا مذهب الكوفيين في هذه الآية (٦).

---

(١) البيت لذي الرمة في "ديوانه" ٢/ ١٣٦٦، والرواية فيه:

حتى إذا ما استقل النجم في غلس ... وأحصد البقل ملوي ومحصود

(٢) انظر: "معاني القرآن" ٢/ ٢٣٤، ورواية صدره فيه:

هزئت حميدة إن رأت بي رتة

(٣) في (م): (وفم)، وهو خطأ **بدلالة السياق**، إذ إن قوله (وجلد) مرفوع على الرغم من عطفه على قوله: (لي رثة وفما). وهم منصوبان، وقد وجه ابن الأنباري ذلك.

(٤) البيت لسليك بن سلكة السعدي كما في "الأشباه والنظائر" ٢/ ٢٧١، "تذكرة النحاة" ٦٨٠، "شرح أبيات معاني القرآن" ص ١١١، طى اختلاف في الروايات، وذكره بلا نسبة بمثل رواية المصنف، الفارسي في "الحجة للقراء السبعة" ٣/ ٢٠٧.

والرثة: الخلق الخسيس البالي من كل شيء، والرتة: عيب في النطق، والقصم: كسر في الثنية من الأسنان. انظر: "اللسان" (رث ورت وقصم).

(٥) انظر قول ابن الأنباري مختصرا في: "زاد المسير" ٤/ ٢٦، "مفاتيح الغيب" ١٧/ ٨٤.

---

(١) التفسير البسيط   الواحدي ١٠/٥٦٥

(٦) انظر: "معاني القرآن" للفراء ١/ ٤٦١، وانظر الخلاف بين البصريين والكوفيين في مثل هذه المسألة في: "الإنصاف" ص٥٣.." [1]

"واجبة بهذه الحال.

وإذا كان كان آخر الكلام منقطعا من الأول لم يؤد (١) إلى هذا النوع من الفساد، فكأنه قال: لا يعزب عنه شيء في السماء ولا في الأرض لا صغيرا ولا كبيرا، وانقطع الكلام هاهنا ثم استأنف خبرا آخر بقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ [أي: وهو أيضا في كتاب مبين] (٢)، والعرب تضع (إلا) موضع واو النسق كثيرا على معنى الابتداء، كقوله تعالى: ﴿إني لا يخاف لدي المرسلون (١٠) إلا من ظلم﴾ [النمل: ١٠، ١١] يعني ومن ظلم، وقوله: ﴿لئلا يكون للناس عليكم حجة إلا الذين ظلموا﴾ (٣) [البقرة: ١٥٠] يعني: والذين ظلموا (٤). وهذا مذهب أبي عبيدة في تلك الآية (٥)، وقد ذكرنا في سورة البقرة ما احتج به من الأبيات (٦)، فقد ثبت أن (إلا) بمعنى واو النسق تستعمل، فقوله: ﴿إلا في كتاب مبين﴾ معنى (إلا) هاهنا: واو النسق، وأضمر بعده (هو)، والعرب تضمر

---

(١) في (خ) و (ز): (يرد).

(٢) ما بين المعقوفين ساقط من (ى).

(٣) وقد كتب نساخ (ح) و (ز) و (ى) و (ص) الآية هكذا: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ ﴿إلا الذين ظلموا﴾ وأسقط ناسخ (م) لفظ (للناس) ولا توجد آية بأحد هذين اللفظين، وفي قول الله تعالى: ﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزا حكيما﴾ [النساء: ١٦٥]، **ودلالة السياق** تدل على أن المؤلف أراد آية سورة البقرة وعندها ذكر أبو عبيدة مذهبه.

(٤) انظر قول أبي علي الجرجاني في "تفسير الرازي" ١٧/ ١٢٤، "الدر المصون" ٦/ ٢٣١ مختصرا، وقال الرازي: هذا الوجه في غاية التعسف. اهـ. وقال السمين الحلبي: هذا الذي قاله الجرجاني ضعيف جدا، ولم يثبت ذلك بدليل صحيح.

(٥) انظر: "مجاز القرآن" ١/ ٦٠، وانظر أيضا: "معاني القرآن" للأخفش ١/ ١٦٢ فهو يجيز أن تكون (إلا) بمنزلة الواو.

(٦) انظر النسخة الأزهرية ١/ ٩٧ أ.." [2]

"أموال الناس بما آتيتم، أي: تستدعونها وتجلبونها، وكأنه من: أربى إذا صار ذا زيادة، مثل: أقطف وأجدب (١).

وقوله: ﴿فلا يربو عند الله﴾ أي: لأنكم إنما قصدتم إلى زيادة العوض، ولم تقصدوا وجه البر والقربة، ولو قصدتم به وجه الله لكان كقوله: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله﴾ وفي (ما) هذه الوجهان ذكرناهما في (ما) في أول الآية؛ فإن جعلتها: الموصولة فهي في موضع رفع، و (ءاتيتم) صلة، والراجع إلى الموصول محذوف، على تقدير: آتيتموه.

قال: (وماءاتيتم) ثم قال: (فأولئك) فانتقل من الخطاب إلى الغيبة (٢)، كما جاء في ﴿حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم﴾

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ١١/١٧٥

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١١/٢٤٦

[يونس: ٢٢] (٣). والفاء دخلت على: (فأولئك) لذكر الفعل في الصلة، والجملة في موضع خبر المبتدأ الذي هو: ﴿وما آتيتم من زكاة تريدون﴾ ويقدر راجعا محذوفا، التقدير: فأنتم المضعفون به. أي: ذوو الضعف بما آتيتم من زكاة، فحذفت العائد على حد ما حذفته من قولك: السمن منوان بدرهم (٤).

---

(١) "الحجة للقراء السبعة" ٥/ ٤٤٨، وفيه: أقطف وأجرب، بدل: أجدب. وكلاهما صحيح؛ يعني: صار ذا جدب، أو صار ذا جرب. في "تهذيب اللغة" ١٦/ ٢٨٢ (قطف): أقطف الرجل؛ إذا كانت دابته قطوفا، والقطاف مصدر القطوف من الدواب؛ وهو المقارب الخطو، البطيء.

(٢) "المسائل الحلبيات" ص ٨٥.

(٣) ذكر هذا ابن قتيبة، "تأويل مشكل القرآن" ص ٢٨٩.

(٤) ساق هذا المثال للتدليل على حذف العائد المجرور، وتقديره: السمن منوان منه بدرهم، فحذف منه **لدلالة السياق** عيه، كما قدر في الآية: فأنتم المضعفون به. والله أعلم. والمن: معيار قديم يكال به أو يوزن. "لسان العرب" ١٣/ ٤١٨ (منن)، و"المعجم الوسيط" ٢/ ٨٨٨.." [1]

"فارعي فزارة لا هناك المرتع (١)

وحكى أبو عثمان عن أبي زيد أنه سمع من يقول: هما يتساولان، فيجوز أن يكون (سال) بغير همز من هذه اللغة، وهو قول الشاعر:

سالت هذيل رسول الله فاحشة ... ضلت هذيل بما سألت ولم تصب (٢)

يجوز فيه الأمران.

الوجه الثاني: ما ذكره المفسرون: روى (٣) عطاء عن ابن عباس من قرأ بلا همز فإنه يريد واديا في جهنم (٤) (سال) (٥). وهو قول زيد بن ثابت (٦)، وعبد الرحمن بن زيد، قالا (٧): سال واد من أودية جهنم بعذاب واقع (٨)) (٩).

---

(١) البيت للفرزدق، وصدر البيت كما في "ديوان الفرزدق" ٤٠٨:

ومضت لمسلمة الركاب مودعا

(٢) البيت في: "ديوان حسان بن ثابت" ٣٤ ط. دار صادر برواية: "بما جاءت ولم تصب"، و"التفسير الكبير" ٣٠/ ١٢٢، و"الدر المصون" ٦/ ٣٧٣. ومعنى البيت: سألت: مسهل سألت، يعير هذيلا بأنها طلبت إلى النبي -صلى الله عليه وسلم- حين أرادت الإسلام أن يحلل لها الزنا، فلم تصب مرادها. موضع الشاهد: قوله: "سألت" أراد سألت، فخفف الهمزة. وقد يقال: سال يقال، بغير همز، وهي لغة. "شرح ديوان حسان بن ثابت" لعبد الرحمن البرقوقي ١٢٥. وانظر: "ديوانه" المرجع السابق.

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٦٨/١٨

(٣) في (أ): وروى.

(٤) في (أ): بجهنم.

(٥) "القرطبي" ١٨/ ٢٧٩، و"الدر" ٨/ ٢٧٨، وعزاه إلى عبد بن حميد، وابن المنذر.

(٦) "الكشف والبيان" ١٢/ ٢٨١/ ب، و"زاد المسير" ٩/ ٨٩، و"فتح القدير" ٥/ ٢٨٨.

(٧) في (أ): قال.

(٨) "جامع البيان" ٢٩/ ٧٠، و"زاد المسير" ٨/ ٨٩، وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد، والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه، قاله ابن كثير ٤/ ٤٤٦.

(٩) ما بين القوسين نقله الواحدي عن أبي علي من "الحجة" بتصرف ٦/ ٣١٧ - ٣١٨.." [1]

"الآخرة (١).

ثم أخبر عن عظم شأنها فأقسم على ذلك فقال:

﴿كلا﴾؛ أي ليس، القول كما يقول من زعم أنه يكفي أصحابه خزنة [النار] (٢)، ﴿والقمر﴾، قسم، وكذلك.

﴿والليل إذ أدبر﴾، قال ابن عباس: إذا ولى (٣). وقال الكلبي (٤)، ومقاتل (٥): إذا ذهب (٦).

ودبر وأدبر بمعنى واحد. قاله الفراء (٧)، والزجاج (٨). قالا: ومثله: قبل وأقبل، يقال: دبر الليل وأدبر (٩)، إذا ولى ذاهبا، يدل على هذا قراءة من قرأ (١٠): "إذا أدبر" بالألف (١١).

---

(١) "معاني القرآن وإعرابه" ٥/ ٢٨٤ بنصه.

(٢) النار: لا توجد في النسختين، وأثبتها **بدلالة السياق** عليها ، ولعلها تركت سهوا من الناسخ، أو تكون العبارة "الخزنة" بالألف واللام، وتركت الألف واللام سهوا.

(٣) "النكت والعيون" ٦/ ١٤٦.

(٤) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٥) لم أعثر على مصدر لقوله.

(٦) بياض في (ع).

(٧) "معاني القرآن" ٣/ ٢٠٤.

(٨) "معاني القرآن وإعرابه" ٦/ ٢٤٨.

(٩) بياض في (ع).

(١٠) قوله: قراءة من قرأ: بياض في (ع).

(١١) قرأ بذلك عبد الله بن مسعود، وأبي، والحسن، وابن السميفع، انظر: "معاني القرآن" للفراء: ٣/ ٢٠٤. و"الجامع

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٢٠٣/٢٢

لأحكام القرآن" ١٩/ ٨٢. وهي قراءة شاذة لعدم صحة سندها ، ولعدم ذكرها في كتب التواتر، ولقراءة الحسن وابن السميفع بها، وهم من الشواذ؛ وقرأ ابن كثير، وأبو عمرو، وأبو بكر عن عاصم، وابن =." [١]

"فالنزع: جذب بشدة ، والنشط برفق ولين (١).

قال أبو زيد: نشطت الدلو من البئر نشطا، وهو جذبك الدلو من البئر بغير قامة (٢).

(فالناشطات: الملائكة تنشط أرواح المؤمنين، كما تنشط الدلو من البئر) (٣).

وقال مجاهد: هي الموت، يعني شدائده (٤)، كما ذكرنا في الآية الأولى.

وقال الحسن: هي النجوم (٥)، وهو اختيار أبي عبيدة (٦).

(والمعنى أنها تنشط من أفق إلى أفق، أي تذهب، يقال: حمار ناشط

---

(١) والذي يشهد له السياق أن كلا من النازعات، والناشطات هم الملائكة، **ودلالة السياق** هو أنهما وصفان متقابلان، الأول: نزع بشدة، والآخر: نشاط بخفة، فيكون النزع غرقا لأرواح الكفار، والنشط بخفة لأرواح المؤمنين.

نقلا باختصار عن: "أضواء البيان" للشنقيطي: ٩/ ٢٢ - ٢٣.

(٢) "تهذيب اللغة" ١١/ ٣١٥ مادة: (نشط) بنحوه.

(٣) ما بين القوسين نقله بنحوه عن الأزهري في "تهذيب اللغة"، وهو من قول أبي إسحاق كما هو مذكور، ولم أجده عنه في معانيه. انظر: "تهذيب اللغة" ١١/ ٣١٥ مادة: (نشط).

(٤) "جامع البيان" ٣٠/ ٢٨، "الكشف والبيان" ج ١٣/ ٣٤ أ، هو الموت ينشط نفس الإنسان، "النكت والعيون" ٦/ ١٩٣، "معالم التنزيل" ٤/ ٤٤٢، "المحرر الوجيز" ٥/ ٤٣٠ بمعناه، "زاد المسير" ٨/ ١٧٠، "الجامع لأحكام القرآن" ١٩/ ١٩٠، "الدر المنثور" ٨/ ٤٠٥ وعزاه إلى عبد بن حميد، وأبي الشيخ في العظمة، "فتح القدير" ٥/ ٣٧٢.

(٥) "تفسير عبد الرزاق" ٢/ ٢٤٥، "فتح القدير" ٥/ ٣٧٢.

(٦) "مجاز القرآن" ٢/ ٢٨٤.." [٢]

"(لخلق السماوات والأرض أكبر من خلق الناس) ، وكان الكلام على تثبيت خلق الإنسان لا على نفي الشريك، فقدم في كل سورة ما اقتضاه ما قبله من الآيات.

قوله: (وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست) .

فيه قولان:

أحدهما: أنه عطف على مضمر أي ليستمعوا وليقولوا.

الثاني: (وليقولوا درست) ، صرفناها، وقرىء في المعروف درست) ، وفيه

---

(١) التفسير البسيط الواحدي ٤٤٣/٢٢

(٢) التفسير البسيط الواحدي ١٦١/٢٣

وجهان، أحدهما قرأت وتعلمت.

الثاني – وهو الغريب –: وليقولوا درست علينا هذه قبل اليوم، فيذكروا

بالثانية الأولى.

ودارست وله وجهان:

أحدهما: دارست أهل الكتاب وتعلمت من أبي فكيهة وجبر ويسار.

الغريب: دارستنا قيل هذا كما قيل في درست. ودرست، وله وجهان:

قد جاءكم بصائر من ربكم فمن أبصر فلنفسه ومن عمي فعليها وما أنا عليكم بحفيظ (١٠٤) وكذلك نصرف الآيات وليقولوا درست ولنبينه لقوم يعلمون (١٠٥) اتبع ما أوحي إليك من ربك لا إله إلا هو وأعرض عن المشركين (١٠٦) ولو شاء الله ما أشركوا وما جعلناك عليهم حفيظا

أحدهما: هذه آيات درست وتقادمت ولم يأت محمد إلا بما أتى به من قبله.

الثاني – وهو الغريب –: لئلا يقولوا درست وانمحت ولا يأتينا محمد بغيرها.

واللام لام العاقبة على ثلاث تأويلات، ولام كي على ثلاث.

قوله: ((لا إله إلا هو) .

يجوز أن تكون حالا عن ربك، ويجوز أن تكون اعراضا بين الأمرين.

ويجوز أن يكون بدلا مما أوحي.

قوله: (ولو شاء الله ما أشركوا) .

أي لوشاء أن لايشركوا ما أشركوا، فمفعول شاء مضمر.

وقوله: (ما أشركوا) جواب "لو".

---

(١) قال العلامة شهاب الدين الدمياطي:

واختلف في (درست) الآية ١٠٥ فابن كثير وأبو عمرو بألف بعد الدال وسكون السين وفتح التاء على وزن قابلت أي دارست غيرك وافقهما ابن محيصن واليزيدي وقرأ ابن عامر وكذا يعقوب بغير ألف وفتح السين وسكون التاء بزنة ضربت أي قدمت وبلت وافقهما الحسن إلا أنه ضم الراء والباقون بغير ألف وسكون السين وفتح التاء أي حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين. اهـ (إتحاف فضلاء البشر. ص: ٢٧١) .

وقال السمين:

قوله تعالى: ﴿وكذلك﴾ : الكاف في محل نصب نعتا لمصدر محذوف، فقدره الزجاج: «ونصرف الآيات مثل ما صرفناها فيما تلي عليكم» ، وقدره غيره: نصرف الآيات في غير هذه السورة تصريفا مثل التصريف في هذه السورة.

قوله: «وليقولوا» الجمهور على كسر اللام، وهي لام كي، والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» فهو في تأويل مصدر مجرور بها على ما عرف غير مرة، وسماها أبو البقاء وابن عطية لام الصيرورة كقوله تعالى: ﴿فالتقطه آل فرعون ليكون لهم

عدوا وحزنا﴾ [القصص: ٨] وكقوله:

لدوا للموت وابنوا للخراب. . . . .

أي: لما صار أمرهم إلى ذلك عبر بهذه العبارة، والعلة غير مرادة في هذه الأمثلة، والمحققون يأبون جعلها للعاقبة والصيرورة، ويؤولون ما ورد من ذلك على المجاز. وجوز أبو البقاء فيها الوجهين: أعني كونها لام العاقبة أو العلة حقيقة فإنه قال: «واللام لام العاقبة أي: إن أمرهم يصير إلى هذا» وقيل: إنه قصد بالتصريف أن يقولوا درست عقوبة لهم «يعني فهذه علة صريحة وقد أوضح بعضهم هذا فقال:» المعنى: يصرف هذه الدلائل حالا بعد حال ليقول بعضهم دارست فيزدادوا كفرا، وتنبيه لبعضهم فيزدادوا إيمانا، ونحو: ﴿يضل به كثيرا ويهدي به كثيرا﴾ [البقرة: ٢] . وأبو علي جعلها في بعض القراءات لام الصيرورة، وفي بعضها لام العلة فقال: «واللام في ليقولوا في قراءة ابن عامر ومن وافقه بمعنى: لئلا يقولوا أي: صرفت الآيات وأحكمت لئلا يقولوا هذه أساطير الأولين قديمة قد بليت وتكررت على الأسماع، واللام على سائر القراءات لام الصيرورة» . قلت: قراءة ابن عامر درست بوزن أكلت وسرقت فعلا ماضيا مسندا لضمير الآيات، وسيأتي تحقيق القراءات في هذه الكلمة متواترها وشاذها. قال الشيخ «وما أجازه من إضمار» لا «بعد اللام المضمر بعدها» أن «هو مذهب لبعض الكوفيين كما أضمروها بعد» أن «المظهرة في ﴿أن تضلوا﴾ [النساء: ١٧٦] ، ولا يجيز البصريون إضمار» لا «إلا في القسم على ما تبين فيه» .

ثم هذه اللام لا بد لها من متعلق، فقدره الزمخشري وغيره متأخرا. قال الزمخشري: «وليقولوا جوابه محذوف تقديره: وليقولوا درست نصرفها. فإن قلت: أي فرق بين اللامين في ليقولوا ولنبينه؟ قلت: الفرق بينهما أن الأولى مجاز والثانية حقيقة، وذلك أن الآيات صرفت للتبيين، ولم تصرف ليقولوا دارست، ولكن لأنه لما حصل هذا القول بتصريف الآيات كما حصل للتبيين شبه به فسيق مساقه، وقيل: ليقولوا كما قيل لنبيه» . قلت: فقد نص هنا على أن لام «ليقولوا» علة مجازية.

وجوز بعضهم أن تكون هذه اللام نسقا على علة محذوفة. قال ابن الأنباري: «دخلت الواو في» وليقولوا «عطفا على مضمر، التقدير: وكذلك نصرف الآيات لنلزمهم الحجة وليقولوا» . قلت: وعلى هذا فاللام متعلقة بفعل التصريف من حيث المعنى ولذلك قدره من قدره متأخرا ب «نصرف» . وقال الشيخ: «ولا يتعين ما ذكره المعربون والمفسرون من أن اللام لام كي أو لام الصيرورة، بل الظاهر أنها لام الأمر والفعل مجزوم بها، ويؤيده قراءة من سكن اللام، والمعنى عليه يتمكن، كأنه قيل: وكذلك نصرف الآيات وليقولوا هم ما يقولون من كونها درستها وتعلمتها أو درست هي أي: بليت وقدمت، فإنه لا يحتفل بهم ولا يلتفت إلى قولهم، وهو أمر معناه الوعيد والتهديد وعدم الاكتراث بقولهم أي: نصرفها وليدعوا فيها ما شاؤوا، فإنه لا اكتراث بدعواهم» .

وفيه نظر من حيث إن المعنى على ما قاله الناس وفهموه، وأيضا فإن بعده/ ولنبينه وهو نص في لام كي، وأما تسكين اللام في القراءة الشاذة فلا يدل لاحتمال أن تكون لام كي سكنت إجراء للكلمة مجرى كتف وكبد. وقد رد الشيخ على الزمخشري حيث قال: «وليقولوا جوابه محذوف» فقال: «وتسميته ما يتعلق به قوله» وليقولوا «جوابا اصطلاح غريب، لا يقال في» جئت «من قولك» جئت لتقوم «إنه جواب» . قلت: هذه العبارة قد تكررت للزمخشري وسيأتي ذلك في قوله ﴿ولتصغى﴾ [الأنعام: ١١٣] أيضا. وقال الشيخ هناك: «وهذا اصطلاح غريب» ، والذي يظهر أنه إنما يسمي هذا النحو جوابا لأنه

يقع جوابا لسائل. تقول: أين الذي يتعلق به هذا الجار؟ فيجاب به، فسمي جوابا بهذا الاعتبار، وأضيف إلى الجار في قوله «وليقولوا» جوابه، لأن الإضافة [تقع] بأدنى ملابسة وإلا فكلام إمام يتكرر لا يحمل على فساد.

وأما القراءات التي في «درست» فثلاث في المتواتر: فقرأ ابن عامر «درست» بزنة ضربت، وابن كثير وأبو عمرو «دارست» بزنة قابلت أنت، والباقون «درست» بزنة ضربت أنت. فأما قراءة ابن عامر فمعناها بليت وقدمت وتكررت على الأسماع يشيرون إلى أنها من أحاديث الأولين كما قالوا أساطير الأولين.

وأما قراءة ابن كثير أبي عمرو فمعناها دارست يا محمد غيرك من أهل الأخبار الماضية والقرون الخالية حتى حفظتها فقلتها، كما حكى عنهم فقال: ﴿إنما يعلمه بشر لسان الذي يلحدون إليه أعجمي﴾ [النحل: ١٠٣] وفي التفسير: أنهم كانوا يقولون: هو يدارس سلمان وعداسا. وأما قراءة الباقين فمعناها حفظت وأتقنت بالدرس أخبار الأولين كما حكى عنهم ﴿وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلا﴾ [الفرقان: ٥] أي تكرر عليها بالدرس ليحفظها. وقرئ هذا الحرف في الشاذ عشر قراءات أخر فاجتمع فيه ثلاث عشرة قراءة: فقرأ ابن عباس بخلاف عنه وزيد بن علي والحسن البصري وقتادة «درست» فعلا ماضيا مبنيا للمفعول مسندا لضمير الآيات، وفسرها ابن جني والزمخشري بمعنيين، في أحدهما إشكال. قال أبو الفتح: «يحتمل أن يراد عفت أو بليت» . وقال أبو القاسم: «بمعنى قرئت أو عفيت» . قال الشيخ: «أما معنى قرئت وبليت فظاهر؛ لأن درس بمعنى كرر القراءة متعد، وأما» درس «بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعديا ولا وجدنا فيمن وقفنا على شعره من العرب إلا لازما» . قلت: لا يحتاج هذا إلى استقراء فإن معناه [لا] يحتمل أن يكون متعديا إذ حدثه لا يتعدى فاعله فهو كقام وقعد، فكما أنا لا نحتاج في معرفة قصور قام وقعد إلى استقراء بل نعرفه بالمعنى فكذا هذا.

وقرئ «درست» فعلا ماضيا مشددا مبنيا للفاعل المخاطب، فيحتمل أن يكون للتكثير أي: درست الكتب الكثيرة كذبحت الغنم وقطعت الأثواب، وأن تكون للتعدية، والمفعولان محذوفان أي: درست غيرك الكتب وليس بظاهر، إذ التفسير على خلافه. وقرئ درست كالذي قبله إلا أنه مبني للمفعول أي: درسك غيرك الكتب، فالتضعيف للتعدية لا غير. وقرئ «دورست» مسندا لتاء المخاطب من دارس كقاتل، إلا أنه بني للمفعول فقلبت ألفه الزائدة واوا، والمعنى: دارسك غيرك.

وقرئ «دارست» بتاء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل، وفي فاعله احتمالان، أحدهما: أنه ضمير الجماعة أضمرت وإن لم يجر لها ذكر لدلالة السياق عليها أي: دارستك الجماعة، يشيرون لأبي فكيهة وسلمان، وقد تقدم ذلك في قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والثاني: ضمير الإناث على سبيل المبالغة أي: إن الآيات نفسها دارستك وإن كان المراد أهلها.

وقرئ «درست» بفتح الدال وضم الراء مسندا إلى ضمير الآيات وهو مبالغة في درست بمعنى بليت وقدمت وانمحت أي اشتد دروسها وبلاها. وقرأ أبي «درس» وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أو ضمير الكتاب بمعنى قرأه النبي وتلاه وكرر عليه، أو بمعنى بلي الكتاب وامحى، وهكذا في مصحف عبد الله درس.

وقرأ الحسن في رواية «درسن» فعلا ماضيا مسندا لنون الإناث هي ضمير الآيات، وكذا هي في بعض مصاحف ابن مسعود. وقرئ «درسن» الذي قبله إلا أنه بالتشديد بمعنى اشتد دروسها وبلاها كما تقدم. وقرئ «دارسات» جمع دارسة بمعنى

قديمات، أو بمعنى ذات دروس نحو: عيشة راضية، وماء دافق، وارتفاعها على خبر ابتداء مضمر أي: هن دارسات، والجملة في محل نصب بالقول قبلها. اهـ (الدر المصون) .." (١)

"وفي قوله عز وجل: فسواها قولان: أحدهما: سوى بينهم في الإهلاك، قاله السدي، ويحيى بن سلام. وقيل: سوى الدمدمة عليهم. والمعنى: أنه أهلك صغيرهم، وكبيرهم. والثاني:

سوى الأرض عليهم. قال مقاتل: سوى بيوتهم على قبورهم. وكانوا قد حفروا قبورا فاضطجعوا فيها، فلما صيح بهم فهلكوا زلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم.

قوله عز وجل: ولا يخاف عقباها قرأ أبو جعفر، ونافع، وابن عامر «فلا» بالفاء، وكذلك هو في مصاحف أهل المدينة والشام. وقرأ الباقون بالواو، وكذلك هي في مصاحف مكة، والكوفة، والبصرة.

وفي المشار إليه ثلاثة أقوال «١» : أحدها: أنه الله عز وجل، فالمعنى: لا يخاف الله من أحد تبعة في إهلاكهم، ولا يخشى عقبى ما صنع، قاله ابن عباس، والحسن. والثاني: أنه الذي عقرها، فالمعنى: أنه لم يخف عقبى ما صنع، وهذا مذهب الضحاك والسدي، وابن السائب. فعلى هذا في الكلام تقديم وتأخير، تقديره: إذ انبعث أشقاها وهو لا يخاف عقباها. والثالث: أنه نبي الله صالح لم يخف عقباها، حكاه الزجاج.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله في «تفسيره» ٤/ ٦١٥: قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة، وهذا القول أولى **لدلالة السياق** عليه، والله أعلم.." (٢)

"ثم من الألفاظ على الجملة مجازية، وهي الواقعة على مسمياتها (لا) على أنها أسماء لها بل وضعت لمناسبتها لما وضعت الأسماء الحقيقية بإزائها، ومن المعلوم في عوارض التركيب الضرب المسمى بلحن الخطاب، وهو خذف الكلمة من الجملة مع إرادتها، **ودلالة السياق** والمعنى عليها، كالواقع في قوله تعالى: (أن اضرب بعصاك البحر فانفلق) (الشعراء: ٦٣)، ولا شك أن المراد: فضرب فانفلق، ومما يلحق به عند الجمهور - إلا من قول بقول الكرخي - (فمن كان منكم مريضا أو على سفر فعدة من أيام أخر) (البقرة: ١٨٤)، والتقدير: فأفطر فعدة من أيام أخر، فهذا من لحن الخطاب ومن معروف التخاطب الجاري، وهي دلالة المنطوق على مسكوت عنه يفهمه السياق وقصد المتكلم من عرف اللغة، نحو فهم (منع) الضرب والشتم من قوله تعالى: (فلا تقل لهما أف) (الإسراء: ٢٣)، وهذا الضرب من المفهوم يجاري النصوص ولهذا لم يختلف فيه من أنكر القياس، فهذه جملة يستعان بها على تلقي ما يرد، وليست خاصة بالذي نحن فيه من هذه السورة ولا بموضوع دون موضوع.

ثم من المعلون - بإعلام الله سبحانه - أنه تعالى لم يرسل رسولا إلا بلسان قومه، فموسى، عليه السلام، إنما خاطب أهله في هذه المحاورة باللسان العبراني (الذي هو لسان قومه)، وجل كلام ربنا عن الحرف والصوت والتقييد بالجملة، فالوارد في

---

(١) غرائب التفسير وعجائب التأويل الكرماني، برهان الدين ١/٣٧٩

(٢) زاد المسير في علم التفسير ابن الجوزي ٤/٤٥٢

كتابنا إنما هو حكاية المعنى الذي خوطب به موسى، عليه السلام، وخاطب به، واللسان العبراني) أقرب الألسنة إلى اللسان العربي، فما المانع أن يجري فيه ويطرد كل ما في اللسان العربي من الضروب المذكورة قل أو كثر (ذلك).

(ثم) في الجواب عما تقدم ما لا يفتقر فيه إلى بنائه على ما مهدناه. فأقول مستعينا بالله سبحانه في قول موسى، عليه السلام، لأهله: (امكثوا) وسقوط ذلك في سورة النمل قد يكون مما قاله، عليه السلام، نطقا باللغة التي كلمهم بها، وقد يكون مما فهمه عنه أهله بإشارة أو قرينة أو حال، فيكون قد أمرهم بذلك على كل حال فإما بنطق أو غيره، فمرة حكى معنى نطقه أو مراده بما قد فهم عنه أهله الأمر، ومرة اكتفى بما بعد (هذا) الأمر اقتصار على ما يحصل المقصود، فلا اختلاف ولا اعتراض في ذلك.

وأما قوله: (لعلي آتيكم) في السورتين وقوله في النمل: (سآتيكم) فإن حرف التسويف يفهم الاستقبال، و (ولفظ) لعل أيضا يعطي ذلك مع زيادة الترجي والطمع، فيمكن لتقارب معنييهما أن يكون في لسانهم عبارة موضوعة للمعنيين معا، فلم يكن بد من ورود الحرفين عند الحكاية ليحرز ذلك وقوع المعنى وحصوله على ما هو في لسانهم.." (١)

"حبسناهم عن الاتفاق. قال أبو إسحاق: إنما يقال للشيء اللازم: هذا في عنق فلان، أي لزومه كلزوم القلادة من بين ما يلبس في العنق. فقال أبو علي: هذا مثل قولهم: طوقتك كذا وقلدتك. ومنه: قلده السلطان كذا، أي صارت الولاية في لزومها له في موضع القلادة، ومكان الطوق.

قلت: ومن هذا قولهم: قلدت فلانا حكم كذا وكذا. كأنك جعلته طوقا في عنقه. وقد سمى الله التكاليف الشاقة أغلالا في قوله: ٧: ١٥٧ ويضع عنهم إصرهم والأغلال التي كانت عليهم فشبهها بالأغلال لشدتها وصعوبتها. قال الحسن: هي الشدائد التي كانت في العبادة. كقطع أثر البول والنجاسة، وقتل النفس في التوبة. وقطع الأعضاء الخاطئة. وتتبع العروق من اللحم. وقال ابن قتيبة: هي تحريم الله سبحانه عليهم كثيرا مما أطلقه لأمة محمد صلى الله عليه وسلم وجعلها أغلالا لأن التحريم يمنع، كما يفيض الغل اليد.

وقوله: فهي إلى الأذقان قالت طائفة: الضمير يعود إلى الأيدي، وإن لم تذكر **لدلالة السياق** عليها. قالوا: لأن الغل يكون في العنق فتجمع إليه اليد. ولذلك سمي جامعة. وعلى هذا فالمعنى: فأيديهم، أو فأيمانهم مضمومة إلى أذقانهم. وهذا قول الفراء والزجاج.

وقالت طائفة: الضمير يرجع إلى الأغلال. وهذا هو الظاهر. وقوله:

فهي إلى الأذقان أي واصلة وملزوزة إليها، فهو غل عريض قد أحاط بالعنق حتى وصل إلى الذقن.

وقوله: فهم مقمحون قال الفراء والزجاج: المقمح: هو الغاض بصره بعد رفع رأسه. ومعنى الإقماح في اللغة رفع الرأس وغض البصر. يقال: أقمح البعير رأسه، وقمح. وقال الأصمعي: بعير قامح إذا رفع رأسه عن الحوض ولم يشرب. قال الأزهري: لما غلت أيديهم إلى." (٢)

---

(١) ملاك التأويل القاطع بذوي الإلحاد والتعطيل ابن الزبير الغرناطي ٢/٣٣٣

(٢) التفسير القيم = تفسير القرآن الكريم لابن القيم ابن القيم ص/٤٤٠

"فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة حمزة، أو نرد قراءة حمزة إلى قراءة الجماعة بأن نقول: معنى أزالهما أي: صرفهما عن طاعة الله تعالى فأوقعهما في الزلة لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال. ويحتمل أن تفيد كل قراءة معنى مستقلا، فقراءة الجماعة تؤذن بإيقاعهما في الزلة، فيكون زل استنزل، وقراءة حمزة تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما، ولا بد من المجاز في كلتا القراءتين لأن الزلل [أصله] في زلة القدم، فاستعمل هنا في زلة الرأي، والتنحية لا يقدر عليها الشيطان، وإنما يقدر على الوسوسة التي هي في زلة الرأي، والتحية لا يقدر عليها الشيطان، وإنما يقدر على الوسوسة التي هي سبب التنحية. و «عنها» متعلق بالفعل قبله. ومعنى «عن» هنا السببية إن أعدنا الضمير على «الشجرة» أي: أوقعهما في الزلة بسبب الشجرة. ويجوز أن تكون على بابها من المجاوزة إن [عاد] الضمير على «الجنة» ، وهو الأظهر، لتقدم ذكرها، وتجيء عليه قراءة حمزة واضحة، ولا تظهر قراءته كل الظهور على كون الضمير للشجرة، قال ابن عطية: «وأما من قرأ» أزالهما «فإنه يعود على الجنة فقط» ، وقيل: الضمير للطاعة أو للحالة أو للسماء وإن لم يجر لها ذكر **لدلالة السياق** عليها وهذا بعيد جدا.." (١)

"و «بها» متعلق ب «تدلوا» ، وفي الباء قولان، أحدهما: أنها للتعدية، أي لترسلوا بها إلى الحكام، والثاني: أنها للسبب بمعنى أن المراد بالإدلاء الإسراع بالخصومة في الأموال إما لعدم بينة عليها، أو بكونها أمانة كمال الأيتام. والضمير في «بها» الظاهر أنه للأموال وقيل: إنه / لشهادة الزور **لدلالة السياق** عليها، وليس بشيء.

و «من أموال» في محل نصب صفة ل «فريقا» ، أي: فريقا كائنا من أموال الناس.

قوله: ﴿بالإثم﴾ تحتمل هذه الباء أن تكون للسبب فتتعلق بقوله «لتأكلوا» وأن تكون للمصاحبة، فتكون حالا من الفاعل في «لتأكلوا» ، وتتعلق بمحذوف أي: لتأكلوا ملتبسين بالإثم. «وأنتم تعلمون» جملة في محل نصب على الحال من فاعل «لتأكلوا» ، وذلك على رأي من يجيز تعدد الحال، وأما من لا يجيز ذلك فيجعل «بالإثم» غير حال.." (٢)

"على «عند» ، إذ ضمير الظرف لا يتعدى إليه الفعل إلا ب «في» ، لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها، وأصل الظرف على إضمار «في» اللهم إلا أن يتوسع في الظرف فيتعدى الفعل إلى ضميره من غير «في» ، لا يقال: «الظرف ليس حكمه حكم ظاهره، ألا ترى أن ضميره يجر بفي وإن كان ظاهره لا يجوز ذلك فيه. ولا بد من حذف في قوله: ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أي: فإن قاتلوكم فيه فاقتلوهم فيه، فحذف **لدلالة السياق** عليه.

قوله: ﴿كذلك جزآء﴾ فيه وجهان: أحدهما: أن الكاف في محل رفع بالابتداء، و «جزاء الكافرين» خبره، أي: مثل ذلك الجزاء جزاؤهم، وهذا عند من يرى أن الكاف اسم مطلقا، وهو مذهب الأخفش. والثاني: أن يكون «كذلك» خبرا مقدما، و «جزاء» مبتدأ مؤخرا، والمعنى: جزاء الكافرين مثل ذلك الجزاء وهو القتل. و «جزاء» مصدر مضاف لمفعوله أي: جزاء

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨٨/١

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٠٢/٢

الله الكافرين. وأجاز أبو البقاء أن يكون «الكافرين» مرفوع المحل على أن المصدر مقدر من فعل مبني للمفعول، تقديره: كذلك يجزى الكافرون، وقد تقدم لنا في ذلك خلاف.." (١)

"وأما قوله: ﴿وما تفعلوا﴾ ف» ما «شرطية فقط لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى. وقرأ علي رضي الله عنه:» وما يفعلوا «بالياء على الغيبة، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب، وأن يكون من الإضمار **لدلالة السياق** عليه، أي: وما يفعل الناس.." (٢)

"قوله «فاستشهدوا» و «فاجلدوا» دالا على ذلك الحكم المحذوف لأنه بيان له.

والقول الثاني: أن محله نصب، وفيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب بفعل مقدر **لدلالة السياق** عليه لا على جهة الاشتغال لما سنذكره، والتقدير: اقصدوا اللاتي يأتين، أو تعمدوا. ولا يجوز أن ينتصب بفعل مضمر يفسره قوله «فاستشهدوا» فتكون المسألة من باب الاشتغال، لأن هذا الموصول أشبه اسم الشرط كما تقدم تقريره، واسم الشرط لا يجوز أن ينتصب على الاشتغال لأنه لا يعمل فيه ما قبله، فلو نصبناه بفعل مقدر لزم أن يعمل فيه ما قبله. هذا ما قاله بعضهم، ويقرب منه ما قاله أبو البقاء فإنه قال: «وإذا كان كذلك أي كونه في حكم الشرط لم يحسن النصب؛ لأن تقدير الفعل قبل أداة الشرط لا يجوز، وتقديره بعد الصلة يحتاج إلى إضمار فعل غير قوله» فاستشهدوا «لأن» استشهدوا «لا يصح أن يعمل النصب في» اللاتي «وفي عبارته مناقشة يطول بذكرها الكتاب.

والثاني: أنه منصوب على الاشتغال/، ومنعهم ذلك بأنه يلزم أن يعمل فيه ما قبله جوابه أنا نقدر الفعل بعده لا قبله، وهذا خلاف مشهور في أسماء الشرط والاستفهام: هل يجري فيها الاشتغال أم لا؟ فمنعه قوم لما تقدم، وأجازه آخرون مقدرين الفعل بعد الشرط والاستفهام، وكونه منصوبا على الاشتغال هو ظاهر كلام مكي فإنه ذكر ذلك في قوله: ﴿واللذان يأتيانها." (٣)

"قوله تعالى: ﴿كل الميل﴾ : نصب على المصدرية، وقد تقرر أن «كل» بحسب ما تضاف إليه، إن أضيفت إلى مصدر كانت [مصدرا] ، أو ظرف أو غيره فكذلك. قوله: ﴿فتذروها﴾ فيه وجهان، أحدهما: أنه منصوب بإضمار «أن» في جواب النهي، والثاني: أنه مجزوم عطفا على الفعل قبله أي: فلا تذروها، ففي الأول نهي عن الجمع بينهما، وفي الثاني نهي عن كل على حدته وهو أبلغ، والضمير في «تذروها» يعود على المميل عنها **لدلالة السياق** عليها. قوله: ﴿كالمعلقة﴾ حال من «ها» في «تذروها» فيتعلق بمحذوف أي: فتذروها مشبهة المعلقة، ويجوز عندي أن يكون مفعولا ثانيا لأن قولك: / «تذر» بمعنى «تترك» وترك «يتعدى لاثنين إذا كان بمعنى صير.." (٤)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون   السمين الحلبي ٢/٣٠٨

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون   السمين الحلبي ٢/٣٨٦

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون   السمين الحلبي ٣/٦١٨

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون   السمين الحلبي ٤/١١١

"ابن عامر» يشم الهاء [الكسر] من غير بلوغ ياء، وهذا غلط؛ لأن هذه الهاء هاء وقف لا تعرب في حال من الأحوال أي لا تحرك وإنما تدخل لتبين بها حركة ما قبلها «ليس بجيد لما قررت لك من أنها ضمير المصدر. وقد رد الفارسي قول ابن مجاهد بما تقدم. والوجه الثاني: أنها هاء سكت أجريت مجرى هاء الضمير، كما أجريت هاء الضمير مجراها في السكون، وهذا ليس بجيد، ويروى قول المتنبي:

١٩٧٩ - واحر قلباه ممن قلبه شبم ... .

بضم الهاء وكسرها على أنها هاء السكت شبهت بهاء الضمير فحركت والأحسن أن تجعل الكسر لالتقاء الساكنين لا لشبهها بالضمير، لأن هاء الضمير لا تكسر بعد الألف فكيف بما يشبهها؟

والاقتداء في الأصل: طلب الموافقة، قاله الليث. ويقال: قدوة [وقدو، وأصله من القدو] وهو أصل البناء الذي يتشعب منه تصريف الاقتداء. و «بهداهم» متعلق ب «اقتد» . وجعل الزمخشري تقديمه مفيدا للاختصاص على قاعدته. والهاء في «عليه» تعود على القرآن أو التبليغ، أضمرا وإن لم يجر لهما ذكر **لدلالة السياق** عليهما. و «إن» نافية ولا عمل لها على المشهور، ولو كانت عاملة لبطل عملها ب «إلا» . و «للعالمين» متعلق ب «ذكرى» واللام معدية، أي: إن القرآن إلا تذكير العالمين. ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف على أنها صفة ل «ذكرى» /.." (١)

"يراد عفت أو بليت» . وقال أبو القاسم: «بمعنى قرئت أو عفيت» . قال الشيخ: «أما معنى قرئت وبليت فظاهر؛ لأن درس بمعنى كرر القراءة متعد، وأما» درس «بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعديا ولا وجدنا فيمن وقفنا على شعره من العرب إلا لازما» . قلت: لا يحتاج هذا إلى استقراء فإن معناه [لا] يحتمل أن يكون متعديا إذ حدثه لا يتعدى فاعله فهو كقام وقعد، فكما أنا لا نحتاج في معرفة قصور قام وقعد إلى استقراء بل نعرفه بالمعنى فكذا هذا.

وقرئ «درست» فعلا ماضيا مشددا مبنيا للفاعل المخاطب، فيحتمل أن يكون للتكثير أي: درست الكتب الكثيرة كذبحت الغنم وقطعت الأثواب، وأن تكون للتعدية، والمفعولان محذوفان أي: درست غيرك الكتب وليس بظاهر، إذ التفسير على خلافه. وقرئ درست كالذي قبله إلا أنه مبني للمفعول أي: درسك غيرك الكتب، فالتضعيف للتعدية لا غير. وقرئ «دورست» مسندا لتاء المخاطب من دارس كقاتل، إلا أنه بني للمفعول فقلبت ألفه الزائدة واوا، والمعنى: دارسك غيرك.

وقرئ «دارست» بتاء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل، وفي فاعله احتمالان، أحدهما: أنه ضمير الجماعة أضمرت وإن لم يجر لها ذكر **لدلالة السياق** عليها أي: دارستك الجماعة، يشيرون لأبي فكيهة وسلمان، وقد تقدم ذلك في قراءة ابن كثير وأبي عمرو، والثاني: ضمير الإناث على سبيل المبالغة أي: إن الآيات نفسها دارستك وإن كان المراد أهلها.

وقرئ «درست» بفتح الدال وضم الراء مسندا إلى ضمير الآيات وهو مبالغة في درست بمعنى بليت وقدمت وانمحت أي اشتد دروسها وبلاها. وقرأ أبي/ «درس» وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم أو ضمير الكتاب." (٢)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٣٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٩٧

"بمعنى قرأه النبي وتلاه وكرر عليه، أو بمعنى بلي الكتاب وامحى، وهكذا في مصحف عبد الله درس.
وقرأ الحسن في رواية «درسن» فعلا ماضيا مسندا لنون الإناث هي ضمير الآيات، وكذا هي في بعض مصاحف ابن مسعود. وقرئ «درسن» الذي قبله إلا أنه بالتشديد بمعنى اشتد دروسها وبلاها كما تقدم. وقرئ «دارسات» جمع دارسة بمعنى قديمات، أو بمعنى ذات دروس نحو: عيشة راضية، وماء دافق، وارتفاعها على خبر ابتداء مضمر أي: هن دارسات، والجملة في محل نصب بالقول قبلها.
وقوله ﴿ولنبينه﴾ تقدم أن هذا عطف على ما قبله فحكمه حكمه. وفي الضمير المنصوب أربعة احتمالات، أحدها: أنه يعود على الآيات، وجاز ذلك وإن كانت مؤنثة لأنها بمعنى القرآن. الثاني: أنه يعود على الكتاب **لدلالة السياق** عليه، ويقوي هذا أنه فاعل لدرس في قراءة من قرأه كذلك. الثالث: أنه يعود على المصدر المفهوم من نصرف أي نبين التصريف. الرابع: أن يعود على المصدر المفهوم من «لنبينه» أي: نبين التبيين نحو: ضربته زيدا أي ضربت الضرب زيدا. و «لقوم» متعلق بالفعل قبله. و «يعلمون» في محل جر صفة للنكرة قبلها.." [1]

"والضمير في ﴿يعثون﴾ : يعود على بني آدم **لدلالة السياق** عليهم، كما دل على ما عاد عليه الضميران في منها وفيها كما تقدم.." [2]

"قوله تعالى: ﴿أإنك﴾ : قرأ ابن كثير، إنك «بهمزة واحدة والباقون بهمزتين استفهاما، وقد عرفت قراءاتهم في هاتين الهمزتين تخفيفا وتسهيلا وغير ذلك. فأما قراءة ابن كثير فيحتمل أن تكون خبرا محضا، واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أن القائل واحد، وقد أجيب عن ذلك بأن بعضهم قاله استفهاما، وبعضهم قاله خبرا، ويحتمل أن تكون استفهاما حذفت منه الأداة **لدلالة السياق**، والقراءة الأخرى عليه. وقد تقدم لك نحو من هذا في الأعراف. و» لأنت «يجوز أن تكون» أنت «مبتدأ و» يوسف «خبره، والجملة خبر» إن «دخلت عليها لام الابتداء. ويجوز أن يكون فصلا، ولا يجوز أن يكون تأكيدا لاسم إن؛ لأن هذه اللام لا تدخل على التوكيد.
وقرأ أبي:» أإنك أو أنت يوسف «، وفيها وجهان، أحدهما ما قاله أبو الفتح: من أن الأصل أإنك لغير يوسف أو أنت يوسف، فحذف خبر» إن «لدلالة المعنى عليه. الثاني ما قاله الزمخشري: وهو إنك يوسف أو أنت يوسف» فحذف الأول لدلالة الثاني عليه، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع فهو يكرر الاستثبات «..» [3]

"قوله: ﴿إنهم﴾ هذا الضمير يجوز أن يعود على «أحد» لأنه في معنى الجمع، وأن يكون عائدا على «أهل» المضاف لضمير المدينة، قاله الزمخشري. ويجوز أن يعود على قومهم **لدلالة السياق** عليهم. وقرأ زيد بن علي «يظهروا» مبنيا للمفعول و «إذن» جواب وجزاء، أي: إن ظهروا فلن تفلحوا.." [4]

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٩٨
(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٥/٢٦٤
(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٦/٥٥١
(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧/٤٦٤

"قوله: ﴿فرأوه﴾ : أي: فرأوا النبات، لدلالة السياق عليه، أو على الأثر؛ لأن الرحمة هي الغيث، وأثرها هو النبات. وهذا ظاهر على قراءة الإفراد، وأما على قراءة الجمع فيعود على المعنى. وقيل: الضمير." (١)

"قوله: ﴿إن كانت إلا صيحة﴾ : العامة على النصب على أن «كان» ناقصة. واسمها ضمير الأخذة، لدلالة السياق عليها. و «صيحة» خبرها. وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ القارئ برفعها، على أنها التامة أي: وقع وحدث وكان ينبغي أن لا تلحق تاء التأنيث للفصل ب «إلا» بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء نحو: «ما قام إلا هند» وقد شذ الحسن وجماعة فقرؤوا ﴿لا ترى إلا مساكنهم﴾ كما سأبينه في موضعه إن شاء الله وقال الشاعر:

٣٧٨٠ -. . . . . وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقال آخر:." (٢)

"قوله: ﴿حب الخير﴾ : فيه أوجه، أحدها: هو مفعول «أحببت» لأنه بمعنى آثرت، و «عن» على هذا بمعنى على، أي: على ذكر ربي؛ لأنه يروى في التفسير - والله أعلم - أنه عرض الخيل حتى شغلته عن صلاة العصر أول الوقت حتى غربت الشمس. وقال الشيخ: «وكأنه منقول عن الفراء أنه ضمن أحببت معنى آثرت حتى نصب» حب الخير «مفعولا به. وفيه نظر؛ لأنه متعد بنفسه، وإنما يحتاج إلى التضمين إن لو لم يكن متعديا. الثاني: أن» حب «مصدر على حذف الزوائد. والناصب له» أحببت «. الثالث: أنه مصدر تشبيهي أي: حبا مثل حب الخير. الرابع: أنه قيل: ضمن معنى أنبت، فلذلك تعدى ب» عن «. الخامس: أن» أحببت «بمعنى لزمت. السادس: أن» أحببت «من أحب البعير إذا سقط وبرك من الإعياء. والمعنى: قعدت عن ذكر ربي، فيكون» حب الخير «على هذا مفعولا من أجله.

قوله:» حتى توارت «في الفاعل وجهان، أحدهما: هو» الصافنات «والمعنى: حتى دخلت اصطبلاتها فتوارت وغابت. والثاني: أنه للشمس أضمرت لدلالة السياق عليها. وقيل: لدلالة العشي عليها فإنها تشعر بها. وقيل: يدل عليها الإشراق في قصة داود. وما أبعده.

وقوله:» ذكر ربي «يجوز أن يكون مضافا للمفعول أي: عن أن أذكر." (٣)

"قوله: ﴿قل للذين آمنوا يغفروا﴾ : قد تقدم نظيره في سورة إبراهيم.

قوله: «ليجزي» قرأ ابن عامر والأخوان «لنجزي» بنون العظمة أي: لنجزي نحن. وباقي السبعة «ليجزي» بالياء من تحت مبنيا للفاعل أي: ليجزي الله. وأبو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم في رواية كذلك، إلا أنه مبني للمفعول. هذا مع نصب «قوما» . / وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه، أحدها: ضمير المفعول الثاني عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره: ليجزى هو أي: الخير قوما. والمفعول الثاني من باب «أعطى» يقوم مقام الفاعل بلا." (٤)

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٥٣

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٢٥٨

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٣٧٦

(٤) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٦٤٥

"الرابع: أن تكون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير، بل **لدلالة السياق** أي: ووعد أخرى، أو وآتاكم أخرى. الخامس: أن تكون مجرورة ب «رب» مقدرة، وتكون الواو واو «رب» ، ذكره الزمخشري. وفي المجرور بعد الواو المذكورة خلاف مشهور: هو برب مضمرة أم بنفس الواو. إلا أن الشيخ قال: «ولم تأت رب جارة في القرآن على كثرة دورها» يعني جارة لفظا، وإلا فقد قيل: إنها جارة تقديرا هنا وفي قوله: «ربما» على قولنا: إن «ما» نكرة موصوفة.

قوله: ﴿قد أحاط الله بها﴾ / يجوز أن يكون خبرا ل «أخرى» كما تقدم، أو صفة ثانية إذا قيل: بأن «أخرى» مبتدأ، وخبرها مضمر أو حال أيضا.." [1]

"به من دونه في العمل، ابنا كان أو أبا، وهو منقول عن ابن عباس وغيره. والثاني: أنه منصوب بفعل مقدر. قال أبو البقاء: «على تقدير وأكرمنا الذين آمنوا» . قلت: فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال وأن قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى، وأن يريد أنه مضمر **لدلالة السياق** عليه، فلا تكون المسألة من الاشتغال في شيء.

والثالث: أنه مجرور عطفا على «حور عين» . قال الزمخشري: «والذين آمنوا معطوف على» حور عين «أي: قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أي: بالرفقاء والجلساء منهم، كقوله: ﴿إخوانا على سرر متقابلين﴾ [الحجر: ٤٧] فيتمتعون تارة بملاعبة الحور، وتارة بمؤانسة الإخوان» . ثم قال الزمخشري: «ثم قال تعالى: ﴿بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم﴾ أي: بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجتهم ذريتهم، وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم» .

قال الشيخ: «ولا يتخيل أحد أن» والذين آمنوا «معطوف على» بحور عين «غير هذا الرجل، وهو تخيل أعجمي مخالف لفهم العربي القح ابن عباس وغيره» . قلت: أما ما ذكره أبو القاسم من المعنى فلا شك في حسنه ونضارته، وليس في كلام العربي القح ما يدفعه، بل لو عرض على ابن عباس وغيره لأعجبهم. وأي مانع معنوي أو صناعي يمنعه؟ .

وقوله: ﴿واتبعتهم﴾ يجوز أن يكون عطفا على الصلة، ويكون «والذين» مبتدأ، ويتعلق «بإيمان» بالاتباع بمعنى: أن الله تعالى يلحق الأولاد الصغار، وإن لم يبلغوا الإيمان، بأحكام الآباء المؤمنين. وهذا المعنى منقول عن ابن عباس والضحاك. ويجوز أن يكون معترضا بين المبتدأ والخبر، قاله الزمخشري. ويجوز أن يتعلق «بإيمان» بألحقنا كما تقدم. فإن قيل: قوله: «اتبعتهم ذريتهم» يفيد فائدة قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ . فالجواب أن قوله: «ألحقنا بهم» أي: في الدرجات والاتباع إنما هو في حكم الإيمان، وإن لم يبلغوه كما تقدم. وقرأ أبو عمرو و «وأتبعناهم» بإسناد الفعل إلى المتكلم المعظم نفسه. والباقون «واتبعتهم» بإسناد الفعل إلى الذرية وإلحاق تاء التأنيث. وقد تقدم الخلاف في إفراد «ذريتهم» وجمعه في سورة الأعراف محررا بحمد الله تعالى.

قوله: ﴿ألتناهم﴾ قرأ ابن كثير «ألتناهم» بكسر اللام، والباقون بفتحها. فأما الأولى فمن ألت يألت بكسر العين في الماضي وفتحها في المضارع كعلم يعلم.

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٩/٧١٥

وأما الثانية فتحتمل أن تكون من ألت يألت كضرب يضرب، وأن تكون من ألات يليت كأمات يميت، فألتناهم كأمتناهم.." (١)

"قوله: ﴿جميعا﴾ : حال و ﴿إلا في قرى﴾ متعلق ب «يقاتلونكم» .

وقوله: ﴿جدر﴾ قرأ ابن كثير وأبو عمرو «جدار» بالإفراد. وفيه أوجه، أحدها: أنه أراد به السور، والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم. والثاني: أنه واحد في معنى الجمع **لدلالة السياق** عليه. والثالث: أن كل فرقة منهم وراء جدار، لا أنهم كلهم وراء جدار. والباقون قرؤوا جدر بضمتين/ اعتبارا بأن كل فرقة وراء جدار، فجمع لذلك. وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن وثاب والأعمش، ويروى عن ابن كثير وعاصم بضمة وسكون، وهي تخفيف الأولى. وقرأ ابن كثير أيضا في رواية هارون عنه، وهي قراءة كثير من المكيين «جدر» بفتحة وسكون فقيل: هي لغة في الجدار. وقال ابن عطية: «معناه أصل بنيان كالسور ونحوه» قال: «ويحتمل أن يكون من جدر النخيل، أي: أو من." (٢)

"فذاك أمانة الله الثريد

ومنع الصرف لما تقدم، وهذا أحسن لعطف «والقلم» على محله.

قوله: ﴿وما يسطرون﴾ «ما» موصولة اسمية أو حرفية، أي: والذي يسطرونه من الكتب، وهم: الكتاب أو الحفظة من الملائكة وسطرهم. والضمير عائد على من يسطر **لدلالة السياق** عليه. ولذكر الآلة المكتتب بها. وقال الزمخشري: «ويجوز أن يراد بالقلم أصحابه، فيكون الضمير في» يسطرون «لهم» يعني فيصير كقوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه﴾ [النور: ٤٠] تقديره: أو كذي ظلمات، فالضمير في «يغشاه» يعود على «ذي» المحذوف.." (٣)

"ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟

وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه وهو قوله: وجعلوا لله شركاء أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان قل سموهم أي أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي لا وجود له، لأنه لو كان له وجود في الأرض لعلمها، لأنه لا تخفى عليه خافية أم بظاهر من القول قال مجاهد: بظن من القول. وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول، أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى ... بل زين للذين كفروا مكرهم [النجم: ٢٣] قال مجاهد: قولهم أي ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار كقوله تعالى: وقيضنا لهم قرناء فزينوا لهم [فصلت:

٢٥] الآية، وصدوا عن السبيل من قرأها بفتح الصاد معناه أنه لما زين لهم ما هم فيه، وأنه حق دعوا إليه، وصدوا الناس عن اتباع طريق الرسل، ومن قرأها بالضم أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه، صدوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ومن

---

(١) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٧٢/١٠

(٢) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٢٨٩/١٠

(٣) الدر المصون في علوم الكتاب المكنون السمين الحلبي ٣٩٩/١٠

يضلل الله فما له من هاد كما قال ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا [المائدة: ٤١] وقال إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين [النحل: ٣٧] .

[سورة الرعد (١٣) : الآيات ٣٤ الى ٣٥]

لهم عذاب في الحياة الدنيا ولعذاب الآخرة أشق وما لهم من الله من واق (٣٤) مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا وعقبى الكافرين النار (٣٥)

ذكر تعالى عقاب الكفار وثواب الأبرار، فقال بعد إخباره عن حال المشركين وما هم عليه من الكفر والشرك لهم عذاب في الحياة الدنيا

أي بأيدي المؤمنين قتلا وأسرا، ولعذاب الآخرة

أي المدخر مع هذا الخزي في الدنيا أشق

أي من هذا بكثير، كما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم للمتلاعنين: «إن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة» «١» وهو كما قال صلوات الله وسلامه عليه، فإن عذاب الدنيا له انقضاء، وذاك دائم أبدا في نار هي بالنسبة إلى هذه سبعون ضعفا، ووثاق لا يتصور كثافته وشدته، كما قال تعالى: فيومئذ لا يعذب عذابه أحد ولا يوثق وثاقه أحد [الفجر: ٢٥-٢٦] .

وقال تعالى: وأعتدنا لمن كذب بالساعة سعيرا إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظا وزفيرا وإذا ألقوا منها مكانا ضيقا مقرنين دعوا هنالك ثبورا لا تدعوا اليوم ثبورا واحدا وادعوا ثبورا كثيرا قل أذلك خير أم جنة الخلد التي وعد المتقون كانت لهم جزاء ومصيرا [الفرقان: ١١-]

---

(١) أخرجه مسلم في اللعان حديث ٤، وأبو داود في الطلاق باب ٢٧.." [1]

"النضر بن الحارث بن كلدة وقال العوفي عن ابن عباس سأل سائل بعذاب واقع قال: «ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله» وهو واقع بهم «١» ، وقال ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى:

سأل سائل دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة قال وهو قولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم [الأنفال: ٣٢] وقال ابن زيد وغيره سأل سائل بعذاب واقع أي واد في جهنم يسيل يوم القيامة بالعذاب وهذا القول ضعيف بعيد عن المراد، والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه.

وقوله تعالى: واقع للكافرين أي مرصد معد للكافرين، وقال ابن عباس: واقع جاء ليس له دافع أي لا دافع له إذا أراد الله كونه ولهذا قال تعالى: من الله ذي المعارج قال الثوري عن الأعمش عن رجل عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في قوله تعالى: ذي المعارج قال: ذو الدرجات، وقال علي بن أبي طلحة عن ابن عباس: ذي المعارج يعني العلو والفواضل، وقال

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٣٩٩/٤

مجاهد: ذي المعارج معارج السماء، وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم. وقوله تعالى: تعرج الملائكة والروح إليه قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة تعرج تصعد، وأما الروح فقال أبو صالح: هم خلق من خلق الله يشبهون الناس وليسوا ناسا.

قلت ويحتمل أن يكون المراد به جبريل ويكون من باب عطف الخاص على العام، ويحتمل أن يكون اسم جنس لأرواح بني آدم فإنها إذا قبضت يصعد بها إلى السماء كما دل عليه حديث البراء، وفي الحديث الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود والنسائي وابن ماجه من حديث المنهال عن زاذان عن البراء مرفوعا الحديث بطوله في قبض الروح الطيبة قال فيه: «فلا يزال يصعد بها من سماء إلى سماء حتى ينتهي بها إلى السماء التي فيها الله» والله أعلم بصحته.

فقد تكلم في بعض رواته ولكنه مشهور، وله شاهد في حديث أبي هريرة فيما تقدم من رواية الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه من طريق ابن أبي ذئب، عن محمد بن عمرو بن عطاء عن سعيد بن يسار عنه، وهذا إسناد رجاله على شرط الجماعة، وقد بسطنا لفظه عند قوله تعالى: يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة ويضل الله الظالمين ويفعل الله ما يشاء [إبراهيم: ٢٧] .

وقوله تعالى: في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة فيه أربعة أقوال: [أحدها] أن المراد بذلك مسافة ما بين العرش العظيم إلى أسفل السافلين، وهو قرار الأرض السابعة وذلك مسيرة خمسين ألف سنة، هذا ارتفاع العرش عن المركز الذي في وسط الأرض السابعة، وكذلك اتساع العرش من قطر إلى قطر مسيرة خمسين ألف سنة، وأنه من ياقوتة حمراء كما ذكره ابن

---

(١) تفسير الطبري ١٢/ ٢٢٥. [.....]." (١)

"عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «من نذر أن يطيع الله فليطعه ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه» «١» رواه البخاري من حديث مالك. ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد وهو اليوم الذي شره مستطير أي منتشر عام على الناس إلا من رحم الله، قال ابن عباس: فاشيا، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السموات والأرض، وقال ابن جرير «٢» : ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال، ومنه قول الأعشى: [المتقارب]

فبانت وقد أسأرت في الفؤاد ... صدعا على نأيها مستطيرا «٣»

يعني ممتدا فاشيا. وقوله تعالى: ويطعمون الطعام على حبه قيل على حب الله تعالى، وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل **لدلالة السياق** عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد ومقاتل واختاره ابن جرير كقوله تعالى: وآتى المال على حبه وكقوله تعالى: لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون [البقرة: ١٧٧] .

وروى البيهقي من طريق الأعمش عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب فأرسلت صفية، يعني امرأته، فاشترت عنقودا بدرهم فاتبع الرسول سائل فلما دخل به قال السائل:

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٨/٢٣٥

السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه، فأرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل، فلما دخل قال السائل: فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه، فأرسلت صفية إلى السائل فقالت والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا، ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت به.

وفي الصحيح «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» «٤» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير فقال سعيد بن جبير والحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين، ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغداء، وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وهكذا قال سعيد بن جبير وعطاء والحسن وقتادة.

---

(١) أخرجه البخاري في الأيمان باب ٢٨، ومالك في النذور حديث ٨. [.....]

(٢) تفسير الطبري ١٢/ ٣٥٩.

(٣) يروى البيت:

فبانت وقد أورثت في الفؤاد ... صدعا يخالط عثارها

وهو في ديوان الأعشى ص ٣٦٧، وتهذيب اللغة ٢/ ٣٢٦، وتاج العروس (عثر) ، ولسان العرب (عثر) ، وتفسير الطبري ١٢/ ٣٥٩، والبيت بلا نسبة في مجمل اللغة ٣/ ٤٤٤.

(٤) أخرجه مسلم في الزكاة حديث ٩٢.." (١)

"بعده، فلم يحتج إلى وصية في ذلك ولم يوص إلى خليفة يكون بعده على التنصيص؛ لأن الأمر كان ظاهرا من إشارته وإيمائه إلى الصديق؛ ولهذا لما هم بالوصية إلى أبي بكر ثم عدل عن ذلك فقال: "يأبى الله والمؤمنون إلا أبا بكر " (١) وكان كذلك، وإنما أوصى الناس باتباع كتاب الله تعالى. من لم يتغن بالقرآن وقول الله تعالى:

﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾ [العنكبوت: ٥١] .

حدثنا يحيى بن بكير، حدثنا الليث، حدثنا عقيل، عن ابن شهاب قال: أخبرني أبو سلمة بن عبد الرحمن، عن أبي هريرة، رضي الله عنه، أنه كان يقول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لم يأذن الله لشيء، ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن "، وقال صاحب له: يريد يجهر به فرد من هذا الوجه. ثم رواه عن علي بن عبد الله بن المديني، عن سفيان بن عيينة، عن الزهري به (٢) . قال سفيان: تفسيره: يستغني به، وقد أخرجه مسلم والنسائي من حديث سفيان بن عيينة (٣) ومعناه: أن الله ما استمع لشيء كاستماعه لقراءة نبي يجهر بقراءته ويحسنها، وذلك أنه يجتمع في قراءة الأنبياء طيب الصوت لكمال خلقهم وتمام الخشية، وذلك هو الغاية في ذلك.

---

(١) تفسير ابن كثير ط العلمية ابن كثير ٨/٢٩٥

وهو، سبحانه وتعالى، يسمع أصوات العباد كلهم برهم وفاجرهم، كما قالت عائشة، رضي الله عنها: سبحان الذي وسع سمعه الأصوات (٤) . ولكن استماعه لقراءة عباده المؤمنين أعظم، كما قال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ الآية [يونس: ٦١] ، ثم استماعه لقراءة أنبيائه أبلغ كما دل عليه هذا الحديث العظيم، ومنهم من فسر الأذن هاهنا بالأمر، والأول أولى لقوله: "ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن" أي: يجهر به، والأذن: الاستماع؛ **لدلالة السياق** عليه، وكما قال تعالى: ﴿إذا السماء انشقت * وأذنت لربها وحقت * وإذا الأرض مدت * وألقت ما فيها وتخلت * وأذنت لربها وحقت﴾ [الانشقاق: ١-٥] أي: وحق لها أن تستمع أمره وتطيعه، فالأذن هو الاستماع؛ ولهذا جاء في حديث رواه ابن ماجه بسند جيد عن فضالة بن عبيد قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " لله أشد أذنا إلى الرجل (٥) الحسن الصوت بالقرآن [يجهر به] (٦) من صاحب القينة إلى قينته " (٧) .

وقال سفيان بن عيينة: إن المراد بالتغني: يستغني به، فإن أراد: أنه يستغني عن الدنيا، وهو الظاهر من كلامه الذي تابعه عليه أبو عبيد القاسم بن سلام وغيره، فخلاف الظاهر من مراد الحديث؛ لأنه قد فسره بعض رواته بالجهر، وهو تحسين القراءة والتحزين بها (٨) .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه برقم (٧٢١٧) ومسلم في صحيحه برقم (٢٣٨٧) من حديث عائشة، رضي الله عنها.

(٢) صحيح البخاري برقم (٥٠٢٣، ٥٠٢٤) .

(٣) صحيح مسلم برقم (٧٩٢) وسنن النسائي (٢/ ١٨٠) .

(٤) رواه النسائي في السنن (٦/ ١٦٨) ورواه البخاري في صحيحه برقم (٧٣٨٥) معلقا.

(٥) في ط، جـ: "أذنا الرجل".

(٦) زيادة من ابن ماجة.

(٧) سنن ابن ماجة برقم (١٣٤٠) .

(٨) نقل الحافظ ابن حجر في الفتح (٩/ ٧٠) عن ابن الجوزي أربعة أقوال في معنى يتغنى: تحسين الصوت، الاستغناء، التحزن كما قال الشافعي، التشاغل به. قال: وحكى ابن الأنباري قولا خامسا وهو التلذذ والاستحلاء.." [١]

"وفي الصحيحين: "إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته"، ثم قرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم: ﴿وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة إن أخذه أليم شديد﴾ [هود: ١٠٢] . (١)

﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣) ﴾

يقول تعالى: ﴿أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت﴾ أي: حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة، يعلم ما يعمل

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٥٩/١

العاملون من خير وشر، ولا يخفى عليه خافية، ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾ [يونس: ٦١] وقال تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾ [الأنعام: ٥٩] وقال ﴿وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل في كتاب مبين﴾ [هود:٦] وقال ﴿سواء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾ [الرعد: ١٠] وقال ﴿يعلم السر وأخفى﴾ [طه: ٧] وقال ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾ [الحديد [٤] أفمن هو هكذا كالأصنام التي يعبدونها (٢) لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل، ولا تملك نفعا لأنفسها ولا لعابديها، ولا كشف ضر عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه، وهو قوله: ﴿وجعلوا لله شركاء﴾ أي: عبدوها معه، من أصنام وأنداد وأوثان.

﴿قل سموهم﴾ أي: أعلمونا بهم، واكشفوا عنهم حتى يعرفوا، فإنهم لا حقيقة لهم؛ ولهذا قال: ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي: لا وجود له؛ لأنه لو كان له (٣) وجود في الأرض لعلمها؛ لأنه لا تخفى عليه خافية.

﴿أم بظاهر من القول﴾ قال مجاهد: بظن من القول.

وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول.

أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر، وسميتموها آلهة، ﴿إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان إن يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس ولقد جاءهم من ربهم الهدى﴾ [النجم: ٢٣] .

﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال مجاهد: قولهم، أي: ما هم عليه من الضلال والدعوة إليه

---

(١) صحيح البخاري برقم (٤٦٨٦) وصحيح مسلم برقم (٢٥٨٣) من حديث أبي موسى، رضي الله عنه.

(٢) في ت، أ: "عبدوها".

(٣) في ت، أ: "لها".." [١]

"تفسير سورة سأل سائل

وهي مكية.

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿سأل سائل بعذاب واقع (١) للكافرين ليس له دافع (٢) من الله ذي المعارج (٣) تعرج الملائكة والروح إليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة (٤) فاصبر صبرا جميلا (٥) إنهم يرونه بعيدا (٦) ونراه قريبا (٧) ﴾

﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ فيه تضمين دل عليه حرف "الباء"، كأنه مقدر: يستعجل سائل بعذاب واقع. كقوله: ﴿ويستعجلونك بالعذاب ولن يخلف الله وعده﴾ أي: وعذابه واقع لا محالة.

قال النسائي: حدثنا بشر بن خالد، حدثنا أبو أسامة، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن المنهال بن عمرو، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قال: النضر بن الحارث بن كلدة.

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤٦٣/٤

وقال العوفي، عن ابن عباس: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ قال: ذلك سؤال الكفار عن عذاب الله وهو واقع.

وقال ابن أبي نجيح، عن مجاهد في قوله: تعالى ﴿سأل سائل﴾ دعا داع بعذاب واقع يقع في الآخرة، قال: وهو قولهم: ﴿اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم﴾ [الأنفال: ٣٢] .

وقال ابن زيد وغيره: ﴿سأل سائل بعذاب واقع﴾ أي: واد في جهنم، يسيل يوم القيامة بالعذاب. وهذا القول ضعيف، بعيد عن المراد. والصحيح الأول **لدلالة السياق** عليه.

وقوله: ﴿واقع للكافرين﴾ أي: مرصد معد للكافرين.

وقال ابن عباس: ﴿واقع﴾ جاء ﴿ليس له دافع﴾ أي: لا دافع له إذا أراد الله كونه؛ ولهذا قال ﴿من الله ذي المعارج﴾ قال الثوري، عن الأعمش، عن رجل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله: ﴿ذي المعارج﴾ قال: ذو الدرجات.

وقال علي بن أبي طلحة، عن ابن عباس: ﴿ذي المعارج﴾ يعني: العلو والفواضل.

وقال مجاهد: ﴿ذي المعارج﴾ معارج السماء. وقال قتادة: ذي الفواضل والنعم.." (١)

"قال الإمام مالك، عن طلحة بن عبد الملك الأيلي، عن القاسم بن مالك، عن عائشة، رضي الله عنها، أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "من نذر أن يطيع الله فليطعه، ومن نذر أن يعصي الله فلا يعصه"، رواه البخاري من حديث مالك (١) .

ويتركون المحرمات التي نهاهم عنها خيفة من سوء الحساب يوم المعاد، وهو اليوم الذي شره مستطير، أي: منتشر عام على الناس إلا من رحم الله.

قال ابن عباس: فاشيا. وقال قتادة: استطار -والله- شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض.

قال ابن جرير: ومنه قولهم: استطار الصدع في الزجاجة واستطال. ومنه قول الأعشى:

فبانت وقد أسأرت في الفؤا ... د صدعا، على نأيها مستطيرا (٢)

يعني: ممتدا فاشيا.

وقوله: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قيل: على حب الله تعالى. وجعلوا الضمير عائدا إلى الله عز وجل **لدلالة السياق** عليه. والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي: ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد، ومقاتل، واختاره ابن جرير، كقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾ [البقرة: ١٧٧] ، وكقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾ [آل عمران: ٩٢] .

وروى البيهقي، من طريق الأعمش، عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا -أول ما جاء العنب-فأرسلت صفية -يعني امرأته-فاشترت عنقودا بدرهم، فاتبع الرسول السائل، فلما دخل به قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. ثم أرسلت بدرهم آخر فاشترت عنقودا فاتبع الرسول السائل، فلما دخل قال السائل: السائل. فقال ابن عمر: أعطوه إياه. فأعطوه إياه. فأرسلت صفية إلى السائل فقالت: والله إن عدت لا تصيب منه خيرا أبدا. ثم أرسلت بدرهم

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٨/٢٢٠

آخر فاشترت به (٣) .

وفي الصحيح: "أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح، شحيح، تأمل الغنى، وتخشى الفقر" (٤) أي: في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه؛ ولهذا قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ أما المسكين واليتيم، فقد تقدم بيانهما وصفتهما. وأما الأسير: فقال سعيد بن جبير، والحسن، والضحاك: الأسير: من أهل القبلة. وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين. ويشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدموهم على أنفسهم عند الغداء، وهكذا قال سعيد بن جبير، وعطاء، والحس، وقتادة.

---

(١) صحيح البخاري برقم (٦٦٩٦، ٦٧٠٠) .

(٢) تفسير الطبري (١٢٩/٢٩) .

(٣) السنن الكبرى للبيهقي (١٨٥/٤) .

(٤) صحيح مسلم برقم (١٠٣٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.." [1]

"قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة. وكذا قال مجاهد، والحسن، وبكر بن عبد الله المزني، وغيرهم.

وقال الضحاك والسدي: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي: لم يخف (١) الذي عقرها عاقبة ما صنع. والقول الأول أولى؛ **لدلالة السياق** عليه، والله أعلم.

آخر تفسير "والشمس وضحاها".

---

(١) في أ: "لم يخف الله".." [2]

"قراءة الجماعة «أزلهما» يجوز أن تكون من «زل عن المكان» : إذا تنحى عنه، فتكون من الزوال كقراءة «حمزة» ، ويدل عليه قول امرئ القيس: [الطويل]

٤٠٤ - كميت يزل اللبد عن حال متنه ... كما زلت الصفواء بالمتنزل

وقال أيضا: [الطويل]

٤٠٥ - يزل الغلام الخف عن صهواته ... ويلوي بأثواب العنيف المثقل

فرددنا قراءة الجماعة إلى قراءة «حمزة» ، أو نرد قراءة «حمزة» إلى قراءة الجماعة بأن نقول: معنى أزالهما: أي صرفهما عن طاعة الله، فأوقعهما في الزلة؛ لأن إغواءه وإيقاعه لهما في الزلة سبب للزوال، ويحتمل أن تفيد كل قراءة معنى مستقلا، فقراءة الجماعة تؤذن بإيقاعها في الزلة، فيكون «زل» بمعنى: استزل، وقراءة: حمزة «تؤذن بتنحيتهما عن مكانهما، ولا بد من المجاز في كلتا القراءتين، لأن الزلل أصله من زلة القدم، فاستعمل هنا في زلة الرأي والتنحية لا يقدر عليها الشيطان، وإنما يقدر

---

(١) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٢٨٨/٨

(٢) تفسير ابن كثير ت سلامة ابن كثير ٤١٥/٨

على الوسوسة التي هي سبب التنحية.

و» عنها «متعلق بالفعل قبله، ومعنى» عن «هنا السببية إن أعدنا الضمير على» الشجرة «أي: أوقعهما في الزلة بسبب الشجرة.

قال» الزمخشري «لفظة» عن «في هذه الآية كما في قوله: ﴿وما فعلته عن أمري﴾ [الكهف: ٨٢] .

ويجوز أن تكون على بابها من المجاوزة إن عاد الضمير على» الجنة «، وهو الأظهر، لتقدم ذكرها، وتجيء عليه قراءة» حمزة «واضحة، ولا تظهر قراءته كل الظهور على كون الضمير ل» الشجرة «.

قال» ابن عطية «فأما من قرأ» أزالهما «فإنه يعود على» الجنة «فقط.

وقيل: الضمير للطاعة، أو للحالة، أو للسماء، وإن لم يجر لهما ذكر **لدلالة السياق** عليهما. وهذا بعيد جدا.

فإن قيل: إن الله – تعالى – قد أضاف الإزلال إلى» إبليس «فلم عاتبهما على ذلك الفعل؟." [١]

"والباقون بهمزتين استفهاما، وقد تقدم قراءتهم في هاتين الهمزتين تخفيفا، وتسهيلا وغير ذلك، فأما قراءة ابن كثير، فيحتمل أن تكون خبرا محضا واستبعد هذا من حيث تخالف القراءتين مع أن القائل واحد.

وقد أجيب عن ذلك بأن بعضهم قاله استفهاما، وبعضهم قاله خبرا، ويحتمل أن يكون استفهاما حذف منه الأداة **لدلالة السياق**، والقراءة الأخرى عليه، وقد تقدم نحو هذا في الإعراب.

وقرأ أبي (أوأنت يوسف) فمن قرأ بالاستفهما قالوا: إن يوسف لما قال لهم: ﴿هل علمتم ما فعلتم﴾ تبينوا يوسف، فأبصروا ثناياه كاللؤلؤ المنظوم.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما لما قال هذا القول تبسم فرأوا ثناياه كاللؤلؤن فشبهوه بيوسف، ولم يعرفوه، فقالوا استفهاما: ﴿أإنك لأنت يوسف﴾ ويدل على أنه استفهام قوله: «أنا يوسف» ، وإنما أجابهم عما استفهموا عنه، ومن قرأ على الخبر فحجته ما روى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال: إن أخوة يوسف لم يعرفوه حتى وضع التاج عن رأسه، كان في قرنه شامة وكان لإسحاق، ويعقوب مثلها تشبه التاج عرفوه بتلك العلامة.

وقال ابن إسحاقك «كان يتكلم من وراء ستر، فلما قال: ﴿هل علمتم ما فعلتم بيوسف﴾ رفع الحجاب فعرفوه» وقيل: قالوه على التوهم.

«واللام في:» لأنت «لام الابتداء، و» أنت «مبتدأ، و» يوسف «خبره والجملة خبر» إن «ويجوز أن تكون» أنت «فصلا، ولا يجوز أن يكن تأكيدا لاسم» إن «لأن هذه اللام لا تدخل على التوكيد» .

وقرأ أبي: (أئنك أو أنت يوسف) وفيها وجهان:

أحدهما: قال أبوا الفتح: إن الأصل: أئنك لغير يوسف، أو أنت يوسف فحذف خبر «إن» لدلالة المعنى عليه.

والثاني: ما قاله الزمخشري: المعنى: أئنك يوسف، أو أنت يوسف فحذف الأول لدلالته، وهذا كلام متعجب مستغرب لما يسمع، فهو يكرر الاستثبات فقال: ﴿أنا يوسف وهذا أخي﴾ وإنما صرح بالاسم تعظيما لما نزل به من ظلم إخوته، وما

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٦١/١

عوضه الله من الظفر والنصر، فكأنه قال: أنا الذي ظلمتموني على أعظم الوجوه، والله أوصلني إلى أعظم المناصب، أنا ذلك العاجز الذي قصدتم قتله، وإلقاءه في الجب، ثم صرت كما ترون، ولهذا قال: «وهذا أخي» مع أنهم كانوا يعرفونه؛ لأن مقصوده أن يقول: وهذا أيضا كان مظلوما كما كنت، ثم إنه صار منعما عليه من قبل الله كما ترون. ﴿قد من الله." (١)

"وأصل الزكاة النمو والزيادة.

وقيل: أرخص طعاما ﴿فليأتكم برزق منه﴾ أي: قوت وطعام تأكلونه.

قوله: «وليتلطف» قرأ العامة بسكون لام الأمر، والحسن بكسرها على الأصل، [وقتيبة الميال] «وليتلطف» مبنيا للمفعول، وأبو جعفر وأبو صالح، وقتيبة «ولا يشعرن» بفتح الياء وضم العين.

فإن قيل: «بكم» «أحد» فاعل به.

فالجواب: معنى «وليتلطف» أي: يكون في سترة، وكتمان في دخول المدينة، قاله الزمخشري، ويجوز أن يعود على قومهم؛ **لدلالة السياق** عليهم.

وقرأ زيد بن علي «يظهروا» مبنيا للمفعول.

فصل

﴿يظهروا عليكم﴾ ، أي: يطلعوا عليكم، ويعلموا مكانكم.

وقيل: أو يشرفوا على مكانكم أو على أنفسكم من قولهم: ظهرت على فلان، إذا علوته، وظهرت على السطح، إذا صرت فوقه، ومنه قوله تعالى: ﴿فأصبحوا ظاهرين﴾ [الصف: ١٤] أي عالين.

وقوله: ﴿ليظهره على الدين كله﴾ [التوبة: ٣٣] أي: ليعليه.

قوله: ﴿يرجموكم﴾ . قال ابن جريج: يشتموكم، ويؤذوكم بالقول، وقيل: يقتلوكم بالحجارة، والرجم بمعنى القتل كثير. قال تعالى: ﴿ولولا رهطك لرجمناك﴾ [هود: ٩١] وقوله: ﴿أن ترجمون﴾ [الدخان: ٢٠] والرجم أخبث القتل، قاله الزجاج.

﴿أو يعيدوكم في ملتهم﴾ أي يردوكم إلى دينهم.

قوله: ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ أي إن رجعتم إلى دينهم، لم تسعدوا في الدنيا، ولا في الآخرة، ف «إذا» جواب وجزاء، أي: إن يظهروا، فلن تفلحوا.

وقال الزجاج: لن تفلحوا، إذا رجعتم إلى ملتهم أبدا، فإن قيل: أليس أنهم لو أكرهوا على الكفر، حتى أظهروا الكفر، لم يكن عليهم مضرة، فكيف قالوا: ﴿ولن تفلحوا إذا أبدا﴾ ؟ .." (٢)

"قوله: ﴿ولئن أرسلنا ريحا فرأوه مصفرا﴾ لما بين أنهم عند توقف الخير يكونون منيبين آيسين، وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بل لو أصاب زرعهم ريح مفسد لكفروا فهم متقلبون غير تأمين نظرهم إلى الحالة لا إلى المآل.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١١/٢٠١

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢/٤٥١

فصل

سمى النافعة رياحا، والضارة ريحا لوجوه:

أحدها: أن النافعة كثيرة ألنواع كبيرة الأفراد، فجمعها لأن في كل يوم وليلة (تهب) نفحات من الرياح النافعة، (و) لا تهب الريح الضارة في أعوام بل الضارة لا تهب في الدهور.

الثاني: أن النافعة لا تكون إلا رياحا وأما الضارة فنفحة واحدة تقتل كريح السموم.

الثالث: جاء في الحديث «أن ريحا هبت فقال عليه (الصلاة و) السلام:» اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا «إشارة إلى قوله تعالى: ﴿يرسل الرياح بشرى بين يدي رحمته﴾ [الأعراف: ٥٧] وقوله: ﴿يرسل الرياح مبشرات﴾ [الروم: ٤٦] وإشارة إلى قوله تعالى: ف ﴿أرسلنا عليهم الريح العقيم﴾ [الذاريات: ٤١] وقوله: ﴿ريحا صرصرا في يوم نحس مستمر تنزع الناس﴾ [القمر: ١٩، ٢٠] .

فصل

معنى الآية ولئن أرسلنا ريحا أي مضرة أفسدت الزرع فرأوه مصفرا بعد الخضرة لظلوا لصاروا من بعد اصفرار الزرع يكفرون يجحدون ما سلف من النعمة يعني أنهم يفرحون عند الخصب، ولو أرسلت عذابا على زرعهم (جحدوا) سالف نعمتي.

قوله:» فرأوه «أي فرأوا النبات **لدلالة السياق** عليه أو على الأثر، لأن الرحمة هي." (١)

"والسلام في درجة محمد عليه السلام ثم بين الله تعالى عقوبتهم فقالك «إن كانت إلا صيحة واحدة» .

قوله: ﴿إن كانت إلا صيحة﴾ العامة على النصب على أن «كان» ناقصة واسمها ضمير الأخذ **لدلالة السياق** عليها و «صيحة» خبرها وقرأ أبو جعفر وشيبة ومعاذ القارئ برفعها على أنها التامة أي إن وقع وحدث وكان ينبغي أن لا يلحق تاء التأنيث للفصل «بإلا» بل الواجب في غير ندور واضطرار حذف التاء نحو: ما قام إلا هند وقد شذ الحسن وجماعة فقرأوا: ﴿لا يرى إلا مساكنهم﴾ [الأحقاف: ٢٥] كما سيأتي إن شاء الله تعالى وقوله:

٤١٧٥ - ... ... وما بقيت إلا الضلوع الجراشع

وقوله:

٤١٧٦ - ما برئت من ريبة وذم ... في حربنا إلا بنات العم

قال الزمخشري: أصله إن كان شيء إلا صيحة فكان الأصل أن يذكر لكنه تعالى أنث لما بعده من المفسر وهو الصيحة وقوله: «واحدة» تأكيد لكون الأمر هينا عنده وقوله: ﴿فإذا هم خامدون﴾ إشارة إلى سرعة الهلاك فإن خمودهم كان من الصيحة في وقتها لم يتأخر ووصفهم بالخمود في غاية الحسن لأن الحي فيه الحرارة الغريزية وكلما كانت الحرارة أوفر كانت القوة الغضبية والشهوانية أتم وهم كانوا كذلك أما الغضب.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب   ابن عادل ١٥/٤٢٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب   ابن عادل ١٦/٢٠٠

"الثاني: أن «حب» مصدر على حذف الزوائدة ولاناصب له «أحببت» .

الثالث: أنه مصدر تشبيهي أي حبا مثل حب الخير.

الرابع: أنه قيل: ضمن معنى أنبت فلذلك تعدى بعن.

الخامس: أن أحببت بمعنى لزمت.

قال ابن الخطيب: إن الإنسان قد يحب (شيئا ولكنه يحب أن) لا يحبه كالمريض الذي يشتهي في مرضه فأما من أحب شيئا وأحب أن يحبه فذلك غاية المحبة، فقوله: ﴿أحببت حب الخير﴾ أي أحببت حبير للخير.

السادس: أن أحببت من أحب البعير إذا سقط وبرك من الإعياء، والمعنى قعدت عن ذكر ربي فيكون «حب الخير» على هذا مفعولا من أجله، والمراد بقوله: ﴿عن ذكر ربي﴾ قيل: عن صلاة العصر، وقيل: عن كتاب ربي وهو التوراة، لأن إرتباط الخيل كما أنه في القرآن ممدوح فكذلك في التوراة ممدوح وقوله ﴿ذكر ربي﴾ يجوز أن يكون مضافا للمفعول أي عن أن أذكر ربي، وأن يكون مضافا للفاعل أي عن ذكر بي ربي والمراد بالخير: الخيل والعرب تعاقبت بين الراء واللام (تقول) : ختلت الرجل وخترته أي خدعته، وسميت الخيل (خيرا) لأنه معقود بواصيها الخير الأجر والمغنم.

قوله: ﴿حتى توارت﴾ في الفاعل وجهان:

أحدهما: هو: «الصافنات» ، والمعنى: حتى دخلت إصطبلاتها فتوارت وغابت.

والثاني: أنه: «الشمس» أضمرت لدلالة السياق عليها، وقيل: لدلالة «العشي»." [1]

"قال ابن الخطيب: وإنما قالوا بالنسخ، لأنه يدخل تحت الغفران أن لا يقتلوا ولا يقاتلوا فلما أمروا بالمقاتلة كان نسخا. والأقرب أن يقال: إنه محمول على ترك المنازعة، وعلى التجاوز عما يصدر عنهم من الكلمات المؤذية وقوله: ﴿لا يرجون أيام الله﴾ قال ابن عباس: لا يرجون ثواب الله ولا يخافون عقابه ولا يخشون مثل عذاب الأمم الخالية وتقدير تفسير «أيام الله» عند قوله: ﴿وذكرهم بأيام الله﴾ [إبراهيم: ٥] .

قوله: ﴿ليجزي قوما﴾ قرأ ابن عامر والأخوان: لنجزي بنون العظمة، أي لنجزي نحن. وباقي السبعة ليجزي بالياء من تحت مبنيا للفاعل؛ أي ليجزي الله. وأبو جعفر بخلاف عنه وشيبة وعاصم في رواية كذلك إلا أنه مبني للمفعول هذا مع نصب «قوما» . وفي القائم مقام الفاعل ثلاثة أوجه:

أحدها: ضمير المفعول الثاني، عاد الضمير عليه لدلالة السياق تقديره: ليجزي هو أي الخير قوما والمفعول الثاني من باب أعطى، بقوم مقام الفاعل بلا خلاف، ونظيرهن: الدرهم أعطي زيدا.

الثاني: أن القائم مقامه ضمير المصدر المدلول عليه بالفعل، أي ليجزى الجزاء. وفيه نظر لأنه لا يترك المفعول به، ويقام المصدر، لا سيما مع عدم التصريح به.

الثالث: أن القائم مقامه الجار والمجرور، وفيه حجة للأخفش والكوفيين حيث يجيزون نيابة غير المفعول به مع وجوده

---

(١) اللباب في علوم الكتاب   ابن عادل ٤١٥/١٦

وأنشدوا:

٤٤٤١ - ... ... لسب بذلك الجرو الكلابا." (١)

"إذا الحروب أقبلت تلهب ... فقال علي رضي الله عنه:

٤٤٩٤ - أنا الذي سمتني أمي حيدره ... كليث غابات كريه المنظره ... أكيلكم بالصاع كيل السندره ... قال: فضرب رأس مرحب فقتله، ثم كان الفتح على يديه.

(ومعنى أكليكم بالسيف كيل السندرة أي أقتلكم قتلا واسعا ذريعا. والسندرة مكيال واسع. قيل يحتمل أن يكون اتخذ من السندرة وهي شجرة يعمل منها النبل، والقسي، والسندرة أيضا العجلة، والنون زائدة. قال ابن الأثير: وذكرها الجوهري في هذا الباب ولم ينبه على زيادتها) .

وروي فتح خيبر من طرق أخر في بعضها زيادات وفي بعضها نقصان عن بعض.

قوله: «وأخرى» يجوز فيها أوجه:

أحدها: أن تكون مرفوعة بالابتداء و ﴿لم تقدروا عليها﴾ صفتها و ﴿قد أحاط الله بها﴾ خبرها.

الثاني: أن الخبر «منهم» محذوف مقدر قبلها، أي وثم أخرى لم تقدروا عليها.

الثالث: أن تكون منصوبة بفعل مضمر على شريطة التفسير، فتقدر بالفعل من معنى المتأخر وهو ﴿قد أحاط الله بها﴾ أي وقضى الله أخرى.

(الرابع: أن تكمون منصوبة بفعل مضمر لا على شريطة التفسير، بل **لدلالة السياق**، أي ووعد أخرى، أو وآتاكم أخرى.

الخامس: أن تكون مجرورة ب «رب» مقدرة، ويكون الواو واو «رب» ذكره." (٢)

"تعالى: ﴿وزوجناهم﴾ إشارة إلى النعمة الرابعة، وفيها ما يدل على كمال الحال من وجوه:

الأول: أنه هو المزوج وهو الولي الذي يلي الطرفين يزوج عباده بإمائه ومن يكون كذلك لا يفعل إلا ما فيه راحة العباد والإماء.

الثاني: قال: «وزوجناهم بحور» ولم يقل: وزوجناهم حورا مع أن لفظ التزويج يتعدى فعله إلى مفعولين بغير حرف، تقول زوجتكها، قال الله تعالى: ﴿فلما قضى زيد منها وطرا زوجناكها﴾ [الأحزاب: ٣٧] وذلك إشارة إلى أن المنفعة في التزويج لهم، وإنما زوجوا للذتهم بالحور لا للذة الحور بهم.

الثالث: عدم الاقتصار على الزوجات بل وصفهن بالحسن واختار الأحسن من الأحسن، فإن أحسن ما في صورة الآدمي وجهه، وأحسن ما في الوجه العين.

قوله: ﴿والذين آمنوا﴾ فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: أنه مبتدأ، والخبر الجملة من قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ ، والذريات هنا يصدق على الآباء، وعلى الأبناء، أي أن

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٥/١٧

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٤٩٨/١٧

المؤمن إذا كان عمله أكثر ألحق به من دونه في العمل ابنا كان أو أبا. وهو منقول عن ابن عباس وغيره.

الثاني: أنه منصوب بفعل مقدر، قال أبو البقاء على تقدير: وأكرمنا الذين آمنوا. قال شهاب الدين: فيجوز أن يريد أنه من باب الاشتغال، وأن قوله: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ مفسر لذلك الفعل من حيث المعنى وأن يريد أنه مضمر **لدلالة السياق** عليه، فلا تكون المسألة من الاشتغال في شيء.

الثالث: قال ابن الخطيب: إنه معطوف على: ﴿إن المتقين في جنات﴾ ثم قال: فإذا كان كذلك فلم أعاد لفظ «الذين آمنوا» وكان المقصود يحصل بقوله تعالى: ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ بعد قوله ﴿وزوجناهم﴾ كان يصير التقدير: وزوجناهم وألحقنا بهم؟ نقول: فيه فائدة وهي أن المتقين هم الذين اتقوا الشرك والمعصية وهم الذين آمنوا وعملوا الصالحات، فقال ههنا: الذين آمنوا بمجرد الإيمان يصير ولده من أهل الجنة، ثم إن ارتكب الأب كبيرة أو صغيرة لا يعاقب به ولده بل الوالد، وربما يدخل الجنة الابن قبل الأب، وقد ورد في الخبر أن الولد الصغير يشفع لأبيه، وذلك إشارة إلى الجزاء.." (١)

"فصل في معنى الآية

المعنى: لأنتم يا معشر المسلمين ﴿أشد رهبة﴾ أي خوفا وخشية في صدورهم من الله، يعني صدور بني النضير.

وقيل: صدور المنافقين، ويحتمل أن يرجع إلى الفريقين، أي: يخافون منكم أكثر مما يخافون من ربهم، «ذلك» إشارة إلى الخوف أي ذلك الخوف ﴿بأنهم قوم لا يفقهون﴾ قدر عظمة الله وقدرته حتى يخشوه حق خشيته.

قوله تعالى: ﴿لا يقاتلونكم جميعا﴾ يعني اليهود والمنافقين لا يقدرون على مقاتلتكم مجتمعين «إلا» إذا كانوا ﴿في قرى محصنة﴾ بالخنادق والدروب والحيطان [يظنون] أنها تمنعهم منكم، ﴿أو من ورآء جدر﴾ أي: من خلف حيطان يستترون بها لجبنهم ورهبتهم.

قوله: «جميعا» حال، و ﴿إلا في قرى﴾ متعلق ب «يقاتلونكم» .

وقوله: «جدر» .

قرأ ابن كثير وأبو عمرو: «جدار» بالإفراد. وفيه أوجه:

أحدها: أنه السور، والسور الواحد يعم الجميع من المقاتلة ويسترهم.

والثاني: أنه واحد في معنى الجمع **لدلالة السياق** عليه.

والثالث: أن كل فرقة منهم وراء جدار لا أنهم كلهم وراء جدار.

والباقون قرأوا: «جدر» – بضمتين – اعتبارا بأن كل فرقة وراء جدار، فجمع لذلك.

وقرأ الحسن وأبو رجاء وابن وثاب والأعمش، ويروى عن ابن كثير وعاصم: بضمة وسكون؛ وهي تخفيف الأولى، وقرأ ابن كثير – أيضا – في رواية هارون عنه، وهي قراءة كثير من المكيين: «جدر» بفتحة وسكون.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ١٢٧/١٨

فقيل: هي لغة في الجدار.

وقال ابن عطية: معناه أصل بنيات كالسور ونحوه: قال: ويحتمل أن يكون من." [1]

"وسعيد بن جبير وعيسى بخلاف عنه: بفتحها.

فالأولى على التقاء الساكنين، ولا يجوز أن يكون مجرورا على القسم حذف حرف الجر وبقي عمله، كقولهم «الله لأفعلن» ، لوجهين:

أحدهما: أنه مختص بالجلالة المعظمة نادر فيما عداها.

والثاني: أنه كان ينبغي أن ينون، ولا يحسن أن يقال: هو ممنوع الصرف اعتبارا بتأنيث السورة، لأنه كان ينبغي ألا يظهر فيه الجر بالكسر ألبتة.

وأما الفتح، فيحتمل ثلاثة أوجه:

أحدها: أن يكون بناء، وأوثر على الأصل للخفة ك «أين وكيف» .

الثاني: أن يكون مجرورا بحرف القسم المقدر على لغة ضعيفة، وقد تقدم ذلك في قراءة «فالحق والحق» [ص: ٨٤] ، بجر «الحق» ، ومنعت الصرف اعتبارا بالسورة.

والثالث: أن يكون منصوبا بفعل محذوف، أي:، اقرأوا نونا ثم ابتدأ قسما بقوله: «والقلم» أو يكون منصوبا بعد حذف حرف القسم؛ كقوله: [الوافر]

٤٨٠٧ - ... ... فذاك أمانة الله الثريد

ومنع الصرف لما تقدم، وهذا أحسن لعطف العلم على محله.

قوله: ﴿وما يسطرون﴾ .

«ما» موصولة، اسمية أو حرفية، أي: والذي يسطرونه من الكتب، وهم الكتاب والحفظة من الملائكة وسطرهم.

والضمير عائد على من يسطر **لدلالة السياق** عليه ولذكر الآلة المكتتب بها.

وقال الزمخشري يجوز أن يراد بالقلم أصحابه فيكون الضمير في «يسطرون» لهم.

يعني فيصير كقوله: ﴿أو كظلمات في بحر لجي يغشاه﴾ [النور: ٤٠] تقديره: أو كذي ظلمات فالضمير في «يغشاه» يعود على «ذي» المحذوف.

فصل في المراد بالقلم

في «القلم» المقسم به قولان:

أحدهما: أن المراد به الجنس، وهو واقع على كل قلم يكتب به في السماء والأرض، قال تعالى: ﴿وربك الأكرم الذى علم بالقلم علم الإنسان ما لم يعلم﴾ [العلق: ٣، ٤، ٥] ،." [2]

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٦٠١/١٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٦٤/١٩

"والثاني: أنه منصوب على الصرف، وقد تقدم معنى ذلك، وأنه مذهب الكوفيين، وأنه لم يثبت بدليل.
والثالث: أنه منصوب بإضمار «أن» في جواب النهي، وهذا مذهب الأخفش، وجوزه ابن عطية والزمخشري، ومكي، وأبو البقاء، قال أبو حيان: «وأما إعراب الأخفش، وتجويز الزمخشري ذلك هنا، فتلك مسألة:» لا تأكل السمك، وتشرب اللبن «قال النحويون: إذا نصب، كان الكلام نهيا عن الجمع بينهما، وهذا المعنى: لا يصح في الآية لوجهين:
أحدهما: أن النهي عن الجمع لا يستلزم النهي عن كل واحد منهما على انفراده، والنهي عن كل واحد منهما يستلزم النهي عن الجمع بينهما؛ لأن الجمع بينهما حصول كل واحد منهما، وكل واحد منهما منهي عنه ضرورة؛ إلا ترى أن أكل المال بالباطل حرام سواء أفرد أم جمع مغ غيره من المحرمات؟
والثاني – وهو أقوى –: أن قوله» لتأكلوا «علة لما قبلها، فلو كان النهي عن الجمع، لم تيصح العلة له؛ لأنه مركب من شيئين، لا تصح العلة أن تترتب على وجودهما، بل إنما تترتب على وجود أحدهما: وهو الإدلاء بالأموال إلى الحكام» .
والإدلاء مأخوذ من إدلاء الدلو، وهو إرساله إلى البئر؛ للاستقاء؛ يقال: «أدلى دلوه» إذا أرسلها، ودلاها: إذا أخرجها، ثم جعل كل إلقاء قول أو فعل إدلاء؛ ومنه يقال للمحتج أدلى بحجته، كأنه يرسلها، ليصل إلى مراده؛ كإدلاء المستقي الدلو؛ ليصل إلى مطلوبه من الماء، وفلان يدلي إلى الميت بقرابة، أو رحم؛ إذا كان منتسبا، فيطلب الميراث بتلك النسبة.
و «بها» متعلق ب «تدلوا» وفي الباء قولان:
أحدهما: أنها للتعدية، أي لترسلوا بها إلى الحكام.
والثاني: أنها للسبب؛ بمعنى أن المراد بالإدلاء الإسراع بالخصومة في الأموال؛ إم لعدم بينة عليها، أو بكونها أمانة؛ كمال الأيتام، والضمير في «بها» : الظاهر أنه للأموال: وقيل: إنه لشهادة الزور؛ **لدلالة السياق** عليها، وليس بشيء.
و «من أموال» في محل نصب صفة ل «فريقا» أي: فريقا كائنا من أموال الناس.
قوله: «بالإثم» تحتمل هذه الباء: أن تكون للسبب، فتتعلق بقوله: «لتأكلوا» وأن تكون للمصاحبة، فتكون حالا من الفاعل في «لتأكلوا وتتعلق بمحذوف أي: لتأكلوا ملتبسين بالإثم.." (١)
"قوله: «ولا تقاتلوهم» قرأ الجمهور الأفعال الثلاثة: «ولا تقاتلوهم حتى يقاتلوكم، فإن قاتلوكم» بالألف من القتال، وقرأها حمزة، والكسائي من غير ألف من القتل وهو المصحف بغير ألف، وإنما كتبت كذلك؛ للإيجاز؛ كما كتبوا الرحمن بغير ألف، وما أشبه ذلك من حروف المد واللين.
فأما قراءة الجمهور فواضحة؛ لأنها نهي عن مقدمات القتل؛ فدلالتها على النهي عن القتل بطريق الأولى، وأما قراءة الأخوين، ففيها تأويلان:
أحدهما: أن يكون المجاز في الفعل، أي: ولا تقتلوا بعضهم؛ حتى يقتلوا بعضكم؛ ومن ﴿قاتل معه ربيون﴾ [آل عمران: ١٤٦] ثم قال «فما وهنوا» أي ما وهن من بقي منهم، وقال الشاعر: [المتقارب]
٩٧٠ – فإن تقتلونا نقتلكم ... وإن تقصدوا لدم نقصد

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٣٢٥

أي: فإن تقتلوا بعضنا. يروى أن الأعمش قال لحمزة، أرأيت قراءتك، إذا صار الرجل مقتولا، فبعد ذلك كيف يصير قاتلا لغيره؟!

قال حمزة: إن العرب، إذا قتل منهم رجل قالوا: قتلنا، وإذا ضرب منهم رجل، قالوا ضربنا وأجمعوا على «فاقتلوهم» أنه من القتل، وفيه بشارة بأنهم، إذا فعلوا ذلك، فإنهم متمكنون منهم بحيث إنكم أمرتم بقتلهم، لا بقتالهم؛ لنصرتكم عليهم، وخذلانهم؛ وهي تؤيد قراءة الأخوين، ويؤيد قراءة الجمهور: ﴿وقاتلوا في سبيل الله﴾ .

و «عند» منصوب بالفعل قبله، و «حتى» متعلقة به أيضا غاية له، بمعنى «إلى» والفعل بعدها منصوب بإضمار «أن» والضمير في «فيه» يعود على «عند» إذ ضمير الظرف لا يتعدى غليه الفعل إلا ب «في» ؛ لأن الضمير يرد الأشياء إلى أصولها، وأصل الظرف على إضمار «في» اللهم إلا أن يتوسع في الظرف، فيتعدى الفعل غلى ضميره من غير «في» ولا يقال: «الظرف غير المتصرف لا يتوسع فيه» ، فيتعدى إليه الفعل، فضميره بطريق الأولى؛ لأن ضمير الظرف ليس حكمه حكم ظاهره؛ ألا ترى أن ضميره يجر ب «في» وإن كان ظاهره لا يجوز ذلك فيه، ولا بد من حذف في قوله: ﴿فإن قاتلوكم فاقتلوهم﴾ أي: فإن قاتلوكم فيه، فاقتلوهم فيه، فحذف **لدلالة السياق** عليه.." (١)

"فإن قيل: إنه تعالى ذكر «الوالدين» ثم عطف عليه «الأقربين» والعاطف يقتضي المغايرة، وذلك يدل على أن الوالدين لا يدخلون في مسمى الأقربين، فهو خلاف الإجماع؛ لأنه لو وقف على «الأقربين» حمل فيه الوالدين بغير خلاف.

فالجواب: أن هذا من عطف العام على الخاص؛ كقوله تعالى: ﴿ولقد آتيناك سبعا من المثاني والقرآن العظيم﴾ [الحجر: ٨٧] فعطف القرآن على السبع المثاني، وهي من القرآن، وقال – عليه السلام – «أفضل ما قتل أنا والنبيون من قبلي ... » فعطف «النبيين» على قوله: «أنا» وهو من النبيين، وذلك شائع في لسان العرب، ثم ذكر بعدهم اليتامى؛ لأنهم لصغرهم لا يقدرون على الاكتساب، وليس لهم أحد يكتسب لهم، فالطفل اليتيم: قد عدم الكسب، والمكاسب، وأشرف على الضياع، ثم ذكر بعدهم المساكين؛ لأن حاجتهم أقل من حاجة اليتامى؛ لأن قدرتهم على التحصيل أكثر من قدرة اليتامى، ثم ذكر ابن السبيل بعدهم؛ لأنه بسبب انقطاعه عن بلده، قد يحتاج، ويفتقر، فهذا أصح تركيب، وأحسن ترتيب في كيفية الإنفاق، ثم لما فصل هذا التفصيل الحسن الكامل، أردفه بالاجمال، فقال: ﴿وما تفعلوا من خير فإن الله به عليم﴾ والعليم مبالغة في كونه عالما لا يعزب عن علمه مثقال ذرة في الأرض، ولا في السماء.

و «ما» هذه شرطية فقطح لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى. وقرأ علي رضي الله عنه: «وما يفعلوا» بالياء على الغيبة، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب، وأن يكون من الإضمار **لدلالة السياق** عليه، أي: وما يفعل الناس و"

ما " هذه شرطية فقطح لظهور عملها الجزم بخلاف الأولى. وقرأ علي رضي الله عنه: " وما يفعلوا " بالياء على الغيبة ، فيحتمل أن يكون من باب الالتفات من الخطاب ، وأن يكون من الإضمار **لدلالة السياق** عليه ، أي: وما يفعل الناس..

فصل في المراد بالخير

قال أكثر العلماء: المراد ب «الخير» هو المال؛ لقوله تعالى: ﴿وإنه لحب الخير لشديد﴾ [العاديات: ٨] ، وقال: ﴿إن ترك

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣/٣٤٤

خيرا الوصية﴾

[البقرة: ١٨] .

وقيل: المراد بالخير هذا الإنفاق، وسائر وجوه البر، والطاعة.

فصل هل الآية منسوخة أم لا؟

قال بعضهم: هذه الآية منسوخة بآية المواريث.

وقال أهل التفسير: إنها منسوخة بالزكاة.." (١)

"١٧٦٩ - أولئك إخوان] الذين عرفتهم ... وأخدانك اللاءات زين بالكتم

برفع اللاءات.

قال ابن الأنباري: العرب تقول في الجمع من غير الحيوان، التي، ومن الحيوان: اللاتي، كقوله: ﴿أموالكم التي جعل الله لكم قياما﴾ [النساء: ٥] .

وقال في هذه الآية: اللاتي، واللائي، والفرق هو أن الجمع من غير الحيوان سبيله سبيل الشيء الواحد وأما جمع الحيوان ليس كذلك بل كل واحدة منهما غير متميزة عن غيرها بخواص وصفات فافترقا، ومن العرب من يسوي بين البابين، فيقول: كما فعلت الهندات التي من أرمها كذا، وما فعلت الأثواب التي من قصتهن كذا، والأول هو المختار وفي محل «اللاتي» قولان: أحدهما: الجملة من قوله: ﴿فاستشهدوا عليهن﴾ وجاز دخول الفاء زائدة في الخبر، وإن لم يجز زيادتها في نحو: «زيد فاضرب» على رأي الجمهور؛ لأن المبتدأ أشبه الشرك في كونه موصولا عاما صلته فعل مستقبل، والخبر مستحق بالصلة.

الوجه الثاني: أن الخبر محذوف، والتقدير: «فيما يتلى عليكم حكم اللاتي» فحذف الخبر والمضاف إلى المبتدأ للدلالة عليهما، وأقيم المضاف إلى مقامه، وهذا نظير ما فعله سيبويه في نحو: ﴿الزانية والزاني فاجلدوا﴾ [النور: ٢] ﴿والسارق والسارقة فاقطعوا﴾ [المائدة: ٣٨] ، أي فيما يتلى عليكم حكم الزانية، ويكون قوله: «فاستشهدوا عليهن» «فاجلدوا» دالا على ذلك الحكم المحذوف لأنه بيان له.

والقول الثاني: أنه منصوب بفعل مقدر لدلالة السياق عليه لا على جهة الاشتغال لما نذكره، والتقدير: اقصدوا اللاتي يأتين، أو تعمدوا ولا يجوز أن ينتصب بفعل مضمر يفسره قوله: «فاستشهدوا» فتكون المسألة من باب الاشتغال؛ لأن هذا الموصول أشبه اسم الشرط، كما تقدم تقديره، واسم الشرط ولا يجوز أن ينتصب على الاشتغال، لأنه لا يعنمل فيه ما قبله فلو نصبناه بفعل فقد لزم أن يعمل فه ما قبله هذا ماق اله بعضهم، ويقرب منه ماق اله أبو البقاء فإنه قال: وإذا كان كذلك، أي: كونه في حكم الشرط لم يحسن النصب، لأن تقدير الفعل قبل أداء الشرط لا يجوز وتقديره بعد الصلة يحتاج إلى إضمار فعل غير قوله «فاستشهدوا» ؛ لأن «استشهدوا» لا يصح أن يعمل النصب في «اللاتي» ، وفي عبارته مناقشة يطول ذكرها.." (٢)

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٢٢/٣

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٣٧/٦

"قوله:» كل الميل «: نصب على المصدرية، وقد تقرر أن» كل «بحسب ما تضاف إليه، إن أضيفت إلى مصدر – كانت مصدرا – أو ظرف، أو غيره؛ فكذلك.

قوله:» فتذروها «فيه وجهان:

أحدهما: أنه منصوب بإضمار» أن «في جواب النهي.

والثاني: أنه مجزوم عطفا على الفعل قبله، أي: فلا تذروها، ففي الأول نهي عن الجمع بينهما، وفي الثاني نهي عن كل على حدته وهو أبلغ، والضمير في» تذروها «يعود على المميل عنها؛ **لدلالة السياق** عليها.

قوله:» كالمعلقة «: حال من» ها «في» تذروها «فيتعلق بمحذوف، أي: فتذروها مشبهة المعلقة، ويجوز عندي: أن يكون مفعولا ثانيا؛ لأن قولك:» تذر «بمعنى: تترك، و» ترك «يتعدى لاثنين إذا كان بمعنى: صير.

والمعنى: لا تتبعوا هواكم، فتدعوا الأخرى كالمعلقة لا أيما، ولا ذات بعل؛ كما أن الشيء المعلق لا [يكون] على الأرض، ولا على السماء، وفي قراءة أبي:» فتذروها كالمسجونة «، وفي الحديث:» من كانت له امرأتان يميل مع إحداهما، جاء يوم القيامة وأحد شقيه مائل «.

قوله:» وإن تصلحوا «بالعدل في القسم، و» تتقوا «: الجور ﴿فإن الله كان غفورا رحيما﴾ لما حصل في القلب من الميل إلى بعضهن دون بعض.

وقيل المعنى: وإن تصلحوا ما مضى من ميلكم، وتتداركوه بالتوبة، وتتقوا في." (١)

"وعن الثاني: أنه – عليه الصلاة والسلام – لو كان مأمورا بأن يستدل بالدليل الذي استدل به الأنبياء المتقدمون لم يكن ذلك متابعة؛ لأن المسلمين لما استدلوا بحدوث العالم على وجود الصانع لايقال: إنهم متبعون لليهود والنصارى في هذا الباب؛ لأن المستدل بالدليل يكون أصلا في ذلك الحكم، ولا تعل له بمن قبله ألبتة، والاقتداء والاتباع لا يحصل إلا إذا كان فعل الأول سببا لوجوب الفعل عن الثاني.

وعن الثالث: أنه أمر الرسول بالاقتداء بجميعهم في جميع الصفات الحميدة، والأخلاق الشريفة، وذلك لا يوجب كونه أقل مرتبة من الكل على ما يأتي في الفصل الذي بعده.

فصل في أفضلية نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

احتج العلماء بهذه الآية على أن الرسول صلى الله عليه وسلم أفضل من جميع الأنبياء عليهم الصلاة والسلام؛ لأن خصال الكمال وصفات الشرف كانت مفرقة فيهم ف «داود» و «سليمان» كانا من أصحاب الشكر على النعمة، و «أيوب» كان من أصحاب الصبر على البلاء، و «يوسف» كان جامعا لهاتين الحالتين، و «موسى» عليه الصلاة والسلام كان صاحب الشرعية القوية القاهرة، والمعجزات الظاهرة و «زكريا» و «يحيى» و «عيسى» و «إلياس» كانوا أصحاب الزهد، و «إسماعيل» كان صاحب الصدق و «يونس» كان صاحب التضرع.

وثبت أنه – تعالى – إنما ذكر كل واحد من هؤلاء الأنبياء؛ لأن الغالب عليه خصلة معينة من خصال المدح والشرف، ثم

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٥٧/٧

إنه تعالى لما ذكر الكل أمر محمدا – عليه الصلاة والسلام – بأن يقتدي بهم بأسرهم، فكان التقدير كأنه – تعالى – أمر محمدا أن يجمع من خصال العبودية والطاعة كل الصفات التي كانت متفرقة فيهم بأجمعهم، ولما أمره الله – تبارك وتعالى – بذلك امتنع أن يقال: إنه قصر في تحصيلهم، فثبت أنه حصلها، ومتى كان الأمر كذلك وجب أن يقال: إنه أفضلهم بكليتهم.

قوله: ﴿قل لا أسألكم عليه أجرا﴾ لما أمره الاقتداء بهدى الأنبياء المتقدمين، وكان من جملة هدايتهم ترك طلب الأجر في إيصال الدين، وإبلاغ الشريعة لا جرم اقتدى بهم في ذلك فقال: «قل لا أسألكم عليه أجرا» [و «الهاء» في «عليه»] تعود على القرآن والتبليغ أضمرا وإن لم يجر لهما ذكر **لدلالة السياق** عليهما، و «أن» نافية ولا عمل لها على المشهور، ولو كانت عاملة لبطل عملها ب «إلا» في قوله: «إن هو إلا ذكرى» أن يذكره ويعظه. «وللعالمين» متعلق ب «ذكرى» و «اللام» معدية أي: إن القرآن العظيم إلا تذكير للعالمين، ويجوز أن تكون متعلقة بمحذوف على أنها صفة للذكرى، وهذه الآية تدل على أنه صلى الله عليه وسلم مبعوث إلى كل أهل الدنيا لا إلى قوم دون قوم.." (١)

"حفظتها قال الواحدي: وهذا القول قريب مما قال الأصمعي، بل هو نفسه لأن المعنى يعود إلى التذليل والتليين.

وقرئ هذا الحرف في الشاذ عشر قراءات أخر فاجتمع فيه ثلاثة عشرة قراءة؛ فقرا ابن عباس بخلاف عنه، وزيد بن علي، والحسن البصري، وقتادة «درست» فعلا ماضيا مبنيا للمفعول مسندا لضمير الإناث، وفسرها ابن جني والزمخشري بمعنيين في أحدهما إشكال.

قال أبو الفتح: «يحتمل أن يراد عفت أو بليت» .

وقال أبو القاسم: «بمعنى قرئت أو عفيت» .

قال أبو حيان: «أما معنى قرئت وبليت فظاهر لأن درس بمعنى كرر القراءة متعد، وأما» درس «بمعنى بلي وانمحى فلا أحفظه متعديا، ولا وجدنا فيمن وقفنا على شعره [من العرب] إلا لازما» .

قال شهاب الدين: لا يحتاج هذا إلى استقراء، فغن معناه لا يحتمل أن يكون متعديا؛ إذ حديه لا يتعدى فاعله، فهو ك «قام» و «قعد» فكما أنا لا نحتاج في معرفة قصور «قام» و «قعد» إلى استقراء، بل نعرفه بالمعنى، فكذا هذا.

وقرئ «درست» فعلا ماضيا مسددا مبينا للفاعل المخاطب، فيحتمل أن يكون للتكثير، أي: درست الكتب الكثيرة ك «ذبحت الغنم» ، و «قطعت الأثواب» وأن تكون للتعدية، والمفعولان محذوفان، أي: درست غيرك الكتاب، ولي بظاهر؛ إذ التفسير على خلافه.

وقرئ درست كالذي قبله إلا أنه مبني للمفعول، أي: درسك غيرك الكتب، فالتضعيف للتعدية لا غير.

وقرئ «دورست» مسندا لتاء المخاطب من «دارس» ك «قاتل» إلا أنه بني للمفعول، فقلبت ألفه واوا، والمعنى: دارسك غيرك.

وقرئ «دارست» بتاء ساكنة للتأنيث لحقت آخر الفعل، وفي فاعله احتمالان:

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٢٧٣/٨

أحدهما: أنه ضمير الجماعة أضمرت، وإن لم يجر لها ذكر لدلالة السياق عليها أي: دراستك الجماعة يشيرون لأبي فكيهة، وسلمان، وقد تقدم ذلك في قراءة ابن كثير، وأبي عمرو رحمها الله تعالى.

والثاني: ضمير الإناث على سبيل المبالغة، أي: إن الآيات نفسها دارستك، وإن كان المراد أهلها.." (١)

"وقرئ «درست» بفتح الدال، وضم الراء مسندا إلى ضمير الإناث، وهو مبالغة في» درست «بمعنى: بليت وقدمت وانمحت، أي: اشتد دروسها وبلاها.

وقرأ أبي» درس «وفاعله ضمير النبي صلى الله عليه وسلم ، أو ضمير الكتاب بمعنى قرأه النبي، وتلاه، وكرر عليه، أو بمعنى بلي الكتاب وامحى، وهكذا في مصحف عبد الله» درس «.

وقرأ الحسن في رواية» درسن «فعلا ماضيا مسندا لنون الإناث هي ضمير الآياتن وكذا هي في بعض مصاحف ابن مسعود.

وقرئ» درسن «كالذي قبله إلا أنه بالتشديد بمعنى اشتد دروسها وبلاها، كما تقدم.

وقرئ» دارسات «دمع» دارسة «؛ بمعنى: قديمات، أو بمعنى ذات دروس، نحو: ﴿فهو في عيشة راضية﴾ [الحاقة: ٢١] و ﴿خلق من مآء دافق﴾ [الطارق: ٦] وارتفاعها على خبر ابتداء مضمر، أي: هن دارسات، والجملة في محل نصب بالقول قبلها.

قوله:» ولنبينه «تقدم أن هذا عطف على ما قبله؛ فحكمه حكمه، وفي الضمير المنصوب أربعة احتمالات:

أحدها أنه يعود على الآيات، وجاز ذلك وإن كانت مؤنثة؛ لأنها بمعنى: القرآن.

الثاني: أنه يعود على الكتاب، لدلالة السياق عليه، ويقوي هذا: أنه فاعل ب» درس «في قراءة من قرأه كذلك.

الثالث: أنه يعود على المصدر المفهوم من نصرف، أي: نبين التصريف.

الرابع: أنه يعود على المصدر المفهوم من» لنبينه «أي: نبين التبين، نحو:» ضربته زيدا «أي:» ضربت الضرب زيدا «، و» لقوم «معلق بالفعل قبله، و» يعلمون «:

في محل جر صفة للنكرة قبلها.

قال ابن عباس – ضي الله عنهما – يريد أولياءه الذين هداهم إلى سبيل الرشاد.

وقيل: نصرف الآيات ليشقى بها قوم، ويسعد بها آخرون؛ فمن قال:» درست «فهو شقي، ومن تبين له الحق، فهو سعيد.." (٢)

"قوله: ﴿قال أنظرني إلى يوم يبعثون﴾ أي: أخرني، وأمهلني فلا تميتني إلى يوم يبعثون من قبورهم، وهي النفخة الأخيرة عند قيام الساعة.

والضمير في «يبعثون يعود على بني آدم لدلالة السياق عليهم، كما دل على ما عاد عليه الضميران في» منها «وفيها كما تقدم.

---

(١) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٨/٨

(٢) اللباب في علوم الكتاب ابن عادل ٣٥٩/٨

قوله: ف ﴿إنك من المنظرين﴾ قال بعض العلماء، إنه تعالى أنظره إلى النفخة الأولى؛ لأنه تعالى قال في آية أخرى: ﴿قال فإنك من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم﴾ [الحجر: ٣٧، ٣٨] ، المراد منه اليوم الذي يموت فيه الأحياء كلهم.

وقال آخرون: لم يوقت الله تعالى له أجلا بل قال: ﴿إنك من المنظرين﴾ وقوله في الآية الأخرى ﴿إلى يوم الوقت المعلوم﴾ المراد منه الوقت المعلوم في علم الله تعالى.

قالوا: والدليل على صحته: أن إبليس كان مكلفا، والمكلف لا يجوز أن يعلم أن الله تعالى أخر أجله إلى الوقت الفلانين لأن ذلك المكلف يعلم أنه متى تاب قبلت توبته، وإذا علم أن وقت موته هو الوقت الفلاني أقدم على المعصية بقلب فارغ، فإذا قرب وقت أجله؛ تاب عن تلك المعاصي، فثبت أن تعريف وقت الموت بعينه يجري." (١)

"والفرح والمسرة بالمصيبة، فإذا برهن المتكلم على الثاني عليم ولا بد أنه حذف برهان الأول، وأنه إنما حذفه – وهو حكيم – لنكتة، وهي هنا عدم الاحتياج إلى ذكره لوضوحه **بدلالة السياق** مع واو العطف عليه، وما تقدم من كونه غير صريح الدلالة في أمر البغض على أنه تعالى قد ذكر بدرا – كما ترى – بعد محكمة ستذكر، وأطلق سبحانه وتعالى – كما عن الطبري وغيره – التبوء على ابتداء القتال بالاستشارة فإن الكفار لما نزلوا يوم الأربعاء ثاني عشر شوال سنة ثلاث من الهجرة في سفح أحد مكث رسول الله صلى الله عليه وسلم ينتظر فيهم ما يأتيه من الوحي بقية يوم الأربعاء ويوم الخميس وليلة الجمعة وباتت وجوه الأنصار في المسجد بباب النبي صلى الله عليه وسلم يحرسونه صلى الله عليه وسلم وحرست المدينة الشريفة، ثم دعا الناس صبيحة يوم الجمعة فاستشارهم في أمرهم وأخبرهم برؤياه تلك الليلة: البقر المذبوحة، والثلم في سيفه، وإدخال يده في الدرع الحصينة، وكان رأيه مع رأي كثير من الصحابة المكث في المدينة، فإن قاتلوهم فيها قاتلهم الرجال مواجهة والنساء والصبيان من فوق الأسطحة، وكان عبد الله بن أبي المنافق على هذا الرأي، فلم يزل ناس ممن أكرمهم الله." (٢)

"أنه محق وليس بساحر.

ولما كان المقصود بهذا الكلام استعطاف المخاطبين، استعطفوهم بعد أن أوقفوهم، ثم خوفوهم بما سببوا عن الخطاب السابق من قولهم: ﴿فماذا تأمرون*﴾ أي تقولون في هذه المشورة أيها السادة ليمتثل.

ولما كان كأنه قيل: فعلى أي شيء استقر رأيهم؟ فقيل: على تاخير الأمر إلى حشر السحرة للمعارضة، أخبر تعالى، دلالة على أن أصل قول الملأ منه، أنهم أقبلوا عليه مخاطبين له ملفتين من أبلغهم عنه تعظيما له مسندين الأمر إليه بقوله: ﴿قالوا﴾ أي الملأ لفرعون بعدما استقر في أذهانهم ما نصبوه إليه من الإرادة ﴿أرجه﴾ أي موسى عليه السلام ﴿وأخاه﴾ أي أخرهما تنفيسا لنا من هذا الخناق إلى وقت ما حتى ننظر في أمرهما ﴿وأرسل في المدائن﴾ أي من ملك مصر ﴿حاشرين*﴾ يحشرون لك السحرة ويجمعونهم من كل فج عميق، والحشر: الجمع بكره ﴿يأتوك بكل﴾ ولما كانت **دلالة السياق** على رغب فرعون

---

(١) اللباب في علوم الكتاب   ابن عادل ٣٦/٩

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٤٤/٥

أقل مما في الشعراء لما اقتضاه الحال في كل منهما، قرأ الجمهور: ﴿ساحر عليم*﴾ أي بالغ العلم في السحر، وفي قراءة حمزه والكسائي ﴿سحار﴾ زيادة مبالغة أيضا لما." (١)

"ديني فكلي، وإن شئت فلا تأكلي! فلما أيست منه أكلت وشربت - وأصل القصة في الترمذي.

ولما كان التقدير: فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين، ولكنه طواه **لدلالة السياق** عليه، عطف عليه زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين قوله: ﴿والذين آمنوا وعملوا﴾ في السراء والضراء ﴿الصالحات﴾ .

ولما كان الصالح في الغالب سيءء الحال في الدنيا ناقص الحظ منها، فكان عدوه ينكر أن يحسن حاله أشد إنكار، أكد قوله: ﴿لندخلنهم﴾ أي بوعد لا خلف فيه ﴿في الصالحين*﴾ وناهيك به من مدخل، فإنه من أبلغ صفات المؤمنين.." (٢)

"من الأرض وهي واحدة. ولما قدم ما كان مستغربا في ألوان الأرض لأنه على غير لونها الأصلي أتبعه ما هو أقرب إلى الغبرة التي هي أصل لونها.

ولما كانت مادة ﴿غرب﴾ تدور على الخفاء الذي يلزمه الغموض أخذا من غروب الشمس، ويلزم منه السواد، ولذلك يؤكد الأسود بغربيب مبالغة الغرب كفرح أي الأسود للمبالغة في سواده، وكان المقصود الوصف بغاية السواد مخالفة لغيره، قال تعالى عاطفا على بيض: ﴿وغرابيب﴾ أي من الجدد أيضا ﴿سود *﴾ فقدم التأكيد **لدلالة السياق** على أن أصل العبارة «وسود غرابيب سود» فأضمر الأول ليتقدم على المؤكد لأنه تابع، ودل عليه بالثاني ليكون مبالغا في تأكيده غاية المبالغة بالإظهار بعد الإضمار، وهو معنى قول ابن عباس رضي الله عنهما: أشد سواد الغرابيب - رواه عنه البخاري، لأن السواد الخالص في الأرض، مستغرب، ومنه ما يصبغ به الثياب ليس معه غيره، فتصير في غاية السواد، وذلك في مدينة فوة ومسير وغيرهما مما داناهما من بلاد مصر.

ولما أكد هذا بما دل على خلوصه، قدم ذكر الاختلاف عليه،." (٣)

"ثعلبة بن حاطب أحد من نزل فيه قوله فتنة تعالى: ﴿ومنهم من عاهد الله لئن أتانا من فضله لنصدقن﴾ [التوبة: ٧٥] » وكأنه سبحانه ترك ذكر الأزواج في الفتنة لأن منهم من يكون صلاحا وعونا على الآخرة.

ولما كان التقدير: ففي الاحتراز من فتنهم تعب كبير، لا يفوت به منهم إلى حظ يسير، وكانت النفس عند ترك مشتبهاتها ومحبوباتها قد تنفر، عطف عليه مهونا له بالإشارة إلى كونه فانيا وقد وعد عليه بما لا نسبة له منه مع بقائه قوله: ﴿والله﴾ أي ذو الجلال ﴿عنده﴾ وناهيك بما يكون منه بسبيل جلاله وعظمه ﴿أجر﴾ ولم يكتف سبحانه **بدلالة السياق** على أن التنوين للتعظيم حتى وصفه بقوله: ﴿عظيم *﴾ أي لمن ائتمر بأوامره التي إنما نفعها لصاحبها، فلم يقدم على رضاه مالا ولا ولدا، وذلك الأجر أعظم من منفعتكم بأموالكم وأولادكم على وجه ينقص من الطاعة.

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٢٥/٨

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٣٩٧/١٤

(٣) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور برهان الدين البقاعي ٤٦/١٦

ولما كان التقدير: وعنده عذاب أليم لمن خالف، سبب عنه قوله فذلكة أخرى لما تقدم من السورة كلها: ﴿فاتقوا الله﴾ مظهرا غير مضمر تعظيما للمقام واحترازا من أن يتوهم نوع تقيد فأفهم الإظهار أن المعنى: اجعلوا بينكم وبين سخط الملك الأعلى وقاية من غير نظر إلى حيثية ولا خصوصية بشيء ما، باجتناب نواهيه بعد امتثال أوامره، فإن التقوى إذا انفردت كان المراد بها فعل الأوامر وترك المناهي،." (١)

"لشرفه ومراعاة لحفظ خاطره وشرح لصدره.

ولما كانت النفوس لمبنى هذه الدار على حكمة الأسباب مؤكلة بها ناظرة أتم نظر إليها، وكان نساء النبي صلى الله عليه وسلم لكثرة ما يتلى في بيوتهن من آيات الله والحكمة على لسان جبريل عليه الصلاة والسلام وكثرة تردده إلى النبي صلى الله عليه وسلم في بيوتهن ويعلمهن قد صار عندهن بذلك من الأسباب الظاهرة المألوفة، وكان هو أعظم أنصار النبي صلى الله عليه وسلم قال: ﴿وجبريل﴾ لأنه من أعظم الأسباب التي يقيمها الله سبحانه.

ولما كان الحامل على مظاهرته صلى الله عليه وسلم على كل ما يريده الإيمان فكل ما كان الإنسان فيه أمكن كان له أشد مظاهرة وأعون قال: ﴿وصالح المؤمنين﴾ أي الراسخين في رتبة الإيمان والصلاح من الإنس والجن وأبواهما رضي الله عنهما أعظم مراد بهذا، وقد روي أن عمر رضي الله عنه قال للنبي صلى الله عليه وسلم: لو أمرتني لأضربن عنقها، والصالح وإن كان لفظه مفردا فمعناه الجمع المستغرق لأنه للجنس، ودل على ذلك مع **دلالة السياق** إضافته للجمع ولعله عبر بالإفراد مع أن هذا المراد للإشارة إلى قلة المتصف بهذا." (٢)

"قوله: و (من) الثانية للتبعيض قال الشيخ سعد الدين: أما أولا: فلموافقة الآيات الواردة في هذا المعنى، كقوله تعالى: ﴿فأخرجنا به من كل الثمرات﴾ إذ لا وجه للبيان، لأنه لا ذكر لشيء مبهم يحتاج إلى البيان، وكقوله تعالى: ﴿فأخرجنا به ثمرات﴾ فإن التنكير لا سيما في جمع القلة يفيد البعضية على ما هو الظاهر. وأما ثانيا: **فلدلالة السياق** أعني ماء ورزقا فإن المخرج ببعض الماء لأجل بعض الرزق ولا يكون إلا لبعض الثمرات.

وأما ثالثا: فلمطابقة المعنى في الواقع، فإن المنزل من السماء بعض الماء لأكله، والمخرج بماء السماء بعض الثمرات، وحقيقته شيئا من الثمرات؛ لأن من حرف فلا اسم وكان رزقا مستعملا.

في معناه المصدري واقعا موقع المفعول له، ولكن مفعول رزقا، أي أخرج بعض الثمرات لأجل أن يرزقكم.

قوله: (أو للتبيين)، قال الحلبي: فيه نظر، إذ لم يتقدم ما يبين هذا وكأنه يعني أنه بيان لرزقا من حيث المعنى.

وقال التفتازاني، والشريف: إن كانت مبينة، فالأمر المبهم المحتاج للبيان، هو رزقا على أنه بمعنى المرزوق مفعولا به لأخرج،." (٣)

---

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٢٠/١٣٢

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور   برهان الدين البقاعي ٢٠/١٩٠

(٣) نواهد الأبكار وشوارد الأفكار = حاشية السيوطي على تفسير البيضاوي   السيوطي ٢/٨٥

"بالعفو عن العقاب أتم البشرى بالامتنان بالثواب فقال عاطفا على ما تقديره ولنثبتن لهم حسناتهم ﴿ولنجزينهم أحسن الذي كانوا يعملون﴾ أي: أحسن جزاء ما عملوه وهو الصالحات، وأحسن نصب بنزع الخافض وهو الباء، ولما كان من جملة العمل الصالح الإحسان إلى الوالدين ذكر ذلك بقوله تعالى:

﴿ووصينا الإنسان بوالديه﴾ أي: وإن عليا ﴿حسنا﴾ أي: برا بهما وعطفا عليهما أي: وصيناه بإيتاء والديه حسنا أو بإيلاء والديه حسنا لأنهما سبب وجود الولد وسبب بقائه بالتربية المعتادة والله تعالى سبب له في الحقيقة بالإرادة وسبب بقائه بالإعادة للسعادة فهو أولى بأن يحسن العبد حاله معه، فيطيعهما ما لم يأمراه بمعصية الله تعالى كما قال: تعالى: ﴿وإن جاهداك لتشرك بي﴾ وقوله تعالى ﴿ما ليس لك به علم﴾ أي: لا علم لك بإلهيته موافق للواقع فلا مفهوم له أو أنه إذا كان لا يجوز أن يتبع فيما لا يعلم صحته فبالأولى أن لا يتبع فيما يعلم بطلانه ﴿فلا تطعهما﴾ في ذلك كما جاء في الحديث: «لا طاعة لمخلوق في معصية الله تعالى» ولا بد من إضمار القول إن لم يضمر قبل، ثم علل ذلك بقوله تعالى: ﴿إلي مرجعكم﴾ أي: من آمن منكم ومن كفر ومن بر والديه ومن عق، ثم تسبب عنه قوله تعالى: ﴿فأنبئكم بما كنتم تعلمون﴾ أي: أخبركم بصالح أعمالكم وسيئها فأجازيكم عليها نزلت هذه الآية في سعد بن أبي وقاص الزهري وأمه حمنة بنت أبي سفيان بن أمية بن عبد شمس: «روي أنها لما سمعت بإسلامه قالت له: يا سعد بلغني أنك قد صبأت فوالله لا يظلني سقف بيت من الضح . وهو بكسر الضاد المعجمة وبحاء مهملة الشمس . والريح، وإن الطعام والشراب علي حرام حتى تكفر بمحمد وكان أحب أولادها إليها فأبى سعد ولبثت ثلاثة أيام لا تنتقل من الضح ولا تأكل ولا تشرب فلم يطعها سعد بل قال: والله لو كانت مائة نفس فخرجت نفسا نفسا ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم ثم جاء سعد إلى النبي صلى الله عليه وسلم وشكا إليه فنزلت هذه الآية وهي التي في لقمان والتي في الأحقاف فأمره صلى الله عليه وسلم «أن يداريها ويترضاها بالإحسان» .

وروي أنها نزلت في عياش بن أبي ربيعة المخزومي وذلك أنه هاجر مع عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنهما مترافقين حتى نزلا المدينة فخرج أبو جهل بن هشام والحارث بن هشام أخواه لأمه أسماء بنت مخرمة امرأة من بني تميم بن حنظلة فنزلا بعياش وقالا له: إن من دين محمد صلة الأرحام وبر الوالدين وقد تركت أمك لا تأكل ولا تشرب ولا تأوي بيتا حتى تراك وهي أشد حبا لك منا فاستشار عمر فقال: هما يخدعانك ولك علي أن أقسم مالي بيني وبينك فما زالا به حتى أطاعهما وعصى عمر فقال عمر: أما إذا عصيتني فخذ ناقتي فليس في الدنيا بعير يلحقها فإن رابك منهما ريب فارجع فلما انتهوا إلى البيداء قال أبو جهل: إن ناقتي قد كلت فاحملني معك قال: نعم فنزل ليوطئ لنفسه وله فأخذاه وشداه وأوثقاه وجلده كل واحد منهما مائة جلدة وذهبا به إلى أمه فقالت: لا تزال في عذاب حتى ترجع عن دين محمد فنزلت رضي تعالى الله عنه وأرضاه ونفعنا به في الدنيا والآخرة، ولما كان التقدير فالذين أشركوا وعملوا السيئات لندخلنهم في المفسدين ولكنه طواه **لدلالة السياق** عليه عطف عليه زيادة في الحث على الإحسان إلى الوالدين قوله تعالى:

﴿والذين آمنوا وعملوا﴾ تحقيقا لإيمانهم ﴿الصالحات لندخلهم في الصالحين﴾ أي: الأنبياء والأولياء بأن نحشرهم معهم، أو ندخلهم وهم." (١)

"الناصر للمؤمنين بقوله تعالى:

﴿الله﴾ أي: وحده ﴿الذي يرسل﴾ مرة بعد أخرى ﴿الرياح﴾ مضطربة هائجة بعد أن كانت ساكنة ﴿فتثير سحابا﴾ أي: تزعجه وتنشره ﴿فيبسطه﴾ بعد اجتماعه ﴿في السماء﴾ أي: جهة العلو ﴿كيف يشاء﴾ في أي ناحية شاء قليلا تارة كمسير ساعة وكثيرا أخرى كمسير أيام على حسب إرادته واختياره لا مدخل فيه لطبيعة ولا غيرها ﴿ويجعله﴾ إذا أراد ﴿كسفا﴾ أي: قطعا غير متصل بعضها ببعض اتصالا يمنع نزول الماء، وقرأ ابن عامر بسكون السين بخلاف عن هشام، والباقون بفتحها ﴿فترى﴾ بسبب إرسال الله له أو بسبب جعله ذا مسام وفروج يا من هو من أهل الرؤية، أو يا أشرف خلقنا الذي لا يعرف هذا حق معرفته سواه ﴿الودق﴾ أي: المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أي: السحاب الذي هو اسم جنس في حالتي الاتصال والانفصال ﴿فإذا أصاب﴾ أي: الله ﴿به﴾ أي: بالودق ﴿من﴾ أي: أرض من ﴿يشاء﴾ ونبه على أن ذلك فضل منه لا يجب عليه لأحد شيء أصلا بقوله تعالى: ﴿من عباده﴾ أي: الذين لم تزل عبادته واجبة عليهم جديرون بملازمة شكره والخضوع لأمره ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أي: يظهر عليهم البشر وهو السرور الذي تشرق له البشرة حال الإصابة ظهورا بالغا عظيما بما يرجونه مما يحدث عنه من الأثر النافع من الخصب والرطوبة واللين، ثم بين تعالى عجزهم بقوله تعالى:

﴿وإن﴾ أي: والحال أنهم ﴿كانوا﴾ في الزمن الماضي ﴿من قبل أن ينزل عليهم﴾ أي: المطر، وقرأ أبو عمرو وابن كثير بسكون النون وتخفيف الزاي، والباقون بفتح النون وتشديد الزاي. وقوله تعالى ﴿من قبله﴾ من باب التكرير والتأكيد كقوله تعالى ﴿فكان عاقبتهما أنهما في النار خالدين فيها﴾ (الحشر: ١٧)

ومعنى التوكيد فيه الدلالة على أن عهدهم بالمطر قد تطاول بعدما استحكم بأسهم. وقوله تعالى ﴿لمبلسين﴾ إشارة إلى أنه تمادى إبلاسهم فكان الاستبشار على قدر اهتمامهم بذلك، وقبل الأولى ترجع إلى المطر والثانية إلى إنشاء السحاب فلا تأكيد.

﴿فانظر إلى آثار رحمت الله﴾ والرحمة: هي الغيث وأثرها هو النبات، وقرأ ابن عامر وحفص وحمزة والكسائي بألف بعد الثاء المثلثة، والباقون بغير ألف ورسمت رحمت هذه مجرورة، فوقف ابن كثير وأبو عمرو والكسائي بالهاء والباقون بالتاء ﴿كيف يحيي﴾ أي: الله ﴿الأرض﴾ بإخراج النبات ﴿بعد موتها﴾ أي: يبسها ﴿إن ذلك﴾ أي: القادر العظيم الشأن الذي قدر على إحياء الأرض ﴿لمحيي الموتى﴾ كلها من الحيوانات والنباتات أي: ما زال قادرا على ذلك كما قال تعالى ﴿وهو على كل شيء﴾ من ذلك وغيره ﴿قدير﴾ لأن نسبة القدرة منه سبحانه وتعالى إلى كل ممكن على حد سواء، ولما بين أنهم عند توقف الخير يكونون آيسين وعند ظهوره يكونون مستبشرين بين أن تلك الحالة أيضا لا يدومون عليها بقوله تعالى:

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٢٦/٣

﴿ولئن أرسلنا﴾ أي: بعد وجود هذا الأثر الحسن ﴿ريحا﴾ عقيما ﴿فرأوه﴾ أي: الأثر لأن الرحمة هي الغيث وأثرها هو النبات أو الزرع **لدلالة السياق** عليه ﴿مصفرا﴾ قد بدل وأخذ في التلف من شدة يبس الريح إما بالحر أو البرد، وقيل: رأوا السحاب لأنه إذا كان مصفرا لم يمطر، ويجوز أن يكون الضمير للريح من التعبير بالسبب عن المسبب.

تنبيه: اللام موطئة للقسم دخلت على حرف الشرط. وقوله تعالى ﴿لظلوا﴾ أي: لصاروا ﴿من بعده﴾ أي: اصفراره." (١)

"﴿وأحيط بثمره﴾ أهلك أمواله المعهودة من جنتيه وما فيهما وأصله من إحاطة العدو وهو عطف على مقدر كأنه قيل فوقع بعض ما توقع من المحذور وأهلك أمواله وإنما حذف **لدلالة السياق** والسياق عليه كما في المعطوف عليه بالفاء الفصيحة ﴿فأصبح يقلب كفيه﴾ ظهرا لبطن وهو كناية عن الندم كأنه قيل فأصبح يندم ﴿على ما أنفق فيها﴾ أي في عمارتها من المال لعل تخصيص الندم به دون ما هلك الآن من الجنة لما أنه إنما يكون على الأفعال الاختيارية ولأن ما أتفق في عمارتها كان." (٢)

"(قالت إني أعوذ بالرحمن منك) فإنه شاهد عدل بأنه لم يخطر ببالها شائبة ميل ما إليه فضلا عما ذكر من الحالة المترتبة على أقصى مراتب الميل والشهوة نعم كان تمثيله على ذلك الحسن الفائق والجمال الرائق لابتلائها وسبر عفتها ولقد ظهر منها من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه وذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة في العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هي العصمة مما دهمها وقوله تعالى (إن كنت تقيا) أي تتقي الله تعالى وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرط محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه أي فإني عائذة به أو فتعوذ بتعوذي أو فلا تتعرض لي." (٣)

"قوله: (وأفحم الخ) وفي نسخ أفحم بدون عاطف لأنه بيان أو توكيد لقوله: لم يجديه قديرا، فالعطف إما لعدم قصد ذلك أو لعطفه على جملة تحدى ويجوز كونه استئنافا بيانيا حينئذ أيضا والإفحام إسكات الخصم عجزا حتى كانه لافتضاحه اسود وجهه وصار كالفحم كما قيل:

فتعجبوا لسواد وجه الكاذب

وتصدى بمعنى تعرض، وأصله تصدد، فأبدلت الدال الأخيرة حرف علة هربا من ثقل التكرار، كما قالوا في تقضض تقضي، فالمراد أسكتهم للعجز لا للصرفة كما يشهد له السياق، وهذا يدل على وجود التصدي للمعارضة وقوله في) الكشاف) : فلم يتصد للاتيان بما يوازيه أو يدانيه واحد من فصحائهم يدل على عدمه وكلام المصنف رحمه الله هو الموافق للواقع وما في الكشاف أما محمول على نفي القيد أي لم يأتوا وإن تصدوا بموازيه، أو على تنزيل تصديهم منزلة العدم لعدم ثمرته، وأما كون من تصدي غير فصيح، فليس بشيء، وقد اعترف به الوليد مع بلاغتة ومبالغته في كفره في كلامه المعروف في السير، وقول قريش له صبا والله

فإن قلت لم خالفه المصنف رحمه الله، وهو أبلغ كما قيل من وجهين، لأن عدم التصدي مع كمال الحرص عليه أدل على

---

(١) السراج المنير في الإعانة على معرفة بعض معاني كلام ربنا الحكيم الخبير الخطيب الشربيني ١٧٥/٣

(٢) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٢٣/٥

(٣) تفسير أبي السعود = إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم أبو السعود ٢٦٠/٥

العجز من عدم الإتيان بعد التصدي كما أن عدم تصدي واحد للإتيان بما يدانيه فضلا عن مساويه كذلك، ولا احتمال أن ذلك لقلة المبالاة.

قلت: هو كما ذكرت في إلا بلغية لكنه مخالف للواقع وموهم للصرفة إيهاما قويا فلذا

رجحه المصنف رحمه الله تعالى فاختر لنفسك ما يحلو فاثباته للتصدي يدل على أنه ليس للصرفة أو الإخبار بالمغيبات، قيل: ولو قال أفحم به اندفع توهم أن الإفحام بالصرفة لا للبلاغة، وفيه أن السياق يدفعه مع أنه لا مجال له هنا إذا الصرف فعله تعالى وإلا فحام مسند إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وعبارة الكشاف توهمه لإسناده الإفحام إلى الله تعالى، فلذا زاد به مع أنه لولا **دلالة السياق** أيضا لم يفهم أنه بالبلاغة لاحتمال أنه لاشتماله على المغيبات والسلامة من التناقض والاختلاف، ولا يخفى أن زيادة به تدفعه لأن مقدار أقصر سورة لا يجري فيه ذلك نعم لو قيل: هو لا يدفع كونه بالنظم الغريب المخالف لغيره أو بمجموع النظم والبلاغة، كما ذهب إليه الباقلاني لم يبعد ولا يخفى ما فيه من التعسف.

وفي تهذيب الأزهري. اختلف الناس في العرب، ولم سموا عربا فقال بعضهم أول من نطق بالعربية يعرب بن قحطان أبو اليمن وهم العرب العاربة ونشأ إسماعيل عليه الصلاة والسلام معهم فتكلم بلسانهم وأولاده العرب المستعربة، وقال آخرون: نشأ بعربة وهي بلدة من تهامة فنسبوا إلى بلدهم وفي الحديث " خمسة أنبياء من العرب إسماعيل ومحمد وشعيب وصالح وهود، وهذا يدل على أن لسان العرب قديم وكل من يسكن جزيرة العرب وتكلم بلسانهم فهو منهم انتهى فقوله عدنان وقحطان إشارة إلى قسمي العرب العارية والمستعربة وكناية عن جميعهم، وعدنان أبو معد أحد أجداده صلى الله عليه وسلم، وإضافة الفصاحة إلى عدنان، والبلاغة إلى قحطان إما تفنن أو بناء على المتعارف من إطلاق الفصاحة على الكلام العذب السهل، والبلاغة المتين الجزيل، وهو الغالب في اللغة القديمة، والإضافة لهما لأنهما من أولادهما أو لأنهما أريد بهما القبيلة كما يقال تميم لأولاده، وهو مجاز مشهور، ثم إن المراد بالفصحاء هنا ما يشمل البلغاء، والشيخ في الدلائل كثيرا ما يستعمل الفصاحة بمعنى البلاغة فلا يقال إن الفصاحة لا دخل لها في الإعجاز مع ما يرد عليه من المنع الظاهر قوله: (حتى حسبوا الخ) السحر كل ما لطف ماخذه ورق وما يخيل شيأ ليس بواقع واقعا وفعله سحر مخففا ومشددا وقد يمدح به نحو إن من البيان لسحرا على أحد الوجهين فيه وحسبوا بمعنى ظنوا، وقد يرد بمعنى اليقين نادرا كقوله:

حسبت التقى والجود خير تجارة

وليس بمراد هنا، وفيه إشارة إلى أنه ظن فاسد، وتوهم كاسد إذ ليس عجزهم لسحر

ونحوه وحسبانهم لعدم الفرق بين المعجزة والسحر وسيأتي تحقيقه وليس في هذا إشعار

بالصرفة لأن جعل المانع عن الإتيان بمثله السحر يشعر بأن لهم قدرة في حد ذاتهم، ولذا قيل

إن إظهار الحسبان لدفع الخجالة والتليس على سفهائهم لعلمهم بأنه ليس بساحر وان نسبوه له

مكابرة وعنادا، ولو اعترفوا بصرف الله عن معارضتة اعترفوا بأنه من عنده فمثل هذا الخيال

الفارغ لا يضرنا، وقيل في عبارة الحسبان رد على معتقدي الصرفة لدلالتة على أنه مجرد توهم وفيه نظر." (١)

"في قوله ﴿صم بكم عمي﴾ فإن قلت إذا قيد المفعول المقدر بما قيد به المصنف في قوله أن يذهب بسمعهم إلخ، يكون مستغربا لأن ذهاب السمع والبصر بمثله غير معهود فتقديره في الجواب كما فعله الزمخشري، إن لم يكن لازما فهو أحسن، وهو الداعي له على ذلك فالمصنف غافلى أو متغافل قلت قول الزمخشري، وأراه يحتمل أن يريد أنه مراد من الكلام من غير تقدير، وعليه فلا إشكال ولا مخالفة بين كلام المصنف وكلامه، ولذا لم يقل والتقدير وعطفه بالواو على تفسيره مطلقا، ولو سلم فلك أن تقول إنه لما قدم ما يدل عليه من قوله ﴿يجعلون أصابعهم في﴾ [البقرة: ١٩] اهم﴾ وقوله ﴿يكاد البرق يخطف أبصارهم﴾ قوى **دلالة السياق** عليه، فأخرجه عن الغرابة، ولك أن تقول لو أبقى على إطلاقه كان أقوى، والمعنى لو أراد الله إذهاب قواهم أذهبها من غير سبب فلا يغنيهم الاحتراز والخوف مما خافوه، والمناسبة المحسنة للعطف موجودة فلم تركوه فتدبر. قوله: (ولقد تكاثر حذفه في شاء وأراد) أي حذف المفعول

في شاء وأراد ومتصرفاتهما إذا وقعت في حيز الشرط لدلالة الجواب على ذلك المحذوف معنى مع وقوعه في محله لفظا، ولأن فيه نوعا من التفسير يعد الإبهام إلا في المستغرب، فلا يكتفي فيه بدلالة الجواب بل يصرح به اعتناء بتعيينه ودفعا لتوهم غيره لاستبعاد تعلق الفعل به لاستغرابه، فلو قلت لو شئت بكيت دما جاز، توهم قصدك لو شئت بكا بالدمع الجاري على المعتاد، والدم المذكور جاء بدلا عنه من غير فصدك له كأنك قلت لو شئت أن أبكي دمعا بكيت دما فاعتمدت في حذف المفعول وتعييته على العادة المعروفة وكونه مرجوحا لدلالة تقييد الجواب على خلافه، وأن المقدر مثله لا ينافي الاحتمال والتوهم، فإذا ذكر المفعول زال الاحتمال خصوصا إذا لم يكن المخاطب ذكيا فمن قال إن لو شئت بكيت دما لا يحتمل سوى لو شت أن أبكي دما لبكيتة، فقد كابر يعئ قول الفاضل المحقق هنا أن التعليل بأنه لو حذف فقيل لو شئت أن أبكي لبكيت دما كما قال الآخر:

ولم يبق مني الشوق غيرتفكري فلوشئت أن أبكي بكيت تفكرا

أي يخرج بدل الدمع التفكر ليس بمستقيم لأن الكلام في مفعول المشيئة فلو قيل لو شئت بكيت دما واكتفى بقرينة الجواب لم يحتمل سوى لو شئت أن أبكي دما لبكيتة.

أ-دول إنه قدس سره لم ينصف فيما ثغ به على السعد رحمه الله وجعله مكابرة لأن مراده

الرد لما وقع في الكشف في تمثيله واستشهاده لأن هنا أمرين معمول المشيئة نفسها ومفعول متعلقه، وما نحن فيه هو الأول وما مثل به من لو شئت أن أبكي بكيت دما من الثاني لأن المحذوف مفعول أبكي لا مفعول شئت، ثم إنه لم يقل لا احتمال فيه أصلا حتى يقال: إنه مكابرة بلى قال لو اكتفى بقرينة الجواب، ولم يكن ثمة غيرها ولا شبهة حينئذ في عدم الاحتمال وأما إذا لوحظ معها قرينة أخرى كالمعتاد في البكا من الدمع احتمل غير ما ذكر فسقط الاعتراض، ولو قيل إنه استشهاد معنوي على حذف مفعول مغاير لما في الجواب كان مع تكلفه غير مسلم أيضا لأن البيت يحتمل عدم التقدير

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٦/١

بتنزيل البكا منزلة اللازم أي لو شئت بكا ما بكيت تفكرا كما في دلائل الإعجاز، ولا تكلف فيه أصلا، وأما ما قيل من أن المذكور في جواب لو هو البكا المتعلق بالدم فأخذ البكا من المذكور يخيه، وترك متعلقه والاعتماد في تعيينه بالمعتاد خروج عن الإنصاف، ومخالفة للحق الظاهر دال على أن المعترض ليس هو المكابر فالصواب في الجواب أن يقال لا نزاع في أن الكلام في متعلق المشيئة لكنه قد يكون مطلقا عن القيد كما في فلو شئت أن أبكي بكيت تفكرا فيتبادر منه المعتاد، وقد يقيد بقيد هو منشأ الغرابة فإذا حذف اعنمادا على الجواب لم يخكن المفعول الذي تعلق به فعل المشيئة غريبا مذكورا لانتفاء المقيد بانتفاء قيده فيلتيس المفعول المقيد بما يفيد الغرابة بمفعول مطلق عنه، ويراد به

المعتاد فاستقم واترك العناد فجريرة لا طائل تحتها، وإنما أوقعه فيه عدم الوقوف على المراد وإنما أوردناه لئلا يتوهم الناظر فيه أنه شيء يعبا به ويقي هنا كلام طويل يعلم مما في المطول وحواشيه، وقوله تكاثر المراد به المبالغة في الكثرة لا التفاعل وإن كان هو أصله. قوله: (ولو شئت أن أبكي دما إلخ) هو بيت من قصيدة لأبي يعقوب الخزيمي يرثي بها خزيم بن عامر المري، وفي شرح شواهد المعاني يرثي بها ابنه ليثا.." (١)

"بين الحقيقة والمجاز حيث جعل قوله عليكم مرادا به ما أنعم عليهم وعلى آبائهم فينبغي أن يحمل على حذف أو اعتبار معنى جامع بأن يجعل الخطاب لجميع بني إسرائيل الحاضرين والغائبين وقوله ما أنعم الله به إشارة إلى حذف العائد على الموصول، وأورد عليه أن الأنعام على الآباء إنعام في حق الأنباء بواسطة ولا يخرج بذلك عن كونه إنعاما حقيقة في حقهم حتى يلزم الجمع بين الحقيقة والمجاز فيحتاج في دفعه إلى ارتكاب حذف أو معنى جامع أو تغليب كما توهم، والحاصل أن المعنى أني أنعمت عليكم بأن شزفتكم بالشرفين التالد والطريف الذي أعظمه إدراك زمن أشرف الأنبياء لمجي! وجعلتكم من جملة أمة الدعوة له فتخصيصه بالذكر **لدلالة السياق** عليه فلا يرد عليه أنه لا دلالة للعام على الخاص فتأمل. وعائد الموصول محذوف أي أنعمت بها فإن قيل: شرطوا في حذفه إذا كان مجرورا أن يجر الموصول بمثل ذلك الحرف ويتحد متعلقهما وهو مفقود هنا قيل: إنه إنما حذف هنا بعد أن صار منصوبا بحذف الجار اتساعا فبقي أنعمتها كما قيل: في كالذي خاضوا وفيه نظر: وقراءة ادكروا بالدال المهملة المشددة مذكورة في الصرف، ودرجا بمعنى وصلا وحذفها حينئذ لالتقاء الساكنين وقوله: وهو مذهب من لا يحرك الياء ا! مكسور أي لغته واحترز بالمكسور ما قبلها عن نحو محياي. قوله: (بالإيمان والطاعة) متعلق بأوفوا أو بعهدي أو بهما على التنازع وكذا قوله بحسن الإثابة. قوله: (أوف بعهدكم) مجزوم في جواب الأمر إما به نفسه أو بشرط مقدر وقوله والعهد يضاف إلى المعاهد والمعاهد الخ يقال ة أوفى ووفى مخففا ومشددا بمعنى وقيل: يقال اوفيت ووفيت بالعهد وأوفيت الكيل لا غير واللغات الثلاث وردت في القرآن كما بينه المعرب وجاء أوفى بمعنى ارتفع نحو: ربما أوفيت في علم

ومعناه هنا أتممت وكملت ويكون ضد الغدر والترك والعهد حفظ الشيء ومراعاته وسمي

له الموثق للزوم مراعاته وقال الطيبي رحمه الله: إن الزمخشري قال فيما سبق إن العهد الموثق وعهد إليه في كذا إذا أوصاه ووثقه عليه واستعهد منه إذا اشترط عليه واستوثق منه فاللائق بهذا المقام الثاني فيكون المراد بالعهد ما استعهد من آدم في قوله

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٤٠٨/١

فإما يأتينكم الخ لتنتظم الآيات وفي كلامه إشعار به اص. واضافته إلى كل منهما لأن مدلوله نسبة بين شيئين فيصح إضافته لكل منهما كما يضاف المصدر تارة إلى فاعله وتارة إلى مفعوله، قيل: ولا خفاء في أن الفاعل هو الموفي فإن أضيف إلى الموفي مثل أوفيت بعهدي ومن أوفى بعهده فهو مضاف إلى الفاعل وأن أضيف إلى غيره مثل أوفيت بعهدك ف! لى المفعول ففي أوفوا بعهدي أوف بعهدكم تكون الإضافة إلى المفعول فلذا قال: بما عاهدتموني من الإيمان والتزام الطاعة أوف بما عاهدتكم من حسن الإثابة ولا يستقيم غير هذا إذ لا معنى لقولك أوف أنت ما عاهد عليه غيرك، فما بترهم أن المذكور في الكتاب مبني على رعاية الأولى والأنسب ليس بشيء اص. وهذا رد على الزمخشري ومن تبعه كالمصنف رحمه الله ومن جعله أنسب وهو صاحب الكشف ورد بأنه إن! سر الإيفاء بإتمام العهد تكون الإضافة إلى المفعول في الموضعين وهو مختار بعض المفسرين، وان فسر بمراعاته تكون الإضمافة الأولى للفاعل والثانية للمفعول كما ذكره العلامة إ المصنف رحمه الله فالمعترض! قصر في النظر حيث قصر معنى الإيفاء على الإتمام ومبنى الكلام على معناه الآخر ومن الناس من ظن أن كلام المصنف رحمه الله مخالف لكلام الكشاف؟ لم يصب وقيل: إنهم رجحوا هذا التوجيه على جعله مضافا فيهما على نهج واحد لأن الأصل، الأكثر الإضافة إلى الفاعل فلا يعدل عنه إلا لصارف وهنا لا صارف في الأول لأنه تعالى عهد إليهم بقوله يأتينكم الخ وفي الثاني صارف إذ لا عهد منهم وما اعترض به مدفوع بأن العهد المعلق على فعل المعاهد يكون الوفاء به من المفعول بالإتيان بالمعلق عليه ومن الفاعل بالإتيان لالمعلق وإذا ثبت جعل أداء المعلق عليه وفاء بالعهد فليكن أوفوا المشاكلة أوف. اه ولا يخفى ما في الكلام من الاختلال سؤالا وجوابا أما السؤال فلأن قوله لا معنى لقولك أوف أنت ما طاهد عليه غيرك ليس مثالا نحن فيه وإنما مثاله ما عاهدك." (١)

"عليه غيرك ولا شبهة ير صحته،، أتا قوله ولا خفاء في أن الفاعل هو الموفي فكلمة حق أريد بها باطل لأنه إذا سلم أن العهد سبة بينهما فكل منهما موف وموفي قال في الكشف: فسر العهد بالمعاهد عليه وأضافه إلى من
له لا من هو به وذلك لأن المعاهدة وان كانت بين اثنين إلا أن المعاهد عليه مختلف من العبد الالتزام ومن الله الإكرام، أما إذا كان شيئا واحدا اختلف تعلقه كالعطاء بالنسبة إلى المولى والمولى أو اتحد كاثنين تواثقا على سفر ونحوه فلا يفترق المعنى بين الإضافتين إذ لا أولوية من الجانبين وفيما نحن فيه إضافته إلى من قام به أولى إن صح المعنى عليهما والا فالمعول عليه جانبه ولهذا أضيف في الآية إلى من هو له لأنه لما طلب الوفاء ووعد الإيفاء كان المناسب إيثارها مفسرة بما عاهدتموني وهو الإيمان بي والطاعة لي أو الإيمان بنبي الرحمة صلى الله عليه وسلم والكتاب المعجز وهو مقتضى النظم وما عاهدتكم عليه من حسن الثواب على التقديرين، وقيل رفع الآصار والأغلال على الثاني اهـ. وأما ما ذكره المجيب من تفسير الوفاء فليس في كلامهم إشارة إليه على أن العهد معنى والتوفية معنى آخر يتعلق به والكلام في الثاني وقد يختلف فاعل المعنيين وإن كان بينهما مناسبة نحو أعجبني ضربك زيدا فتامل. قوله: (وللوفاء بهما عرض عريض الخ) ضمير بهما لعهد الله وعهدنا وكون كلمتي الشهادة وحقن الدماء أول المراتب باعتبار الظاهر المشاهد الذي يترتب عليه أحكام الشرع فلا ينافي أن الأول الحقيقي لها النظر في دلائل التوحيد وموهبة العلم بالوحدة والنبوة مع أن هذه ثمرة لها منزلة منزلتها. قوله:) وآخرها منا

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٤٥/٢

ألاستنراق الخ الا يخفى ما في الاستغراق مع البحر من الإيهام والتورية وقوله بحيث يغفل عن نفسه أي،! غفل كل مستغرق أو كل واحد منا والا كان الظاهر نغفل عن أنفسنا. قوله: (وما روي عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما الخ) رواه ابن جرير بسند صحيح وكذا ما بعده لكن في سنده ضعف والآصار جمع اصر وهو مشقة التكليف وكون هذه وسايط ظاهر لأن اتباع محمد صلى الله عليه وسلم شامل لغير كلمتي الشهادة. قوله: (وقيل كلاهما مضاف إلى المفعول الخ (قيل: هذا ما أشار إليه الزمخشري ثانيا بقوله ومعنى وأوفوا بعهدي وأوفوا بما عاهدتموني عليه من الإيمان والطاعة لي، وقوله والتزام الطاعة أقحم لفظ التزام لأن الطاعة بالفعل قد يعوق عن فعلها عائق

ويعد وافيا وهو ظاهر، وقد خفي هذا مع ظهوره على بعضهم وقوله وقرئ أوف بالتشديد وهي قراءة الزهري. قوله: (وخصوصا في نقض العهدا **لدلالة السياق** عليه ولذا خصه الزمخشري وإن كان الأولى الإطلاق. قوله: (وهو كد في إفادة التخصيص الخ) هذا من مسائل الكتاب وهو مما اختلفوا فيه واضطربت أقوالهم وها أنا ذاكر لك زبدة ما قالوه على وجه سترفع فيه يد البيان نقاب الإشكال فأقول، قال سيبويه: في باب عقده لهذه المسألة فقال في أوله الأمر والنهي يختار فيهما النصب في الاسم الذي يبني عليه كما اختير في باب الاستفهام ثم قال: وذلك قولك زيدا اضربه وزيدا أمر ربه ومثل ذلك أما زيدا فاقتله فإنك إذا قلت زيد فاضربه لم يستقم أن تحمله على الابتداء ألا ترى أنك لو قلت زيد فمنطلق لم يستقم فإن شئت نصبت على شيء هذا تفسيره وان شئت على تقدير عليك زيدا ومن ذلك قوله:

وقائلة خولان فانكح فتاتهم

وقال أبو الحسن: تقول زيدا فاضرب فالعامل اضرب بعده والفاء معلقة بما قبلها واعلم

أن الدعاء بمنزلة الأمر والنهي وأما قوله: ﴿الزانية والزاني﴾ فمحمول على إضمار مما أذكر لكم حكمه لا على حد وقائلة خولان الخ. وقد قرئ: ﴿والسارق والسارقة﴾ وهو في العربية على ما ذكرت لك من القوة هذا محصل كلامه وقال السيرافي في شرحه إذا! قدصت الاسم وأخرت الفعل كنت في إدخال الفاء بالخيار إن شئت أدخلتها وهي بمنزلتها في جواب أما وان شئت أخرجتها وذلك قولك زيدا أضرب وزيدا فأضرب فإذا قلت زيدا أضرب فتقدير. اضرب زيدا وإذا أدخلت الفاء فلأن حكم الأمر أن يكون الفعل فيه مقدما فلما قدمت الاسم أضمرت فعلا وجعلت الفاء جوابا له، وأعملت ما بعد الفاء في الاسم عوضا من الفعل المحذوف وتقديره تأهب فاضرب." (١)

"والحالية من الضمير المجرور. قوله: (لما فيه من التهديد العظيم) أي لما في النظم أو الوعيد، وأهل السنة في هذه الآية على أن المقصود التغليظ في الزجر فلا حاجة إلى تأوبلها أو تؤول بالحمل على المستحل أو الخلود المكث الطويل، وخلاف المعتزلة في ذلك معروف، ومقيس كمنبر علم. قوله: (سافرتم الخ) ضرب في الأرض بمعنى سافر، وخصه المصنف رحمه الله بالسفر للغزو

لدلالة السياق، والسباق عليه، وقوله: فاطلبوا الخ إشارة إلى أن صيغة التفعيل هنا بمعنى الاستفعال كما صرح به الزمخشري، وأهل العربية، وقوله: وثباته إشارة إلى القراءة الآتية وأنهما بمعنى أي لا تعجلوا وتحروا وتأملوا، وتحية الإسلام السلام، وكان

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٤٦/٢

للجاهلية تحية أخرى كانعم صباحا والقاؤها التلفظ بها، والقاء السلم أي الانقياد إظهاره استعارة كما مر، وقوله: متعوذا أي ملتجئا إلى إظهار ذلك خوف القتل، وقراءة الكسر قراءة الجمهور والأخرى مروية عن علي رضي الله عنه، وقوله: سريع النفاد مأخوذ من تسميته عرضا. قوله: (أي أوّل ما دخلتم الخ) حصن الدماء عدم سفكها، والمواطأة الموافقة، وقوله: فإن بقاء ألف كافر لأنه قد لا يأثم به بخلاف القتل، وجعل الأمر مكررا لكنه متغاير باعتبار ترتبه على ما ذكر من حالهم المقتضية له فهو آكد، وقيل: إنه غير مكرر لتقدير الأول تبينوا أمر من تقتلونه، والثاني تبينوا نعمة الله عليكم. قوله: (فلا تتهافتوا الخ) التفاوت الوقوع والتساقط، وفي الدرة أنه لا يستعمل إلا في الشر، وفدك بفتح الدالط قرية بخيبر، وألجأ غنمه إلى عاقول أي ساقها، والعاقول الغار وأسامة بن زيد وغنيمة تصغير غنم للتقليل وقوله، وقال ود لو فر أي ليس إتيانه بكلمة التوحيد إلا لينجو بها حتى يفر بأهله وماله منا. قوله: (وفيه دليل على صحة للمان المكره الخ) وجه الدلالة أنه مع ظنهم أن إسلامه لخوف القتل، وهو إكراه أنكر عليهم قتله فلولا صحة إسلامه لم ينكر ووجه الدلالة على خطا المجتهد أمره بالتثبت المشعر بأن العجلة خطأ ووجه العفو عنه مأخوذ من السياق، وعدم الوعيد على ترك التثبت، ومن المؤمنين حال كما ذكره،

ومن فيه إما بيانية أو تبعيضية. قوله: (بالرفع صفة للقاعدين الخ) قرئ غير بوجوه ثلاثة فالرفع على أنه صفة القاعدون، وهو وان كان معرفة، وغير لا تتعرف في مثل هذا الموضع لكنه غير مقصود به قاعدون بعينهم بل الجنس فأشبه النكرة فصح وصفه بها قيل والأحسن أن يعرب بدلا منه لأن أل موصولة، والمعروف إجراؤه في المعرف بالألف، واللام، وبينهما فرق وجوز الزجاج في الرفع الاستثناء فتأمل، وقيل غير معرفة هنا لأن المعرفة لا توصف بالنكرة وان أريد بها الجنس، وإنما توصف بجملة فعلية مضارعية، والنصب على الحالية، وهو نكرة لا معرفة كما قيل، وأما أن النكرة لا تبدل من المعرفة إلا موصوفة فأكثري لا كلي أو غير للاستثناء ظهر إعراب ما بعدها عليها وابن أتم مكتوم صحابي أعمى مشهور رضي ألله تعالى عنه، وقوله: فغشى رسول الله صلى الله عليه وسلم الخ. أي عرض له ونزل عليه، وكان في بعض أحيانه لا يتمثل له الملك وإنما يصيبه برحاؤه حتى كان مغشى عليه وكان يثقل بدنه فيه، وترضها بمعنى تكسرها، وسرى مجهول مشدد الراء بمعنى انكشف عنه ذلك الحال وقوله: (وعن زيد (رواه البخاري وأصحاب السنن، ومثل الضرر أو هو داخل فيه عدم الاستطاعة المالية ونفي الاستواء، وان كان معلوما للحث على الجهاد ليأنفوا عن تركه كقوله: ﴿هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾ [سورة الزمر، الآية: ٩] كما ذكره الزمخشري، ويعلم من نفي المساواة بين المجاهد بالمال، والنفس نفيها بين المجاهد بأحدهما ونفي المساواة يستلزم التفضيل لكن لم يكتف بما فهم ضمنا فصرح به بعده اعتناء به، وليتمكن أشد تمكن ولذا لم يعطف جملتها لأنها مبنية موضحة له كما سيأتي في الكشاف أن يكون جواب سؤال." (١)

"عن بعض أهل اللغة واستدل له بقوله:

فلم أرسعدي بعد يوم لقيتها غداة بها أحمالها صاج توضع

واعلم أن قوله ولا أوضعوا في الإمام مرسوم بألفين الثانية هي فتحة الهمزة والفتحة ترسم

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ١٦٧/٣

لها ألف كما ذكره الدأني رحمه الله وتبعه الزمخشري هنا. قوله: (يريدون أن يفتنوكم الخ) يقال بغاه كذا وبغاله كذا بمعنى قلب، وأراد والجملة خالية أي باغين لكم الفتنة، وضعفة بفتحتين
جمع ضعيف واللام على التفسير الأول للتقوية كما في قوله تعالى: ﴿فعال لما يريد﴾ [سورة هود، الآية: ١٠٧] واليه أشار المصنف رحمه الله بقوله يسمعون تولهم ففي الكلام مضاف مقدر وعلى الوجه الثاني اللام للتعليل، وتوله والله عليم بالظالمين تقدم تحقيق دلالته على الوعيد قريبا. قوله: (فإن ابن أبز رأس المنافقين الخ) ثنية الوداع موضع معروف شامي المدينة، وهو بفتح المثلثة وكسر النون وتشديد الياء العقبة، والوداع بفتح الواو سميت بها لأنه يوخ الخارج بها، وقيل الوداع اسم واد خلفها وذو جدة مكان بقربه، ولم أر له ضبطا وأظنه من تحريف النساخ وأنه ذو جسد وهو موضع بقرب المدينة فإنه ذكر في التواريخ ولم يذكروا غيره مع إحاطتهم، وقصص المنافقين ومكايدهم مذكورة في السير. قوله: (ودبروا لك المكايد والحيل الخ) يعني الأمور المراد منها المكايد فتقليبها مجاز عن ثدبيرها أو الآراء فتقليبها تفتيشها واجالتها والآيتان هذه والتي قبلها وما ثبطهم لأجله هو أن حضورهم فيه ضرر دون نفع. قوله: (تداركا لما فوت الرسول صلى الله عليه وسلم) تعليل لما قبله، وما فوته هو هتك أستارهم وبيان بطلان أعذارهم، وهو دفع لما يقال إن خروج هؤلاء إن كان مصلحة فلم كرهه الله، وان كان مفسدة! ما عوتب النبيء صلى الله عليه وسلم بأنه مفسدة، وإنما عوتب على عدم التأني فيه حتى يفتضحوا فكان الأولى التصفح عن كته ذلك، والتأمل فالعتاب على ترك الأولى نظرا للظاهر وحمل من ظاهره الإسلام على الصلاح والمقصود زيادة تبصيره وتدريبه فليس جناية كما زعمه الزمخشري. قوله: (أي العصيان والمخالفة الخ (لأن الفتنة تكون بمعنى الذنب كما مر والإشعار ظاهر وعلى الوجه الثاني الضرر، وقوله: (بنساء الروم (لأن غزوة تبوك كانت للروم الذين بجهة الشأم، وجد بن قيس من بني، سلمة أحد المنافقين لعنهم الله تعالى ومولع بفتح اللام بمعنى كثير الشغف والمحبة يعني فأخشى العشق لهن، أو مواقعتهن من غير حل وبنات الأصفر الروم كبني الأصفر، وقيل
في وجه التسمية وجوه منها أنهم ملكهم بعض الحبشة فتولد بينهم نساء وأولاد ذهبية الألوان. قوله:) أي أن الفتنة هي التي سقطوا فيها الخ (هذا التخصيص قيل: إنه مستفاد من تقديم الظرف على عامله والتصدير بأداة التنبيه فإنها تدل على تحقق ما بعدها ورذ بأن تقديم الظرف لا يفيد إلا تخصيص العامل لا بالعكس كما ذكر، وأما التنبيه فيفيد مجرد التحقق لا التخصيص فالأولى أن يقال لما كان قوله ألا في الفتنة رذأ لقوله ولا تفتني كان نفيا لتلك الفتنة، وهي التخلف أو العيال أو بنات الأصفر واثباتا لهذه، وهو معنى الحصر وقد يقال إنه بيان لمحصل المعنى وأنه لم يقعوا إلا في الفتنة لأن الفتنة هي التي سقطوا فيها لا غيرها فتدبر. قوله:) جامعة لهم يوم القيامة الخ (قال النحرير: فعلى الأول المجاز في محيطة حيث استعمل في الاستقبال، وعلى الثاني في جهنم حيث استعمل في الأسباب أو الكلام تمثيل شبهت حالهم في إحاطة الأسباب بحالهم عند إحاطة النار وما ذكره بناء على أن اسم الفاعل حقيقة في الحال، وقد حقق في محله فما قيل إن اسم الفاعل لا يدذ على شيء من الأزمنة وضعا فيستعمل لكل منه بحسب القرائن وأن جعل جهنم مجازا بعيد عن الفهم ليس بشيء لمن عرف معنى كلام القوم. قوله: (في بعض غزواتك (قيده به **لدلالة السياق** عليه، وقوله: (كسر (أي هزيمة لبعض جيشه يقال انكسر العسكر إذا انهزموا، وهو حقيقة عرفية وأصله انشقاق الأجرام، وتبجحوا بتقديم الجيم على الحاء المهملة بمعنى فرحوا وافتخروا،

واستحمدوا عدوه صوابا محموداً والمتحدث بفتح الدال المشددة محل الاجتماع للحديث أي انصرفوا عن ذلك إلى أهليهم وخاصتهم، أو تفرقوا وانصرفوا عنه! سيم، فإن قلت فلم قابل الله تعالى هنا الحسنة بالمصيبة ولم يقابلها بالسيئة، كما قال تعالى في سورة آل عمران ﴿وإن تصبكم سيئة يفرحوا بها﴾ اسورة آل عمران، الآية: ١٢٠]." (١)

"عبارة عن عدم الاستعداد بتوبة، ونحوها فيفيد مع قوله بغتة، ولا حاجة إلى جعله تأكيدا لها كما قيل والجملة حالية كما أشار إليه بتأويلها بغير مستعدين. قوله: (يعني الدعوة إلى التوحيد الخ (فهذه إشارة إلى الدعوة ولذا أنث، وان صح تأنيثه باعتبار السبيل أيضا لأنها مؤنثة في الأكثر كالطريق ودعوته إلى التوحيد معلومة من قوله تعالى: ﴿وما يؤمن أكثرهم﴾ لدلالته على أن كونه ذكرا لهم لاشتماله على التوحيد لكنهم لا يرفعون له رأسا ودعوتهم للإيمان معلومة من حرصه على إيمانهم فإنه بدعوتهم له، والإعداد للمعاد من التخويف من مفاجأته من غير استعداد وجعل أدعو إلى الله مفسر الماء ذكر أما

بالنسبة إلى التوحيد واما بالنسبة للإعداد فكأنه من قوله على بصيرة لأن من كان على بصيرة استعد، وحمل غيره على الاستعداد أو هو تفسير للأهم المقصود بالذات منه، ومعنى أدعو إلى الله إلى معرفته بصفات كماله ونعوت جلاله ومن جملتها التوحيد والبعث. قوله: (وقيل هو حال من الياء (وعلى الأول الجملة تفسيرية لا محل لها من الإعراب وتمريضه لأن الحال من المضاف إليه في مثله مخالفة للقواعد ظاهرا، ولذا تكلف بعضهم فقال إنه حينئذ مفعول مصدر مقدر أي سلوك سبيلي لا لأنها تقييد للشيء نفسه لأن تقييدها بكونها على بصيرة يدفعه. قوله: (واضحة غير عمياء) قد مر تحقيقه فتذكره، وقوله أو في على بصيرة أي أو للضمير المستتر في على بصيرة لأنه حال فيستتر فيه ضمير المتكلم وكذا إذا كان خبرا، وقوله عطف عليه أي على أنا في الوجه الأخير ولم يذكر عطفه على المستتر في الوجه الآخر لظهوره، وإذا عطف على المستتر ففيه تغليب كما مر تحقيقه في قوله: ﴿اسكن أنت وزوجك الجنة﴾ [سورة البقرة، الآية: ٣٥] ومنهم من قدر في مثله فعلا عاملا في المعطوف، وقيل معنى قوله عطف عليه على المستتر لتأكده بالمنفصل، ولا يصح عطفه على أنا لكونه تأكيدا، ولا يصح في المعطوف كونه تأكيدا كالمعطوف عليه فتأمل، وقوله أو مبتدأ عطف على قوله تأكيد، وقوله وأنزهه تنزيها إشارة إلى أنه منصوب. على المصدرية بفعل محذوف هو المعطوف، وقوله من الشركاء خصه به **لدلالة السياق** والسباق عليه. قوله:) رذ لقولهم لو شاء ربنا لأنزل ملائكة الخ) أي نفي له كما مز في سورة الأنعام، وقيل معناه نفى استنباء النساء، وفيه اختلاف أيضا كما مر وهذا التفسير منقول عن ابن عباس رضي الله عنهما وأما كونه نزل في سجاج بنت المنذر المتنبئة فلا صحة له، وإنما هو غلط من عبارة الزمخشري لأن ادعاءها النبوة كان بعد النبي صلى الله عليه وسلم وكونه إخبارا بالغيب لا قرينة عليه وهي التي قيل فيها:

أضحت نبيتنا أنثى نطوف بها ولم تزل أنبياء الله ذكرانا

وتزوجها مسيلمة لعنه الله ثم أسلمت بعده، وحسن إسلامها وقصتها معروفة في التواريخ. قوله: (وقرأ حفص! نوحي) بالنون وهو مناسب لقوله أرسلنا، وقوله في كل القرآن يعني هنا، وفي النحل والأول من الأنبياء كما في النشر وكون أهل القرى

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٣٣١/٤

أعلم من أهل البادية وأحلم مما لا شبهة فيه، ولذا يقال لأهل البادية أهل الجفاء، ونقل عن الحسن رحمه الله أنه قال ل! يبعث رسول من أهل البادية، ولا من النساء ولا من الجن، وأما قوله تعالى: ﴿وجاء بكم من البدو﴾ فقد مر أنهم ليسوا أهله، وإنما كانوا يخرجون إليه بمواشيهم، وكان مجيئهم إذ ذاك منه. قوله:) من المكذبين بالرسل والآيات الخ (المشغوفين بالغين المعجمة ويجوز إهمالها، وقوله فيقلعوا أي يكفوا يقال أقلع عن الأمر إذا كف عنه، وفي نسخة ينقلعوا والصحيح الأولى. قوله:) ولدار الحال أو الساعة أو الحياة الآخرة) إشارة إلى المذهب المختار في مثله فإن فيه مذهبين أحدهما أنه من إضافة الموصوف للصفة، والآخر أنه يقدر للصفة موصوف كما ذكره المصنف رحمه الله تعالى، وهو خلاف مشهور بين الكوفيين، والبصريين في مثل بقلة الحمقاء، ومسجد الجامع. قوله:) يستعملون عقولهم ليعرفوا) وفي نسخة فيستعملون عقولهم بالفاء التفسيرية، وأما في النظم فسببية مزحلقة. قوله: (حملا على قوله قل هذه سبيلي أي قل لهم أفلا تعقلون (أي أنه من مقول قل أي قل لهم مخاطبا أفلا تعقلون فالخطاب على ظاهره، وقوله وما أرسلنا إلى من قبلهم أو اتقوا اعتراض بين مقول القول، ولا ينافي الثاني كون تفسيره لقوله أفلا تعقلون على القراءتين كما توهم ولو جعل هذا التفاتا كان." (١)

"لغته لغتهم اختصاص بعثته بالعرب، وقوله ما أمروا به إشارة إلى مفعوله المقدر واليسر بمعنى السهولة عليهم. قوله: (ثم ينقلوه ويترجموه إلى غيرهم (أي ينقلوا ما أمروا به، ويترجموه بلغة أخرى إن بعث ذلك الرسول إلى غير قومه ممن لهم لسان آخر، وقوله فإنهم أولى الناس أي أقربهم إليه تعليل لعدم تعكيس الأمر، وانذار عشيرته لقوله تعالى: ﴿وأنذر عشيرتك الأقربين﴾ [سورة الشعراء، الآية: ٢١٤] وقوله، ولو نزل الخ إشارة إلى سؤال وهو نبينا صلى الله عليه وسلم بعث لجميع الأمم فلو كان له كتب معجزة بجميع الألسنة كانت أدل على النبوة فدفعه بأنه يؤذي إلى اختلاف الكلمة لاختلاف الكتب المتمسك بها المؤدي إلى التنازع، وعدم الانقياد واضاعة فضل الاجتهاد أي بذل الجهد في فهم معانيه، واتقان لغاته وعلومه، والقرب جمع قربة. قوله: (وقرئ بلسن) كذكر، وهي لغة في لسان لكنه لا يطلق على الجارحة، وقوله وقيل الضمير في قومه لمحمد صلى الله عليه وسلم الخ الضمير على الأول لرسول وعلى هذا لنبينا صلى الله عليه وسلم المفهوم من السياق وهذا قول لبعض المفسرين نسب فيه إلى الغلط كما أشار إليه المصنف رحمه الله بقوله ويرده إلى آخره لأنه إذا لم يقع التبيين إلا بعد الترجمة فات الغرض مما ذكر، وضمير لهم للقوم بلا خلاف، وهم المبين لهم بالترجمة فقول المصنف رحمه الله لم تنزل لتبين للعرب فيه نظر لأن القائل لم يقل إنه تبين للعرب، ولم يكلفوا بالعمل بما فيها حتى تبين لهم، وقوله وقيل الخ. قال في الكشف دفعه الطيبي بأنه راجع إلى كل قوم **بدلالة السياق** والجواب أنه لا يدفع الإيهام على خلاف مقتضى المقام، وقوله فيخذله الخ قد مر تحقيقه وكذا مر تحقيق تفسير الهداية بالتوفيق، وقوله فلا يغلب شيء على مشيئته بيان لارتباطه، وكذا ما بعده وقوله، ولقد أرسلنا موسى أي كما أرسلناك كذا قال النسفي، وبه يرتبط النظم أتم ارتباط، وفي المرشد لأبي شامة رحمه الله قال السجستاني المراد بقومه العرب كلهم لقوله صلى الله عليه وسلم: " أنزل القرآن على سبعة أحرف " الحديث، وقال ابن قتيبة هم قريش لأن القرآن أنزل بلغتهم، ولا يجوز أن يكون فيه ما يخالفها فالقول الأول عظيم من قائله إلا أن يريد ما يوافق لغتهم من غيرهم اص. قوله:) أي أخرج لأن في الإرسال معنى القول أو بأن أخرج الخ) يعني أن إما مفسرة،

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٥/٢١٠

وهي تفسير لمفعول مقدر فيه معنى القول دون حروفه، وهذا شرط كما بينه أهل العربية، واليه أشار المصنف رحمه الله أو مصحدرية حذف قبلها حرف الجر لأن أرسل يتعدى بالباء، والجار يطرد حذفه قبل أن، وأن وقوله فان صيغ الأفعال الخ إشارة إلى توجيه اتصالها بالأمر كما مر تحقيقه، وقوله أن الناصبة أي المصدرية لشهرة النصب بها. قوله: (بوتاثعه التي وقعت على الأمم الدارجة (أي الخالية الماضية يعني الأيام بمعنى الحروب والوقائع كما في قولهم أيام العرب فإنه مشهور بهذا المعنى كقوله:

وأيامنا مشهورة في عدونا

وهذا هو المناسب للتذكير، ولذا قدمه أو المراد بأيام الله نعمه ونقمه كقوله:

وأيام لنا غرر طوال عضضنا الملك فيها ان يدينا

وذكرهم معطوف على أخرج أو مستأنفه، وهذا أنسب بقوله لكل صبار شكور، وعن ابن عباس رضي الله عنهما أيام الله نعماؤه، وهو مثل الأول في عدم المناسبة لما بعده مع عدم المناسبة لما قبله أيضا وفيه نظر. قوله: (يصير على بلائه ويشكر لنعمائه فإنه إذا سمع الخ (هو جار على الوجهين في تفسير الأيام أما على الثاني فظاهر، وأما على الأول فالصبر على البلاء من التذكير بالوقائع، والشكر على النعم من الإخراج من الظلمات إلى النور فإنه تدبيل لمجموع الآية لا لقولهم ذكرهم فقط، واليه أشار بقوله فإنه الخ وقيل إنه إشارة إلى ترجيح الثاني عكس ما فهم من صيغة التمريض، ومناسبته على تفسيره بالوقائع أنها تتضمن النعم، والنقم بالنسبة إلى قوم، وقوم كقوله:

مصائب قوم عند قوم فوائد

وهو تكلف لا حاجة إليه. قوله: (وقيل المراد لكل مؤمن) فعلى الأول يكون الصبار، والشكور عبارتين لمعنيين، وعلى هذا عبارة عن معنى واحد على طريق الكناية كحي مستوي القامة بادي البشرة في الكناية عن الإنسان، وقوله عنوان المؤمن استعارة حسنة أي الظاهر من حاله." (١)

"مرة بعد أخرى (فسره به لأنه يشعر بالتكرار كما مد الماء ونحوه، قال تعالى: ﴿والبحر يمده من بعده سبعة أبحر﴾ [سورة لقمان، الآية: ٢٧] وقوله: ونجعل آنفة مدد السالفة إن كان آنفة بتاء الوحدة منونا فمددا منون ولسالفة بلام الجر وتاء الوحدة أيضا، وإن كان مضافا لضمير العطاء الغالب فلسالفه، ذلك والسالف ما سبق منه والآنف بالمد ما استؤنف مرة بعد مرة أخرى، وقوله: من معطاه إشارة إلى أن العطاء اسم مصدر واقع موقع المفعول وقوله: ممنوعا لأنه من الحظر بمعنى المنع من الحظيرة، وقوله: في الرزق قيده به **لدلالة السياق** أو المراد به اللغوي فيتناول الشرف ونحوه كما يقال: السعادة أرزاق أو هو تمثيل.

قوله: (بدل من كلا (أي بدل كل من كل لكنه قدره فيما مضى بكل واحد من الفريقين

تبعا للزمخشري فورد عليه ما أورده عليه أبو حيان والمعربون وتبعهم المحشي من أنه لا يصح على هذا التقدير لأنه يكون بدل كل من بعض كقوله:

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٥١/٥

رحم الله أعظما دفنوها بسجستان طلحة الطلحات . . .

وهو مردود كما بين في النحو فالظاهر أن يقدر كل الفريقين ومن لم يفهم مراده قال في تقريره: أي نمذ هذا الفريق وذاك الفريق لا كل فرد منهما ولذا قال: كل واحد دون أحد وفرد، والعجب من أبي حيان أنه خالف النحاة في أن كلا إذا أضيفت إلى نكرة قد ترد للكل المجموعي لا بمعنى: كل فرد فرد مستدلا بقول عنترة:

جادت عليه كل عين ثرة فتركن كل حديقة كالدرهم ...

وعليه قول الأصوليين كل رجل يشيل الصخرة العظمية وإن نازعه السبكي فيه في رسالة

كل وعلى ما ذكر لا يرد عليه شيء عند النظر الصحيح وكأنه أشار إليه بقوله: الأولى فتأمل. قوده:) وانتصاب كبف الخ (أي أنها في محل نصب لأنها مبنية على الفتح قال نجم: الأئمة

إنما عد كيف في الظروف لأنه بمعنى على أي حال والجار والمجرور والظرف متقاربان، وكون كيف ظرفا مذهب الأخفش، وعند سيبويه هو اسم بدليل إبدال الاسم منه نحو كيف أنت أصحيح أم سقيم ولو كان ظرفا لأبدل منه الظرف نحو متى جئت أيوم الخميس أم يوم الجمعة فإن جاء بعد كيف ما يستغنى به فكيف منصوب المحل على الحال فتأمل، وناصبه ما بعده من الفعل وليس مضافا للجملة كما توهم والجملة بتمامها في محل نصب بقوله: انظر وهو معلق هنا كما بين في محله، والمعنى انظر إلى هذه الكيفية العجيبة. قوله تعالى: ﴿أكبر درجات وأكبر تفضيلا﴾ درجات وتفضيلا منصوبان على التمييز والمفضل عليه محذوف تقديره من درجات الدنيا وتفضيلها وقوله: بالجنة ودرجاتها والنار ودركاتها عمم الدرجات ليشمل الدركات فللتفضيل بمعنى التفاوت فاعتبر التفاوت بين أهل الجنة والنار وبين أبعاض الفريقين. قوله: (الخطاب للرسول صلى الله عليه وسلم الخ) إنما جعل المراد به أقته على حذ قوله:

إياك أعني وسمعي يا جاره

أو المراد به العموم على حذ قوله ولو ترى إذ وقفوا على النار وهو معنى ما قيل إن الخطاب للإنسان لأن ما بعده ليس مما يصف به نبيه وحبيبه صلى الله عليه وسلم ولو على طريق الفرض والتقدير. قوله: (فتصير من قولهم شحذ الشفرة حتى قعدت كأنها حربة (شحذ بمعنى سن وحدد والشفرة السكين الكبيرة وكل نصل عريض وقعد بمعنى صار ويلحق به في العمل، قال الرضي: من الملحقات بصار قعد في قول إعرابي: أرهف شفرته حتى قعدت كأنها حربة أي صارت وقال: إنما تعمل قعد هذا العمل في هذا المثل فلا يقال قعد كاتبا لكونه مثله ولذا قيل: إن تفسيره بتصير هنا غير جيد وهذا غير مسلم لأن الفراء ذهب إلى إطراد قعد بمعنى صار، ومنه قول الراجز:

من دون أن تلتقي الأركاب ويقعد الاير له لعاب ...

وحكى الكسائي قعد لا يسأل حاجة إلا قضاها فما ذكر مبنيئ على قول الفراء: وعلى قول الأصحاب: مذموما مخذولا حال، وعلى قول الزمخشري خبر يقعد. قوله: (أو فتعجز من قولهم قعد الخ) بمعنى العاجز عن القيام ثم تجوز به عن مطلق العجز، وقيل القعود كناية عن العجز فإن من أراد أخذ شيء يقوم له ومن عجز قعد، وأما القعود بمعنى الزمانة فحقيقة

والإقعاد مجاز كأن مرضه أقعده والقعود اللبث مطلقا قائما أو قاعدا أو هو حقيقة أيضا وفيه نظر إلا أن يريد أنه حقيقة عرفية لا لغوية لأنه ضد القيام. قوله: (جامعا على." [(١)]

"المرض الحاضر، وهو معنى كثير الأشعار القديمة كقول حميد بن ثور:

وحسبك داء أن تصح وتسلما

ومنه أخذ المتنبي قوله:

قداستشفيت من داءبداء وأقتل ما أعلك ماشفاكا

والبيت الذي ذكره المصنف للبيد من قصيدة وقبله:

كانت قناتي لا تلين لغامز فألانها الإصباح والإمساء

وجاهدا بمعنى مجتهدا ويصحني منأصحه إذا صيره صحيحا، ولبيد كان ممن رزق العمر الطويل والمثل والبيت بيان للوجه الأخير. قوله: (هاربين مخافة العدوى (بفتح العين، وهي

سراية المرض وعلى تفسيره هذا مدبرين حال مقيدة لا مؤكدة كما هو المتبادر، وقوله فذهب الخ أصل معناه الميل في جانب ليخاع من خلفه فتجوز به عما ذكره لأنه المناسب هنا والطعام المذكور كان يقرب للأصنام في أعيادهم، وأتى بضمير العقلاء لمعاملته معهم معاملة العقلاء، وقوله وأن الميل لمكروه، وعلى للمضرة كما في دعا عليه وضربا مصدر لراغ باعتبار المراد منه بطريق التجوز أو **بدلالة السياق**، ويجوز كونه حالا بمعنى ضاربا أو مفعولا له. قوله: (وثقييده باليمين الخ) فيكون المراد الضرب القوفي والباء في الأول للاستعانة ويجوز كونها للملابسة، واليمين بمعنى القوة مجازا كما مر، وفي الثاني للسببية. قوله: (بعدما رجعوا فرأوا أصنامهم مكسرة) إشارة إلى التوفيق بين ما في هذه الآية وما في الأخرى سمعنا فتى يذكرهم الخ فإن هذه تقتضي أنهم شاهدوه، وهو يكسرها فأسرعوا إليه وتلك تدل على أنهم لم يشاهدوه، وإنما استدلوا بذمه على أنه الكاسر لها بأن هذه لا تنافي تلك فإن معناها أنه حين كسرها لم يشعر به أحد وأقبالهم إليه يزفون بعد رجوعهم من عيدهم، وسؤالهم عن الكاسر وقولهم فأتوا به على أعين الناس، وليس في النظم ما ينافيه وأجيب أيضا بأن الرائي له بعض أتباعهم ولم يذكره لكبرائهم لصارف ما حتى بلغهم فقالوا ما صدر عنهم وهو المذكور في سورة الأنبياء. قوله: (من رف النعام) أي أسرع لخلطه الطيران بالمشي، ولذا قيل زت العروس لا لسرعة المشي بها بل لخفة السرور، ونشاطه ومصدره الزف والزفيف وأزفه حمله على الزفيف أو دخل فيه فيكون متعديا ولازما من الثلاثي المعلوم قرأ جميع القراء إلا حمزة فإنه قرأه بضم الياء على أنه معلوم المزيد، والقرا آت الباقية كلها شاذة فما نقله المصنف عن حمزة مخالف لما في جميع كتب القرا آت وقوله يزف بعضهم قدر مفعوله لأن أزف متعد وقد عرفت أنه يكون لازما فلا يحتاج لتقديره، وكون وزف بمعنى أسرع أثبته الثقات فلا يلتفت لمن أنكره، وزفا بمعنى حدا استعير لمعنى أسرع كما أشار إليه بقوله كان الخ. قوله: (وما تعملونه (فما موصولة وعائدها محذوف، وهذا رجحه في الكشاف على المصدرية لكنه زعمأنه هو الموافق لمذهب أهل العدل لأن أهل السنة استدلوا بهذه الآية على أن أفعال العباد مخلوقة لله تعالى وبنره على كون ما مصدرية وأنه الأصل لعدم احتياجه إلى التقدير وليس هذا أيضا بلازم

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٠/٦

كما أشار إليه المصنف وقال الزمخشري أن المعنى الآية يأباه إباء جليا لأنه تعالى احتج عليهم بأن العابد والمعبود جميعا خلق الله فكيف! عبد المخلوق المخلوق على أن العابد هو الذي صوره وشكله، ولولاه لم يكن له صورة فلو قلت والله خلقكم وخلق عملكم لم تكن محتجا عليهم، ولا كان لكلامك طباق وما في ما شحتون موصولة فلا يعدل بها عن أختها لما فيه من فلف النظم وتبتير. هذا محصله، وهو كلام حسن لكنه حق أريد به باطل كما سنبينه. توله: (فإن جوهرها بخلقه وشكلها وإن كان بفعلهم (رد على الزمخشري إذ جعل الموصولية دالة على أن جوهرها أي مادتها بخلقه تعالى دون تشكيلها، وتصويرها فإنها من أفعال العباد المخلوقة لهم عنده فالموصولية لا تنافي مذهب أهل الحق إذ تعلق الفعل بالمشتق يقتضي تعلقه بمبدأ اشتقاقه فمعنى يحب التوابين يحب ذواتهم وتوبتهم، وقوله وان كان الخ أن فيه وصلية أي لهم مدخل في الفعل بالكسب الاختياري والمباشرة، وإن كان الله خلقه كما هو مذهب الأشعرية ولا دلالة في كلامه على أنه لا مدخل لشلق الله في الشكل كما توهم، وقوله ولذلك جعل من أعمالهم دفع لما قيل إنه كيف جعل. مخلوقا لله ومعمولا لهم من غير احتياج إلى إيقاع الخلق على جوهرها والعمل على شكلها كما في الكشاف تاييدا لمذهبه، وقوله فبأقداره الخ خبر." (١)

"كثير ك! في قولهم حينئذ الآن أي كان ذلك حينئذ وامتغ الآن، فالماضي المقدر معطوف على ما قبله والفاء دالة على تفريع ما بعدها على ذلك المقدر. وقال الواحدي: إذ بمعنى إذا، وقد تأتي للاستقبال، وقيل إنها تعليلية. وقال ابن الحاجب: يجوز تضمين إذ معنى الشرط بقرينة الفاء، وقد جوز كونها معمولة لقوله فسيقولون باعتبار إرادة الاستمرار ورد بأن المضارع إذا أريد به الاستمراو على أن السين للتأكيد، فإنما يدل على استمرار مستقبل بخلاف ما إذا لم يقترن بالسين، فإنه يكون للاستمرار في جميع الأزمنة، وأجيب عنه بأن السين إذا كانت للتأكيد يجوز أن يقصد الاستمرار في الأزمنة كلها نحو فلان يقري الضيف والفاء لا تمنع عن عمل ما بعدها فيما قبلها كما ذكره الرضي والتسبب حينئذ عن كفرهم. قوله: (مسبب عنه) أي عن ظهور عنادهم إشارة إلى أن الفاء للسببية والمسبب عنه مقدر. وقوله: (وهو أي) قولهم هذا إفك قديم بمعنى ما ذكر والقرآن يفسر بعضه بعضا. قوله تعالى: (﴿ومن قبله﴾ الخ) قراءة العامة بمن الجارة، فالجار والمجرور خبر مقدم وقرى بمن الموصولة عمى أنه معمول لفعل مقدر كآتينا وإماما ورحمة حالان من كتاب والعامل فيه معنى الاستقرار والمعنى كيف يصح كونه إفكا قديما وقد سلموا كتاب موسى ورجعوا إلى حكمه مع أن القرآن ممدق له، ولغيره من الكتب السالفة بمطابقته لها مع إعجازه وحفظه من التحريف القاطع بصحة ذلك، وهو جار على إرادة اليهود، أو مطلق الكفرة من الذين كفروا كما أشار إليه بقوله لكتاب موسى، أو لما بين يديه من الكتب السالفة، وأيد الثاني بأنه قرى به وتقديم من قبله للاهتمام، أو المعنى من قبله لا من بعده ليوفي حق الاختصاص اللازم له عند السكاكي كما في الكشف. قوله: (أو منه) أي من كتاب

النكرة، وسوغ مجيء الحال منه من غير تقديم له توصيفه والعامل حينئذ معنى الإشارة، وفيه كلام تقدم في هذا بعلى شيخا، وفائدتها أي فائدة مجيء الحال منه مع أن عربيتة أمر معلوم لكل أحد الدلالة على أن تصديقه لها باتحاد معناه معها، وهي غير عربية ومثله لا يكون ممن لم يعرف ذلك اللسان بغير وحي من الله وهو كاف في حقيته كما أشار إليه بقوله حقي دل

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٧٦/٧

الخ. وقوله: (يصدق ذا لسان الخ) يعني به النبي، فلا بد فيه من حذف المضاف، ولو جعل هذا إشارة إلى كتاب موسى لقربه لم يحتج لتقدير. وقوله: (وقيل) معطوف على قوله حال. قوله: (وفيه ضمير لخ) أي في هذا الفعل، وهو ينذر ضمير مستتر لما ذكر وأيد الأخير بقراءة الخطاب، فإنه لا يصلح بدون تكلف لغير الرسول والتعليل صحيح على الكل ولا يتوهم لزوم حذف اللام على أن الضمير للكتاب لوجود شرطه فإنه شرط الجواز لا الوجوب. وقوله: (وتوقيف) بتقديم القاف وفي نسخة بتاخيرها، وهو تحريف من الناسخ وقوله: (عطف على محله) أي محل لينذر وهو الجر لأن المصدر المسبوك لا يظهر إعرابه. قوله تعالى: (﴿إن الذين قالوا﴾ الخ) مر تفسيره في السجدة. وقوله: (جمعوا بين النوحيد) المستفاد من تعريف الطرفين المفيد للحصر. وقوله: (في الأمور) إشارة إلى عمومه لترك متعلقه والتي الخ صفة الاستقامة. وقوله: (على تأخر رتبة العمل (إشارة إلى أنها للتراخي الرتبي، وتوقف اعتباره على التوحيد من نفس الأمر، والترتيب الوجودي فهي للترتيب بدون تراخ وقوله: وجزاء منصوب بمقدر من لفظه **لدلالة السياق** عليه. قوله: (من لحوق مكروه) أي في الآخرة كما أن فوات المحبوب المطلوب في الدنيا ويجوز في هذا أن يكون لفا ونشرا للعلم والعمل والأحسن رجوعه للكل. وقوله: (لتضمن الاسي! معنى الشرط) مع بقاء معنى الابتداء بخلاف ليت ولعل وكان كما فصله النحاة. وقوله: ﴿ووصينا﴾ الخ تقدم الكلام عليه في سورة العنكبوت. وقوله: (للصاء حسنا) فهو صفة لمصدر مقدر. وقد جوز فيه المصدرية كعلنا فيكون له مصدران على فعل وفعل وهو خلاف المعروف في الاستعمال وإن توافقت فيه القراءتان. وقوله: ذات كره إشارة إلى أنه حال من الفاعل بتقدير مضاف. وقوله:

(أو حمل! الخ) علي أنه صفة للمصدر، أو هو منصوب على المصدرية لتقدم ما هو في معنى فعله وقد تقدم في النساء الفرق بين المفتوح والمضموم والكلام فيهما. قوله: (ومدة حمله وفصاله) فيه مضاف مقدر لتصحيح الحمل من غير تكلف. وقوله: (أو وقته) عطف على قوله الفطام يعني الفصال إما." (١)

"جزاؤه وإن الخ، خبره وقوله: جمعه للمعنى أي لرعاية معنى من، ولو راعى لفظه قال: خالدا.

قوله: (والغاية لقوله يكونون الخ (يعني إن فسر با لتجمع للعداوة، فهو غاية له وعلى

الوجه الآخر متعلق بمحذوف دلت الحال عليه، كأنه قيل: لا يزالون يستضعفونه، حتى إذا رأوه ما يوعدون تبين لهم المستضعف من هو، وأما جعله غاية لقوله: نار جهنم، فركيك جدا مع أنه يأباه ما بعده وما قبله، وأما استعباده بطول الفصل فليس بشيء كما توهمه أبو حيان، فإنه لا مانع من تخلل أمور غير أجنبية بين الغاية والمغيا، وقوله: ما أدري بيان لأن إن نافية هنا. قوله: (غاية تطول مدتها الخ الما كان التقابل يقتضي أن يقال: أقريب أم بعيد، أو أله أجل وأمد أم لا، أوله المصنف رحمه الله تعالى بالأمد البعيد بقرينة المقابلة، وإن كان الأمد وضعا شاملا لهما، ولذا وصف بقوله تعالى: ﴿تود لو أن بينها وبينه أمدا بعيدا﴾ [سورة آل عمران، الآية: ٣٠] وفي الكشاف المعنى ما أدري أهو حال متوقع في كل ساعة أم مؤجل له غاية مضروبة، وما ذكره المصنف رحمه الله تعالى أولى وأقرب. قوله:) هو عالم الغيب (يعني هو خبر ضمير محذوف، واضافته محضة لقصد الثبات فيه، فيفيد تعريف الطرفين فيه التخصيص لأن الكلام وقع تعليلا لنفي الدراية، كأنه

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٢٩/٨

قيل: ما أدري قرب ذلك الموعد وبعده، إلا أن يطلعني الله عليه، لأن علم الغيب مختص به وقد يطلع عليه بعض خلقه. قوله: (على الغيب المخصوص به علمه الإفادة الإضافة الاختصاص واختصاصه به تعالى لأنه لا يعلمه بالذات والكنه علما حقيقيا يقينيا بغير سبب، كاطلاع الغير إلا الله، وعلم غيره لبعضه ليس علما للغيب، إلا بحسب الظاهر، وبالنسبة لبعض البشر كما ذكره بعض المحققين فلا منافاة، لقوله: بعده لعلم بعضه، حتى يقال عليه إنه بعد ما حمل الغيب على الغيب المخصوص به علمه كيف يقول لعلم بعضه حتى يكون له معجزة، وتكلف بعضهم الجواب عنه، بأن المراد بالغيب المخصوص به ما لم ينصب عليه دليل، ولا يقدح في هذا الاختصاص كونه معلوما للغير بإعلامه تعالى إذ الاختصاص إضافي بالنسبة إلى من عدا المستثنى. قوله:) ١ لا من ارتضى (يصح في هذا الاستثناء الاتصال، وهو الظاهر، والانفصال بناء على التخصيص أو عدمه كما في

بعض الحواشي. قوله: (واستدل به على إبطال الكرامات) فيه كلام من وجهين الأول إنه لا دلالة فيه إلا على إبطال كرامة علم الغيب لا غير، والقول بأنه لا قائل بالفصل لا يتمشى في أمثال هذه المطالب، وادعاء دلالة النص ليس بشيء، لأن الخارق للعادة ليس مساويا لإظهار الغيب بل أقوى منه، إذ الأول قد يعرف بحدس ونحو.، وفي شرح المقاصد ليس هذا بقادح في حكم المقام، لأن مدعي أهل السنة حقية كرامات الأولياء جميعها، وأدلة الخصم بعضها يدل على إبطال الجميع، وبعضها على إبطال البعض، وهو الإخبار بالغيب إذ به يحصل بطلان ما ادعيناه من حقية جميعها، فلا يرد عليه إنه لا دلالة فيه إلا على إبطال كرامة علم الغيب لا غير فتأمله. الثاني إن كلامه لا يخلو من أن يكون مبنيا على جوابين كما في التفسير الكبير، حيث قال: الغيب مخصوص بوقت وقوع القيامة **بدلالة السياق**، والرسول بالملك فإنه تعالى يطلع الملائكة عليه يوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا، ويجاب أيضا بتخصيص الإظهار بما يكون بغير واسطة، ويرد على الأول إنه كيف يصح هذا بعد قوله: ليكون معجزة، والمعجزة إنما هي لرسل البشر دون الملائكة، وأجيب بأنه غير مرضي له، وأنما قدم لإيجازه وليفرغ منه إلى الأهم عنده كما هو دأب المصنفين، وقيل: كلاهما ليس بمرضي له، وأنما المرضي له ما أشار إليه في أثناء تفسير النظم من تخصيص الغيب، وحمل الرسول على المتعارف لدلالة السباق والسياق عليه، وأما هذا فالعهدة فيه على القوم، وأورد على الثاني أن الرسل لا يطلعون بغير واسطة، وقصة المعراج، وتكليم موسى عليه الصلاة والسلام يرده، أو جوابا واحدا كما ارتضاه البعض، وهو الظاهر من عطفه بالواو، وقيل: وهو مخالف لقوله: حتى يكون معجزة، ومقتضى لزوم الواسطة للإظهار للأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهو غير صحيح لقصة المعراج وغيرها، ولا يرد عليه أنه وارد على الجواب الأول عند القائل بالتعدد لأنه غير مرضي له، لا يقال: إذا خصص الغيب بالقيامة أو بغيرها مما يتعلق بذاته لا يرد المعراج ونحوه، لأنا نقول حينئذ لا يصح الاستدلال ولا يحتاج إلى الجواب، وهذا معنى ما قيل إن كلامه لا يخلو من الخلل والإخلال، ولبعض أهل العصر هنا كلام طويل بلا طائل. قوله: (وكرامات الأولياء الخ) يرد." (١)

"﴿والليل إذا عسعس والصبح إذا تنفس﴾ [سورة التكوير، الآية: ١٧] للعطف مع تقدم صريح القسم مع أن التحقيق إن الظرف ليس معمولا لفعل القسم لفساد المعنى إذ هو غير مقيد بالزمان حالا كان أو مستقبلا، وإنما هو معمول

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٨/٢٦٠

لمضاف مقدر وهو العظمة لأن الأقسام بالشيء إعظام له وأورد عليه أن أقسامه تعالى بشيء مستعار لإظهار عظمتة، وابانة شرفه فيجوز تقييده باعتبار جزء المعنى المراد يعني الإظهار وأيضا إذا كان الأقسام إعظاما لغا تقديره، وقد جوز تجريد إذا عن الظرفية وابدالها من مدخول الواو، ولا يخفى أنه ولو سلم ما ذكره فالاستعارة إما تبعية أو تمثيلية وعلى كل حال فليس ثمة ما يكون متعلقا به بحسب الصناعة، والتقدير ليتعلق به وليظهر ما أريد منه مؤكدا فلا لغوية فيه، ومثله تخيل لا محصل له. قوله: (من حيث استلزمت الخ) متعلق بقوله: النائبة والمستتر فيه للواو الأولى كضمير معها وضمير طرحه لفعل القسم، وقوله: ربطن الخ جواب لما والمجرورات القمر والنهار والليل والظروف إذا بعد الثلاثة وليس المراد بالجمع الاثنين كما قيل: لمقارنته المجرووات، وقوله: بالمجرور والظرف أراد بالمجرور الشمس المجرورة بحرف

القسم وبالظرف فميا هيل: وضحاها لأنها في معنى إذا أشرقت أو لأن الضحى كثر استعماله بمعنى الوقت فيما قيل، ولما رأى بعضهم ما فيه من التكلف قال المراد بالظرف والمجرور هنا القمر وأذا بعده ولا يخفى ما فيه من البعد، وقوله؟ على عاملين مختلفين اتبع النحاة في هذه العبارة وفيها مضماف مقدو تقديره على معمولي عاملين مختلفين. قوله: (لإرادة معنى الوصفية) يعني أن أصل وضعها لما لا يعقل وقد يراد بها الصفة فإنها تقع استفهاما للسؤال عنها فتقول زيد ما هو فيجاب بعالم أو جاهل بخلاف من فانها تختص بذوي العلم وقد أريد هنا الصفة فلذا أطلقت عليه تعالى وقد مر تفصيله في سورة النساء. قوله: (كأنه قيل والشيء القادر الخ الم يقل والباني ولأذى البناء لأن الصفة إما بمعنى المشتق فيقدر الأول أو ما قام بالغير فيقدر الثاني لأن المراد بالبناء ليس معناه المعروف بل إيجاد الإجرام العظيمة الدالة على كمال القدرة وبديع الحكمة والصنعة، ولذا فسره بما ذكر للدلالة على الوصفية المرادة هنا فسقط ما قيل من إن الأولى أن يقول وبانيها. قوله: (ولذلك أفرد ذكره (أي ذكر ما بناها مع أن في ذكر السماء غنية عنه للدلالة على إيجادها، وموجدها التزاما والإشارة إلى ما ذكر من الدلالة على وجوده وكمال قدرته، وقوله: وكذا الكلام الخ أي أوثرت ما فيه لإرادة الوصفية فكأنه قيل: القادر الذي بسطها والحكيم الباهر الحكمة الذي سواها. قوله: (وجعل الماآت الخ) جمع ماء بالمد على إرادة لفظها وهو جواب عن سؤال مقدر تقديره لم لم تجعل ما مصدرية كما ذهب إليه الفراء والزجاج ومن تبعهما ليسلم من ارتكاب إطلاقها على الله، وكذا قال في الكشاف وليس بالوجه لقوله: فألهمها وما يؤدي إليه من فساد النظم إلا أنه خفي على شراحه وجه الفساد كما تردد فيه أصحاب الحواشي هنا، والظاهر أن المراد بتجريده من الفاعل أنه لا يكون له فاعل ظاهر وهو ظاهر ولا مضمر لعدم مرجعه، وهذا في الأفعال كلها هنا لا في ألهم وحده كما قيل: وخلل النظم لما فيه من عطف الفعل على الاسم، ولا يخفى أنه يكفي لصحة الإضمار **دلالة السياق** هي موجودة هنا وأن العطف حينئذ على صلة ما لا عليها مع صلتها فكأنه قيل ونفس وتسويتها فإلهامها الخ ولا يرد عليه اختلال الترتيب من غير مهلة لأن التسوية قبل نفخ الروج، والإلهام بعدها بزمان طويل لأن التسوية فسرت بتعديل الأعضاء والقوى التي منها المفكرة والإلهام موقوف عليها أو لا يتم إلا بها مع أنه قد يقال: إن الترتيب فيه عرفي، ثم إنه مشترك الإلزام ولا معنى لما قيل من أن النظم العربي يوجب توافق القرائن لأنه حاصل هنا وعطف الفعل على الاسم لشى بفاسد، وإن كان خلاف الظاهر فتدبر. قوله: (بقوله ﴿وما سواها﴾) متعلق بقوله: نظم لما فيه من معنى الارتباط وعدم الارتباط حينئذ لخفاء وجه الترتيب والعطف على ما فيه،

وقوله: إلا أق! يضمر الخ إشارة إلى ما مر وهو لدفع المحذورين معا لا لدفع الأول فقط حتى يعترض عليه بأنه كان ينبغي تقديمه بجنبه ودفع الأول به ظاهر، وكذا الثاني لأن التسوية والإلهام فعلان لله فيتأتى ترتب أحدهما على الآخر وتسببه عنه، وعلى كل حال فالكلام غير خال عن الكدر. قوله: (وتنكير نفس للتكثير) هذا وما بعده من التنوين، وقوله: والمراد نفس ذ م على الثاني، وبعد تفسير الإلهام بما ذكره." (١)

"ويرى لا يعزب عنه ما تحت الثرى وهو فى حقه تعالى عبارة عن الوصف الذي به ينكشف كمال نعوت المبصرات فالبصر صفة زائدة على علمه تعالى خلافا للقدرية فمن عرف هذه الصفة كان المراد به دوام المراقبة ومطالبة النفس بدقيق المحاسبة والمراقبة احدى ثمرات الايمان (حكى) ان بعض الملوك كان له عبد يقبل عليه اكثر مما يقبل على أمثاله ولم يكن احسن منهم صورة ولا اكثر منهم قيمة فكانوا يتعجبون من ذلك فركب الملك يوما الى الصحراء ومعه أصحابه وعبيده فنظر الى جبل بعيد عليه قطعة ثلج نظرة واحدة ثم اطرق فركض ذلك العبد فرسه من غير أن ينظر الملك أليه ولا أشار بشئ من ذلك ولم تعلم الجماعة لاى شيء ركض فرسه فمالبث الا ساعة حتى عاد ومعه شيء من الثلج فقيل له بم عرفت ان الملك أراد الثلج فقال لانه نظر اليه ونظر الملوك الى شيء لا يكون عبثا فقال الملك لهذا أقربه وأقدمه عليكم فانكم مشغولون بأنفسكم وهو مشغول بمراقبة أحوالي وفى التأويلات النجمية بشير الى طيران الأرواح العلوية المخلوقة قبل الأجساد بألفى عام الباسطات الاجنحة الرو- حانية القابضات القوادم الجسمانية من العوالم الهيولانية ما يمسكهن الا الرحمن المشتمل على الاسم الحفيظ وبه يمسكها فى جو سماء القدرة انه بكل شيء بصير يعلم كيف يخلق الأشياء الغريبة وكيف يدبر الأمور العجيبة أمن هذا الذي هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن لصله أم من على ان أم منقطعة مقدرة ببل المفيدة للانتقال من توبيخهم على ترك التأمل فيما يشاهدونه من احوال الطير المنبئة عن تعاجيب آثار قدرة الله الى التبكيت بما ذكر والالتفات للتشديد فى ذلك والاستفهام متوجه الى تعيين الناظر لتبكيتهم بإظهار عجزهم عن تعيينه ولا سبيلى هنا الى تقدير الهمزة مع بل لان ما بعدها من الاستفهامية ولا يدخل الاستفهام على الاستفهام ومن مبتدأ وهذا خبره والموصول مع صلته صفته وإيثار هذا لتحقير المشار اليه وينصركم صفة لجند بالاعتبار لفظه والجند جمع معد للحرب والمعنى بل من هذا الحقير الذي هو فى زعمكم جند لكم وعسكر وعون من آلهتكم وغيرها ينصركم عند نزول العذاب والآفات متجاوزا نصر الرحمن فمن دون الرحمن حال من فاعل ينصركم ودون بمعنى غيرأ وينصركم نصرا كائنا من دون نصره تعالى على انه نعت المصدرة او ينصركم من عذاب كائن من عند الله على انه متعلق بينصركم وقد تجعل من موصولة مبتدأ وهذا مبتدأ ثانيا والموصول مع صلته خبره والجملة سلة من بتقدير القول وينصركم وأم منقطعة او متصلة والقرينة محذوفة **بدلالة السياق** على ان يكون المعنى الله الذي له هذه الأوصاف الكاملة والقدرة الشاملة ينصركم وينجيكم من الحسف والحصب ان أصابكم أم الذي يشار اليه ويقال فى حقه هذا الذي تزعمون انه جند لكم ينصركم من دون الله وإيثار الرحمن للدلالة على ان رحمة الله هى المنجية من عضبه لا غير قال القاشاني اى من يشار اليه ممن يستعان به من الأغيار حتى الجوارح والآلات والقوى وكل ما ينسب اليه التأثير والمعونة من الوسائط فيقال هو جند لكم ينصركم من دون الرحمن فيرسل ما امسك من النعم

---

(١) حاشيه الشهاب علي تفسير البيضاوي =عنايه القاضي وكفاية الراضي الشهاب الخفاجي ٨/٣٦٤

الباطنة والظاهرة او يمسك ما أرسل من النعم المعنوية والصورية او يحصل لكم ما منع ولم يقدر لكم او يمنع ما أصابكم به وقدر عليكم." (١)

"السامري قبضة تراب من اثر براق جبرائيل فنبذها فى صورة العجل المتخذة من حلى القوم فخار العجل بسراية الحياة فيه وقيل سماه روحا مجازا محبة له وتقريبا كقولك أنت روحى لمن تحب فتمثل لها

[پس متمثل شد جبريل براى مريم] يعنى فتشبه لاجلها فانتصاب قوله بشرا

على انه مفعول به سويا

تام الخلق كامل البنية لم يفقد من حسان نعوت الآدمية شيأ وذلك لتستأنس بكلامه وتتلقى منه ما يلقى إليها من كلماته تعالى إذ لو بدا لها على الصورة الملكية لنفرت منه ولم تستطع استماع كلامه ولانه جاء للنفخ المنتج للبشر فتمثل بشرا ولو جاء على صورة الملك لجاء عيسى على صورة الروحانيين كمالا يخفى وفيه اشارة الى ان القربان بعد الطهر التام اطهر والولد اذن أنجب فافهم وفى التأويلات الروح هو نور كلمة الله التي يعبر عنها بقوله كن وانما سمى نور كلمته روحا لانه به يحيي القلوب الميتة كما قال أومن كان ميتا فأحييناه الآية فتارة يعبر عن الروح بالنور وتارة يعبر عن النور بالروح كقوله وكذلك أوحينا إليك روحا من أمرنا الآية فارسل الله الى مريم نور كلمة كن فتمثل لها بشرا سويا كما تمثل نور التوحيد بحروف لا اله الا الله والذي يدل على ان عيسى من نور الكلمة قوله تعالى وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه اى نور من لقائه فلما تمثلت الكلمة بالبشر أنكرتها مريم ولم تعرفها فاستعاذت بالله منه قالت إني أعوذ بالرحمن منك

يا شاب ذكره تعالى بعنوان الرحمانية للمبالغة فى العياذ به تعالى واستجلاب آثار الرحمة الخاصة التي هى العصمة مما دهمها قال فى الكشاف دل على عفافها وورعها انها تعوذت بالله من تلك الصورة الجميلة إن كنت تقيا

تتقى الله وتبالي بالاستعاذة به وجواب الشرك محذوف ثقه **بدلالة السياق** عليه اى فانى عائذة به وقال الكاشفى [يعنى تومتقى ومتورعى من از تو پرهيز ميكنم و پناه بحق ميبرم فكيف كه چنين نباشى] قال الشيخ قى تفسيره وانما قالت ذلك لان التقى يتعظ بالله ويخاف والفاسق يخوف بالسلطان والمنافق يخوف بالناس كما قال فى التأويلات النجمية يعنى انك ان كنت تقيا من اهل الدين تعرف الرحمن فلا تقربنى بعوذى به وان كنت شقيا لا تعرف الرحمن فاتعوذ منك بالخلق فاجابها قال إنما أنا رسول ربك

يريد انى لست ممن يتوقع منه ما توهمت من الشر وانما انا رسول ربك الذي استعذت به لأهب لك غلاما

اى لاكون سببا فى هبته بالنفخ فى الدرع زكيا

طاهرا من الذنوب ولوث الظلمة النفسانية الانسانية قالت استبعادا ظاهرا اى متعجبة من حيث العادة لا مستبعدة من حيث القدرة أنى يكون لي [چكونه بود مرا] غلام كما وصف ولم يمسسني بشر اى والحال انه لم يباشرنى بالنكاح رجل فان المس كناية عن الوطئ الحلال اما الزنى فانما يقال خبث بها او فجر او زنى وانما قيل بشر مبالغة فى بيان تنزهها عن مبادى الولادة والحال انه لم أك بغيا فعول بمعنى الفاعل أصله بغويا قال الشيخ فى تفسيره ولم يقل بغية لانه وصف غالب على

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٩٢/١٠

المؤنث كحائض اى فاجرة تبغى الرجال. وبالفارسية [زناكار وجوينده فجور] يريد نفى الوطئ مطلقا وان الولد اما من النكاح الحلال او الحرام اما الحلال فلانها لم يمسها بشر واما الحرام فلانها لم تك بغيا فاذا انتفى السببان جميعا انتفى الولد وفى التأويلات." (١)

"ثم ذكر جزاءهم، فقال:

[سورة آل عمران (٣) : الآيات ٨٧ الى ٨٨]

أولئك جزاؤهم أن عليهم لعنة الله والملائكة والناس أجمعين (٨٧) خالدين فيها لا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينظرون (٨٨)

يقول الحق جل جلاله: أولئك المرتدون عن الإسلام- جزاؤهم: أن تلعنهم الملائكة والناس أجمعون، مؤمنهم وكافرهم، لأن الكافر يلعن من ترك دين الحق، وإن كان لا يشعر بمن هو على الحق. خالدين في اللعنة، أو في النار، **لدلالة السياق** عليها، أو في العقوبة. لا يخفف عنهم العذاب ساعة، ولا هم يمهلون عنها لحظة.

ثم إن الحارث ندم، وأرسل إلى قومه أن اسألوا الرسول صلى الله عليه وسلم، هل لي من توبة؟ فنزل قوله تعالى:

[سورة آل عمران (٣) : آية ٨٩]

إلا الذين تابوا من بعد ذلك وأصلحوا فإن الله غفور رحيم (٨٩)

يقول الحق جل جلاله: إلا من تاب من بعد الردة، فأسلم وأصلح ما أفسد، فإن الله غفور له فيما فعل، رحيم به حيث تاب.

ولمأ نزلت الآية حملها إليه رجل من قومه وقرأها عليه، فقال الحارث: إنك والله فيما علمت لصدوق، وإن النبي صلى الله عليه وسلم لأصدق منك، وإن الله- تعالى- لأصدق الثلاثة، فرجع الحارث إلى المدينة، فأسلم وحسن إسلامه.

الإشارة: كل من ابتغى الخصوصية من غير أهلها، أو ادعاها ولم يأخذها من معدنها، فلن تقبل منه، وهو عند القوم من الخاسرين في طريق الخصوص، فكل من لا شيخ له في هذا الشأن فهو لقيط، لا أب له، دعي، لا نسب له.

والمراد بأهلها: العارفون بالله، أهل الفناء والبقاء، أهل الجذب والسلوك، أهل السكر والصحو، الذين شربوا الخمر فسكروا ثم صحوا وتكملوا، فمعدن الخصوصية عند هؤلاء، فكل من لم يصحبهم ولم يشرب من خمرتهم، لا يقتدى به، ولو بلغ من الكرامة ما بلغ، وأخسر من هذا من صحب أهل هذه الخمرة، وشهد بأن طريقهم حق، ثم رجع عنها، فهذا مغبون ملعون عند كافة الخلق، أي: مطرود عن شهود الحق، إلا من تاب ورجع إلى صحبتهم والأدب معهم، فإن الله غفور رحيم.

ثم ذكر الحق تعالى من ارتد وبقي على كفره، حتى مات، فقال:

---

(١) روح البيان إسماعيل حقي ٣٢٢/٥

[سورة آل عمران (٣) : آية ٩٠]

إن الذين كفروا بعد إيمانهم ثم ازدادوا كفرا لن تقبل توبتهم وأولئك هم الضالون (٩٠)." [(١)]

"القدس، فحيئنذ يحرس منه، لقوله تعالى: إن عبادي ليس لك عليهم سلطان «١» . وعباده الحقيقيون هم الذين تحرروا مما سواه، فلم يبق لهم في هذا العالم علقة، وهم المرادون بقوله تعالى: إلا فريقا من المؤمنين، وما سلطه علهم إلا ليتميز الخواص من العوام، فلولا ميادين النفوس، ومجاهدة إبليس، ما تحقق سير السائرين، أي: وما كان له عليهم من تسلط إلا لنعلم علم ظهور من يؤمن بالخصلة الآخرة، وهي الشهود، ممن هو منها في شك، وربك على كل شيء حفيظ يحفظ قلوب أوليائه من استيلاء غيره عليها. وبالله التوفيق.

ولما كان تسلط إبليس جله من الشرك، الذي زينه لهم، رده بقوله:

[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٢ الى ٢٣]

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣)

قلت: حذف مفعولي زعم، أي: زعمتموهم آلهة تعبدونهم من دون الله، **بدلالة السياق** عليهما.

يقول الحق جل جلاله: قل لهم ادعوا الذين زعمتم من دون الله أي: زعمتموهم آلهة، فعبدتموهم من دون الله، من الأصنام والملائكة، وسميتموهم باسمه، فالتجئوا إليهم فيما يعروكم، كما تلتجئون إليه في اقتحام الشدائد الكبرى. وانتظروا استجابتهم لدعائكم كما تنتظرون استجابته. وهذا تعجيز وإقامة حجة على بطلان عبادتها. ويروى أنها نزلت عند الجوع الذي أصاب قريشا. ثم ذكر عجزهم فقال: لا يملكون مثقال ذرة من خير أو شر، ونفع أو ضر في السماوات ولا في الأرض، وما لهم فيهما من شرك أي: وما لهم في هذين العالمين العلوي والسفلي، من شرك في الخلق، ولا في الملك، وما له تعالى منهم من آلهتهم من ظهير معين يعنيه على تدبير خلقه. يريد أنه على هذه الصفة من العجز، فكيف يصح أن يدعوا كما يدعى تعالى، أو يرجوا كما يرجى سبحانه؟

ثم أبطل قولهم: هؤلاء شفعاؤنا عند الله «٢» بقوله: ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له تعالى في الشفاعة، ممن له جاه عنده، كالأنبياء، والملائكة، والأولياء، والعلماء الأتقياء، وغيرهم ممن له مزية عند الله. وقرأ

---

(١) الآية ٤٢ من سورة الحجر.

(٢) من الآية ١٨ من سورة يونس.." [(٢)]

---

(١) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٣٧٨/١

(٢) البحر المديد في تفسير القرآن المجيد ابن عجيبة ٤٩١/٤

"على ذكره في قوله تعالى ليطغى تقديره أرأيت الذي ينهى عبدا إذا صلى كيف يطغى.

أرأيت يا محمد إن كان العبد على الهدى حين يصلى.

أو أمر بالتقوى ط حين يدعون الناس الى التوحيد والصلاة والظاهر النهى كان عن الصلاة وعن الأمر بالتقوى معا فاقتصر في الجملة الاولى على أحدهما اكتفاء بذكرهما في الثانية ولانه دعوة بالفعل ولان نهى العبد إذا صلى يحتمل ان يكون لها ولغيرها وعامة أحواله محصورة في تكميل نفسه بالعبادة وتكميل غيره بالدعوة وهذا شرط حذف جزاءه **بدلالة السياق** وهو كيف ينهاه او فيهلك الناهي ويفوز العبد والشرطية قايم مقام مفعولين لرايت وكذا في قوله تعالى.

أرأيت يا محمد إن كذب الناهي ما هو الحق وتولى ط عن الايمان كيف ينجو من عذاب الله بل يهلك والدليل على المحذوف في الجملتين قوله تعالى.

ألم يعلم استفهام إنكاري للتوبيخ والوعيد فان انكار النفي اثبات تقديره وقد علم بأن الله يرى ط متعلق بيعلم قايم مقام مفعولية ويرى بمعنى يعلم حذف مفعولية بدلالة ما سبق اى يرى الله الناهي ناهيا عن الهدى والأمر بالتقوى بكذبا بالحق متوليا عن الايمان والعبد على الهدى والأمر بالتقوى وعلم الله يستلزم الجزاء على حسب ما علم فاطلق الروية وأريد به الجزاء تسمية اللازم باسم الملزوم فتقدير الكلام وقد علم الناهي ان الله يجزى كلا من الناهي والعبد المصلى على حسب ما علم فهذه جمل اربع وقال صاحب البحر المواج مثل ما قلت غير انه قال الم يعلم جزاء الشرطية الثانية وجزاء الشرطية اولى محذوف يقدر مثل الثانية تقديره ارايت ان كان على الهدى أو أمر بالتقوى الم يعلم بان الله يرى وقيل الخطاب في ارايت الاولى والثالثة الى النبي صلى الله عليه وسلم وفي الثانية الى الكافر تقديره ارايت يا محمد الذي ينهى إذا صليت طغى ارايت يا أبا جهل ان كان محمد على الهدى أو أمر بالتقوى كيف نهاه ارايت يا محمد ان كذب ابو جهل وتولى فكيف ينجو الم يعلم بان الله يرى كما ان الحاكم بين الخصمين يخاطب تارة هذا وتارة ذاك وقال الشيخ الجلال الدين المحلى معناه وعجب منه يا مخاطب من حيث نهيه عن الصلاة ومن حيث ان المنهي على الهدى امر بالتقوى ومن حيث ان الناهي مكذب متول عن الايمان فعلى هذا ايضا الجمل اربع وقيل معناه ارايت." (١)

"على الله من الجعل الذي يد هده الخراء بانفه ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وفخرها بالآباء انما هو مؤمن تقى او فاجر شقى الناس كلهم بنو آدم وآدم من تراب رواه الترمذي وابو داود عن عقبة بن عامر قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – انسابكم هذه ليست بمسبة على أحد كلكم بنو آدم طف الصاع بالصاع لم تملوه ليس لاحد على أحد فضل الآبدين وتقوى كفى بالرجل ان يكون بذيا فاحشا بخيلا رواه احمد والبيهقي وعن ابى هريرة قال قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – إذا كان يوم القيامة امر الله مناديا ينادى الا انى جعلت نسبا وجعلتم نسبا فجعلت أكرمكم أتقاكم فابيتم الا ان تقولوا فلان ابن فلان خير من فلان بن فلان فاليوم ارفع نسبي واضع نسبكم اين المتقون رواه الطبراني في الأوسط.

كلا ردع عن التكاثر سوف تعلمون حذف مفعوله **لدلالة السياق** اى سوف تعلمون سوأ عاقبة تفاخركم وتكاثركم حين

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٠/٣٠٧

تعذبون عليه.

ثم كلا سوف تعلمون ط تكرير لتأكيد الوعيد او تنصيص بوعيد اخر وفى ثم دلالة على ان الثاني ابلغ من الاول قيل الاول عند الموت او فى القبر والثاني بعد البعث اخرج ابن جرير عن على قال كنا نشك فى عذاب القبر حتى نزلت إلهكم التكاثر الى كلا سوف تعلمون فى عذاب القبر.

كلا تأكيد للردع بعد تأكيد لو تعلمون ما بين ايديكم علم اليقين ط اى علما كعلم الأمر المتيقن الموجود عندكم وجواب لو محذوف لتفخيمه يعنى لشغلكم ذلك عن غيره او لما تكاثرتم قال قتادة كنا نحدث ان علم اليقين ان يعلم ان الله باعث بعد الموت قلت يعنى علما بالغيب حاصلا بالاستدلال ولا يجوز ان يكون.

لترون الجحيم جوابا للشرط لانه محقق الوقوع بل هو جواب قسم محذوف أكد به الوعيد وأوعد ما انذرهم به بعد إبهامه تفخيما لشانه قلت وجاز ان يكون لو مجازا عن إذا تعلمون علم اليقين وذلك عند الموت لترون الجحيم ولا ينفعكم علمكم حينئذ لفوات وقت التدارك قرأ ابن عامر والكسائي لترون بضم التاء على البناء للمجهول من اريت الشيء والباقون بفتح التاء والمراد بالروية هاهنا المعرفة والعلم وجاز ان يكون الروية بالأبصار فى القبور فان الكافرين يعرضون على النار فى القبور غدوا وعشيا كما ذكرنا فى تفسير قوله تعالى وما هم عنها بغائبين.

ثم لترونها بفتح التاء بلا خلاف يعنى ثم لترون الجحيم بعد النشور عين اليقين." (١)

"ادخله الجنة رحمة منه لا لاداء حق عليه وذلك الصرف الفوز المبين فى القاموس الفوز النجاة والظفر بالخير والهلاك فالمراد هاهنا الظفر بالخير لان الهلاك ليس بمراد البتة **لدلالة السياق** وكذا النجاة غير مراد إذ المراد باسم الاشارة هو الصرف وهو عين النجاة فيكون الحمل غير مفيد وبهذا يظهر ان دخول الجنة لازم لصرف العذاب عنه فيمكن بهذه الاية الاستدلال على نفى المنزلة بين المنزلتين كما قالت بها المعتزلة.

وإن يمسسك الله بضر بشدة كفقر او مرض او عذاب فلا كاشف له يعنى لا قادر على كشفه أحد إلا هو والا يلزم عجزه تعالى وهو محال مناف للالوهية ووجوب الوجود وإن يمسسك بخير بعافية ونعمة من صحة وغنى وغيرهما فهو على كل شيء قدير فكان قادرا على ادامته وحفظه وكذا على إزالته ولا يستطيع أحد غيره إزالته روى البغوي بسنده عن ابن عباس رض قال اهدى للنبي صلى الله عليه وسلم بغلة اهديها له كسرى فركبها بحبل من شعر ثم أردفني خلفه ثم سار بي مليا ثم التفت الى فقال يا غلام قلت لبيك يا رسول الله قال احفظ الله يحفظك احفظ الله تجده امامك تعرف الله فى الرخاء يعرفك فى الشدة فاذا سالت فاسال الله وإذا استعنت فاستعن بالله قد مضى القلم بما هو كائن فلو جهد الخلائق ان ينفعوك بما لم يقضه الله تبارك وتعالى لك لم يقدروا عليه ولو جهدوا ان يضروك بما لم يكتبه الله سبحانه وتعالى عليك ما قدروا عليه فان استطعت ان تعمل بالصبر مع اليقين فافعل فان لم تستطع فاصبر فان فى الصبر على ما تكره خيرا كثيرا واعلم ان النصر مع الصبر وان مع الكرب الفرج وان مع العسر يسرا وروى احمد والترمذي نحوه وقال الترمذي حديث حسن صحيح وليس فى روايتهما من قوله فان استطعت ان تعمل بالصبر إلخ.

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ١٠/٣٣٤

وهو القاهر مبتدأ وخبر والقهر الغلبة والتذليل معا وفيه زيادة معنى على القدرة وهى منع غيره عن بلوغ المراد من غير إرادته فوق عباده خبر بعد خبر تصوير لقهره وعلوه وهو الحكيم فى امره الخبير بكل شيء لا يخفى عليه شى قال الكلبي اتى اهل مكة رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا أرنا من يشهد انك رسول الله فانا لا نرى أحدا يصدقك ولقد سالنا عنك اليهود والنصارى فزعموا انه ليس لك عندهم ذكر فانزل الله تعالى.

قل أي شيء الشيء يقع." (١)

"وقضى ربك قال: أمر. وأخرج ابن المنذر عن مجاهد في الآية قال: عهد ربك. وأخرج ابن أبي حاتم عن الحسن في قوله: وبالوالدين إحسانا يقول: برا. وأخرج ابن أبي شيبة وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن مجاهد في قوله: فلا تقل لهما أف فيما تميط عنهما من الأذى: الخلاء والبول، كما كانا لا يقولانه فيما كانا يميطان عنك من الخلاء والبول. وأخرج الديلمي عن الحسن بن علي مرفوعا: «لو علم الله شيئا من العقوق أدنى من أف لحرمه» . وأخرج ابن أبي حاتم عن زهير بن محمد في قوله: وقل لهما قولا كريما قال: إذا دعواك فقل لبيكما وسعديكما. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم عن قتادة في الآية قال: قولا لينا سهلا. وأخرج البخاري في الأدب، وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن عروة في قوله:

واخفض لهما جناح الذل قال: يلين لهما حتى لا يمتنع من شيء أحباه. وأخرج ابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير في الآية قال: اخضع لوالديك كما يخضع العبد للسيد الفظ الغليظ. وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: وقل رب ارحمهما ثم أنزل الله بعد هذا: ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى «١» . وأخرج البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود وابن جرير وابن المنذر من طرق عنه نحوه، وقد ورد في بر الوالدين أحاديث كثيرة ثابتة في الصحيحين وغيرهما، وهي معروفة في كتب الحديث.

[سورة الإسراء (١٧) : الآيات ٢٥ الى ٣٣]

ربكم أعلم بما في نفوسكم إن تكونوا صالحين فإنه كان للأوابين غفورا (٢٥) وآت ذا القربى حقه والمسكين وابن السبيل ولا تبذر تبذيرا (٢٦) إن المبذرين كانوا إخوان الشياطين وكان الشيطان لربه كفورا (٢٧) وإما تعرضن عنهم ابتغاء رحمة من ربك ترجوها فقل لهم قولا ميسورا (٢٨) ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط فتقعد ملوما محسورا (٢٩) إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر إنه كان بعباده خبيرا بصيرا (٣٠) ولا تقتلوا أولادكم خشية إملاق نحن نرزقهم وإياكم إن قتلهم كان خطأ كبيرا (٣١) ولا تقربوا الزنى إنه كان فاحشة وساء سبيلا (٣٢) ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا فلا يسرف في القتل إنه كان منصورا (٣٣)

قوله: ربكم أعلم بما في نفوسكم أي: بما في ضمائركم من الإخلاص وعدمه في كل الطاعات، ومن التوبة من الذنب الذي فرط منكم أو الإصرار عليه، ويندرج تحت هذا العموم ما في النفس من البر والعقوق اندراجا أوليا وقيل: إن الآية خاصة بما يجب للأبوين من البر، ويحرم على الأولاد من العقوق، والأول أولى اعتبارا بعموم اللفظ، فلا تخصصه **دلالة السياق** ولا

---

(١) التفسير المظهري المظهري، محمد ثناء الله ٢٢٢/٣

تقيده إن تكونوا صالحين قاصدين الصلاح، والتوبة من الذنب والإخلاص للطاعة فلا يضركم ما وقع من الذنب الذي تبتم عنه فإنه كان للأوابين غفورا أي: الرجاعين عن الذنوب إلى التوبة، وعن عدم الإخلاص إلى محض الإخلاص غفورا لما فرط منهم من قول

---

(١) . التوبة: ١١٣.." (١)

"جئنا بكم من قبوركم مختلطين من كل موضع، قد اختلط المؤمن بالكافر. قال الأصمعي: اللفيف جمع وليس له واحد، وهو مثل الجمع وبالحق أنزلناه وبالحق نزل الضمير يرجع إلى القرآن، ومعنى بالحق أنزلناه أوحيناه متلبسا بالحق ومعنى وبالحق نزل أنه نزل وفيه الحق، وقيل: الباء في «وبالحق» الأول بمعنى مع، أي: مع الحق أنزلناه، كقولهم: ركب الأمير بسيفه، أي: مع سيفه وبالحق نزل أي:

بمحمد كما تقول نزلت بزيد. وقال أبو علي الفارسي: الباء في الموضعين بمعنى مع، وقيل: يجوز أن يكون المعنى:

وبالحق قدرنا أن ينزل وكذلك نزل، أو ما أنزلناه من السماء إلا محفوظا، وما نزل على الرسول إلا محفوظا من تخليط الشياطين، والتقديم في الموضعين للتخصص وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا أي: مبشرا لمن أطاع بالجنة ونذيرا مخوفا لمن عصى بالنار وقرآنا فرقناه انتصاب قرآنا بفعل مضمر يفسره ما بعده، قرأ علي وابن عباس وابن مسعود وأبي بن كعب وقتادة وأبو رجاء والشعبي فرقناه بالتشديد أي:

أنزلناه شيئا بعد شيء لا جملة واحدة. وقرأ الجمهور فرقناه بالتخفيف، أي: بيناه وأوضحناه، وفرقنا فيه بين الحق والباطل. وقال الزجاج: فرقه في التنزيل ليفهمه الناس. قال أبو عبيد: التخفيف أعجب إلي لأن تفسيره بيناه، وليس للتشديد معنى إلا أنه نزل متفرقا. ويؤيده ما رواه ثعلب عن ابن الأعرابي أنه قال:

فرقت مخففا بين الكلام، وفرقت مشددا بين الأجسام، ثم ذكر سبحانه العلة لقوله: فرقناه، فقال: لتقرأه على الناس على مكث أي: على تطاول في المدة شيئا بعد شيء على القراءة الأولى، أو أنزلناه آية آية، وسورة سورة. ومعناه على القراءة الثانية على مكث، أي: على ترسل وتمهل في التلاوة، فإن ذلك أقرب إلى الفهم وأسهل للحفظ. وقد اتفق القراء على ضم الميم في مكث إلا ابن محيصن فإنه قرأ بفتح الميم ونزلناه تنزيلا التأكيد بالمصدر للمبالغة، والمعنى: أنزلناه منجما مفرقا لما في ذلك من المصلحة، ولو أخذوا بجميع الفرائض في وقت واحد لنفروا ولم يطيقوا قل آمنوا به أو لا تؤمنوا أمر الله سبحانه نبيه صلى الله عليه وسلم أن يقول للكافرين المقترحين للآيات آمنوا به أو لا تؤمنوا، فسواء إيمانكم به وامتناعكم عنه لا يزيده ذلك ولا ينقصه. وفي هذا وعيد شديد لأمره صلى الله عليه وسلم بالإعراض عنهم واحتقارهم، ثم علل ذلك بقوله: إن الذين أوتوا العلم من قبله أي: أن العلماء الذين قرءوا الكتب السابقة قبل إنزال القرآن، وعرفوا حقيقة الوحي وأمارات النبوة كزيد ابن عمرو بن نفيل وورقة بن نوفل وعبد الله بن سلام إذا يتلى عليهم أي: القرآن يخرون للأذقان سجدا أي: يسقطون على وجوههم ساجدين لله سبحانه. وإنما قيد الخرور، وهو السقوط بكونه للأذقان، أي: عليها، لأن الذقن، وهو مجتمع

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٢٦٢/٣

اللحيين، أول ما يحاذي الأرض. قال الزجاج: لأن الذقن مجتمع اللحيين، وكما يبتدئ الإنسان بالخرور للسجود، فأول ما يحاذي الأرض به من وجهه الذقن وقيل: المراد تعفير اللحية في التراب، فإن ذلك غاية الخضوع، وإيثار اللام في الأذقان على الدلالة على الاختصاص، فكأنهم خصوا أذقانهم بالخرور، أو خصوا الخرور بأذقانهم وقيل: الضمير في قوله: من قبله راجع إلى النبي صلى الله عليه وسلم، والأولى ما ذكرناه من رجوعه إلى القرآن **لدلالة السياق** على ذلك، وفي هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم.

وحاصلها أنه إن لم يؤمن به هؤلاء الجهال الذين لا علم عندهم ولا معرفة بكتب الله ولا بأنبيائه، فلا تبال." [(١)]

"[سورة سبإ (٣٤) : الآيات ٢٢ الى ٢٧]

قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض وما لهم فيهما من شرك وما له منهم من ظهير (٢٢) ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له حتى إذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا الحق وهو العلي الكبير (٢٣) قل من يرزقكم من السماوات والأرض قل الله وإنا أو إياكم لعلى هدى أو في ضلال مبين (٢٤) قل لا تسئلون عما أجرمنا ولا نسئل عما تعملون (٢٥) قل يجمع بيننا ربنا ثم يفتح بيننا بالحق وهو الفتاح العليم (٢٦)

قل أروني الذين ألحقتم به شركاء كلا بل هو الله العزيز الحكيم (٢٧)

قوله: قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله هذا أمر للنبي صلى الله عليه وسلم بأن يقول لكفار قريش أو للكفار على الإطلاق هذا القول، ومفعولا زعمتم محذوفان، أي: زعمتموهم آلهة **لدلالة السياق** عليهما. قال مقاتل:

يقول ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سني الجوع. ثم أجاب سبحانه عنهم فقال: لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض أي: ليس لهم قدرة على خير ولا شر، ولا على جلب نفع ولا دفع ضرر في أمر من الأمور، وذكر السموات والأرض لقصد التعميم لكونهما ظرفا للموجودات الخارجية وما لهم فيهما من شرك أي: ليس للآلهة في السموات والأرض مشاركة لا بالخلق ولا بالملك ولا بالتصرف وما له منهم من ظهير أي: وما لله سبحانه من تلك الآلهة من معين يعينه على شيء من أمر السموات والأرض ومن فيهما ولا تنفع الشفاعة عنده أي: شفاعة من يشفع عنده من الملائكة وغيرهم، وقوله: إلا لمن أذن له استثناء مفرغ من أعم الأحوال، أي: لا تنفع الشفاعة في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أن يشفع من الملائكة والنبيين ونحوهم من أهل العلم والعمل، ومعلوم أن هؤلاء لا يشفعون إلا لمن يستحق الشفاعة، لا للكافرين، ويجوز أن يكون المعنى: لا تنفع الشفاعة من الشفاء المتأهلين لها في حال من الأحوال إلا كائنة لمن أذن له أي: لأجله وفي شأنه من المستحقين للشفاعة لهم، لا من عداهم من غير المستحقين لها، واللام في لمن يجوز أن تتعلق بنفس الشفاعة. قال أبو البقاء:

كما تقول شفعت له، ويجوز أن تتعلق بتنفع، والأولى أنها متعلقة بالمحذوف كما ذكرنا. قيل: والمراد بقوله:

لا تنفع الشفاعة أنها لا توجد أصلا إلا لمن أذن له، وإنما علق النفي بنفعها لا بوقوعها تصريحا بنفي ما هو غرضهم من وقوعها. قرأ الجمهور أذن بفتح الهمزة: أي أذن له الله سبحانه، لأن اسمه سبحانه مذكور قبل هذا، وقرأ أبو عمرو، وحمزة،

---

(١) فتح القدير للشوكاني   الشوكاني ٣/٣١٣

والكسائي بضمها على البناء للمفعول، والآذن هو الله سبحانه، ومثل هذه الآية قوله تعالى: من ذا الذي يشفع عنده إلا بإذنه «١» وقوله: ولا يشفعون إلا لمن ارتضى «٢» ثم أخبر سبحانه عن خوف هؤلاء الشفعاء والمشفوع لهم فقال: حتى إذا فزع عن قلوبهم قرأ الجمهور: فزع مبنيا للمفعول، والفاعل: هو الله، والقائم مقام الفاعل: هو الجار والمجرور، وقرأ ابن عامر: فزع مبنيا للفاعل، وفاعله ضمير يرجع إلى الله سبحانه، وكلا القراءتين بتشديد الزاي، وفعل:

---

(١) . البقرة: ٢٥٥.

(٢) . الأنبياء: ٢٨.." (١)

"أي: وما نقصنا الآباء بإلحاق ذريتهم بهم من ثواب أعمالهم شيئا، فضمير المفعول عائد إلى الذين آمنوا. وقيل: المعنى: وما نقصنا الذرية من أعمالهم لقصر أعمارهم، والأول أولى، وقد قدمنا تحقيق معنى لاته وألاته في سورة الحجرات. وقرأ ابن هرمز «١» آلتناهم بالمد، وهو لغة. قال في الصحاح: يقال: ما آلته من عمله شيئا، أي: ما نقصه كل امرئ بما كسب رهين رهين بمعنى مرهون، والظاهر أنه عام، وأن كل إنسان مرتهن بعمله، فإن قام به على الوجه الذي أمره الله به فكه وإلا أهلكه. وقيل: هو بمعنى راهن، كل امرئ بما كسب دائم ثابت. وقيل: هذا خاص بالكفار لقوله: كل نفس بما كسبت رهينة- إلا أصحاب اليمين «٢» ثم ذكر سبحانه ما أمدهم به من الخير فقال: وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون أي: زدناهم على ما كان لهم من النعيم بفاكهة متنوعة، ولحم من أنواع اللحمان مما تشتهيه أنفسهم ويستطيبونه يتنازعون فيها كأسا أي: يتعاطون ويتناولون كأسا، والكأس: إناء الخمر، ويطلق على كل إناء مملوء من خمر أو غيره، فإذا فرغ لم يسم كأسا لا لغو فيها ولا تأثيم قال الزجاج: لا يجري بينهم ما يلغي ولا ما فيه إثم يجري بين من يشرب الخمر في الدنيا، والتأثيم: تفعيل من الإثم، والضمير في فيها راجع إلى الكأس، وقيل: «لا لغو فيها» أي: في الجنة ولا يجري فيها ما فيها إثم، والأول أولى. قال ابن قتيبة:

لا تذهب بعقولهم فيلغوا كما يكون من خمر الدنيا، ولا يكون منهم ما يؤثمهم. وقال الضحاك: «لا تأثيم» أي: لا كذب. قرأ الجمهور: لا لغو فيها ولا تأثيم بالرفع والتنوين فيهما. وقرأ ابن كثير وابن محيصن بفتحهما من غير تنوين. قال قتادة: اللغو: الباطل. وقال مقاتل بن حيان: لا فضول فيها. وقال سعيد ابن المسيب: لا رفث فيها. وقال ابن زيد: لا سباب ولا تخاصم فيها. والجملة في محل نصب على الحال صفة لكأسا ويطوف عليهم غلمان لهم أي: يطوف عليهم بالكأس والفواكه والطعام وغير ذلك مماليك لهم، وقيل: أولادهم كأنهم في الحسن والبهاء لؤلؤ مكنون أي: مستور مصون في الصدف لم تمسه الأيدي. قال الكسائي: كننت الشيء: سترته وصنته من الشمس، وأكننته: جعلته في الكن، ومنه: كننت الجارية، وأكننتها، فهي مكنونة وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون أي: يسأل بعضهم بعضا في الجنة عن حاله، وما كان فيه من تعب الدنيا وخوف العاقبة، فيحمدون الله الذي أذهب عنهم الحزن والخوف والهم، وما كانوا فيه من الكد والنكد بطلب المعاش وتحصيل ما لا بد منه من الرزق. وقيل: يقول بعضهم لبعض:

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٣٧٢/٤

بم صرتم في هذه المنزلة الرفيعة؟ وقيل: إن التساؤل بينهم عند البعث من القبور. والأول أولى **لدلالة السياق** على أنهم قد صاروا في الجنة، وجملة قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين مستأنفة جواب سؤال مقدر، كأنه قيل: ماذا قال بعضهم لبعض عند التساؤل؟ فقيل: قالوا إنا كنا قبل، أي: قبل الآخرة، وذلك في الدنيا في أهلنا خائفين وجلين من عذاب الله، أو كنا خائفين من عصيان الله فمن الله علينا بالمغفرة والرحمة أو بالتوفيق لطاعته ووقانا عذاب السموم يعني عذاب جهنم، والسموم من أسماء جهنم، كذا قال

---

(١) . في تفسير القرطبي (١٧/ ٦٧) : أبو هريرة.

(٢) . المدثر: ٣٨- ٣٩. [.....]." [1]

"سورة الفجر

هي ثلاثون آية، وقيل: تسع وعشرون آية وهي مكية بلا خلاف. وأخرج ابن الضريس، والنحاس في ناسخه، وابن مردويه والبيهقي من طرق عن ابن عباس قال: نزلت والفجر بمكة. وأخرج ابن مردويه عن ابن الزبير وعائشة مثله. وأخرج النسائي عن جابر قال: صلى معاذ صلاة، فجاء رجل فصلى معه فطول، فصلى في ناحية المسجد ثم انصرف، فبلغ ذلك معاذا فقال: منافق، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال: يا رسول الله جئت أصلي فطول علي، فانصرفت فصليت في ناحية المسجد فعلفت ناضحي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفتان أنت يا معاذ؟ أين أنت من سبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والفجر، والليل إذا يغشى» .

بسم الله الرحمن الرحيم

[سورة الفجر (٨٩) : الآيات ١ الى ١٤]

بسم الله الرحمن الرحيم

والفجر (١) وليال عشر (٢) والشفع والوتر (٣) والليل إذا يسر (٤)

هل في ذلك قسم لذي حجر (٥) ألم تر كيف فعل ربك بعاد (٦) إرم ذات العماد (٧) التي لم يخلق مثلها في البلاد (٨) وثمود الذين جابوا الصخر بالواد (٩)

وفرعون ذي الأوتاد (١٠) الذين طغوا في البلاد (١١) فأكثروا فيها الفساد (١٢) فصب عليهم ربك سوط عذاب (١٣) إن ربك لبالمرصاد (١٤)

أقسم سبحانه بهذه الأشياء كما أقسم بغيرها من مخلوقاته. واختلف في الفجر الذي أقسم الله به هنا فقيل: هو الوقت المعروف، وسمي فجرا لأنه وقت انفجار الظلمة عن النهار من كل يوم. وقال قتادة: إنه فجر أول يوم من شهر محرم لأن منه تتفجر السنة. وقال مجاهد: يريد يوم النحر. وقال الضحاك: فجر ذي الحجة لأن الله قرن الأيام به فقال:

---

(١) فتح القدير للشوكاني   الشوكاني ١١٨/٥

وليال عشر أي: ليال من ذي الحجة، وبه قال السدي والكلبي.

وقيل المعنى: وصلاة الفجر أو رب الفجر. والأول أولى. وجواب هذا القسم وما بعده هو قوله: إن ربك لبالمرصاد كذا قال ابن الأنباري، وقيل: محذوف **لدلالة السياق** عليه، أي: ليجازين كل أحد بما عمل، أو ليعذبن، وقدره أبو حيان بما دلت عليه خاتمة السورة التي قبله، أي: والفجر إلخ ... لإيابهم إلينا وحسابهم علينا، وهذا ضعيف جدا. وأضعف منه قول من قال: إن الجواب من قوله: هل في ذلك قسم لذي حجر وأن هل بمعنى قد لأن هذا لا يصح أن يكون مقسما عليه أبدا وليال عشر هي عشر ذي الحجة في قول جمهور المفسرين. وقال الضحاك: إنها الأواخر من رمضان، وقيل: العشر الأول من المحرم إلى عاشرها يوم عاشوراء. قرأ الجمهور: ليال بالتنوين، و «عشر» صفة لها. وقرأ ابن عباس: ولیالي عشر بالإضافة، قيل: والمراد ليالي أيام عشر، وكان حقه على هذا أن يقال عشرة،." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الرعد (١٣) : آية ٣٢]

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا ثم أخذتهم فكيف كان عقاب (٣٢)

ولقد استهزئ برسل من قبلك فأمليت للذين كفروا أي: أمهلتهم وتركتهم ملاوة من الزمن، في أمن ودعة، كما يملى للبهيمة في المرعى ثم أخذتهم فكيف كان عقاب أي: عقابي إياهم. وفيه من الدلالة على فظاعته ما لا يخفى. والآية تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما لقي من المشركين من التكذيب والاقتراح، على طريقة الاستهزاء به، ووعيد لهم.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الرعد (١٣) : آية ٣٣]

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركاء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد (٣٣)

أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أي: مراقب لأحوالها ومشاهد لها، لا يخفى عليه ما تكسبه من خير أو شر. فهو مجاز، لأن القائم على الشيء عالم به، ولذا يقال: وقف عليه- إذا علمه فلم يخف عليه شيء من أحواله، والخبر محذوف تقديره: كمن ليس كذلك- وإنما حذف اكتفاء **بدلالة السياق** عليه وهو قوله:

وجعلوا لله شركاء أي: عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان وقوله: قل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت، أي: سموهم من هم، وماذا أسماؤهم؟ فإنهم لا حقيقة لهم! أوصفوهم وانظروا هل لهم ما يستحقون به العبادة ويستأهلون الشركة؟.

وقال الرازي: إنما يقال ذلك في الأمر المستحقر الذي بلغ في الحقارة إلى ألا يذكر ولا يوضع له اسم، فعند ذلك يقال: سمه إن شئت، يعني: أنه أخس من يسمى ويذكر، ولكنك إن شئت أن تضع له اسما فافعل. فكأنه تعالى قال: سموهم بالآلهة، على سبيل التهديد، والمعنى: سواء سميتموهم بهذا الاسم أو لم تسموهم به، فإنها في الحقارة بحيث لا تستحق أن يلتفت العاقل إليها.

---

(١) فتح القدير للشوكاني الشوكاني ٥/٥٢٦

أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أي: بشركاء لا يعلمهم سبحانه. وإذا كان لا يعلمهم، وهو عالم بكل شيء مما كان ومما يكون، فهم لا حقيقة لهم. فهو نفي لهم بنفي لازمهم على طريق الكناية.." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ١٧]

فاتخذت من دونهم حجابا فأرسلنا إليها روحنا فتمثل لها بشرا سويا (١٧)

فاتخذت من دونهم حجابا

أي لئلا تحجبها رؤية الخلق عن أنوار الحق فأرسلنا إليها روحنا

أي جبريل المنسوب إلى مقام عظمتنا، لغاية كماله، لينفخ فيها فتمثل لها

أي فتصور لرؤيتها بشرا سويا

أي سوي الخلق، كامل الصورة.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ١٨]

قالت إني أعوذ بالرحمن منك إن كنت تقيا (١٨)

قالت إني أعوذ بالرحمن منك

أي أعتصم به منك. إنما خافته لانفرادها في خلوتها، وظنها أنه يريدها على نفسها. وفي ذلك من الورع والعفاف ما لا غاية وراءه إن كنت تقيا

أي تتقي الله تعالى، وتبالي بالاستعاذة به. وجواب الشرط محذوف ثقة **بدلالة السياق** عليه. أي فإني عائذة به. أو فلا تتعرض لي. وإنما ذكرته بالله تعالى، لأن المشروع في الدفع أن يكون بالأسهل فالأسهل. فخوفته أولا بالله عز وجل.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ١٩]

قال إنما أنا رسول ربك لأهب لك غلاما زكيا (١٩)

قال إنما أنا رسول ربك

أي لا تخافي ولا تتوقعي ما توهمت. فإني رسول ربك الذي استعذت به، بعثني إليك لأهب لك غلاما زكيا

أي لأكون سببا في هبته. و (الزكي) الطاهر من الذنوب أو النامي على الخير.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة مريم (١٩) : آية ٢٠]

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا (٢٠)

قالت أنى يكون لي غلام ولم يمسسني بشر ولم أك بغيا أي تعجبت من هذا وقالت: كيف يكون لي غلام، أي على أي

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٦/٢٨٦

صفة يوجد مني، ولست بذات زوج ولا يتصور مني الفجور؟

قال الزمخشري: جعل المس عبارة عن النكاح الحلال، لأنه كناية عنه. كقوله تعالى: من قبل أن تمسوهن [البقرة: ٢٣٧] ، أو لامستم النساء [النساء:." (١)

"قال ابن القيم في (زاد المعاد) : ومن خصائص زينب أن الله سبحانه كان هو وليها الذي زوجها لرسوله من فوق سماواته. وتوفيت في أول خلافة عمر بن الخطاب.

وكان أولا عند زيد بن حارثة. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم تبناه، فلما طلقها زوجه الله إياها، لتتأسى به أمته في نكاح أزواج من تبنوه. انتهى.

السابع- قالوا: لا ينقض عموم قوله تعالى: من رجالكم بكونه صلى الله عليه وسلم أبا للطاهر والقاسم وإبراهيم، لأنهم لم يبلغوا الحلم. ولو بلغوا لكانوا رجالا له، صلى الله عليه وسلم، لا لهم. انتهى.

وهذا من التعمق في البحث. وإلا **فدلالة السياق** أوضح من تخصيص الإضافة.

قال ابن كثير: لم يعيش له عليه الصلاة والسلام ولد ذكر، حتى بلغ الحلم. فإنه صلى الله عليه وسلم ولد له القاسم والطيب والطاهر من خديجة رضي الله عنها. فماتوا صغارا، وولد له صلى الله عليه وسلم إبراهيم من مارية القبطية. فمات أيضا رضيعا. وكان له صلى الله عليه وسلم من خديجة أربع بنات: زينب ورقية وأم كلثوم وفاطمة، رضي الله عنهن أجمعين. فمات في حياته صلى الله عليه وسلم ثلاث. وتوفيت فاطمة بعده بستة أشهر. انتهى.

ثم أمر تعالى بكثرة ذكره، والعناية بشكره لما من به من هدايته، إلى نور شريعته حتى ينسى عار الكفر وجاهليته، بقوله سبحانه:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الأحزاب (٣٣) : الآيات ٤١ الى ٤٢]

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكرا كثيرا (٤١) وسبحوه بكرة وأصيلا (٤٢)

يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله أي بما هو أهله من صنوف التحميد والتمجيد ذكرا كثيرا أي يعم الأوقات والأحوال. قال ابن عباس رضي الله عنهما.

إن الله تعالى لم يفرض على عباده فريضة، إلا جعل لها حدا معلوما ثم عذر أهلها في حال العذر، غير الذكر، فإن الله تعالى لم يجعل له حدا ينتهي إليه. ولم يعذر أحدا في تركه إلا مغلوبا على عقله، وأمرهم به في الأحوال كلها. فقال تعالى: فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم [النساء: ١٠٣] ، وقال اذكروا الله ذكرا كثيرا، أي بالليل والنهار، في البر والبحر، وفي السفر والحضر، والغنى والفقر، والسقم والصحة، والسر والعلانية، وعلى كل حال وسبحوه بكرة وأصيلا أي في أول النهار وآخره،

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨٩/٧

ليسري أثر التسبيح فيهما بقية النهار والليل. لأن ذكره وتسبيحه، يفيدان تنوير القلوب وقت خلوها عن الأشغال.

قال الزمخشري: والتسبيح من جملة الذكر. وإنما اختصه من بين أنواعه." (١)

"القول في تأويل قوله تعالى: [سورة ص (٣٨) : آية ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

ص والقرآن ذي الذكر (١)

ص بالسكون على الوقف. وقرئ بالكسر والفتح. اسم للسورة، على القول المتجه عندنا فيه وفي نظائره. لما قدمنا غير ما مرة. وقيل: قسم رمزي، وإليه نحا المهايمي. قال: أقسم الله سبحانه وتعالى بصدق محمد صلى الله عليه وسلم الذي اعترف به الكل في غير دعوى النبوة، حتى صدقه أهل الكتابين في إخباره عن الغيوب، الدال على الصدق في دعوى النبوة. أو بصفائه عن رذائل الأخلاق وقبائح الأفعال الدال على صفائه عن نقيصة الكذب. أو بصعوده في مدارج الكمالات، الدال على صعوده في مدارج القرب من الله- أو بصبره الكامل هو لوازم الرسالة على أنه رسوله. انتهى.

والقرآن ذي الذكر أي الشرف الدال على حقيقته وصدقه. أو التذكير، كآية لقد أنزلنا إليكم كتابا فيه ذكركم [الأنبياء: ١٠] ، والجواب محذوف **لدلالة السياق** عليه. أي إنه لحق. وقوله:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة ص (٣٨) : آية ٢]

بل الذين كفروا في عزة وشقاق (٢)

بل الذين كفروا في عزة أي كبر وشقاق أي عداوة للحق والإذعان له.

إضراب عما قبله. كأنه قيل: لا ريب فيه قطعا. وليس عدم إيمان الكفرة به لشائبة ريب مما فيه. بل هم في حمية جاهلية وشقاق بعيد لله ولرسوله. ولذلك لا يذعنون له. وقيل: الجواب ما دل عليه الجملة الإضرابية. أي ما كفر به من كفر لخلل وجده فيه. بل الذين كفروا في عزة وشقاق ثم أوعدهم على شقاقهم بقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة ص (٣٨) : آية ٣]

كم أهلكنا من قبلهم من قرن فنادوا ولات حين مناص (٣)." (٢)

"مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

[آل عمران: ٥٩] ، والمعنى: لما بين وصفه الحق من أنه عبد مخلوق منعم عليه بالنبوة، عبادته كفر، ودعاؤه شرك، إذ لم يأذن الله بعبادة غيره إذا قومك منه أي من مثله المضروب ووصفه المبين يصدون أي يعرضون ولا يعون وقالوا أآلهتنا خير أم هو يعنون بآلهتهم الملائكة الذين عبدوهم، زعما منهم أنهم بنات الله تعالى. كما ذكر عنهم ذلك في أول السورة. أي أنهم خير

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٨٩/٨

(٢) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٢٣٩/٨

من عيسى وأفضل، لأنهم من الملأ الأعلى والنوع الأسمى، فإذا جازت عبادة المفضول وهو عيسى، فبالأولى عبادة الأفضل وهم الملائكة. كأنهم يقررون على شركهم أصولا صحيحة. ويبنون على تمسكهم أقيسة صريحة. وغفلوا، لجهلهم، عن بطلان المقيس والمقيس عليه. وأن البرهان الصادع قام على بطلان عبادة غيره تعالى، وعلى استحالة التوالد في ذاته العلية. وإذا اتضح الهدى فما وراءه إلا الضلال، والمشاغبة بالجدال. كما قال تعالى:

ما ضربوه لك إلا جدلا أي ما ضربوا لك هذا القول إلا لأجل الجدل والخصومة، لا عن اعتقاد، لظهور بطلانه بل هم قوم خصمون أي شديد والخصومة بالباطل تمويها وتلبيسا.

وفي الحديث «١»

(ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل)

وما ذكرناه في تفسير هذه الآية، هو الجلي الواضح، لدلالة السياق والسباق فقابل بينه وبين ما حكاه الغير وأنصف. ثم جلى شأن عيسى عليه السلام، بما يرفع كل لبس، بقوله سبحانه:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الزخرف (٤٣) : آية ٥٩]

إن هو إلا عبد أنعمنا عليه وجعلناه مثلا لبني إسرائيل (٥٩)

إن هو إلا عبد أنعمنا عليه أي بالنبوة والرسالة وجعلناه مثلا لبني إسرائيل أي آية لهم وحجة عليهم، بما ظهر على يديه، مما أيد نبوته ورسالته وصدق دعواه.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الزخرف (٤٣) : آية ٦٠]

ولو نشاء لجعلنا منكم ملائكة في الأرض يخلفون (٦٠)

ولو نشاء لجعلنا منكم أي بدلكم ملائكة في الأرض يخلفون أي يكونون مكانكم. إيعاد لهم بأنهم في قبضة المشيئة في إهلاكهم، وإبدال من هو خير منهم.

---

(١) . أخرجه الترمذي في: التفسير، ٤٣- سورة الزخرف، عن أبي أمامة.." [1]

"وملخصه تخصيص الغيب بوقت وقوع القيامة بدلالة السياق، والرسول بالملك.

وناقشه في العناية بأن المرضي حمل الرسول على المتعارف لدلالة الساق والسياق عليه هذا، ونقل النسفي عن التأويلات ما مثاله:

قال بعضهم: في هذه الآية تكذيب المنجمة، وليس كذلك، فإن فيهم من يصدق خبره، وكذلك المتطببة فإنهم يعرفون طبائع النبات، وهذا لا يعرف بالتأمل، فعلم بأنهم وقفوا على علمه من جهة رسول انقطع أثره، وبقي علمه في الخلق.

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل   القاسمي ٨/٣٩٥

انتهى.
وهذا الجواب يلجأ إليه المتفقهة زعما بأن معرفة مواقيت الكسوف، وخواص المفردات مما يشمله علم الغيب. والصواب عدم شموله لمثله، لأنه مما يتيسر للناس أن يعرفوه بالنظر والاستدلال والتجربة والبحث، كالعلوم الرياضية والطبيعية والزراعية والصنائع والهيئة الفلكية. وبالجملة فكل ما يمكن للإنسان أن يصل إليه بنفسه لا يكون من الغيب في شيء. ولذا قال بعض الحكماء: لو كان من وظيفة النبي أن يبين العلوم الطبيعية والفلكية، لكان يجب أن تعطل مواهب الحس والعقل، وينزع الاستقلال من الإنسان، ويلزم بأن يتلقى كل فرد من كل شيء بالتسليم، ولوجب أن يكون عدد الرسل في كل أمة كافيا لتعليم أفرادها في كل زمن ما يحتاجون إليه من أمور معاشهم ومعادهم. وإن شئت فقل: لوجب أن لا يكون الإنسان هذا النوع الذي نعرفه. نعم، إن الأنبياء ينبهون الناس بالإجمال إلى استعمال حواسهم وعقولهم في كل ما يزيد منافعهم ومعارفهم التي ترتقي بها نفوسهم، ولكن مع وصلها بالتنبيه على ما يقوي الإيمان ويزيد في العبرة. وقد أرشدنا صلى الله عليه وسلم إلى وجوب استقلالنا دونه في مسائل دنيانا في واقعة تأبير النخل إذ
قال «١»
(أنتم أعلم بأمور دنياكم)
انتهى. فاحفظه فإنه من المضنون به على غير أهله. وقوله تعالى:

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة الجن (٧٢) : آية ٢٨]
ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم وأحاط بما لديهم وأحصى كل شيء عددا (٢٨)
ليعلم أن قد أبلغوا رسالات ربهم متعلق ب يسلك غاية له. والضمير إما

---

(١) أخرجه مسلم في: الفضائل، حديث ١٤١.." [1]

"أي بالإعراض عن الأعمال التي تورث منازلها، أو تنسون الآخرة ووعيدها، وهول حسابها وجزائها. وجوه يومئذ ناضرة أي حسنة جميلة من النعيم إلى ربها ناظرة أي مشاهدة إياه، ترى جمال ذاته العلية، ونور وجهه الكريم، كما وردت بذلك الأخبار والآثار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ووجوه يومئذ باسرة أي كالحة، لجهامة هيئاتها، وهول ما تراه هناك من الأهوال، وأنواع العذاب والخسران. تظن أن يفعل بها فاقرة أي داهية تفصم فقار الظهر، لشدتها وسوء حالها ووبالها. وشتان ما بين المرتبتين! ويظهر أن في عود الضمير من بها إلى الوجوه- مرادا بها الذوات- شبه استخدام. ولم أر من نبه عليه.

القول في تأويل قوله تعالى: [سورة القيامة (٧٥) : الآيات ٢٦ الى ٣٠]

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٣٣٨/٩

كلا إذا بلغت التراقي (٢٦) وقيل من راق (٢٧) وظن أنه الفراق (٢٨) والتفت الساق بالساق (٢٩) إلى ربك يومئذ المساق (٣٠)

كلا إذا بلغت التراقي أي بلغت النفس أعالي الصدر. وإضمارها، وإن لم يجر لها ذكر، **لدلالة السياق** عليها، كقول حاتم:

أماوي ما يغني الثراء عن الفتى ... إذا حشرجت يوما وضاق بها الصدر

قال الرازي: يكنى ببلوغ النفس التراقي، عن القرب من الموت، ومنه قول دريد ابن الصمة:

ورب عظيمة دافعت عنها ... وقد بلغت نفوسهم التراقي

ونظيره قوله تعالى: فلولا إذا بلغت الحلقوم [الواقعة: ٨٣] . وقيل من راق

قال ابن جرير: أي وقال أهله: من ذا يرقيه ليشفيه مما قد نزل به، وطلبوا له الأطباء والمداوين، فلم يغنوا عنه من أمر الله الذي قد نزل به شيئا. أي فالاستفهام بمعنى الطلب لراق أو طبيب. وجوز كونه بمعنى الإنكار، يأسا من أن يقدر أحد على نفعه برقية أو عوذة.

لطيفة:

قال الواحدي: إن إظهار النون عند حروف الفم لحن. فلا يجوز إظهار نون من

في قوله: من راق

. وروى حفص عن عاصم إظهار النون في قوله: من راق

وبل ران قال أبو علي الفارسي: ولا أعرف وجه ذلك. قال الواحدي:." (١)

"الشمس تنجلي في ذلك الوقت تمام الانجلاء. وفي هذه الأقسام كلها- كما قاله الإمام- إشارة إلى تعظيم أمر الضياء وإعظام قدر النعمة فيه ولفت أذهاننا إلى أنه من آيات الله الكبرى ونعمه العظمى وفي قوله: إذا جلاها بيان للحالة التي ينطق فيها النهار بتلك الحكمة الباهرة والآية الظاهرة. وهي حالة الصحو. أما يوم الغيم الذي لا تظهر فيه الشمس، فحاله أشبه بحال الليل الذي يقسم به في قوله: والليل إذا يغشاها أي يغشى الشمس ويعرض دون ضوئها فيحجبه عن الأبصار. وذلك في ليالي الظلمة الحالكة المشار إليها بقوله في الآية المتقدمة: وليال عشر [الفجر: ٢] ، على القول الأخير.

قال الإمام: ولقلة أوقات الظلمة، عبر في جانبها بالمضارع لا مفيد للحاق الشيء وعروضه متأخرا عما هو أصل في نفسه. أما النهار فإنه يجلي الشمس دائما من أوله إلى آخره. وذلك شأن له في ذاته. ولا ينفك عنه إلا لعارض كالغيم أو الكسوف قليل العروض.. ولهذا عبر في جانبه بالماضي المفيد لوقوع المعنى من فاعله، بدون إفادة أنه مما ينفك عنه.

والسماء وما بناها أي ومن رفعها، وصيرها بما فيها من الكواكب، كالسقف أو القبة المحكمة الزينة المحيطة بنا. ف (ما) موصولة بمعنى (من) أوثرت لإرادة الوصفية. أي والقادر الذي أبدع خلقها.

قالوا: وذكر ما بناها مع أن في ذكر السماء غنية عنه، للدلالة على إيجادها وموجدها صراحة والأرض وما طحاها أي

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٣٦٨/٩

بسطها. من كل جانب، لافتراشها وازدراعها والضرب في أكنافها.

قال الإمام: وليس في ذلك دليل على أن الأرض غير كروية، كما يزعم بعض الجاهلين. أي بتحريفه الكلم عن معناه المراد منه ونفس وما سواها أي خلقها فعدل خلقها ومزاجها، وأعدها لقبول الكمال: فألهمها فجورها وتقواها أي أفهمها إياهما، وأشعرها بهما، بالإلقاء الملكي والتمكين من معرفتهما، وحسن التقوى وقبح الفجور بالعقل الهيولاني.

لطيفة:

جوز في (ما) كونها مصدرية في الكل، ولا يضره خلو الأفعال من فاعل ظاهر ومضمر إذا لا مرجع له. وعطف الفعل على الاسم لأنه يكفي لصحة الإضمار **دلالة السياق**. وهي موجودة هنا. وأن العطف على صلة (ما) لا عليها مع صلتها. فكأنه قيل: ونفس وتسويتها، فإلهامها إلخ. وعطف الفعل على الاسم ليس بفاسد. نعم في الوجه الأول توافق القرائن وهو أسد. وأما الثاني فوجه يتسع النظم الكريم له. وأما تنكير (نفس) فللتكثير أو التعظيم.." [١]

"أزرهم، فماذا تنكر بعد هذا من تسخير زنادقتهم وملاحدتهم. وماذا يفيد المسلم من قراءة مثل هذه الآية، ومن تفسير علماء الألفاظ والروايات لها إذا لم يعرف مضمونها التفصيلي العملي في عصره، ويسعى لتدارك خطبه؟ وإنما فصلنا القول فيها لتفنيد تلك الدعاية، ونقض تلك المصنفات بالإجمال، وإرشاد المسلمين إلى ما يستمدون منه التفصيل.

هذا وإن أشد طرقهم في الصد عن الإسلام فظاعة وقبحا وإهانة لهو الطعن في النبي الأعظم والقرآن، وأشر منه وأضر تعليم المدارس التي يفسدون عقائد النشء الذي يتربى ويتعلم فيها، ولكن أكثر مسلمي الأمصار لا يعقلون كنه مفاسدها، وسوء عاقبتها في الدين والأدب وسياسة الأمة واستقلالها.

ثم قال عز وجل: والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها في سبيل الله فبشرهم بعذاب أليم مقتضى السياق أن تكون هذه الجملة في الكثير من

الأحبار والرهبان الذين يأكلون أموال الناس بالباطل ويصدون عن سبيل الله وهو مروي عن معاوية وسيأتي نصه، وعن الضحاك، وعنه أنها عامة وخاصة، ووجهه أن الكلام فيهم، فهم الذين جمعوا بين أكل أموال الناس بالباطل، وبين كنزها وجمعها والامتناع من إنفاقها في سبيل الله، بل ينفقون كثيرا منها في صدهم الناس عن سبيل الله، ويجوز أن تكون كما قال السدي في المؤمنين المخاطبين بالآية المبينة لحال أولئك الأحبار والرهبان، الذين صار جمع الأموال والافتتان بكثرتها وخزنها في الصناديق واستغلالها في المصارف (البنوك) أعظم همهم في الحياة ؛ لأنهم فقدوا لذة الحياة الروحية بمعرفة الله تعالى وخشيته ومحبته وعبادته – تحذيرا للمؤمنين من الإخلاد إلى هذه السفالة. وسيأتي عن أبي ذر . رضي الله عنه . أنها فينا وفي أهل الكتاب جميعا، وهو المختار عندنا ؛ فإن اللفظ مطلق فيجب جريانه على إطلاقه وعمومه، وأولئك الأحبار والرهبان يدخلون فيه أولا وبالذات **بدلالة السياق** ؛ لأنهم هبطوا في المطامع المادية إلى أسفل الدركات.

والكنز في اللغة جمع الشيء ورصه بعضه على بعض، ومنه كنيز اللحم ومكتنزه أي صلبه وشديده، وكنزت الحب في الجراب

---

(١) تفسير القاسمي = محاسن التأويل القاسمي ٩/٤٨١

فاكتنز فيه، وكنزت الجراب إذا ملأته جدا قاله في الأساس، وقال الراغب: الكنز جعل المال بعضه على بعض وحفظه وأصله من كنزت التمر في الوعاء إلخ.

والمراد بالكنز هنا خزن الدنانير والدراهم في الصناديق أو دفنها في التراب وإمساكها، وما يلزمه من الامتناع عن إنفاقها فيما شرعه الله من البر والخير، وسيأتي بيان مصارفها الشرعية في آية: إنما الصدقات (٦٠) من هذه السورة. وأنث الضمير في ينفقونها وما قبله مثنى ؛ لأن المراد بالذهب الدنانير وبالفضة الدراهم المضروبة من كل منهما لا جنس الذهب.." (١)

"الأستاذ الإمام: الظاهر أن الكلام في الأموال، فإنه نهى عن أكلها بالباطل،

ثم نهى عن تمني أحد ما فضله به غيره من المال ؛ لأن التمني يسوق إلى التعدي وإنما أورد النهي عاما لزيادة الفائدة، والسياق يفيد أن المال هو المقصود أولا وبالذات ؛ لأن أكثر التمني يتعلق به، وذكر القاعدة العامة في الثروة وهي الكسب، ثم انتقل من ذكر الغالب هو الكسب إلى غير الغالب وهو الإرث فقال: ولكل جعلنا موالي مما ترك، فالموالي من لهم الولاية على التركة، و " من " في قوله تعالى: مما ترك ابتدائية، والجملة تتم بقوله: ترك والمعنى: ولكل من الرجال الذين لهم نصيب مما اكتسبوا والنساء اللواتي لهن نصيب مما اكتسبن، موالي لهم حق الولاية على ما يتركون من كسبهم، وهؤلاء الموالي هم: الوالدان والأقربون والذين عقدت أيمانكم أي: جميع الورثة من الأصول والفروع والحواشي، والأزواج، كما تقدم التفصيل في أول السورة فالمراد هنا بالذين عقدت أيمانكم: الأزواج، فإن كل واحد من الزوجين يصير زوجا له حق الإرث بالعقد، والمتعارف عند الناس في العقد أن يكون بالمصافحة باليدين: فآتوهم نصيبهم، أي: فأعطوا هؤلاء الموالي نصيبهم المفروض لهم ولا تنقصوهم منه شيئا ولما كان الميراث موضعا لطمع بعض الوارثين . أي: ولا سيما من يكون في أيديهم المال لإقامة المورث معهم . قال تعالى بعد الأمر بإعطاء كل ذي حق حقه: إن الله كان على كل شيء شهيدا أي: إنه تعالى رقيب عليكم حاضر يشهد تصرفكم في التركة وغيرها، فلا يحملنكم الطمع وحسد بعضكم لبعض الوارثين على أن يأكل من نصيبه شيئا سواء أكان ذكرا أم أنثى كبيرا أم صغيرا.

أقول: إن ما ذهب إليه الأستاذ الإمام هو المتبادر الذي لا يعثر فيه الفكر، ولا يكبو في ميدانه جواد الذهن، ولا يحتاج فيه إلى تكلف في الإعراب، ولا إلى القول بالنسخ، فأين منه تلك الأقوال المتكلفة التي انتزعها المفسرون من تنوين قوله تعالى: ولكل فهو هاهنا بدل من مضاف إليه محذوف **لدلالة السياق** عليه، كما هو المعهود في مثله من هذه اللغة، والمأخذ القريب المتبادر لهذا المضاف إليه هو الآية السابقة التي عطف عليها قوله: ولكل فاختار أن المخاطبين بالنهي والأمر في تلك الآية هم المخاطبون بالحكم في امتثاله في هذه الآية المعطوفة عليها، واختار

جمهور المفسرين البعد في التقدير فقدروا المضاف إليه لفظ تركة أو مال أو ميت أو قوم، قال القاضي البيضاوي: أي: ولكل تركة جعلنا وراثا يلونها ويحوزونها، مما ترك بيان لكل مع الفصل بالعامل، أو لكل ميت جعلنا وراثا مما ترك على أن من صلة

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٣٤٩/١٠

موالي ؛ لأنه في معنى الوارث وفي ترك ضمير كل والوالدان والأقربون استئناف مفسر للموالي وفيه خروج الأولاد، فإن الأقربون لا يتناولهم كما لا يتناول الوالدين، أو لكل قوم جعلناهم موالي حظ مما ترك الوالدان والأقربون على أن." (١)

"الوجوه ما أهل به لغير الله، فهو مما يخفى على غير العلماء بحقيقة التوحيد، ومنه الاعتداء في أكل المحرم الذي يباح للمضطر بأن يتجاوز فيه حد الضرورة. وقيل الحاجة. وذلك قوله تعالى: (فمن اضطر في مخمصة غير متجانف لإثم فإن الله غفور رحيم) (٥: ٣) وهذه الجملة من جوامع الكلم والأصول الكلية في تحريم الآثام حتى قال ابن الأنباري: إن المراد بهذا التعبير ترك الإثم من جميع جهاته، أي جميع أنواع الظهور والبطون فيه. وقد خص بعض المفسرين الظاهر بزنا السفاح الذي يكون في المواخير، والباطن باتخاذ الأخدان والصديقات في السر، وكانوا في الجاهلية يستبيحون زنا السر ويستقبحون السفاح بالجهر، وخص بعضهم الظاهر بنكاح الأمهات والأخوات وأزواج الآباء، والباطن بالزنا، والتخصيص بغير مخصص باطل. (إن الذين يكسبون الإثم سيجزون بما كانوا يقترفون) تقدم معنى لفظ الاقتراف في تفسير الآية ١١٣ من هذه السورة. ومعنى الجملة: إن الذين يكتسبون جنس الإثم سواء أكان ظاهرا أم باطنا سيلقون جزاء إثمهم بقدر ما كانوا يبالغون في إفساد فطرتهم، وتدسية أنفسهم بالإصرار عليه ومعاودته المرة بعد المرة، كما يدل عليه فعل الكون، وصيغة المضارع الدالة على الاستمرار، وأما الذين يعملون السوء بجهالة ثم يتوبون من قريب ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون: فأولئك يتوب الله عليهم ويمحو تأثير الإثم من قلوبهم بالحسنات المضادة لها (إن الحسنات يذهبن السيئات) (١١: ١١٤) فتعود أنفسهم زكية طاهرة، وتلقى ربها سليمة بارة.

(ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه وإنه لفسق) أمر الله – تعالى – بالأكل مما ذكر اسمه عليه في مقام بيان ضلال المشركين وإضلالهم بأكل ما ذكر اسم غيره عليه، ثم صرح بالمفهوم المراد من ذلك الأمر، ولم يكتف **بدلالة السياق** على القصر، لشدة العناية بهذا الأمر الذي هو من أظهر أعمال الشرك، أي ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح عند تزكيته، والحال إنه لفسق أهل به لغيره كما قال في آية المحرمات: (أو فسقا أهل لغير الله به) فالآية لا تدل على تحريم كل ما لم يذكر اسم الله عليه من الذبائح فضلا عن غيرها من الأطعمة خلافا لمن قال بهذا وذاك ؛ لأنها خاصة بتلك القرابين الدينية وأمثالها بقرينة السياق كما تقدم شرحه، وبدليل تقييد النهي بالجملة الحالية كما حققه السعد التفتازاني، ويؤيده قوله: (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم وإن أطعتموهم إنكم لمشركون) أي وإن شياطين الإنس والجن الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورا ليوحون إلى أوليائهم بالوسوسة والتلقين الخادع الخفي ما يجادلونكم به من الشبهات في هذه المسألة، وإن أطعتموهم فيها فجاريتموهم في هذه العبادة الوثنية الباطلة إنكم لمشركون مثلهم؛ فإن التعبد بالذبح لغير الله." (٢)

"ويروى أن حذيفة سئل عن هذه الآيات، أهي في بني إسرائيل، فقال: نعم هي فيهم، ولتسلكن سبيلهم حذو النعل بالنعل، وقيل: الكافرون للمسلمين، والظالمون لليهود، والفاسقون للنصارى، وهذا اختيار أبي بكر بن العربي، قاله: لأنه ظاهر الآيات، وهو اختيار ابن عباس، وجابر بن زيد، وابن أبي زائدة، وابن شبرمة، والشعبي أيضا قال طاوس وغيره: ليس

---

(١) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٥/٥٣

(٢) تفسير المنار محمد رشيد رضا ٨/١٩

بكفر ينقل عن الملة، ولكنه كفر دون كفر.

وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر، وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين، قال القشيري: ومذهب الخوارج أن من ارتشى، وحكم بحكم غير الله فهو كافر، وعزا هذا إلى الحسن، والسدي، وقال الحسن أيضا: أخذ الله على الحكام ثلاثة أشياء: ألا يتبعوا الهوى، وألا يخشوا الناس ويخشوه، وألا يشتروا بآياته ثمنا قليلا، انتهى كلام القرطبي.

قال مقيده – عفا الله عنه –: الظاهر المتبادر من سياق الآيات أن آية فأولئك هم الكافرون، نازلة في المسلمين ؛ لأنه تعالى قال قبلها مخاطبا لمسلمي هذه الأمة: فلا تخشوا الناس واخشون ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا، ثم قال: ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون، فالخطاب للمسلمين كما هو ظاهر متبادر من سياق الآية، وعليه فالكفر إما كفر دون كفر، وإما أن يكون فعل ذلك مستحلا له، أو قاصدا به جحد أحكام الله وردها مع العلم بها.

أما من حكم بغير حكم الله، وهو عالم أنه مرتكب ذنبا، فاعل قبيحا، وإنما حمله على ذلك الهوى فهو من سائر عصاة المسلمين، وسياق القرآن ظاهر أيضا في أن آية: فأولئك هم الظالمون، في اليهود ؛ لأنه قال قبلها: وكتبنا عليهم فيها أن النفس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون.

فالخطاب لهم لوضوح **دلالة السياق** عليه كما أنه ظاهر أيضا في أن آية: فأولئك هم الفاسقون في النصارى ؛ لأنه قال قبلها: وليحكم أهل الإنجيل بما أنزل الله فيه ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون.

واعلم أن تحرير المقام في هذا البحث أن الكفر، والظلم، والفسق، كل واحد منها." (١)

"والضحاك، وإبراهيم النخعي، وقتادة، والسدي، ووهب بن منبه وغيرهم، وممن قال إنه عيسى: الحسن، والربيع بن أنس، ومحمد بن عباد بن جعفر، وهو إحدى الروايتين عن قتادة، وقول عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قاله ابن كثير وغيره.

قوله تعالى: وهزي إليك بجذع النخلة تساقط عليك رطبا جنيا فكلي واشربي وقري عينا، لم يصرح جل وعلا في هذه الآية الكريمة ببيان الشيء الذي أمرها أن تأكل منه، والشيء الذي أمرها أن تشرب منه، ولكنه أشار إلى أن الذي أمرها أن تأكل منه هو: «الرطب الجني» المذكور، والذي أمرها أن تشرب منه هو النهر المذكور المعبر عنه «بالسري» كما تقدم، هذا هو الظاهر.

وقال بعض العلماء: إن جذع النخلة الذي أمرها أن تهز به كان جذعا يابسا ؛ فلما هزته جعله الله نخلة ذات رطب جني، وقال بعض العلماء: كان الجذع جذع نخلة نابتة إلا أنها غير مثمرة، فلما هزته أنبت الله فيه الثمر وجعله رطبا جنيا، وقال بعض العلماء: كانت النخلة مثمرة، وقد أمرها الله بهزها ليتساقط لها الرطب الذي كان موجودا، والذي يفهم من سياق القرآن: أن الله أنبت لها ذلك الرطب على سبيل خرق العادة، وأجرى لها ذلك النهر على سبيل خرق العادة، ولم يكن

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ١/٤٠٧

الرطب والنهر موجودين قبل ذلك، سواء قلنا إن الجذع كان يابسا أو نخلة غير مثمرة، إلا أن الله أنبت فيه الثمر وجعله رطبا جنيا، ووجه دلالة السياق على ذلك أن قوله تعالى: فكلي واشربي وقري عينا، يدل على أن عينها إنما تقر في ذلك الوقت بالأمور الخارقة للعادة ؛ لأنها هي التي تبين براءتها مما اتهموها به، فوجود هذه الخوارق من تفجير النهر، وإنبات الرطب، وكلام المولود – تطمئن إليه نفسها وتزول به عنها الريبة، وبذلك يكون قرة عين لها ؛ لأن مجرد الأكل والشرب مع بقاء التهمة التي تمنت بسببها أن تكون قد ماتت من قبل وكانت نسيا منسيا، لم يكن قرة لعينها في ذلك الوقت كما هو ظاهر، وخرق الله لها العادة بتفجير الماء، وإنبات الرطب، وكلام المولود لا غرابة فيه، وقد نص الله جل وعلا في «آل عمران» على خرقه لها العادة في قوله: كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقا قال يامريم أنى لك هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب [٣ \ ٣٧] ، قال العلماء: كان يجد عندها فاكهة الصيف في الشتاء، وفاكهة الشتاء في الصيف، وإجراء النهر وإنبات الرطب ليس أغرب من هذا المذكور في سورة «آل عمران» .." (١)

"في معنى إتيان الله الأرض ينقصها من أطرافها في هذه الآية الكريمة أقوال معروفة للعلماء، وبعضها تدل له قرينة قرآنية:

قال بعض العلماء: نقصها من أطرافها: موت العلماء، وجاء في ذلك حديث مرفوع عن أبي هريرة، وبعد هذا القول عن ظاهر القرآن بحسب دلالة السياق ظاهر كما ترى.

وقال بعض أهل العلم: نقصها من أطرافها خرابها عند موت أهلها.

وقال بعض أهل العلم: نقصها من أطرافها هو نقص الأنفس، والثمرات، إلى غير ذلك من الأقوال، وأما القول الذي دلت عليه القرينة القرآنية فهو أن معنى ننقصها من أطرافها أي: ننقص أرض الكفر ودار الحرب، ونحذف أطرافها بتسليط المسلمين عليها وإظهارهم على أهلها، وردها دار إسلام. والقرينة الدالة على هذا المعنى هي قوله بعده: أفهم الغالبون [٢١ \ ٤٤] والاستفهام لإنكار غلبتهم. وقيل: لتقريرهم بأنهم مغلوبون لا غالبون، فقوله: أفهم الغالبون دليل على أن نقص الأرض من أطرافها سبب لغلبة المسلمين للكفار، وذلك إنما يحصل بالمعنى المذكور. ومما يدل لهذا الوجه قوله تعالى: ولا يزال الذين كفروا تصيبهم بما صنعوا قارعة أو تحل قريبا من دارهم حتى يأتي وعد الله [١٣ \ ٣١] على قول من قال: إن المراد بالقارعة التي تصيبهم سرايا النبي – صلى الله عليه وسلم – تفتح أطراف بلادهم، أو تحل أنت يا نبي الله قريبا من دارهم. وممن يروى عنه هذا القول: ابن عباس، وأبو سعيد، وعكرمة، ومجاهد، وغيرهم. وهذا المعنى الذي ذكر الله هنا ذكره في آخر سورة «الرعد» أيضا في قوله: أولم يروا أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها والله يحكم لا معقب لحكمه وهو سريع الحساب [١٣ \ ٤١] وقال ابن كثير في تفسير آية «الأنبياء» هذه: إن أحسن ما فسر به قوله تعالى: أفلا يرون أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها هو قوله تعالى: ولقد أهلكنا ما حولكم من القرى وصرفنا الآيات لعلهم يرجعون [٤٦ \ ٢٧]
.

قال مقيده – عفا الله عنه وغفر له –: ما ذكره ابن كثير صواب، واستقراء القرآن العظيم يدل عليه، وعليه فالمعنى: أفلا يرى

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٣/٣٩٧

كفار مكة ومن سار سيرهم في تكذيبك يا نبي الله والكفر بما جئت به أنا نأتي الأرض ننقصها من أطرافها أي: بإهلاك الذين كذبوا الرسل كما أهلكنا قوم صالح وقوم لوط، وهم يمرون بديارهم. وكما." (١)

"والعلم عند الله تعالى، ولنكتف بما ذكرنا من أحكام هذه الآية.

قوله تعالى: ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله إنه لمن الكاذبين قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: ويدرأ عنها العذاب أن تشهد أربع شهادات بالله الآية، معنى: ويدرأ: يدفع، والمراد بالعذاب هنا: الحد، والمصدر المنسبك من أن وصلتها في قوله: العذاب أن تشهد فاعل يدرأ، أي: يدفع عنها الحد شهادتها أربع شهادات.

والدليل على أن المراد بالعذاب في قوله: ويدرأ عنها العذاب الحد من أوجه:

الأول: منها سياق الآية، فهو يدل على أن العذاب الذي تدرؤه عنها شهاداتها هو الحد.

والثاني: أنه أطلق اسم العذاب في مواضع أخر، على الحد مع **دلالة السياق** فيها على أن المراد بالعذاب فيها الحد ؛ كقوله تعالى في هذه السورة الكريمة: الزانية والزاني فاجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر وليشهد عذابهما طائفة من المؤمنين [٢٤ \ ٢] ، فقوله: وليشهد عذابهما أي: حدهما بلا نزاع، وذلك قوله تعالى في الإماء: فعليهن نصف ما على المحصنات من العذاب [٤ \ ٢٥] ، أي: نصف ما على الحرائر من الجلد.

وهذه الآية تدل على أن الزوج إذا رمى زوجته وشهد شهاداته الخمس المبينة في الآية أن المرأة يتوجه عليها الحد بشهاداته، وأن ذلك الحد المتوجه إليها بشهادات الزوج تدفعه عنها شهاداتها هي الموضحة في الآية.

ومفهوم مخالفة الآية يدل على أنها لو نكلت عن شهاداتها، لزمها الحد بسبب نكولها مع شهادات الزوج، وهذا هو الظاهر الذي لا ينبغي العدول عنه، فشهادات الزوج القاذف تدرأ عنه هو حد القذف، وتوجه إليها هي حد الزنى، وتدفعه عنها شهاداتها.

وظاهر القرآن أيضا أنه لو قذف زوجته، وامتنع من اللعان أنه يحد حد القذف، فكل من امتنع من الزوجين من الشهادات الخمس وجب عليه الحد، وهذا هو الظاهر من الآيات." (٢)

"الأرواح، وقيل: أرواح المؤمنين تنشط عند الفزع، ولم يرجح ابن جرير معنى منها، وقال: كلها محتملة، وحكاها غيره كلها.

وقد ذكر في الجلالين المعنى الأول منها فقط، والذي يشهد له السياق والنصوص الأخرى: أن كلا من «النازعات» و «الناشطات» : هم الملائكة، وهو ما روي عن ابن عباس ومجاهد، وهي صفات لها في قبض الأرواح.

ودلالة السياق على هذا المعنى: هو أنهما وصفان متقابلان: الأول نزع بشدة، والآخر نشاط بخفة، فيكون النزع غرقا

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن   الشنقيطي، محمد الأمين ٤/١٥٧

(٢) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن   الشنقيطي، محمد الأمين ٥/٤٦٤

لأرواح الكفار، والنشط بخفة لأرواح المؤمنين، وقد جاء ذلك مفسرا في قوله تعالى في حق نزع أورواح الكفار: ولو ترى إذ الظالمون في غمرات الموت والملائكة باسطو أيديهم أخرجوا أنفسكم اليوم تجزون عذاب الهون الآية [٦ \ ٩٣] . وقوله تعالى: ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق [٨ \ ٥٠] ، وقال تعالى في حق المؤمنين: يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلى ربك راضية مرضية [٨٩ \ ٢٧ - ٢٨] ، وقوله: إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة ألا تخافوا ولا تحزنوا وأبشروا بالجنة التي كنتم توعدون [٤١ \ ٣٠] .

وهذا يتناسب كل المناسبة مع آخر السورة التي قبلها إذ جاء فيها: إنا أنذرناكم عذابا قريبا يوم ينظر المرء ما قدمت يداه [٧٨ \ ٤٠] ، ونظر المرء ما قدمت يداه يبدأ من حالة النزع حينما يثقل اللسان عن النطق في حالة الحشرجة، حين لا تقبل التوبة عند العاينة لما سيئول إليه، فينظر حينئذ ما قدمت يداه، وهذا عند نزع الروح أو نشطها. والله تعالى أعلم.

قوله تعالى: والسابحات سبحا فالسابقات سبقا

قيل: «السابحات» النجوم. وقيل: الشمس والقمر والليل والنهار، والسحاب والسفن والحيتان في البحار، والخيل في الميدان.

وذكرها كلها أيضا ابن جرير ولم يرجح. وقال: كلها محتملة، وذكرها غيره كذلك.

والواقع، فإنها كلها آيات عظام تدل على قدرته تعالى، إلا أن السياق في أمر." (١)

"و «من» التي يتعدى بها فعل أمكن اتصالية مثل التي في قولهم: لست منك ولست مني. فقوله تعالى: فأمكن منهم حذف مفعوله لدلالة السياق عليه، أي أمكنك منهم يوم بدر، أي لم ينفلتوا منك.

والمعنى: أنه أتاكم بهم إلى بدر على غير ترقب منكم فسلطكم عليهم.

والله عليم حكيم تذييل، أي عليم بما في قلوبهم حكيم في معاملتهم على حسب ما يعلم منهم.

[٧٢]

[سورة الأنفال (٨) : آية ٧٢]

إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم في سبيل الله والذين آووا ونصروا أولئك بعضهم أولياء بعض والذين آمنوا ولم يهاجروا ما لكم من ولايتهم من شيء حتى يهاجروا وإن استنصروكم في الدين فعليكم النصر إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق والله بما تعملون بصير (٧٢)

هذه الآيات استئناف ابتدائي للإعلام بأحكام موالاة المسلمين للمسلمين الذين هاجروا والذين لم يهاجروا، وعدم موالاتهم للذين كفروا، نشأ عن قول العباس بن عبد

المطلب حين أسر ببدر أنه مسلم، وأن المشركين أكرهوه على الخروج إلى بدر، ولعل بعض الأسرى غيره قد قال ذلك وكانوا صادقين، فلعل بعض المسلمين عطفوا عليهم وظنوهم أولياء لهم، فأخبر الله المسلمين وغيرهم بحكم من آمن واستمر على

---

(١) أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن الشنقيطي، محمد الأمين ٨/٤١٦

البقاء بدار الشرك. قال ابن عطية: «مقصد هذه الآية وما بعدها تبيين منازل المهاجرين والأنصار والمؤمنين الذين لم يهاجروا والكفار، والمهاجرين بعد الحديبية وذكر نسب بعضهم عن بعض» .

وتعرضت الآية إلى مراتب الذين أسلموا فابتدأت ببيان فريقين اتحدت أحكامهم في الولاية والمؤاساة حتى صاروا بمنزلة فريق واحد، وهؤلاء هم فريقا المهاجرين والأنصار." (١)

"وحسبتم: ظننتم. ومصدر حسب، بمعنى ظن الحسبان- بكسر الحاء- فأما مصدر

حسب بمعنى أحصى العدد فهو بضم الحاء.

والترك افتقاد الشيء وتعهده، أي: أن يترككم الله، فحذف فاعل الترك لظهوره.

ولا بد لفعل الترك من تعليقه بمتعلق: من حال أو مجرور، يدل على الحالة التي يفارق فيها التارك متروكه، كقوله تعالى: أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون [العنكبوت: ٢] ومثل قول عنترة:

فتركته جزر السباع ينشنه وقول كبشة بنت معد يكرب، على لسان شقيقها عبد الله حين قتلته بنو مازن بن زبيد في بلد صعدة من بلاد اليمن:

وأترك في بيت بصعدة مظلم وحذف متعلق تتركوا في الآية: **لدلالة السياق** عليه، أي أن تتركوا دون جهاد، أي أن تتركوا في دعة بعد فتح مكة.

والمعنى: كيف تحسبون أن تتركوا، أي لا تحسبوا أن تتركوا دون جهاد لأعداء الله ورسوله.

وجملة ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم إلخ في موضع الحال من ضمير تتركوا أي لا تظنوا أن تتركوا في حال عدم تعلق علم الله بوقوع ابتدار المجاهدين للجهاد، وحصول تثاقل من تثاقلوا، وحصول ترك الجهاد من التاركين.

ولما حرف للنفي، وهي أخت (لم) . وقد تقدم بيانها، والفرق بينها وبين (لم) عند قوله تعالى: ولما يأتكم مثل الذين خلوا من قبلكم [البقرة: ٢١٤] وقوله تعالى:

ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم ويعلم الصابرين في سورة آل عمران [١٤٢] .

ومعنى علم الله بالذين جاهدوا: علمه بوقوع ذلك منهم وحصول امتثالهم، وهو من تعلق العلم الإلهي بالأمور الواقعة، وهو أخص من علمه تعالى الأزلي بأن الشيء يقع أو لا يقع، ويجدر أن يوصف بالتعلق التنجيزي وقد تقدم شيء من ذلك عند قوله تعالى:

ولما يعلم الله الذين جاهدوا منكم في سورة آل عمران." (٢)

"أو تنزيلا للفعل منزلة اللازم لأن المقصود المنذر به وهو البأس الشديد تهويلا له ولتهديد المشركين المنكرين إنزال القرآن من الله.

والبأس: الشدة في الألم. ويطلق على القوة في الحرب لأنها تؤلم العدو. وقد تقدم في قوله تعالى: والصابرين في البأساء والضراء

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٨٣/١٠

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٣٨/١٠

وحين البأس من سورة البقرة [١٧٧] .

والمراد هنا: شدة الحال في الحياة الدنيا، وذلك هو الذي أطلق على اسم البأس في القرآن، وعليه درج الطبري. وهذا إيماء بالتهديد للمشركين بما سيلقونه من القتل والأسر بأيدي المسلمين، وذلك بأس من لدنه تعالى لأنه بتقديره وبأمره عباده أن يفعلوه، فاستعمال (لدن) هنا في معنييه الحقيقي والمجازي.

وليس في جعل الإنذار ببأس الدنيا علة لإنزال الكتاب ما يقتضي اقتصار علل إنزاله على ذلك، لأن الفعل الواحد قد تكون له علل كثيرة يذكر بعضها ويترك بعض.

وإنما آثرت الحمل على جعل اليأس الشديد بأس الدنيا للنقصي مما يرد على إعادة فعل وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا [الكهف: ٤] كما سيأتي.

ويجوز أن يراد بالبأس عذاب الآخرة فإنه بأس شديد، ويكون قوله: من لدنه

مستعملا في حقيقته. وبهذا الوجه فسر جمهور المفسرين.

ويجوز أن يراد بالبأس الشديد ما يشمل بأس عذاب الآخرة وبأس عذاب الدنيا، وعلى هذا درج ابن عطية والقرطبي، ويكون استعمال من لدنه في معنييه الحقيقي والمجازي، أما في عذاب الآخرة فظاهر، وأما في عذاب الدنيا فلأن بعضه بالقتل والأسر وهما من أفعال الناس ولكن الله أمر المسلمين بهما فهما من لدنه.

وحذف مفعول لينذر **لدلالة السياق** عليه لظهور أنه ينذر الذين لم يؤمنوا بهذا الكتاب ولا بالمنزل عليه، ولدلالة مقابله عليه في قوله: ويبشر المؤمنين.." (١)

"ولا تعبأ بما يحصل مع ذلك من الغيظ أو الحقد. وذلك أن

المشركين كانوا يقولون للنبيء صلى الله عليه وسلم: «لو كففت عن شتم آلهتنا وآبائنا وتسفيه آرائنا لاتبعناك» .

ويجوز أن تكون الفاء للتفريع على وعيد الكافرين بقوله: لقد أحصاهم وعدهم عدا وكلهم آتيه يوم القيامة فردا [مريم: ٩٤، ٩٥] . ووعد المؤمنين بقوله: إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا [مريم: ٩٦] . والمفرع هو مضمون لتبشر به إلخ وتنذر به إلخ، أي ذلك أثر الإعراض عما جئت به من النذارة، وأثر الإقبال على ما جئت به من البشارة مما يسرناه بلسانك فإنا ما أنزلناه عليك إلا لذلك.

وضمير الغائب عائد إلى القرآن **بدلالة السياق** مثل: حتى توارت بالحجاب [ص:

٣٢] . وبذلك علم أن التيسير تسهيل قراءة القرآن. وهذا إدماج للثناء على القرآن بأنه ميسر للقراءة، كقوله تعالى: ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر [القمر: ٣٢] .

واللسان: اللغة، أي بلغتك، وهي العربية، كقوله: وإنه لتنزيل رب العالمين نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين بلسان عربي مبين [الشعراء: ١٩٢- ١٩٥] فإن نزول القرآن بأفضل اللغات وأفصحها هو من أسباب فضله على غيره من الكتب وتسهيل حفظه ما لم يسهل مثله لغيره من الكتب.

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٤٩/١٥

والباء للسببية أو المصاحبة.

وعبر عن الكفار بقوم لد ذما لهم بأنهم أهل إيغال في المراء والمكابرة، أي أهل تصميم على باطلهم، فاللد: جمع ألد، وهو الأقوى في اللدد، وهو الإباية من الاعتراف بالحق.

وفي الحديث." (١)

"أسماء الموصولات للاهتمام بكل صلة من صلاتها فلا تذكر تبعا بالعطف. والمقصود الفريق الذين اتصفوا بصلة من هذه الصلات. و (من) في قوله من خشية ربهم للتعليل.

والإشفاق: توقع المكروه وتقدم عند قوله تعالى: وهم من خشيته مشفقون في سورة الأنبياء [٢٨] . وقد حذف المتوقع منه لظهور أنه هو الذي كان الإشفاق بسبب خشيته، أي يتوقعون غضبه وعقابه.

والمراد بالآيات الدلائل التي تضمنها القرآن ومنها إعجاز القرآن. والمعنى: أنهم لخشية ربهم يخافون عقابه، فحذف متعلق مشفقون لدلالة السياق عليه.

وتقديم المجرورات الثلاثة على عواملها للرعاية على الفواصل مع الاهتمام بمضمونها.

ومعنى: يؤتون ما آتوا يعطون الأموال صدقات وصلات ونفقات في سبيل الله.

قال تعالى: وآتى المال على حبه ذوي القربى [البقرة: ١٧٧] الآية وقال: وويل للمشركين الذين لا يؤتون الزكاة [فصلت: ٦، ٧] . واستعمال الإيتاء في إعطاء المال شائع في القرآن متعين أنه المراد هنا.

وإنما عبر ب ما آتوا دون الصدقات أو الأموال ليعم كل أصناف العطاء المطلوب شرعا وليعم القليل والكثير، فلعل بعض المؤمنين ليس له من المال ما تجب فيه الزكاة وهو يعطي مما يكسب.

وجملة وقلوبهم وجلة في موضع الحال وحق الحال إذا جاءت بعد جمل متعاطفة أن تعود إلى جميع الجمل التي قبلها، أي يفعلون ما ذكر من الأعمال الصالحة بقلوبهم وجوارحهم وهم مضمرون وجلا وخوفا من ربهم أن يرجعوا إليه فلا يجدونه راضيا عنهم، أو لا يجدون ما يجده غيرهم ممن يفوقهم في الصالحات، فهم لذلك يسارعون في الخيرات ويكثرون منها ما استطاعوا وكذلك كان شأن المسلمين الأولين.

وفي الحديث «أن أهل." (٢)

"و (من) هذه وإن كانت من صيغ العموم فالضمائر المذكورة عائدة إليها بتخصيص عمومها ببعض من في الأرض وهم الذين يزعمون أنهم يعلمون الغيب من الكهان والعرافين وسدنة الأصنام الذين يستقسمون للناس بالأزلام، وهو تخصيص لفظي من دلالة السياق وهو من قسم المخصص المنفصل اللفظي. والخلاف الواقع بين علماء الأصول في اعتبار عود الضمير إلى بعض أفراد العام مخصصا للعموم يقرب من أن يكون خلافا لفظيا. ومنه قوله تعالى وبعولتهن أحق بردهن [البقرة: ٢٢٨] فإن ضمير بعولتهن عائد إلى المطلقات الرجعيات من قوله تعالى والمطلقات يتربصن بأنفسهن [البقرة:

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٧٦/١٦

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٧٧/١٨

٢٢٨] الذي هو عام للرجعيات وغيرهن.
وبهذا تعلم أن التعبير ب الذين كفروا [النمل: ٦٧] هنا ليس من الإظهار في مقام الإضمار لأن الذين كفروا أعم من ما صدق (من) في قوله لا يعلم من في السماوات والأرض الغيب.
[٦٧- ٦٨]

[سورة النمل (٢٧) : الآيات ٦٧ إلى ٦٨]
وقال الذين كفروا أإذا كنا ترابا وآباؤنا أإنا لمخرجون (٦٧) لقد وعدنا هذا نحن وآباؤنا من قبل إن هذا إلا أساطير الأولين (٦٨)
أعقب وصف عماية الزاعمين علم الغيب بذكر شبهتهم التي أرتهم البعث مستحيل الوقوع، ولذلك أسند القول هنا إلى جميع الذين كفروا دون خصوص الذين يزعمون علم الغيب، ولذلك عطفت الجملة لأنها غايرت التي قبلها بأنها أعم.
والتعبير عنهم باسم الموصول لما في الموصول من الإيماء إلى علة قولهم هذه المقالة وهي ما أفادته الصلة من كونهم كافرين فكأنه قيل وقالوا بكفرهم أإذا كنا ترابا..
إلى آخره استفهاما بمعنى الإنكار.
أتوا بالإنكار في صورة الاستفهام لتجهيل معتقد ذلك وتعجيزه عن الجواب بزعمهم.
والتأكيد ب إن لمجاراة كلام المردود عليه بالإنكار. والتأكيد تهكم.." (١)
"والاستثناء بقوله إلا أن تفعلوا إلى أوليائكم معروفا منقطع، وإلا بمعنى (لكن) لأن ما بعد إلا ليس من جنس ما قبلها فإن الأولوية التي أثبتت لأولي الأرحام أولوية خاصة وهي أولوية الميراث **بدلالة السياق** دون أولوية حسن المعاشرة وبذل المعروف. وهذا استدراك على ما قد يتوهم من قطع الانتفاع بأموال الأولياء عن أصحاب الولاية بالإخاء والحلف فبين أن الذي أبطل ونسخ هو انتفاع الإرث وبقي حكم المواساة وإسداء المعروف بمثل الإنفاق والإهداء والإيصاء.
وجملة كان ذلك في الكتاب مسطورا تذييل لهذه الأحكام وخاتمة لها مؤذنة بانتهاء الغرض من الأحكام التي شرعت من قوله ادعوهم لآبائهم [الأحزاب: ٥] إلى هنا،
فالإشارة بقوله ذلك إلى المذكور من الأحكام المشروعة فكان هذا التذييل أعم مما اقتضاه قوله بعضهم أولى ببعض في كتاب الله. وبهذا الاعتبار لم يكن تكريرا له ولكنه يتضمنه ويتضمن غيره فيفيد تقريره وتوكيده تبعا وهذا شأن التذييلات.
والتعريف في الكتاب للعهد، أي: كتاب الله، أي: ما كتبه على الناس وفرضه كقوله كتاب الله عليكم [النساء: ٢٤] ، فاستعير الكتاب للتشريع بجامع ثبوته وضبطه التغيير والتناسي، كما قال الحارث بن حلزة:
حذر الجور والتطاخي وهل ين ... قض ما في المهارق الأهواء
ومعنى هذا مثل قوله تعالى: وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض في كتاب الله في سورة الأنفال [٧٥] . فالكتاب: استعارة

---
(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٠/ ٢٤

مكنية وحرف الظرفية ترسيخ للاستعارة.
والمسطور: المكتوب في سطور، وهو ترشيح أيضا للاستعارة وفيه تخييل للمكنية.
وفعل كان في قوله كان ذلك لتقوية ثبوته في الكتاب مسطورا، لأن كان إذا لم يقصد بها أن اسمها اتصف بخبرها في الزمن الماضي كانت للتأكيد غالبا مثل وكان الله غفورا رحيما [الأحزاب: ٤] أي: لم يزل كذلك.." (١)
"الثناء على المؤمنين إثر وعيد المشركين وذمهم، وهذه الجملة فيها بيان التفاوت بين مرتبة المؤمنين وحال المشركين، فإن الحسنة اسم منقول من الصفة فتلمح الصفة مقارن له، فالحسنة حالة المؤمنين والسيئة حالة المشركين، فيكون المعنى كمعنى آيات كثيرة من هذا القبيل مثل قوله تعالى: وما يستوي الأعمى والبصير والذين آمنوا وعملوا الصالحات ولا المسيء [غافر: ٥٨] ، فعطف هذه الجملة على التي قبلها على هذا الاعتبار يكون من عطف الجمل التي يجمعها غرض واحد وليس من عطف غرض على غرض. ويجوز أن تكون عطفا على جملة وقال الذين كفروا لا تسمعوا لهذا القرآن والغوا فيه لعلكم تغلبون [فصلت: ٢٦] الواقعة بعد جملة وقالوا قلوبنا في أكنة مما تدعونا إليه [فصلت: ٥] إلى قوله: فاعمل إننا عاملون [فصلت: ٥] فإن ذلك مثير في نفس النبيء صلى الله عليه وسلم الضجر من إصرار الكافرين على كفرهم وعدم التأثر بدعوة النبيء صلى الله عليه وسلم إلى الحق فهو بحال من تضيق طاقة صبره على سفاهة أولئك الكافرين، فأردف الله ما تقدم بما يدفع هذا الضيق عن نفسه بقوله: ولا تستوي الحسنة ولا السيئة الآية.
فالحسنة تعم جميع أفراد جنسها وأولاها تبادرا إلى الأذهان حسنة الدعوة إلى الإسلام لما فيها من جم المنافع في الآخرة والدنيا، وتشمل صفة الصفح عن الجفاء الذي يلقى به المشركون دعوة الإسلام لأن الصفح من الإحسان، وفيه ترك ما يثير حميتهم لدينهم ويقرب لين نفوس ذوي النفوس اللينة. فالعطف على هذا من عطف غرض على غرض، وهو الذي يعبر عنه بعطف القصة على القصة، وهي تمهيد وتوطئة لقوله عقبها ادفع بالتي هي أحسن الآية.
وقد علمت غير مرة أن نفي الاستواء ونحوه بين شيئين يراد به غالبا تفضيل أحدهما على مقابله بحسب **دلالة السياق** كقوله تعالى: أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا لا يستوون [السجدة: ١٨] . وقول الأعشى:
ما يجعل الجد الضنون الذي ... جنب صوب اللجب الماطر

مثل الفراتي إذا ما طما ... يقذف بالبوصي والماهر." (٢)
"ومتعلق فعل أعرض محذوف **لدلالة السياق** عليه، والتقدير: أعرض عن دعائنا.
والنأي: البعد، وهو هنا مستعار لعدم التفكر في المنعم عليه، فشبه عدم اشتغاله بذلك بالبعد. والجانب للإنسان: منتهى جسمه من إحدى الجهتين اللتين ليستا قبالة وجهه وظهره، ويسمى الشق، والعطف بكسر العين. والباء للتعدية. والمعنى: أبعد جانبه، كناية عن إبعاد نفسه، أي ولى معرضا غير ملتفت بوجهه إلى الشيء الذي ابتعد هو عنه.

---
(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢١/٢٧٢
(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٤/٢٩٠

ومعنى مسه الشر أصابه شر بسبب عادي. وعدل عن إسناد إصابة الشر إلى الله تعليما للأدب مع الله كما قال إبراهيم الذي خلقني فهو يهدين [الشعراء: ٧٨] إلخ. ثم قال: وإذا مرضت فهو يشفين [الشعراء: ٨٠] فلم يقل: وإذا أمرضني، وفي ذلك سر وهو أن النعم والخير مسخران للإنسان في أصل وضع خلقته فهما الغالبان عليه لأنهما من مظاهر ناموس بقاء النوع. وأما الشرور والأضرار فإن معظمها ينجر إلى الإنسان بسوء تصرفه وبتعرضه إلى ما حذرته منه الشرائع والحكماء الملهمون فقلما يقع فيهما الإنسان إلا بعلمه وجرأته.

والدعاء: الدعاء لله بكشف الشر عنه. ووصفه بالعريض استعارة لأن العرض- بفتح العين- ضد الطول، والشيء العريض هو المتسع مساحة العرض، فشبه الدعاء المتكرر الملح فيه بالثوب أو المكان العريض. وعدل عن أن يقال: فداع، إلى فذو دعاء لما تشعر به كلمة ذو من ملازمة الدعاء له وتملكه منه.

والدعاء إلى الله من شيم المؤمنين وهم متفاوتون في الإكثار منه والإقلال على تفاوت ملاحظة الحقائق الإلهية. وتوجه المشركين إلى الله بالدعاء هو أقوال تجري على ألسنتهم توارثوها من عادات سالفة من أزمان تدينهم بالحنيفية قبل أن تدخل عليهم عبادة الأصنام وتتأصل فيهم فإذا دعوا الله غفلوا عن منافاة أقوالهم لعقائد شركهم.." (١)

"الوجه الثاني: أنهم أرادوا إنكار أن يوتى أحد النبوة كما أوتيها أنبياء بني إسرائيل فيكون الكلام استفهاما إنكاريا حذفت منه أداة الاستفهام **لدلالة السياق** ويؤيده قراءة ابن كثير قوله: أن يؤتى أحد بهمزتين.

وأما قوله: أو يحاجوكم عند ربكم فحرف (أو) فيه للتقسيم مثل ولا تطع منهم آثما أو كفورا [الإنسان: ٢٤] (أو) معطوف على النفي، أو على الاستفهام الإنكاري: على اختلاف التقديرين، والمعنى: ولا يحاجوكم عند ربكم- أو- وكيف يحاجونكم عند ربكم، أي لا حجة لهم عليكم عند الله.

وواو الجمع في يحاجوكم ضمير عائد إلى (أحد) لدلالته على العموم في سياق النفي أو الإنكار.

وفائدة الاعتراض في أثناء كلامهم المبادرة بما يفيد ضلالهم لأن الله حرمهم التوفيق.

الاحتمال الثاني أن تكون الجملة مما أمر النبيء صلى الله عليه وسلم بأن يقوله لهم بقية لقوله: «إن الهدى هدى الله» .

والكلام على هذا رد على قولهم: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار- وقولهم- ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم على طريقة اللف والنشر المعكوس، فقوله:

أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم إبطال لقولهم: ولا تؤمنوا إلا لمن تبع دينكم أي قلتم ذلك حسدا من أن يؤتى أحد مثل ما أوتيتم وقوله: أو يحاجوكم رد لقولهم: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا وجه النهار واكفروا آخره على طريقة التهكم، أي مرادكم التنصل من أن يحاجوكم أي الذين آمنوا عند الله يوم القيامة، فجمعتم بين الإيمان بما آمن به المسلمون، حتى إذا كان لهم الفوز يوم القيامة لا يحاجونكم عند الله بأنكم كافرون، وإذا كان الفوز لكم كنتم قد أخذتم بالحزم إذ لم تبطلوا دين اليهودية، وعلى هذا فواو الجماعة في قوله: أو يحاجوكم عائد إلى الذين آمنوا. وهذا الاحتمال أنسب نظما بقوله تعالى: قل

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٥/٢٥

إن الفضل بيد الله، ليكون لكل كلام حكي عنهم تلقين جواب عنه:

فجواب قولهم: آمنوا بالذي أنزل على الذين آمنوا الآية، قوله: قل إن الهدى هدى الله. وجواب قولهم: ولا تؤمنوا إلخ قوله: قل إن الفضل بيد الله." (١)

"حرضوا قومهم على غزو العدو، وعليه يكون قوله: أنعم الله عليهما أن الله أنعم عليهما بالشجاعة، فحذف متعلق فعل «أنعم» اكتفاء **بدلالة السياق** عليه. ويجوز أن يكون المراد بالخوف الخوف من الله تعالى، أي كان قولهما لقومهما «ادخلوا عليهم الباب» ناشئا عن خوفهما الله تعالى، فيكون تعريضا بأن الذين عصوهما لا يخافون الله تعالى، ويكون قوله: أنعم الله عليهما استئنافا بيانيا لبيان منشأ خوفهما الله تعالى، أي الخوف من الله نعمة منه عليهما. وهذا يقتضي أن الشجاعة في نصر الدين نعمة من الله على صاحبها.

ومعنى أنعم الله عليهما أنعم عليهما بسلب الخوف من نفوسهم وبمعرفة الحقيقة.

والباب يجوز أن يراد به مدخل الأرض المقدسة، أي المسالك التي يسلك منها إلى أرض كنعان، وهو الثغر والمضيق الذي يسلك منه إلى منزل القبيلة يكون بين جبلين وعرين، إذ ليس في الأرض المأمورين بدخولها مدينة بل أرض لقوله: ادخلوا الأرض المقدسة، فأرادا: فإذا اجتزتم الثغر ووطئتم أرض الأعداء غلبتموهم في قتالهم في ديارهم. وقد يسمى الثغر البحري بابا أيضا، مثل باب المندب، وسموا موضعا بجهة بخارى الباب. وحمل المفسرون الباب على المشهور المتعارف، وهو باب البلد الذي في سوره، فقالوا: أرادا باب قريتهم، أي لأن فتح مدينة الأرض يعد ملكا لجميع تلك الأرض. والظاهر أن هذه القرية هي (أريحا) أو (قادش) حاضرة العمالقة يومئذ، وهي المذكورة في سورة البقرة. والباب بهذا المعنى هو دفة عظيمة متخذة من ألواح توصل بجزأي جدار أو سور بكيفية تسمح لأن يكون ذلك اللوح سادا لتلك الفرجة متى أريد سدها وبأن تفتح عند إرادة فتحها فيسمى السد به غلقا وإزالة السد فتحا.

وبعد أن أمرا القوم باتخاذ الأسباب والوسائل أمراهم بالتوكل على الله والاعتماد على وعده ونصره وخبر رسوله، ولذلك ذيلا بقولهما: إن كنتم مؤمنين، لأن الشك في صدق الرسول مبطل للإيمان.." (٢)

"مقصود هنا لشمول اللفظ إياه، **ولدلالة السياق** عليه بتكرير الامتنان والأمر باللباس: ابتداء من قوله: ليبدي لهما ما ووري عنهما من سوآتهما [الأعراف: ٢٠] إلى هنا.

ومعنى: عند كل مسجد عند كل مكان متخذ لعبادة الله تعالى، واسم المسجد منقول في الإسلام للمكان المعين المحدود المتخذ للصلاة وتقدم عند قوله تعالى: ولا يجرمنكم شنآن قوم أن صدوكم عن المسجد الحرام في سورة العقود [٢] ، فالشعائر التي يوقعون فيها أعمالا من الحج كلها مساجد، ولم يكن لهم مساجد غير شعائر الحج، فذكر المساجد في الآية يعين أن المراد إقامة الوجوه عند التوجه إلى الله في الحج بأن لا يشركوا مع الله في ذلك غيره من أصنامهم بالنية، كما كانوا وضعوا (هبل) على سطح الكعبة ليكون الطواف بالكعبة لله ولهبل، ووضعوا (إسافا ونائلة) على الصفا والمروة ليكون السعي لله

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٢٨٢/٣

(٢) التحرير والتنوير ابن عاشور ١٦٥/٦

وهما. وكان فريق منهم يهلون إلى (مناة) عند (المشلل) ، فالأمر بإقامة الوجوه عند المساجد كلها أمر بالتزام التوحيد وكمال الحال في شعائر الحج كلها، فهذه مناسبة عطف قوله: وأقيموا وجوهكم عند كل مسجد عقب إنكار أن يأمر الله بالفحشاء من أحوالهم، وإثبات أنه أمر بالقسط مما يضادها. وهذا الأمر وإن كان المقصود به المشركين لأنهم المتصفون بضده، فللمؤمنين منه حظ الدوام عليه، كما كان للمشركين حظ الإعراض عنه والتفريط فيه.

والدعاء في قوله: وادعوه مخلصين له الدين بمعنى العبادة أي اعبدوه كقوله:

إن الذين تدعون من دون الله [الأعراف: ١٩٤] . والإخلاص تمحيض الشيء من مخالطة

غيره. والدين بمعنى الطاعة من قولهم دنت لفلان أي أطعته.." (١)

"وجعلت الرحمة بمنزلة الآلة للنيل كما يقال: نال الثمرة بمحجن. فالباء للآلة. أو جعلت الرحمة ملابسة للنيل فالباء للملابسة. والنيل هنا استعارة، وقد عمدوا إلى هذا الكلام المقدر فنفوه فقالوا: لا ينالهم الله برحمة.

وهذا النظم الذين حكي به قسمهم يؤذن بتهكمهم بضعفاء المؤمنين في الدنيا، وقد أغفل المفسرون تفسير هذه الآية بحسب نظمها.

وجملة: ادخلوا الجنة قيل مقول قول محذوف اختصارا **لدلالة السياق** عليه، وحذف القول في مثله كثير ولا سيما إذا كان المقول جملة إنشائية، والتقدير: قال لهم الله ادخلوا الجنة فكذب الله قسمكم وخيب ظنكم، وهذا كله من كلام أصحاب الأعراف، والأظهر أن يكون الأمر في قوله: ادخلوا الجنة للدعاء لأن المشار إليهم بهؤلاء هم أناس من أهل الجنة، لأن ذلك الحين قد استقر فيه أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار، كما تقتضيه الآيات السابقة من قوله: ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم- إلى قوله- القوم الظالمين [الأعراف: ٤٦، ٤٧] فلذلك يتعين جعل الأمر للدعاء كما في قول المعري:

ابق في نعمة بقاء الدهور ... نافذا لحكم في جميع الأمور

وإذ قد كان الدخول حاصلا فالدعاء به لإرادة الدوام كما يقول الداعي على الخارج: اخرج غير مأسوف عليك، ومنه قوله تعالى: وقال ادخلوا مصر إن شاء الله آمنين.

ورفع خوف مع (لا) لأن أسماء أجناس المعاني التي ليست لها أفراد في الخارج يستوي في نفيها بلا الرفع والفتح، كما تقدم عند قوله تعالى: فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون [الأعراف: ٣٥] .

[٥٠، ٥١]

[سورة الأعراف (٧) : الآيات ٥٠ الى ٥١]

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا فاليوم ننساهم كما نسوا لقاء يومهم هذا وما كانوا بآياتنا يجحدون (٥١)

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٨-ب/٨٨

ونادى أصحاب النار أصحاب الجنة أن أفيضوا علينا من الماء أو مما رزقكم الله قالوا إن الله حرمهما على الكافرين (٥٠) الذين اتخذوا دينهم لهوا ولعبا وغرتهم الحياة الدنيا.." [١]

"[سورة الصافات (٣٧) : الآيات ٧٥ الى ٨٢]

ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون (٧٥) ونجيناه وأهله من الكرب العظيم (٧٦) وجعلنا ذريته هم الباقين (٧٧) وتركنا عليه في الآخرين (٧٨) سلام على نوح في العالمين (٧٩)

إنا كذلك نجزي المحسنين (٨٠) إنه من عبادنا المؤمنين (٨١) ثم أغرقنا الآخرين (٨٢)

الإعراب:

(ولقد نادانا نوح فلنعم المجيبون) كلام مستأنف مسوق للشروع في تفصيل ما أجمل فيما سبق. واللام جواب للقسم المحذوف وقد حرف تحقيق ونادانا نوح فعل ومفعول به مقدم وفاعل مؤخر، والفاء عاطفة واللام جواب قسم محذوف وجواب كل من القسين محذوف، **لدلالة السياق** عليه والتقدير والله لقد نادانا نوح لما يئس من إيمان قومه بعد أن استنزف ألف سنة إلا خمسين عاما بين أظهرهم فلم يزدادوا إلا عتوا واستكبارا ونفورا فأجبناه أحسن إجابة فو الله لنعم المجيبون نحن. ونعم فعل ماض جامد لإنشاء المدح والمجيبون فاعل نعم والمخصوص بالمدح محذوف تقديره نحن وهذه هي الأولى من قصص ست ستأتي تباعا.

(ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) الواو عاطفة ونجيناه فعل وفاعل ومفعول به وأهله عطف على الهاء أو مفعول معه ومن الكرب جار ومجرور متعلقان بنجيناه العظيم نعت للكرب. (وجعلنا ذريته هم الباقين) وجعلنا عطف على نجيناه وذريته مفعول به وهم ضمير." [٢]

"(ج) سبق وجوب، كقوله تعالى: اركعوا واسجدوا الحج: ٧٧.

(د) سبق تنزيه، كقوله تعالى: آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه البقرة: ٢٨٠، فبدأ بالرسول قبل المؤمنين، ثم بدأ بالإيمان بالله، لأنه قد يحصل بدليل العقل، والعقل سابق فى الوجود على الشرع.

٢- بالذات، كقوله تعالى: سيقولون ثلاثة رابعهم كلبهم الكهف: ٢٢ وكذلك جميع الأعداد، كل مرتبة هى متقدمة على ما فوقها بالذات.

٣- بالعلة والسببية، كقوله تعالى: إياك نعبد وإياك نستعين الفاتحة: ٥، قدمت العبادة لأنها سبب حصول الإعانة.

٤- بالمرتبة، كقوله تعالى: غفور رحيم البقرة: ١٧٣، فإن المغفرة سلامة والرحمة غنيمة، والسلامة مطلوبة قبل الغنيمة.

٥- بالداعية، كتقدم الأمر بغض الأبصار على حفظ الفروج، كقوله تعالى: قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم ويحفظوا فروجهم النور: ٣٠، لأن البصر داعية إلى الفرج، بقوله صلى الله عليه وسلم: «العينان تزنيان والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»

---

(١) التحرير والتنوير ابن عاشور ٨-ب/١٤٧

(٢) إعراب القرآن وبيانه محيي الدين درويش ٢٨٤/٨

.

٦- التعظيم، كقوله تعالى: ومن يطع الله والرسول النساء: ٦٩.

٧- الشرف، كقوله تعالى: إن المسلمين والمسلمات الأحزاب: ٣٥، لشرف الذكورة. والشرف أنواع: شرف الحرية، شرف الفعل، شرف الإيمان، شرف العلم، شرف الحياة، شرف المعلوم، شرف الإدراك، شرف المحازاة، شرف العموم، شرف الإباحة، الشرف بالفضيلة، وكل هذا له شواهده من القرآن الكريم.

٨- الغلبة والكثرة، كقوله تعالى: فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله فاطر: ٣٢، قدم الظالم لكثرته، ثم المقتصد، ثم السابق.

٩- سبق ما يقتضى تقديمه، وهو **دلالة السياق**، كقوله تعالى: ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون النحل: ٦، لما كان إسراحها وهى خماص." (١)

"المنصوب أي المعين، قال تعالى: أم لهم نصيب من الملك، نصيبا من الكتاب، فإذا فرغت فانصب."

"والراغب" يلتفت إلى ما في معنى النصب من الشخوص. ونؤثر أن نلتفت إلى ما فيه كذلك من معنى الجهد والتعب، مستأنسين بكل الآيات التي ورد فيها "النصب" حيث لا نخطئ فيها جميعا معنى الجهد والتعب. وبالتعب فسرها النيسابورى والشيخ محمد عبده. وبالإجتهاد والمتابعة والمواصلى فسرها الزمخشري.

والآية لم تحدد مم يكون هذا الفراغ وفيم يكون النصب، إكتفاء **بدلالة السياق**، وجريا على مألوف البيان القرآني في السكوت عن التحديد في مقام الإطلاق. لكن المفسرين، على عادتهم، أبوا إلا أن يحددوا متعلق الفراغ والنصب، وقد جاءوا بأقوال منها:

* إذا فرغت من صلاتك فانصب إلى ربك في الدعاء وقضاء حاجاتك.

* إذا فرغت من جهاد عدوك فانصب في عبادة ربك.

* إذا فرغت من أمر الدنيا فانص، أي فصل.

وقد سرد الطبري هذه الأقوال الثلاثة، ثم عقب عليها بقوله: "وأولى الأقوال في ذلك بالصواب، قول من قال إن الله تعالى أمر نبيه أن يجعل فراغه من كل ما كان مشتغلا به من أمر دنياه وآخرته (؟) إلى النصب في عبادته. ولم يخصص بذلك حالا من أحوال فراغه جون حال، فسواء كل أحوال فراغه من صلاة أو جهاد أو أمر دنيا كان به مشتغلا، لعموم الشرط في ذلك، من غير خصوصحال فراغ دون حال أخرى"

واختار الزمخشري: "فإذا فرغت من عبادة فأتبعها أخرى" وهو ما في تفسير الشيخ محمد عبده، مع مزيد تفصيل وإطناب.." (٢)

---

(١) الموسوعة القرآنية   إبراهيم الإبياري ٣/٥٣

(٢) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ١/٧٤

"ولا في الأرض ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾ .

ومظنة الخفاء، لضآلة الحجم، أقرب فيهما كذلك إلى **دلالة السياق**. على حين تتعين دلالة ﴿مثقال ذرة﴾ على خفة الوزن في الآيات الأربع التالية:

النساء ٤٠ : ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ .

سبأ ٢٢ : ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله لا يملكون مثقال ذرة في السماوات ولا في الأرض﴾ .

وآيتي الزلزلة.

زراضح أن المقصود بالذرة فيهما خفة الوزن، وقد حاول محاولون أن يعينوا مقدار الذرة على وجه التحديد: ففي (لسان العرب) عن ثعلب: "إن مائة منها، وزن حبة شعير".

وقال أبو حيان في (البحر) : إنها النملة الصغيرة، حمراء رقيقة.

وفي (الكشاف) : "قيل هي النملة الصغيرة، وقيا: الذر ما يرى في شعاع الشمس من الهباء".

ومثله في تفسير جزء عم للشيخ محمد عبده.

الأقوال قريبة، ولا شيء منها بموضع إنكار كالذي جاء به محدثون من بدع التفسير العصري، فذهبوا إلى أنه الذرة التي أكتشف العلم سرها في القرن العشرين!!

وقد نرى أن تحديد المفسرين للذرة، ليس مراد القرآن ولا هو من مألوف بيانه والعربية قد عرفت الذر في كل ما يمثل الضآلة والصغر وخفة الوزن، تقول: ذررت الملح والدقيق والفتات، نشرته بأطراف الأصابع. والذر الهباء يرى في شعاع الشمس، وبولغ في وصف تناثر النمل الصغير المنبث فقيل: ذر. وفي (لسان العرب) نص صريح على أن "الذرة ليس لها وزن" لفرط صغرها وخفتها.

ونؤثر أن نفهمها بحس العربية على هدى البيان القرآني، دون تكلف لتقدير الأوزان والأحجام والألوان. وما فهم العرب، الذين بعث فيهم رسول." (١)

"الذي يحمل دلالة الاستدفاء، وإنما هو الصلى بمعنى الشي والتعذيب باللهب المستعر في الجحيم.

* * *

والشقاء لغة نقيض السعادة. وأصل استعماله في الشدة والعسر، والشاقى من الجبال الحاد الميل الطويل.

وحين تستعمل العربية الشقاء في التعب، فإن ذلك يكون بملحظ من الشدة والعسر، دون أن يترادف الشقاء والتعب، وهو ما نبه إليه "الراغب" بقوله في المفردات: كل شقاوة تعب، وليس كل تعب شقاوة.

ويأتي الشقاء في الاستعمال القرآني خاصا بمحنة الضلال، إما بصريح اللفظ كما في آيتي:

﴿فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يشقى﴾ (طه ١٢٣)

﴿قالوا ربنا غلبت علينا شقوتنا وكنا قوما ضالين﴾ (المؤمنون ١٠٦)

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٩٧/١

وإما **بدلالة السياق** كما في الآيتين:

﴿يوم يأت لا تكلم نفس إلا بإذنه فمنهم شقي وسعيد (١٠٥) فأما الذين شقوا ففي النار لهم فيها زفير وشهيق﴾ (هود ١٠٥، ١٠٦)

وليس بعيدا من معنى الضلال، عصيان أمر الله، في قوله تعالى خطابا لآدم وزوجه:

﴿فلا يخرجنكما من الجنة فتشقى﴾ وآيات مريم:

﴿ولم أكن بدعائك رب شقيا﴾

﴿ولم يجعلني جبارا شقيا﴾ .

﴿عسى ألا أكون بدعاء ربي شقيا﴾ .

وجاءت صيغة "أشقى" في ثلاث آيات، آية الشمس:

﴿كذبت ثمود بطغواها (١١) إذ انبعث أشقاها﴾ .

والإضافة تقيده بالمضاف إليه، فهو أشقى ثمود وأضلها وأطغاها.

والأشقى، معرفة بأل، في آيتي الأعلى والليل، والسياق فيهما متشابه، وعدم." (١)

"طل – والجملة جواب الشرط؛ والمعنى: فإن لم يصبها المطر الشديد أصابها طل – وهو المطر الخفيف، ويكفيها عن المطر الكثير؛ لأنها في أرض خصبة مرتفعة بينة للشمس، والهواء؛ والمثل منطبق: فقد شبه هذا الذي ينفق ماله ابتغاء مرضات الله، وتثبيتا من نفسه بهذه الجنة.

وهل المشبه نفس الرجل أو النفقة؟ الجواب: المشبه هو النفقة؛ ولهذا قال بعضهم: إن التقدير: «مثل إنفاق الذين ينفقون أموالهم كمثل جنة» ؛ ويحتمل أن التقدير: «كمثل صاحب جنة» ؛ فيكون المشبه «المنفق» لا «الإنفاق» ؛ وقال بعضهم: لا حاجة إلى التقدير للعلم به من السياق، وأن هذا من بلاغة القرآن، حيث طوى ذكر الشيء **لدلالة السياق** عليه.

قوله تعالى: ﴿والله بما تعملون بصير﴾ : قدم الجار والمجرور – وهو متعلق بـ ﴿بصير﴾ – لإفادة الحصر، ومراعاة الفواصل؛ والحصر هنا إضافي للتهديد؛ لأن الله بصير بما نعمل، وبغيره.

وهل ﴿بصير﴾ هنا من البصر بالعين؛ أو من العلم؟ الجواب: كونه من العلم أحسن ليشمل ما نعمله من الأقوال؛ فإن الأقوال تسمع، ولا ترى؛ وليشمل ما في قلوبنا؛ فإن ما في قلوبنا لا يسمع، ولا يرى؛ وإنما يعلم عند الله عز وجل، كما قال تعالى: ﴿ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ما توسوس به نفسه﴾ [ق: ١٦] .

الفوائد:

---

(١) التفسير البياني للقرآن الكريم   عائشة عبد الرحمن بنت الشاطئ ٢/ ١١٤

١ – من فوائد الآية: أنه لا إنفاق نافع إلا ما كان مملوكا للإنسان؛ لقوله تعالى: ﴿أموالهم﴾ ؛ فلو أنفق مال غيره لم يقبل منه إلا أن يكون بإذن من الشارع، أو المالك.." (١)

"القسم الثالث: اختلاف اللفظ والمعنى، والآية لا تحتمل المعنيين معا للتضاد بينهما، فتحمل الآية على الأرجح منهما **بدلالة السياق** أو غيره.

مثال ذلك: قوله تعالى:) إنما حرم عليكم الميتة والدم ولحم الخنزير وما أهل به لغير الله فمن اضطر غير با غ ولا عاد فلا إثم عليه إن الله غفور رحيم) (البقرة: ١٧٣) .

قال ابن عباس: غير با غ في الميتة ولا عاد في أكله، وقيل: غير خارج على الإمام ولا عاص بسفره، والأرجح الأول، لأنه لا دليل في الآية على الثاني، ولأن المقصود بحل ما ذكر دفع الضرورة، وهي واقعة في حال الخروج على الإمام، وفي حال السفر المحرم وغير ذلك.

ومثال آخر: قوله تعالى: (وإن طلقتموهن من قبل أن تمسوهن وقد فرضتم لهن فريضة فنصف ما فرضتم إلا أن يعفون أو يعفو الذي بيده عقدة النكاح) (البقرة: الآية٢٣٧) ﴾ قال علي بن أبي طالب رضي الله عنه في الذي بيده عقدة النكاح: هو الزوج، وقال ابن عباس: هو الولي، والراجح الأول لدلالة المعنى عليه، ولأنه قد روي فيه حديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

ترجمة القرآن

الترجمة لغة: تطلق على معان ترجع إلى البيان والإيضاح

وفي الاصطلاح: التعبير عن الكلام بلغة أخرى

وترجمة القرآن: التعبير عن معناه بلغة أخرى

والترجمة نوعان:

أحدهما: ترجمة حرفية، وذلك بأن يوضع ترجمة كل كلمة بإزائها." (٢)

"والفاء في قوله– تعالى–: فمن أظلم ممن كذب على الله ... لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والاستفهام للإنكار والنفي.

---

(١) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة   ابن عثيمين ٣/٣٢٧

(٢) تفسير العثيمين: الفاتحة والبقرة   ابن عثيمين المقدمة/٣٥

أى مادام الأمر كما ذكرنا لك– أيها الرسول الكريم– من أنك ستموت وهم سيموتون، وأنكم جميعا ستقفون أمام ربكم للحساب والجزاء.. فلا أحد أشد ظلما من هؤلاء المشركين الذين كذبوا على الله، بأن عبدوا من دونه آلهة أخرى، ونسبوا إليه الشريك أو الولد، ولم يكتفوا بكل ذلك، بل كذبوا بالأمر الصدق وقت أن جئتهم به من عند ربك.

والتعبير بقوله: وكذب بالصدق إذ جاءه يدل على أنهم بادروا بتكذيب ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم من عند ربه، بمجرد أن سمعوه، ودون أن يتدبروه أو يفكروا فيه.

وتكذيبهم بالصدق، يشمل تكذيبهم للقرآن الكريم، ولكل ما جاءهم به الرسول صلى الله عليه وسلم والاستفهام في قوله– تعالى– أليس في جهنم مثوى للكافرين للتقرير.

والمثوى: المكان مأخوذ من قولهم ثوى فلان بمكان كذا، إذا أقام به. يقال: ثوى يثوى ثواء، كمضى يمضى مضاء ...

أى: أليس في جهنم مكانا يكفى لإهانة الكافرين وإذلالهم وتعذيبهم؟ بل إن فيها لمكانا يذلهم ويذوقون فيه سوء العذاب.

ثم بين– سبحانه– حسن عاقبة أهل الصدق والإيمان فقال: والذي جاء بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون.

والمراد بالذي جاء بالصدق: رسول الله صلى الله عليه وسلم والمراد بالذي صدق به: ما يشمل الرسول صلى الله عليه وسلم ويشمل كل من آمن به واتبعه فيما جاء به، كأبى بكر الصديق وغيره من الصحابة.

قال الآلوسى ما ملخصه: قوله– تعالى–: والذي جاء بالصدق وصدق به الموصول عبارة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم كما أخرجه ابن جرير وغيره عن ابن عباس ...

والمؤمنون داخلون **بدلالة السياق** وحكم التبعية، دخول الجند في قولك: نزل الأمير موضع كذا ...." (١)

"– سبحانه–: أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى، أمن يمشي سويا على صراط مستقيم.

والمكب: هو الإنسان الساقط على وجهه، يقال: كب فلان فلانا وأكبه، إذا صرعه وقلبه بأن جعل وجهه على الأرض.. فهو اسم فاعل من أكب.

وقوله: أهدى مشتق من الهدى، وهو معرفة طريق الحق والسير فيها، والمفاضلة هنا ليست مقصودة، لأن الذي يمشى مكبا على وجهه، لا شيء عنده من الهداية أو الرشد إطلاقا حتى يفاضل مع غيره، وفيه لون من التهكم بهذا المكب على وجهه.

و «السوى» هو الإنسان الشديد الاستواء والاستقامة، فهو فعيل بمعنى فاعل.

ومنه قوله– تعالى– حكاية عما قاله إبراهيم– عليه السلام– لأبيه: يا أبت إني قد جاءني من العلم ما لم يأتك فاتبعني أهدك صراطا سويا أى: مستويا.

قال الإمام ابن كثير عند تفسيره لهذه الآية: أفمن يمشي مكبا على وجهه أهدى ... :

هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر، فالكافر مثله فيما هو فيه، كمثل من يمشى مكبا على وجهه، أى: يمشى منحنيا لا مستويا على وجهه، أى: لا يدرى أين يسلك، ولا كيف يذهب، بل هو تائه حائر ضال، أهذا أهدى أمن يمشي سويا أى: منتصب القامة على صراط مستقيم أى على طريق واضح بين، وهو في نفسه مستقيم وطريقه مستقيمة.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٢٢/١٢

هذا مثلهم في الدنيا، وكذلك يكونون في الآخرة، فالمؤمن يحشر يمشى سويا على صراط مستقيم.. وأما الكافر فإنه يحشر يمشى على وجهه إلى النار..

وروى الإمام أحمد عن أنس قال: قيل يا رسول الله، كيف يحشر الناس على وجوههم؟

فقال: «أليس الذي أمشاهم على أرجلهم قادرا على أن يمشيهم على وجوههم» «١» ؟.

وقال الجمل: هذا مثل للمؤمن والكافر، حيث شبه- سبحانه- المؤمن في تمسكه بالدين الحق، ومشيه على منهاجه، بمن يمشى في الطريق المعتدل، الذي ليس فيه ما يتعثر به..

وشبه الكافر في ركوبه ومشيه على الدين الباطل، بمن يمشى في الطريق الذي فيه حفر وارتفاع وانخفاض، فيتعثر ويسقط على وجهه، وكلما تخلص من عثرة وقع في أخرى.

فالمذكور في الآية هو المشبه به، والمشبه محذوف، **لدلالة السياق** عليه.. «٢» .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٨ ص ٢٠٨.

(٢) حاشية الجمل على الجلالين ج ٤ ص ٣٨٠.." [١]

"إذا أخذه لم يفلته، ثم قرأ صلى الله عليه وسلم وكذلك أخذ ربك إذا أخذ القرى وهي ظالمة، إن أخذه أليم شديد «١» .

ثم أقام- سبحانه- الأدلة الساطعة على وحدانيته وعلى وجوب إخلاص العبادة له- تعالى- فقال: أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت....

والمراد بالقيام هنا: الحفظ والهيمنة على جميع شئون الخلق والاستفهام للإنكار، والخبر محذوف والتقدير: أفمن هو قائم أى: رقيب ومهيمن على كل نفس كائنة ما كانت، عالم بما تعمله من خير أو شر فمجازيها به كمن ليس كذلك؟

وحذف الخبر هنا وهو قولنا- كمن ليس كذلك- **لدلالة السياق** عليه، كما في قوله- تعالى-: أفمن شرح الله صدره للإسلام أى: كمن قسا قلبه.

وحسن حذف الخبر هنا لأنه مقابل للمبتدأ الذي هو من ولأن قوله- تعالى-:

وجعلوا لله شركاء يدل عليه.

والمقصود من الآية الكريمة إنكار المماثلة بين الخالق العظيم، العليم بأحوال النفوس ...

وبين تلك الأصنام التي أشركوها مع الله- تعالى- في العبادة والتي هي لا تسمع ولا تبصر، ولا تملك لنفسها- فضلا عن غيرها- نفعا ولا ضرا.

وجملة وجعلوا لله شركاء حالية، والتقدير:

أفمن هذه صفاته، وهو الله- تعالى- كمن ليس كذلك، والحال أن هؤلاء الأغبياء قد جعلوا له شركاء في العبادة وغيرها.

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٢٥/١٥

فالمقصود من هذه الجملة الكريمة، زيادة توبيخهم، وتسفيه أفكارهم وعقولهم.

وقوله- سبحانه- قل سموهم تبكيت لهم إثر تبكيت.

أى: قل لهم- أيها الرسول الكريم- سموهم شركاء إن شئتم، فإن هذه التسمية لا وجود لها في الحقيقة والواقع، ولا تخرجهم عن كونهم لا يملكون لأنفسهم- فضلا عن غيرهم- نفعا ولا ضرا، لأن الله- تعالى- واحد لا شريك له.

وهذه التسمية إنما هي من عند أنفسكم ما أنزل الله بها من سلطان، كما قال تعالى: إن هي إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم ما أنزل الله بها من سلطان «٢» .

---

(١) تفسير ابن كثير ج ٤ ص ٣٨٣.

(٢) سورة النجم الآية ٢٣.." (١)

"فيها صادقا علم تعالى ذلك منه وسهل له طرقها وهيأ له أسبابها، ومن ذلك أنه يشرح١ صدره لقبول الإيمان وأنواره فيؤمن ويسلم ويحسن فيكمل ويسعد، ومن طلب الغواية ورغب فيها صادقا علم الله تعالى ذلك منه فهيأ له أسبابها وفتح له بابها فجعل صدره ضيقا٢ حرجا لا يتسع لقبول الإيمان وحلول أنواره فيه حتى لكأنه يتكلف الصعود إلى السماء وما هو بقادر هذه سنته في الهداية والإضلال، وقوله تعالى ﴿كذلك يجعل الله الرجس على الذين لا يؤمنون﴾ أي كذلك الفعل في الهداية والإضلال يجعل الله الرجس٣ أي يلقي بكل ما لا خير فيه على قلوبهم من الكبر والحسد والشرك والكفر والشيطان لقبول المحل لكل ذلك نتيجة خلوه من الإيمان بالله ولقائه.

وقوله تعالى ﴿وهذا صراط ربك مستقيما﴾ يقول تعالى لرسوله محمد صلى الله عليه وسلم مشيرا إلى ما بينه من الهدى وهذا طريق ربك مستقيما فاسلكه والزمه فإنه يفضي بك إلى كرامة ربك وجواره في جنات النعيم. وقوله: ﴿قد فصلنا الآيات لقوم يذكرون﴾ يمتن تعالى وله الحمد والمنة بما أنعم به على هذه الأمة من تفصيل الآيات حججا وبراهين وشرائع ليهتدي طالبوا الهدى المشار إليهم بقوله ﴿لقوم يذكرون﴾ فيذكرون فيؤمنون ويعملون فيكملون ويسعدون في دار السلام إذ قال تعالى ﴿لهم٤ دار السلام عند ربهم وهو وليهم﴾ أي متوليهم بالنصر والتأييد في الدنيا والإنعام والتكريم في الآخرة ﴿بما كانوا يعملون﴾ من الصالحات.

هذا ما دلت عليه الآيات الأولى والثانية والثالثة أما الآية الرابعة (١٢٨) فقد تضمنت عرضا سريعا ليوم القيامة الذي هو ظرف للجزاء على العمل في دار الدنيا فقال تعالى: ﴿ويوم يحشرهم جميعا﴾ ٥ إنسهم وجنهم ويقول سبحانه وتعالى ﴿يا معشر الجن قد استكثرتم٦ من الإنس﴾ أي في إغوائهم وإضلالهم، ﴿وقال أولياؤهم من الإنس﴾ أي الذين كانوا

---

١ الشرح أصله التوسعة وشرح الأمر بينه وأوضحه ومنه تشريح اللحم والشريحة منه القطعة. وشرح الصدر لقبول الحق توسعته لتقبل ما يلقى إليه من الهدى وفي الحديث الصحيح "من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين".

---

(١) التفسير الوسيط لطنطاوي محمد سيد طنطاوي ٤٨٦/٧

٢ الحرج والحرج بالفتح والكسر قراءتان وهو الضيق وكل ضيق حرج والحرجة الغيضة والجمع حروج وحرجات وقال ابن عباس رضي الله عنهما: الحرج موضع الشجر الملتف فقلب الكافر لضيقه لا تصل إليه المعرفة كما لا تصل الشاة إلى الشجر الملتف أو تدخل رأسها بين الشجر فيصعب عليها إخراجه فتقع في حرج، والحرج الإثم.

٣ أصل الرجس في اللغة النتن وقال مجاهد: الرجس ما لا خير فيه فكما يجعل صدر الكافر ضيقا لا يقبل الهدى يجعل عليه الرجس فيقبل كل خبيث نتن من الأقوال والاعتقادات.

٤ دار السلام الجنة والسلام هو الله فدار السلام كبيت الله وهناك معنى آخر وهو أنها دار السلامة من كل أذى ومكروه وآفة.

٥ نصب الظرف بفعل محذوف تقديره يقول يوم يحشرهم جميعا يا معشر الجن الخ.

٦ حذف لفظ الاستمتاع إيجازا **لدلالة السياق** وحرف الجر عليه أي قد استكثرتم من الاستمتاع من الإنس.." (١)

"بكل ذنوبهم لأنهى حياتهم على وجودهم (١) ، ولكنه الرحمن الرحيم بعباده اللطيف بهم. وقوله تعالى ﴿قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبل﴾ قل يا رسولنا لكفار قريش المكذبين لك المشركين بربهم: سيروا في الأرض شمالا أو جنوبا أو غربا فانظروا بأعينكم كيف كان عاقبة الذين كذبوا رسلهم وكفروا بربهم من قبلكم إنها كانت دمارا وهلاكا فهل ترضون أن تكونوا مثلهم. وقوله ﴿كان أكثرهم مشركين﴾ أي كان أكثر أولئك الأقوام الهالكين مشركين فالشرك والتكذيب الذي أنتم عليه هو سبب هلاكهم وخسرانهم وقوله تعالى: ﴿فأقم وجهك للدين القيم﴾ أي استقم يا رسولنا أنت والمؤمنون معك على الدين الإسلامي إذ لا دين يقبل سواه فاعتقدوا عقائده وامتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه وتأدبوا بآدابه وتخلقوا بأخلاقه وأقيموا حدوده وأحلوا حلاله وحرموا حرامه وادعوا إليه وعلموه الناس أجمعين، واصبروا على ذلك فإن العاقبة للمتقين وقوله: ﴿من قبل أن يأتي يوم لا مرد له من الله﴾ أي افعلوا ذاك الذي أمرتكم به قبل مجيء يوم القيامة حيث لم يكن عمل وإنما جزاء، وقوله ﴿لا مرد له من الله﴾ أي إنه لا يرده الله إذا جاء ميعاده لأنه قضى بإتيانه لا محالة من أجل الجزاء على العمل في الدنيا. وقوله ﴿يومئذ يصدعون﴾ أي يوم يأتي اليوم الذي لا مرد له يصدعون أي يتفرقون فرقتين (٢) كما يتصدع الجدار فرقتين فريق في الجنة وفريق في النار. وقوله: ﴿من كفر فعليه كفره﴾ أي من كفر اليوم فعائد كفره عليه يوم القيامة، ﴿ومن عمل صالحا﴾ أي اليوم ﴿فلأنفسهم يمهدون﴾ أي يوطئون فرشهم في الجنة (٣) إذ عائدة عملهم الصالح تعود عليهم لا على غيرهم، وقوله ﴿ليجزي (٤) الذين آمنوا وعملوا الصالحات من فضله﴾ أي يصدعون فرقتين من أجل أن يجزي الله تعالى أولياءه المؤمنين العاملين للصالحات من فضله إذ أعمالهم حسبها أنها زكت نفوسهم فتأهلوا لدخول الجنة أما النعيم المقيم فيها فهو من فضل الله فقط. وقوله ﴿إنه (٥) لا يحب الكافرين﴾ هذه جملة علة لجملة محذوفة إذ التقدير: ويجزي الكافرين بعدله وهو سوء العذاب لأنه لا يحب الكافرين.

---

١ - شاهد قوله تعالى: ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا ما ترك على ظهرها من دابة ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى فإذا

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١١٧/٢

جاء أجلهم فإن الله كان بعباده بصيرا (فاطر) .

٢ – شاهده قول الشاعر:

وكنا كندماني جذيمة حقبة

من الدهر حتى قيل لن يتصدعا

جذيمة الأبرشي كان ملكا ونديماه هما مالك وعقيل نادماه أربعين سنة ثم ماتوا وندماني في البيت تثنية ندمان.

٣ – شاهده قوله تعالى من سورة الشورى (وتنذر يوم الجمع لا ريب فيه فريق في الجنة وفريق في السعير) .

٤ – اللام لام التعليل وهو واضح في التفسير.

٥ – علة الحذف طلب الإيجاز مع ظهور المعنى **بدلالة السياق** عليه.." [(١)]

"كلامهم وتبجحهم بالأقوال دون الأفعال.

أشحة على الخير: أي بخلاء بالخير لا يعطونه ولا يفعلونه بل ولا يقولونه حتى القول.

أولئك لم يؤمنوا: أي إنهم لم يؤمنوا الإيمان الصحيح فلذا هم جبناء عند اللقاء بخلاء عند العطاء.

معنى الآيات:

ما زال السياق الكريم في عرض أحداث غزوة الأحزاب فقوله تعالى: ﴿ولقد كانوا عاهدوا (١) الله من قبل لا يولون الأدبار﴾ أي لقد عاهد أولئك المنافقون الله من قبل غزوة الأحزاب وذلك يوم فروا من غزوة أحد إذ كانت قبل غزوة الأحزاب بقرابة السنتين فقالوا والله لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن ولا نولي (٢) الأدبار، فذكرهم الله بعهدهم الذي قطعوه على أنفسهم ثم نكثوه، ﴿وكان عهد الله مسؤولا (٣) ﴾ أي يسأل عنه صاحبه ويؤاخذ به. وقوله تعالى: ﴿قل لن ينفعكم الفرار إن فررتم من الموت أو القتل﴾ أي قل لهم يا رسولنا إنه لن ينفعكم الفرار أي الهروب من الموت أو القتل لأن الآجال محددة ومن لم يمت بالسيف مات بغيره فلا معنى للفرار من القتال إذا وجب وقوله ﴿وإذا لا تمتعون إلا قليلا﴾ أي وإذا فررتم من القتال فإنكم لا تمتعون بالحياة إلا قليلا من الزمن ثم تموتون عند نهاية أعماركم وهي فترة قليلة، فالفرار لا يطيل أعماركم والقتال لا ينقصها، وقوله تعالى ﴿قل من ذا الذي يعصمكم من الله إن أراد بكم سوءا أو أراد بكم (٤) رحمة﴾ أي قل لهم يا رسولنا تبكيتا لهم وتأنيبا وتعليما أيضا: من (٥) ذا الذي يعصمكم أي يجيركم ويحفظكم من الله ﴿إن أراد بكم سوءا﴾ أي ما يسوءكم من بلاء وقتل ونحوه ﴿أو أراد بكم رحمة﴾ أي سلامة وخيرا فليس هناك من يحول دون وصول ذلك إليكم لأن الله تعالى يجير ولا يجار عليه وقوله تعالى ﴿ولا يجدون لهم من

---

١ – ذكر بعضهم أن هؤلاء هم بنو حارثة وبنو سلمة إذ هموا بالرجوع يوم أحد، وقيل هم من فاتتهم وقعة بدر فقالوا لئن أشهدنا الله قتالا لنقاتلن وما في التفسير أرجح **لدلالة السياق** عليه.

٢ – المراد بعهد الله كل عه يعاهد عليه العبد ربه فإنه يجب عليه الوفاء به وإن تركه سئل عنه وحوسب به يوم القيامة.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ١٨٦/٤

٣ - الأدبار جمع دبر والمراد به الظهر فالأدبار الظهور وتولية الأدبار كناية عن الفرار.
٤ - في الكلام محذوف تقديره أو يجرمكم إن أراد بكم رحمة وهذا يعرف بدلالة الاقتضاء إيجازا للكلام كقول الراعي:
إذا ما الغانيات برزن يوما
وزججن الحواجب والعيونا
أي وكحلن العيون.
٥ - الاستفهام للنفي أي لا أحد يعصمهم مما أراد الله تعالى بهم.." (١)

"الدائمة في جهنم. وقوله تعالى: ﴿والذي جاء (١) بالصدق وصدق به أولئك هم المتقون﴾ هذا إخبار بفريق الفائزين من عباد الله وهم الصادقون في كل ما يخبرون به، والمصدقون بما أوجب الله تعالى التصديق به ويدخل في هذا الفريق دخولا أوليا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبو بكر الصديق ثم سائر الصحابة والمؤمنين إلى يوم الدين.
وقوله تعالى ﴿أولئك هم المتقون (٢) ﴾ يشير إليهم بأنهم اتقوا كل ما يغضب الله من الشرك والمعاصي، وبذلك استوجبوا النجاة من النار ودخول الجنة المعبر عنه بقوله تعالى: ﴿لهم ما يشاءون عند ربهم﴾ من نعيم بعضه لم يخطر على بال أحد، ولم تره عين أحد ولا تسمع به أذنه.
وقوله: ﴿ذلك جزاء المحسنين (٣) ﴾ أي ذلك المذكور في قوله لهم ما يشاءون عند ربهم ذلك هو جزاؤهم وجزاء المحسنين كلهم والمحسنون هم الذين أحسنوا الاعتقاد والقول والعمل وقوله تعالى: ﴿ليكفر (٤) الله عنهم أسوأ الذي عملوا﴾ أي من الذنوب والآثام والخطايا والسيئات أي وفقهم للإحسان ويسره لهم، ليكفر عنهم أسوأ الذي عملوا وسيئه ويجزيهم أجرهم على إيمانهم وتقواهم وإحسانهم في ذلك بأحسن ما كانوا يعملون وحسنه أيضا وإنما يضاعف لهم الأجر فتكون الحسنات الصغيرة كالكبيرة فأصبح الجزاء كله على الأحسن والذي كانوا يعملون هو كل ما شرعه الله تعالى لعباده وتعبدهم به من الإيمان وسائر الطاعات والقربات.
هداية الآيات
من هداية الآيات:
١- التنديد بالكذب على الله تعالى والتكذيب به، وبما جاء به رسوله صلى الله عليه وسلم من الدين.
٢- بيان جزاء الكاذبين على الله ورسوله والمكذبين بما جاء به رسول الله عن الله من الشرع والدين.

---

١ - والذي جاء بالصدق مبتدأ والخبر أولئك هم المتقون. وعليه فالذي جاء بالصدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن صدق به هم أبو بكر وسائر المؤمنين وفي الآية حذف الموصول وهو "من" **لدلالة السياق** عليه.
٢ - أولئك مبتدأ وهم ضمير فصل والمتقون خبر، والجملة خبر عن المبتدأ الذي هو والذي جاء بالصدق والمعطوف عليه والموصول محذوف وهو من أو إذ لا يكون من جاء بالصدق هو المصدق به.

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري أبو بكر الجزائري ٢٥٣/٤

٣ – الثناء في الدنيا والثواب في الآخرة.

٤ – في الآية الإشادة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ أثبت لهم التصديق بما جاء به رسوله كما أثبت لهم التقوى والإحسان وواعدهم بالنعيم المقيم الذي ادخره لهم. وفي الحديث الصحيح "الله الله في أصحابي لا تتخذوهم غرضا بعدي فمن أحبهم فبحبي أحبهم ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم ومن آذاهم فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله ربي ومن آذى الله فيوشك أن يأخذه".." (١)

"ولهذا قال ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات في جنات النعيم﴾ أي فالذين صدقوا الله ورسوله وفعلوا صالح الأعمال لهم النعيم المقيم في جنات الخلد ﴿والذين كفروا وكذبوا بآياتنا فأولئك لهم عذاب مهين﴾ أي والذين جحدوا بآيات الله وكذبوا رسله لهم العذاب المخزي مع الإهانة والتحقير في دار الجحيم ﴿والذين هاجروا في سبيل الله﴾ أي تركوا الأوطان والديار ابتغاء مرضاة الله وجاهدوا لإعلاء كلمة الله ﴿ثم قتلوا أو ماتوا﴾ أي قتلوا في الجهاد أو ماتوا على فرشهم ﴿ليرزقنهم الله رزقا حسنا﴾ أي ليعطينهم نعيما خالدا لا ينقطع أبدا وهو نعيم الجنة ﴿وإن الله لهو خير الرازقين﴾ أي هو تعالى خير من أعطى فإنه يرزق بغير حساب ﴿ليدخلنهم مدخلا يرضونه﴾ أي ليدخلنهم مكانا يرضونه وهو الجنة التي فيها ملا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر ﴿وإن الله لعليم حليم﴾ أي عليم بدرجات العاملين حليم عن عقابهم ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به﴾ أي جازى الظالم بمثل ما ظلمه ﴿ثم بغي عليه لينصرنه الله﴾ أي ثم اعتدى الظالم عليه ثانيا لينصرن الله ذلك المظلوم ﴿إن الله لعفو غفور﴾ أي مبالغ في العفو والغفران، وفيه تعريض بالحث على العفو والصفح، فإنه تعالى مع كمال قدرته على الانتقام يعفو ويغفر فغيره أولى بذلك ﴿ذلك بأن الله يولج الليل في النهار ويولج النهار في الليل﴾ أي ذلك النصر بسبب أن الله قادر، ومن آيات قدرته إيلاج الليل في النهار أي أنه يدخل كلا منهما في الآخر.

بأن ينقص من الليل فيزيد في النهار وبالعكس وهذا مشاهد ملموس في الصيف والشتاء ﴿وأن الله سميع بصير﴾ أي سميع لأقوال عباده بصير بأحوالهم لا تخفى عليه خافية ﴿ذلك بأن الله هو الحق﴾ أي ذلك بأن الله هو الإله الحق ﴿وأن ما يدعون من دونه هو الباطل﴾ أي وأن الذي يدعوه المشركون من الأصنام والأوثان هو الباطل الذي لا يقدر على شيء ﴿وأن الله هو العلي الكبير﴾ أي هو العالي على كل شيء ذو العظمة والكبرياء فلا أعلى منه ولا أكبر.

اللاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – صيغة المبالغة ﴿خوان كفور﴾ لأن فعال وفعول من صيغ المبالغة.

٢ – الحذف **لدلالة السياق** عليه ﴿أذن للذين يقاتلون﴾ أي أذن بالقتال للذين يقاتلون.

٣ – تأكيد المدح بما يشبه الذم ﴿إلا أن يقولوا ربنا الله﴾ أي لا ذنب لهم إلا هذا.

٤ – المقابلة اللطيفة بين ﴿فالذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم مغفرة ورزق كريم﴾ وبين ﴿والذين سعوا في آياتنا معاجزين أولئك أصحاب الجحيم﴾ .

---

(١) أيسر التفاسير للجزائري   أبو بكر الجزائري ٤/٤٨٧

٥ – جناس الاشتقاق ﴿وما أرسلنا من رسول﴾ .

٦ – الطباق بين ﴿ينسخ. . ثم يحكم﴾ .

٧ – الاستعارة البديعة ﴿أو يأتيهم عذاب يوم عقيم﴾ وهذا من أحسن الاستعارات لأن العقيم المرأة التي لا تلد، فكأنه سبحانه وصف ذلك اليوم بأنه لا ليل بعده ولا نهار لأن الزمان قد مضى، والتكليف قد انقضى، فجعلت الأيام بمنزلة الولدان لليالي، وجعل ذلك اليوم من بينها عقيما على طريق الاستعارة.." (١)

"٤ – تكرير الضمير لإفادة الحصر والاختصاص ﴿وهم بالآخرة هم يوقنون﴾ ومثله ﴿وهم في الآخرة هم الأخسرون﴾ وفيه المقابلة اللطيفة بين الجملتين.

٥ – التأكيد بإن واللام ﴿وإنك لتلقى القرآن﴾ لوجود المتشككين في القرآن.

٦ – إيجاز الحذف ﴿وألق عصاك فلما رآها تهتز﴾ حذفت جملة فألقاها فانقلبت إلى حية الخ وذلك **لدلالة السياق** عليه.

٧ – الطباق ﴿حسنا بعد سوء﴾ . وبين ﴿ولى مدبرا. . ولم يعقب﴾ .

٨ – الاستعارة ﴿آياتنا مبصرة﴾ استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن بالعينين يبصر الإنسان الأشياء.

٩ – التشبيه المرسل المجمل ﴿كأنها جآن﴾ ذكرت أداة التشبيه وحذف وجه الشبه فصار مرسلا مجملا.

١٠ – حسن الاعتذار ﴿وهم لا يشعرون﴾ .

لطيفة: قال بعض العلماء هذه الآية ﴿قالت نملة يأيها النمل ادخلوا مساكنكم. .﴾ من عجائب القرآن لأنها بلفظة «يا» نادت «أيها» نبهت «النمل» عينت «ادخلوا» أمرت «مساكنكم» نصت «لا يحطمنكم» حذرت «سليمان» خصت «وجنوده» عمت «وهم لا يشعرون» اعتذرت، فيا لها من نملة ذكية!!." (٢)

"٥ – حذف الجواب **لدلالة السياق** ﴿ولولا أن تصيبهم مصيبة﴾ حذف منه الجواب وتقديره: ما أرسلناك يا محمد رسولا إليهم وهو من باب الإيجاز بالحذف.

٦ – التخضيض ﴿لولا أوتي مثل مآ أوتي موسى﴾ أي هلا أوتي فهي للتحضيض وليست حرف امتناع لوجود.

٧ – التعجيز ﴿قل فأتوا بكتاب﴾ فالأمر خرج عن حقيقته إلى معنى التعجيز.

٨ – طباق السلب ﴿إنك لا تهدي. . ولكن الله يهدي﴾ .

٩ – المجاز العقلي ﴿حرما آمنا﴾ نسب الأمن إلى الحرم وهو لأهله.

١٠ – أسلوب السخرية والتهكم ﴿أين شركآئي الذين كنتم تزعمون﴾ ؟ .

١١ – التشبيه المرسل ﴿أغويناهم كما غوينا﴾ . ١٢ – الاستعارة التصريحية التبعية ﴿فعميت عليهم الأنبآء﴾ قال الشهاب: استعير العمى لعدم الاهتداء، فهم لا يهتدون للأنباء، ثم قلب للمبالغة فجعل الأنباء لا تهتدي إليهم وأصله «فعموا عن

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٢٧١

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٣٧٢

الأنباء» وضمن معنى الخفاء فعدي ب ﴿على﴾ ففيه أنواع من البلاغة: الاستعارة، والقلب، واتلضمين.

١٣ – الطباق بين ﴿ما. . ويعلنون﴾ وبين ﴿الأولى. . والآخرة﴾ وهو من المحسنات البديعية.." (١)

"٩ – الإيجاز بحذف جواب الشرط لدلالة السياق عليه ﴿لو كانوا يعلمون﴾ أي لو كانوا يعلمون لما آثروا الدنيا على الآخرة، ولا الفانية على الباقية.

١٠ – مراعاة الفواصل لما لها من وقع عظيم على السمع يزيد الكلام رونقا وجمالا مثل ﴿أفبالباطل يؤمنون وبنعمة الله يكفرون﴾ ﴿بل أكثرهم لا يعلمون﴾ ﴿إذا هم يشركون﴾ الخ.

تنبيه: لا ينبغي لمسلم أن يبقى بأرض لا يتيسر له فيها عبادة الله، فأرض الله واسعة، وقد أشارت الآيات إلى وجوب الهجرة إلى دار الإسلام وكما قيل «وكل مكان ينبت العز طيب» .." (٢)

"ولا بالذي بين يديه﴾ أي لن نصدق بالقرآن ولا بما سبقه من الكتب السماوية الدالة على البعث والنشور ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ أي ولو شاهدت يا محمد حال الظالمين المنكرين للبعث والنشور في موقف الحساب ﴿يرجع بعضهم إلى بعض القول﴾ أي يلوم بعضهم بعضا ويؤنب بعضهم بعضا، وجواب ﴿لو﴾ محذوف للتهويل تقديره لرأيت أمرا فظيعا مهولا ﴿يقول الذين استضعفوا للذين استكبروا لولا أنتم لكنا مؤمنين﴾ أي يقول الأتباع للرؤساء: لولا إضلالكم لنا لكنا مؤمنين مهتدين ﴿قال الذين استكبروا للذين استضعفوا أنحن صددناكم عن الهدى بعد إذ جآءكم﴾ ؟ أي قال الرؤساء جوبا للمستضعفين: أنحن منعناكم عن الإشيمان بعد أن جاءكم؟ لا، ليس الأمر كما تقولون ﴿بل كنتم مجرمين﴾ أي بل أنتم كفرتم من ذات أنفسكم، بسبب أنكم مجرمين راسخين في الإجرام ﴿وقال الذين استضعفوا للذين استكبروا بل مكر اليل والنهار﴾ أي وقال الأتباع للرؤساء: بل مكركم بنا في الليل والنهار هو الذي صدنا عن الإيمان ﴿إذ تأمروننآ أن نكفر بالله ونجعل له أندادا﴾ أي وقت دعوتكم لنا إلى الكفر بالله، وأن نجعل له شركاء، ولولا تزيينكم لنا الباطل ما كفرنا ﴿وأسروا الندامة لما رأوا العذاب﴾ أي أخفى كل من الفريقين الندامة على ترك الإيمان حين رأوا العذاب، أخفوها مخافة التعيير ﴿وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا﴾ أي وجعلنا السلاسل في رقاب الكفار زيادة على تعذيبهم بالنار ﴿هل يجزون إلا ما كانوا يعملون﴾ أي لا يجزون إلا بأعمالهم التي عملوها ولا يعاقبون إلا بكفرهم وإجرامهم.

البلاغة: تضمنت الآية الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – الطباق بين لفظ ﴿يمين. . و. . شمال﴾ وبين ﴿بشيرا. . و. . نذيرا﴾ وبين ﴿تستقدمون. . و. . تستأخرون﴾ وبين ﴿استضعفوا. . و. . استكبروا﴾ وهو من المحسنات البديعية.

٢ – جناس الاشتقاق ﴿وقدرنا فيها السير سيروا﴾ فإن كلمة ﴿سيروا﴾ مشقتة من السير.

٣ – التعجيز بدعاء الجماد الذي لا يسمع ولا يحس ﴿قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله﴾ .

٤ – التوبيخ والتبكيت ﴿قل من يرزقكم من السماوات والأرض﴾ ؟ .

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٤٠٧

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٤٣١

٥ – حذف الخبر **لدلالة السياق** عليه ﴿قل الله﴾ أي قل الله الخالق الرازق للعباد ودل على المحذوف سياق الآية.

٦ – المبالغة بذكر صيغ المبالغة ﴿إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور﴾ فإن فعال وفعيل وفعول من صيغ المبالغة ومثلها ﴿وهو الفتاح العليم﴾ .

٧ – حذف الجواب للتهويل والتفزيع ﴿ولو ترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم﴾ حذف الجواب للتهويل أي لو ترى حالهم لرأيت أمرا فظيعا مهولا.

٨ – المجاز العقلي ﴿بل مكر اليل والنهار﴾ أسند المكمر إلى الدليل والمراد مكر المشركين بهم في الليل ففيه مجاز عقلي.." (١)

"وارتياب من أمر الحساب والعذاب وقوله: ﴿مريب﴾ من باب التأكيد كقولهم: عجب عجيب.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – الطباق بين ﴿يبسط. . و. . يقدر﴾ وبين ﴿نفعا. . و. . ضرا﴾ وبين ﴿مثنى. . و. . فرادى﴾ .

٢ – المقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار ﴿إلا من آمن وعمل صالحا. . والذين يسعون في آياتنا معاجزين﴾ .

٣ – الالتفات من الغائب إلى المخاطب ﴿ومآ أموالكم ولا أولادكم﴾ والغرض المبالغة في تحقيق الحق.

٤ – أسلوب التقريب والتوبيخ ﴿أهؤلاء إياكم كانوا يعبدون﴾ ؟ الخطاب للملائكة تقريعا للمشركين.

٥ – وضع الظاهر موض الضمير لتسجيل جريمة الكفر عليهم ﴿وقال الذين كفروا للحق﴾ والأصل وقالوا.

٦ – الإيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه ﴿ومآ أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى﴾ حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه أي ما أموالكم بالتي تقربكم ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا.

٧ – الاستعارة ﴿بين يدي عذاب شديد﴾ استعار لفظ اليدين لما يكون من الأهوال والشدائد أمام الإنسان.

٨ – الكناية اللطيفة ﴿وما يبدىء الباطل وما يعيد﴾ كناية عن زهوق الباطل محو أثره.

٩ – الاستعارة التصريحية ﴿ويقذفون بالغيب من مكان بعيد﴾ شبه الذي يقول بغير عللم، ويظن ولا يتحقق، بالإنسان يرمي غرضا وبينه وبينه مسافة بعيدة فلا يكون سهمه صائبا واستعار لفظ القذف للقول.

١٠ – توافق الفواصل لما له من جميل الوقع على السمع مثل ﴿إنا بمآ أرسلتم به كافرون، أكثر الناس لا يعلمون، وهم في الغرفات آمنون﴾ .." (٢)

"تدعوننا إليه، ثم توعدوا الرسل بقولهم ﴿لئن لم تنتهوا﴾ أي والله لئن لم تمتنعوا عن قولكم، ودعوتكم لنا إلى التوحيد، ورفض ديننا ﴿لنرجمنكم وليمسنكم منا عذاب أليم﴾ أي لنرجمنكم بالحجارة حتى تموتوا، ولنقتلنكم شر قتلة ﴿قالوا طائركم معكم﴾ أي قالت الرسل لهم: ليس شؤمكم بسببنا، وإنما شؤمكم بسببكم، وبكفركم، وعصيانكم، وسوء أعمالكم ﴿أئن ذكرتم﴾ ؟ شرط جوابه محذوف **لدلالة السياق** عليه أي أئن ذكرناكم ووعظناكم ودعوناكم إلى توحيد الله، تشاءمتم بنا

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٥٠٩

(٢) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٢/٥١٥

وتوعدتمونا بالرجم والتعذيب؟ ﴿بل أنتم قوم مسرفون﴾ أي ليس الامر كما زعمتم بل أنتم قوم عادتكم الإسراف في العصيان والإجرام، وهو توبيخ لهم مع الزجر والتقريع ﴿وجآء من أقصى المدينة رجل يسعى﴾ أي وجاء من أبعد أطراف المدينة رجل يعدو، يسرع في مشيه وهو «حبيب النجار» قال ابن كثير: إن أهل القرية هموا بقتل رسلهم، فجاءهم رجل من أقصى المدينة يسعى لينصرهم من قومه، وهو حبيب النجار كان يعمل الحرير وهو الحباك، وكان كثير الصدقة يتصدق بنصف كسبه وقال القرطبي: كان حبيب مجذوما ومنزله عند أقصى أبواب المدينة، وكان يعكف على عبادة الأصنام سبعين سنة يدعوهم لعلهم يرحمونه ويكشفون ضره، فما استجابوا له، فلما أبصر الرسل ودعوه إلى الله قال: هل من آية؟ قالوا نعم نحن ندعو ربنا القادر فيفرج عنك ما بك! فقال إن هذا لعجيب، إني إدعو هذه الآلهة سبعين سنة لتفرج عني فلم تستطع فكيف يفرجه ربكم في غداة واحدة؟ قالوا نعم ربنا على ما يشاء قدير، وهذه لا تنفع شيئا ولا تضر، فآمن ودعوا ربهم فكشف الله ما به، فلما هم قومه بقتل الرسل جاءهم مسرعا وقال ما قصة القرآن ﴿قال ياقوم اتبعوا المرسلين﴾ أي اتبعوا الرسل الكرام الداعين إلى توحيد الله، وإنما قال ﴿ياقوم﴾ تأليفا لقلوبهم واستمالة لها لقبول النصيحة، ثم كرر القول تأكيدا وبيانا للسبب فقال ﴿اتبعوا من لا يسألكم أجرا وهم مهتدون﴾ أي اتبعوا هؤلاء الرسل الصادقين المخلصين، الذين لا يسألونكم أجرة على الإيمان، وهم على هدى وبصيرة فيما يدعونكم إليه من توحيد الله ﴿وما لي لا أعبد الذي فطرني وإليه ترجعون﴾ تلطف في الإرشاد لهم كأنه ينصح نفسه، ويختار لهم ما يختار لنفسه، ونفيه نوع تقريع على ترك عبادة خالقهم والمعنى أي شيء يمنعني من أن أعبد خالقي الذي أبدع خلقي؟ وإليه مرجعكم بعد الموت فيجازي كلا بعمله؟ ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ استفهام إنكاري أي كيف أتخذ من دون الله آلهة لا تسمع ولا تنفع ولا تغني عن عابدها شيئا؟ ﴿إن يردن الرحمن بضر لا تغن عني شفاعتهم شيئا﴾ أي هي في المهانة والحقارة بحيث لو أراد الله أن ينزل بي شيئا من الضر والأذى وشفعت لي لم تنفع شفاعتهم ولم يقدروا على إنقاذي، فكيف وهي أحجار لا تسمع ولا تنفع ولا تشفع؟ ﴿ولا ينقذون﴾ أي ولا يقدرون على إنقاذي من عذاب الله ﴿إني إذا لفي ضلال مبين﴾ أي إني إن عبدت غير الله واتخذت الأصنام آلهة لفي خسران ظاهر جلي.

. وبعد النصح التذكير أعلن إسلامه، م وأشهر إيمانه فقال ﴿إني آمنت بربكم فاسمعون﴾ أي إني آمنت بربكم الذي خلقكم، فاسمعوا قولي واعلموا بنصيحتي قال." (١)

"الماضية والآتية ستحضر للحساب والجزاء يوم القيامة بين يدي أحكم الحاكمين، فيجازيهم بأعمالهم كلها خيرها وشرها؟ قال أبو حيان: وجاءت هذه الجملة بعد ذكر الإهلاك تبينا إلى أن الله تعالى لا يترك المهلكين بل بعد الهلاك جمع وحساب، وثواب وعقاب.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ - التأكيد بأكثر من مؤكد لأن المخاطب منكر مثل ﴿إنك لمن المرسلين إنآ إليكم مرسلون﴾ فقد أكد كل منها ب «إن» و «اللام» ويسمى هذا الضرب إنكاريا.

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٨/٣

٢ - الاستعارة التمثيلية ﴿إنا جعلنا في أعناقهم أغلالا. .﴾ الآية شبه حال الكفار في امتناعهم من الهدى والإيمان بمن غلت يده إلى عنقه بالسلاسلا والأغلال فأصبح رأسه مرفوعا لا يستطيع خفاضا له ولا التفاتا، وبمن سدت الطرق في وجهه فلم يهتد لمقصوده، وذلك بطريق الاستعارة التمثيلية.

٣ - الطباق ﴿من بين أيديهم ... ومن خلفهم﴾ .

٤ - طباق السلب ﴿أأنذرتهم أم لم تنذرهم﴾ .

٥ - الجناب الناقص ﴿نحن نحيي﴾ لتغيير بعض الحروف.

٦ - الإطناب بتكرار الفعل ﴿اتبعوا المرسلين اتبعوا من لا يسألكم أجرا﴾ .

٧ - الاستفهام للتوبيخ ﴿أأتخذ من دونه آلهة﴾ ؟

٨ - الحذف **لدلالة السياق** عليه ﴿قيل ادخل الجنة﴾ أي فلما أشهر إيمانه قتلوه فقيل له ادخل الجنة.

٩ - جناس الاشتقاق بين ﴿تطيرنا ... . وطائركم﴾ وبين ﴿أرسلنآ والمرسلون﴾ .

١٠ - مراعاة الفواصل وهو من خصائص القرآن لما فيه من روعة البيان، وحسن الوقع على السمع، وهو كثير.

تنبيه: من محاسن التنزيل الكريم وبلاغته الخارقة، هو الإيجاز في القصص والأنباء، والإشارة إلى روحها وسرها، لأن القصد من القصص التذكير والاعتبار، ولهذا لم يذكر في القصة اسم البلدة، ولا اسم الشخص الذي دعاهم إلى الله، ولا اسم الرسل الكرام، لأن كل ذلك ليس هو الهدف من القصة، وقس على هذا سائق قصص القرآن.." (١)

"بالبعث والجزاء؟ ﴿أئذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون﴾ ؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذرات من التراب وعظاما نخرة، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ ؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعون إلى النار لننظر كيف حال ذلك القريب؟ قال تعالى ﴿فاطلع فرآه في سوآء الجحيم﴾ أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي فخاطبه المؤمن شامتا وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ أي ولولا فضل الله علي بتثبيتي على الإيمان، لكنت معك في النار محضرا ومعذبا في الجحيم، ثم يخاطبه مستهزءا ساخرا كما كان ذلك الكافر يستهزىء به في الدنيا ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ ؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة الله عليه قال تعالى ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أي لمثل هذا الجزاء الكريم يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون.

قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله ويقصر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلا على تكثير ماله، فانفصل من شريكه لتقصيره، وكان لكما اشترى دارا أو جارية أو بستانا أو نحو ذلك عوضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو من ذلك

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/١٠

ليشتري له به قصرا في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال ما صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدقين؟ فكان أمرها ما قص الله علينا في كتابه العزيز.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – الطباق ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ لأن السخرية في مقابلة التعجب.

٢ – التأكيد بإن واللم ﴿إن إلهكم لواحد﴾ ومقتضى الكلام يقتضيه لإنكار المخاطبين للوحدانية.

٣ – الأسلوب التهكمي ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ وردت الهداية بطريق التهكم، لأن الهداية تكون إلى طريق النعيم لا الجحيم.

٤ – الإيجاز بالحذف ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾ أي قولوا لا إ له إلا الله، وحذف **لدلالة السياق** عليه.

٥ – الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ والأصل إنهم لذائقو وإنما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم.

٦ – الكناية ﴿قاصرات الطرف﴾ كنى بذلك عن الحور العين لأنهم عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.." [(١)]

"٧ – التشبيه المرسل والمجمل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا.

٨ – مراعاة الفواصل وهو المحسنات البديعية مثل ﴿شهاب ثاقب، عذاب واصب، طين لازب﴾ إلى آخر.

اللغة: ﴿فالزاجرات﴾ الزجر: الدفع عن الشيء بقوة أو صياح، والزجرة: الصيحة من قولك: زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها فرجعت لصوته ﴿مارد﴾ عاتي متمرد ﴿ثاقب﴾ محرق شديد النفاذ ﴿واصب﴾ دائم لا ينقطع ﴿لازب﴾ ملتزق بعضه ببعض ﴿معين﴾ شراب نابع من العيون ﴿غول﴾ الغول: كل ما يغتال العقل ويفسده قال أبو عبيدة: الغول ما يغتال العقل ويذهبه وأنشد قول ابن إياس:

ومازالت الخمر تغتالنا ... وتذهب بالأول فالأول

﴿بكأس﴾ قال أهل اللغة: العرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر كأس، فإذا لم يكن فيه خمرا قالوا: إناء وقدح قال الشاعر:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

﴿ينزفون﴾ يسكرون يقال: نزف الرجل فهو نزيف ومنزوف إذا سكر قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتمو أو صحوتمو ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

التفسير: ﴿والصافات صفا﴾ افتتح تعالى هذه السورة بالقسم ببعض مخلوقاته، إظهار لعظم شأنها، وكبر فوائدها، وتنبيها للعباد على جلاله قدرها والمعنى: أقسم بهذه الطوائف من الملائكة، الصافات قوائهما في الصلاة، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله قال ابن مسعود: هم الملائكة تصف في السماء في العبادة والذكر صفوفا، وفي الحديث «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف يا رسول الله؟ قال: يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصف» أقسم تعالى بالملائكة تنبيها على جلالة قدرهم، وكثرة عبادتهم، فهم مع عظيم خلقهم ورفعة شأنهم لا ينفكون عن عبادة الله، يصطفون للعبادة

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٣١

كاصطفاف المؤمنين في الصلاة، مع الخشوع والخضوع للعزيز الجبار، الذي دانت له الخلائق، وخضعت لجلال هيبته الرقاب، بما فيهم حملة العرش والملائكة الأطهار ﴿فالزاجرات زجرا﴾ أي الملائكة التي تزجر السحاب، يسوقونه إلى حيث شاء الله، من الزجر بمعنى السوق والحث ﴿فالتاليات ذكرا﴾ وصف ثالث للملائكة الأبرار، إشادة بذكر محاسنهم ومناقبهم العلوية أي وأقسم بالملائكة التالين لآيات الله على أنبيائه وأوليائه، مع التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد ﴿إن إلهكم لواحد﴾ هذا هو المقسم عليه أي إن إلهكم الذي تعبدونه أيها الناس إله واحد لاشريك له، قال مقاتل: إن الكفار بمكة قالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ وكيف يسع هذا الخلق إله فرد؟ فأقسم الله بهؤلاء تشريفا، ثم بين تعالى معنى وحدانيته وألوهيته فقال ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي هو تعالى خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما من المخلوقات والموجودات، فإن وجودهما وانتظامهما على هذا النمط البديع، من أوضح الدلائل على وجود الله ووحدانيته ﴿ورب المشارق﴾ أي وهو رب مشارق الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف قال الطبريب: واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالة الكلام عليه ثم أخبر عن قدرته بتزيين السماء بالكواكب، بعد أن أخبر عن وحدانيته فقال ﴿إنا زينا السمآء الدنيا بزينة الكواكب﴾ أي زينا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة، التي تبدو وكأنها جواهر تتلألأ ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ أي وللحفظ من كل شيطان عات متمرد، خارج عن طاعة الله قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث: رجوما للشياطين، ونورا يهتدى بها، وزينة للسماء الدنيا وقال أبو حيان: خص السماء الدنيا بالذكر لأنها هي التي تشاهد بالأبصار، وفيها وحدها يكون الحفظ من الشياطين ﴿لا يسمعون إلى الملإ الأعلى﴾ أي لا يقدرون أن يستمعوا إلى الملائكة الذين هم في العالم العلوي، وقيل المعنى: لئلا يتسمعوا إلى الملأ الأعلى ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرجمون بالشهب من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿دحورا﴾ أي طردا لهم عن السماع لأخبار السماء قال الطبري: أي مطرودين، من الدحر وهو الدفع والإبعاد ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي ولهم في الآخرة عذاب موصول لا ينقطع ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي إلا من اختلس شيئا مسارقة ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ أي فلحقه شهاب مضيء، نافذ بضوئه وشعاعه فأحرقه قال المفسرون: قد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة مما يدور في الملأ الأعلى، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه حرقا قال القرطبي: وليست الشهب التي يرجم بها الشياطين من الكواكب الثواب، لأن الثابتة تجري ولا ترى حركتها، وهذه الشهب ترى حركاتها ﴿فاستفتهم﴾ أي فسل يا محمد هؤلاء المنكرين للبعث ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنآ﴾ أي أيهم أقوى بنية وأشد خلقا هل هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والمخلوقات العظيمة العجيبة؟ ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي من طين زخو لا قوة فيه قال الطبري: وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء، ونار وهواء، والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا، والغرض من الآية إقامة البرهان على إعادة الإنسان، فالذي خلقه من العدم وخلق هذه الخلائق، قادر على إعادة الأجسام بعد الفناء ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ أي بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة، وهم يسخرون منك ومما تقول لهم في ذلك قال أبو السعود: المعنى عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم للبعث، وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾ أي وإذا وعظوا بالقرآن وخوفوا به، لا يتعظون ولا يتدبرون ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أي وإذا رأوا آية باهرة، أو معجزة قاهرة تدل على صدقك كانشقاق القمر، وتكليم الشجر والحجر، يبالغون في السخرية أو يدعون غيرهم

للسخرية والاستهزاء ﴿وقالوا إن هاذآ إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به يا محمد إلا سحر واضح بين قال في البحر: والإشارة ب «هذا» إلى ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ الاستفهام للإنكار والاستهزاء أي أئذا أصبحت أجسادنا بالية، وتفتت أجزاؤها إلى تراب وعظام سوف نبعث؟ ﴿أو آبآؤنا الأولون﴾ أي أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون؟ قال الزمخشري: أي أيبعث أيضا آباؤنا؟ وهذا زيادة في استبعاد الأمر، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي قل لهم نعم تبعثون وأنتم صاغرون ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي فإذا هم قيام في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض قال القرطبي: الزجرة: الصيحة وهي النفخة الثانية، وسميت زجرة لأن مقصودها الزجر، كزجر الإبل، والخيل عند السوق.

. ثم أخبر تعالى عن حسرتهم وندامتهم عند معاينتهم مأهوال القيامة فقال ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين﴾ أي يا هلاكنا وخسارتنا هذا يوم الجزاء والحساب!! فتقول لهم الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ أي هذا يوم الفصف بين الخلائق الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به قال البيضاوي: الفصل: القضاء والتفريق بين المحسن والمسيء ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي اجمعوا الظالمين وأشباههم من العصاة والمجرمين، كل إنسان مع نظرائه قال القرطبي: الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، والسارق مع السارق وقال ابن عباس: اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات، وعنه المراد به أشباههم من العصاة ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أي وما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام، وذلك زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها، وفي لفظ ﴿اهدوهم﴾ تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ أي احبسوهم عند الصراط لأنهم سيسألون عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وأنتم هنا جميعا؟ وكلكم في حاجة إلى الناصر والمعين؟ قال المفسرون: هذا إشارة إلى قول أبي جهل يوم بدر «نحن جميع منتصر» وأصل ﴿تناصرون﴾ تتناصرون حذفت إحدى التاءين تخفيفا، قال تعالى ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي بل هم اليوم أذلاء منقادون، عاجزون عن الانتصار، سواء منهم العابدون والمعبودون ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ أي أقبل الرؤساء والأتباع يتلاومون ويتخاصمون قال أبو السعود: وسؤالهم إنما هو سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أي قال الأتباع منهم للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الحق، وتزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن اتباع طريق الهدى قال الطبري: أي كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتخدعوننا بأقوى الوجوه، قال: واليمين في كلام العرب: القوه والقدرة كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وقيل: المراد تأتوننا بطريق الوسوسة عن يميننا كما هو المعتاد في حالة الوسوسة بالأسرار غالبا ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي يقول لهم الرؤساء: لم نحملكم نحن على الضلال ولم نمنعكم من الإيمان، بل كفرتم ولم تؤمنوا باختياركم قال ابن كثير: أي ليس الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ أي ما كان لنا عليكم من قوة وقدرة نقهركم بها عن متابعتنا ﴿بل كنتم قوما طاغين﴾ أي بل فيكم فجور وطغيان واستعداد

للعصيان، فلذلك استجبتم لنا واتبعتمونا ﴿فحق علينا قول ربنآ﴾ أي فوجب علينا جميعا وعيد الله لنا بالعذاب ﴿إنا لذآئقون﴾ أي فإنا لذائقو هذا العذاب لا محالة ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ أي فزينا لكم الباطل، ودعوناكم إلى الغي لأننا كنا على غي وضلال، قال تعالى مخبرا عن حالهم ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ أي فإنهم يوم القيامة مشتركون في العذاب، كما كانوا مشتركين في الغواية، ولكن كما قال تعالى ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ [الزخرف: ٣٩] ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أي مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بالأشقياء المجرمين، ثم بين تعالى السبب فقال ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ أي إذا قيل لهم قولوا ﴿لا إله إلا الله﴾ يتكبرون ويتعظمون ﴿ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ ؟ أي ويقولون عندما يدعون إلى التوحيد: أنترك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون؟ يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ردا عليهم ﴿بل جآء بالحق وصدق المرسلين﴾ أي ليس الأمر كما يفترون بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحق الأبلج، وجاء بمثل ما جاء به الرسل قبله قال أبو حيان: جمع المشركون بين إنكار الوحدانية، وإنكار الرسالة، ثم خلطوا في كلامهم بقولهم «شاعر مجنون» فإن الشاعر عنده من الفهم والحذق ماينظم به المعاني الغريبة، ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة، ومن كان مجنونا لا يصل إلى شيء من ذلك، فكلامهم تخليط وهذيان ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ أي إنكم أيها المجرمون لمعذبون أشد العذاب ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي لا تعاقبون إلا جزاء مثل عملكم قال الصاوي: لأن الشريكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة.
. ولما ذكر شئا من أحوال الكفار وعذابهم، ذكر شيئا من أحوال المؤمنين ونعيمهم، على طريقة القرآن في الموازنة بين الفريقين ترغيبا وترهيبا فقال ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الاستثناء منقطع أي لكن عباد الله المخلصين الموحدين، فإنهم لا يذوقون العذاب، ولا يناقشون الحساب، بل يتجاوز الله عن سيئاتهم، يجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.
. ثم أخبر عن جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي أولئك الأخيار الأبرار لهم رزقهم في الجنة صباحا ومساء كما قال تعالى ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ [مريم: ٦٢] وقال أبو السعود: معلوم الخصائص من حسن المنظر، ولذة الطعم، وطيب الرائحة، ثم فسر الرزق بقوله: ﴿فواكه وهم مكرمون﴾ أي فواكه متنوعة من جميع ما يشتهون، وهم في الجنة معززون مكرمون، وخص الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ ﴿في جنات النعيم﴾ أي في رياض وبساتين يتنعمون فيها ﴿على سرر متقابلين﴾ أي على أسرة مكللة بالدر والياقوت، تدور بهم كيف شاءوا قال مجاهد: ﴿متقابلين﴾ أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواص وتحابيا ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ لما ذكر الطعام أعقبه بذكر الشراب أي يطوف عليهم خدم الجنة بكأس من الخمر من نهر جار خارج من عيون الجنة قال الصاوي: وصف به خمر الجننة لأنه يجري كالماء النابع وقال ابن عباس: كل كأس في القرآن فهي الخمر، والمعين هي الجارية ﴿بيضآء لذة للشاربين﴾ أي هذه الخمر بيضاء ذات لذة للشاربين، يلتذ بها من شربها قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ أي ليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا قال ابن كثير: نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي هي في خمر الدنيا، من صداع الرأس، ووجع البطن، وذهاب العقل، فخمر الجنة طعمها طيب كلونها، والمراد بالغول هنا صداع الرأس قاله ابن عباس، وقال قتادة: هو صداع الرأس ووجع البطن وتلك أجمل أوصاف الشراب، التي تحقق لذة الشراب، وتنفي أكداره وأضراره، فلا خمار يصدر الرءوس، ولا سكر ولا عربدة

يذهب لذة الاستمتاع كما هي الحال في خمرة الدنيا ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي وعندهم الحور العين، العفيفات اللواتي قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم حياء وعفة، قال ابن عباس: ﴿قاصرات الطرف﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿عين﴾ أي وهن مع العفة واسعات جميلات العيون قال الطبري: أي نجل العيون جمع عيناء وهي المرأة الواسعة العين مع الحسن والجمال، وهي أحسن ما تكون من العيون ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ أي كأنهن اللؤلؤ المكنون في أصدافه قاله ابن عباس واستشهد بقوله تعالى ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٢٢٣] وقال الحسن: ﴿المكنون﴾ المصون الذي لم تمسه الأيدي. . والغرض أنهن مع هذا الجمال الباهر، مصونات كالدر في أصدافه، مع رقة لطف ونعومة ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ لا تبتذله الأيدي ولا العيون، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها قال أبو حيان: ذكر تعالى في هذه الآيات أولا الرزق وهو ما تلذذ به الأجسام، وثانيا الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس، ثم ذكر المحل وهو جنات النعيم، ثم لذة التآنس والاجتماع ﴿على سرر متقابلين﴾ وهو أتم للسرور وآنس، ثم ذكر المشروب وهو الخمر التي تدار عليهم بالكؤوس ولا يتناولونها بأنفسهم، ثم ختم باللذة الجسدية أبلغ الملاذ وهي التآنس بالنساء ثم أخبر تعالى عما يتحدث به أهل الجنة للأنس والسور، وهم على موائد الشراب يتلذذون بكل ممتع، وينعمون بتجاذب أطراف الحديث فقال ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ أي جلسوا يتحدثون عما جرى لهم في الدنيا، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا وثمرة الإيمان ﴿قال قآئل منهم إني كان لي قرين﴾ أي قال قائل من أهل الجنة إني كان لي في الدنيا صديق وجليس ينكر البعث ﴿يقول أإنك لمن المصدقين﴾ أي يقول لي أتصدق بالبعث والجزاء؟ ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون﴾ ؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذرات من التراب وعظاما نخرة، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ ؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعونن إلى النار لننظر كيف حال ذلك القريب؟ قال تعالى ﴿فاطلع فرآه في سوآء الجحيم﴾ أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي فخاطبه المؤمن شامتا وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ أي ولولا فضل الله علي بتثبيتي على الإيمان، لكنت معك في النار محضرا ومعذبا في الجحيم، ثم يخاطبه مستهزءا ساخرا كما كان ذلك الكافر يستهزىء به في الدنيا ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ ؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة الله عليه قال تعالى ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أي لمثل هذا الجزاء الكريم يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون.

قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله ويقصر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلا على تكثير ماله، فانفصل من شريكه لتقصيره، وكان لكما اشترى دارا أو جارية أو بستانا أو نحو ذلك عوضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو من ذلك ليشتري له به قصرا في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال ما صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدقين؟ فكان أمرها ما قص الله علينا في كتابه العزيز.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ - الطباق ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ لأن السخرية في مقابلة التعجب.

٢ - التأكيد بإن واللم ﴿إن إلهكم لواحد﴾ ومقتضى الكلام يقتضيه لإنكار المخاطبين للوحدانية.

٣ - الأسلوب التهكمي ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ وردت الهداية بطريق التهكم، لأن الهداية تكون إلى طريق النعيم لا الجحيم.

٤ - الإيجاز بالحذف ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾ أي قولوا لا إ له إلا الله، وحذف **لدلالة السياق** عليه.

٥ - الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ والأصل إنهم لذائقو وإنما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم.

٦ - الكناية ﴿قاصرات الطرف﴾ كنى بذلك عن الحور العين لأنهم عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

٧ - التشبيه المرسل والمجمل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا.

٨ - مراعاة الفواصل وهو المحسنات البديعية مثل ﴿شهاب ثاقب، عذاب واصب، طين لازب﴾ إلى آخر.

اللغة: ﴿فالزاجرات﴾ الزجر: الدفع عن الشيء بقوة أو صياح، والزجرة: الصيحة من قولك: زجر الراعي الغنم إذا صاح عليها فرجعت لصوته ﴿مارد﴾ عاتي متمرد ﴿ثاقب﴾ محرق شديد النفاذ ﴿واصب﴾ دائم لا ينقطع ﴿لازب﴾ ملتزق بعضه ببعض ﴿معين﴾ شراب نابع من العيون ﴿غول﴾ الغول: كل ما يغتال العقل ويفسده قال أبو عبيدة: الغول ما يغتال العقل ويذهبه وأنشد قول ابن إياس:

ومازالت الخمر تغتالنا ... وتذهب بالأول فالأول

﴿بكأس﴾ قال أهل اللغة: العرب تقول للإناء إذا كان فيه خمر كأس، فإذا لم يكن فيه خمرا قالوا: إناء وقدح قال الشاعر:

وكأس شربت على لذة ... وأخرى تداويت منها بها

﴿ينزفون﴾ يسكرون يقال: نزف الرجل فهو نزيف ومنزوف إذا سكر قال الشاعر:

لعمري لئن أنزفتمو أو صحوتمو ... لبئس الندامى كنتم آل أبجرا

التفسير: ﴿والصافات صفا﴾ افتتح تعالى هذه السورة بالقسم ببعض مخلوقاته، إظهار لعظم شأنها، وكبر فوائدها، وتنبيها للعباد على جلاله قدرها والمعنى: أقسم بهذه الطوائف من الملائكة، الصافات قوائهما في الصلاة، أو أجنحتها في ارتقاب أمر الله قال ابن مسعود: هم الملائكة تصف في السماء في العبادة والذكر صفوفا، وفي الحديث «ألا تصفون كما تصف الملائكة عند ربهم؟ قلنا: وكيف يا رسول الله؟ قال: يتمون الصفوف المتقدمة، ويتراصون في الصف» أقسم تعالى بالملائكة تنبيها على جلالة قدرهم، وكثرة عبادتهم، فهم مع عظيم خلقهم ورفعة شأنهم لا ينفكون عن عبادة الله، يصطفون للعبادة كاصطفاف المؤمنين في الصلاة، مع الخشوع والخضوع للعزيز الجبار، الذي دانت له الخلائق، وخضعت لجلال هيبته الرقاب، بما فيهم حملة العرش والملائكة الأطهار ﴿فالزاجرات زجرا﴾ أي الملائكة التي تزجر السحاب، يسوقونه إلى حيث شاء الله، من الزجر بمعنى السوق والحث ﴿فالتاليات ذكرا﴾ وصف ثالث للملائكة الأبرار، إشادة بذكر محاسنهم ومناقبهم العلوية أي

وأقسم بالملائكة التالين لآيات الله على أنبيائه وأوليائه، مع التسبيح والتقديس والتحميد والتمجيد ﴿إن إلهكم لواحد﴾ هذا هو المقسم عليه أي إن إلهكم الذي تعبدونه أيها الناس إله واحد لاشريك له، قال مقاتل: إن الكفار بمكة قالوا: أجعل الآلهة إلها واحدا؟ وكيف يسع هذا الخلق إله فرد؟ فأقسم الله بهؤلاء تشريفا، ثم بين تعالى معنى وحدانيته وألوهيته فقال ﴿رب السماوات والأرض وما بينهما﴾ أي هو تعالى خالق السموات والأرض ومالكهما وما بينهما من المخلوقات والموجودات، فإن وجودهما وانتظامهما على هذا النمط البديع، من أوضح الدلائل على وجود الله ووحدانيته ﴿ورب المشارق﴾ أي وهو رب مشارق الشمس ومغاربها في الشتاء والصيف قال الطبريب: واكتفى بذكر المشارق عن المغارب لدلالة الكلام عليه ثم أخبر عن قدرته بتزيين السماء بالكواكب، بعد أن أخبر عن وحدانيته فقال ﴿إنا زينا السمآء الدنيا بزينة الكواكب﴾ أي زينا السماء القريبة منكم بالكواكب المنيرة المضيئة، التي تبدو وكأنها جواهر تتلألأ ﴿وحفظا من كل شيطان مارد﴾ أي وللحفظ من كل شيطان عات متمرد، خارج عن طاعة الله قال قتادة: خلقت النجوم لثلاث: رجوما للشياطين، ونورا يهتدى بها، وزينة للسماء الدنيا وقال أبو حيان: خص السماء الدنيا بالذكر لأنها هي التي تشاهد بالأبصار، وفيها وحدها يكون الحفظ من الشياطين ﴿لا يسمعون إلى الملإ الأعلى﴾ أي لا يقدرون أن يستمعوا إلى الملائكة الذين هم في العالم العلوي، وقيل المعنى: لئلا يتسمعوا إلى الملأ الأعلى ﴿ويقذفون من كل جانب﴾ أي ويرجمون بالشهب من كل جهة يقصدون السماء منها ﴿دحورا﴾ أي طردا لهم عن السماع لأخبار السماء قال الطبري: أي مطرودين، من الدحر وهو الدفع والإبعاد ﴿ولهم عذاب واصب﴾ أي ولهم في الآخرة عذاب موصول لا ينقطع ﴿إلا من خطف الخطفة﴾ أي إلا من اختلس شيئا مسارقة ﴿فأتبعه شهاب ثاقب﴾ أي فلحقه شهاب مضيء، نافذ بضوئه وشعاعه فأحرقه قال المفسرون: قد يخطف الشيطان المارد خطفة سريعة مما يدور في الملأ الأعلى، فيتبعه شهاب يلاحقه في هبوطه فيصيبه ويحرقه حرقا قال القرطبي: وليست الشهب التي يرجم بها الشياطين من الكواكب الثواب، لأن الثابتة تجري ولا ترى حركتها، وهذه الشهب ترى حركاتها ﴿فاستفتهم﴾ أي فسل يا محمد هؤلاء المنكرين للبعث ﴿أهم أشد خلقا أم من خلقنآ﴾ أي أيهم أقوى بنية وأشد خلقا هل هم أم السموات والأرض وما بينهما من الملائكة والمخلوقات العظيمة العجيبة؟ ﴿إنا خلقناهم من طين لازب﴾ أي من طين زخو لا قوة فيه قال الطبري: وإنما وصفه باللزوب لأنه تراب مخلوط بماء، وكذلك خلق ابن آدم من تراب وماء، ونار وهواء، والتراب إذا خلط بماء صار طينا لازبا، والغرض من الآية إقامة البرهان على إعادة الإنسان، فالذي خلقه من العدم وخلق هذه الخلائق، قادر على إعادة الأجسام بعد الفناء ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ أي بل عجبت يا محمد من تكذيبهم للبعث مع رؤيتهم آثار قدرة الله الباهرة، وهم يسخرون منك ومما تقول لهم في ذلك قال أبو السعود: المعنى عجبت من قدرة الله تعالى على هذه الخلائق العظيمة وإنكارهم للبعث، وهم يسخرون من تعجبك وتقريرك للبعث ﴿وإذا ذكروا لا يذكرون﴾ أي وإذا وعظوا بالقرآن وخوفوا به، لا يتعظون ولا يتدبرون ﴿وإذا رأوا آية يستسخرون﴾ أي وإذا رأوا آية باهرة، أو معجزة قاهرة تدل على صدقكك كانشقاق القمر، وتكليم الشجر والحجر، يبالغون في السخرية أو يدعون غيرهم للسخرية والاستهزاء ﴿وقالوا إن هاذآ إلا سحر مبين﴾ أي ما هذا الذي جئتنا به يا محمد إلا سحر واضح بين قال في البحر: والإشارة ب «هذا» إلى ما ظهر على يديه عليه السلام من الخارق المعجز ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمبعوثون﴾ الاستفهام للإنكار والاستهزاء أي أئذا أصبحت أجسادنا بالية، وتفتت أجزاؤها إلى تراب وعظام سوف نبعث؟ ﴿أو آبآؤنا

الأولون﴾ أي أو آباؤنا الأولون كذلك سيبعثون؟ قال الزمخشري: أي أيبعث أيضا آباؤنا؟ وهذا زيادة في استبعاد الأمر، يعنون أنهم أقدم، فبعثهم أبعد وأبطل ﴿قل نعم وأنتم داخرون﴾ أي قل لهم نعم تبعثون وأنتم صاغرون ﴿فإنما هي زجرة واحدة﴾ أي وما هي إلا صيحة واحدة ينفخ فيها إسرافيل في الصور للقيام من القبور ﴿فإذا هم ينظرون﴾ أي فإذا هم قيام في أرض المحشر ينظر بعضهم إلى بعض قال القرطبي: الزجرة: الصيحة وهي النفخة الثانية، وسميت زجرة لأن مقصودها الزجر، كزجر الإبل، والخيل عند السوق.

. ثم أخبر تعالى عن حسرتهم وندامتهم عند معاينتهم مأهوال القيامة فقال ﴿وقالوا ياويلنا هذا يوم الدين﴾ أي يا هلاكنا وخسارتنا هذا يوم الجزاء والحساب!! فتقول لهم الملائكة على سبيل التوبيخ والتقريع ﴿هذا يوم الفصل الذي كنتم به تكذبون﴾ أي هذا يوم الفصف بين الخلائق الذي كنتم تنكرونه وتكذبون به قال البيضاوي: الفصل: القضاء والتفريق بين المحسن والمسيء ﴿احشروا الذين ظلموا وأزواجهم﴾ أي اجمعوا الظالمين وأشباههم من العصاة والمجرمين، كل إنسان مع نظرائه قال القرطبي: الزاني مع الزاني، وشارب الخمر مع شارب الخمر، والسارق مع السارق وقال ابن عباس: اجمعوا الظالمين ونساءهم الكافرات، وعنه المراد به أشباههم من العصاة ﴿وما كانوا يعبدون من دون الله﴾ أي وما كانوا يعبدون من الأوثان والأصنام، وذلك زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ أي فعرفوهم طريق الجحيم ووجهوهم إليها، وفي لفظ ﴿اهدوهم﴾ تهكم وسخرية، فإذا لم يهتدوا في الدنيا إلى الصراط المستقيم، فليهتدوا اليوم إلى صراط الجحيم ﴿وقفوهم إنهم مسئولون﴾ أي احبسوهم عند الصراط لأنهم سيسألون عن جميع أقوالهم وأفعالهم، ثم يقال لهم على سبيل التقريع والتوبيخ ﴿ما لكم لا تناصرون﴾ أي ما لكم لا ينصر بعضكم بعضا وأنتم هنا جميعا؟ وكلكم في حاجة إلى الناصر والمعين؟ قال المفسرون: هذا إشارة إلى قول أبي جهل يوم بدر «نحن جميع منتصر» وأصل ﴿تناصرون﴾ تتناصرون حذفت إحدى التاءين تخفيفا، قال تعالى ﴿بل هم اليوم مستسلمون﴾ أي بل هم اليوم أذلاء منقادون، عاجزون عن الانتصار، سواء منهم العابدون والمعبودون ﴿وأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ أي أقبل الرؤساء والأتباع يتلاومون ويتخاصمون قال أبو السعود: وسؤالهم إنما هو سؤال توبيخ بطريق الخصومة والجدال ﴿قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين﴾ أي قال الأتباع منهم للمتبوعين: إنكم كنتم تأتوننا من قبل الحق، وتزينون لنا الباطل، وتصدوننا عن اتباع طريق الهدى قال الطبري: أي كنتم تأتوننا من قبل الدين والحق، فتخدعوننا بأقوى الوجوه، قال: واليمين في كلام العرب: القوه والقدرة كقول الشاعر:

إذا ما راية رفعت لمجد ... تلقاها عرابة باليمين

وقيل: المراد تأتوننا بطريق الوسوسة عن يميننا كما هو المعتاد في حالة الوسوسة بالأسرار غالبا ﴿قالوا بل لم تكونوا مؤمنين﴾ أي يقول لهم الرؤساء: لم نحملكم نحن على الضلال ولم نمنعكم من الإيمان، بل كفرتم ولم تؤمنوا باختياركم قال ابن كثير: أي ليس الأمر كما تزعمون، بل كانت قلوبكم منكرة للإيمان، قابلة للكفر والعصيان ﴿وما كان لنا عليكم من سلطان﴾ أي ما كان لنا عليكم من قوة وقدرة نقهركم بها عن متابعتنا ﴿بل كنتم قوما طاغين﴾ أي بل فيكم فجور وطغيان واستعداد للعصيان، فلذلك استجبتم لنا واتبعتمونا ﴿فحق علينا قول ربنآ﴾ أي فوجب علينا جميعا وعيد الله لنا بالعذاب ﴿إنا لذآئقون﴾ أي فإنا لذائقو هذا العذاب لا محالة ﴿فأغويناكم إنا كنا غاوين﴾ أي فزينا لكم الباطل، ودعوناكم إلى الغي لأننا كنا على غي وضلال، قال تعالى مخبرا عن حالهم ﴿فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون﴾ أي فإنهم يوم القيامة مشتركون

في العذاب، كما كانوا مشتركين في الغواية، ولكن كما قال تعالى ﴿ولن ينفعكم اليوم إذ ظلمتم أنكم في العذاب مشتركون﴾ [الزخرف: ٣٩] ﴿إنا كذلك نفعل بالمجرمين﴾ أي مثل هذا الفعل بهؤلاء نفعل بالأشقياء المجرمين، ثم بين تعالى السبب فقال ﴿إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون﴾ أي إذا قيل لهم قولوا ﴿لا إله إلا الله﴾ يتكبرون ويتعظمون ﴿ويقولون أإنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون﴾ ؟ أي ويقولون عندما يدعون إلى التوحيد: أنترك عبادة الأوثان لقول شاعر مجنون؟ يعنون بذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم قال تعالى ردا عليهم ﴿بل جآء بالحق وصدق المرسلين﴾ أي ليس الأمر كما يفترون بل جاءهم محمد بالتوحيد والإسلام الذي هو الحق الأبلج، وجاء بمثل ما جاء به الرسل قبله قال أبو حيان: جمع المشركون بين إنكار الوحدانية، وإنكار الرسالة، ثم خلطوا في كلامهم بقولهم «شاعر مجنون» فإن الشاعر عنده من الفهم والحذق ماينظم به المعاني الغريبة، ويصوغها في قالب الألفاظ البديعة، ومن كان مجنونا لا يصل إلى شيء من ذلك، فكلامهم تخليط وهذيان ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ أي إنكم أيها المجرمون لمعذبون أشد العذاب ﴿وما تجزون إلا ما كنتم تعملون﴾ أي لا تعاقبون إلا جزاء مثل عملكم قال الصاوي: لأن الشريكون جزاؤه بقدره، بخلاف الخير فجزاؤه بأضعاف مضاعفة.

. ولما ذكر شئا من أحوال الكفار وعذابهم، ذكر شيئا من أحوال المؤمنين ونعيمهم، على طريقة القرآن في الموازنة بين الفريقين ترغيبا وترهيبا فقال ﴿إلا عباد الله المخلصين﴾ الاستثناء منقطع أي لكن عباد الله المخلصين الموحدين، فإنهم لا يذوقون العذاب، ولا يناقشون الحساب، بل يتجاوز الله عن سيئاتهم، يجزون الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف.

. ثم أخبر عن جزائهم فقال ﴿أولئك لهم رزق معلوم﴾ أي أولئك الأخيار الأبرار لهم رزقهم في الجنة صباحا ومساء كما قال تعالى ﴿ولهم رزقهم فيها بكرة وعشيا﴾ [مريم: ٦٢] وقال أبو السعود: معلوم الخصائص من حسن المنظر، ولذة الطعم، وطيب الرائحة، ثم فسر الرزق بقوله: ﴿فواكه وهم مكرمون﴾ أي فواكه متنوعة من جميع ما يشتهون، وهم في الجنة معززون مكرمون، وخص الفواكه بالذكر لأن كل ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ ﴿في جنات النعيم﴾ أي في رياض وبساتين يتنعمون فيها ﴿على سرر متقابلين﴾ أي على أسرة مكللة بالدر والياقوت، تدور بهم كيف شاءوا قال مجاهد: ﴿متقابلين﴾ أي لا ينظر بعضهم إلى قفا بعض تواص وتحابيا ﴿يطاف عليهم بكأس من معين﴾ لما ذكر الطعام أعقبه بذكر الشراب أي يطوف عليهم خدم الجنة بكأس من الخمر من نهر جار خارج من عيون الجنة قال الصاوي: وصف به خمر الجننة لأنه يجري كالماء النابع وقال ابن عباس: كل كأس في القرآن فهي الخمر، والمعين هي الجارية ﴿بيضآء لذة للشاربين﴾ أي هذه الخمر بيضاء ذات لذة للشاربين، يلتذ بها من شربها قال الحسن: خمر الجنة أشد بياضا من اللبن ﴿لا فيها غول ولا هم عنها ينزفون﴾ أي ليس فيها ما يغتال عقولهم فيفسدها، ولا هم يسكرون بشربها كما تفعل خمر الدنيا قال ابن كثير: نزه الله سبحانه خمر الجنة عن الآفات التي هي في خمر الدنيا، من صداع الرأس، ووجع البطن، وذهاب العقل، فخمر الجنة طعمها طيب كلونها، والمراد بالغول هنا صداع الرأس قاله ابن عباس، وقال قتادة: هو صداع الرأس ووجع البطن وتلك أجمل أوصاف الشراب، التي تحقق لذة الشراب، وتنفي أكداره وأضراره، فلا خمار يصدر الرءوس، ولا سكر ولا عربدة يذهب لذة الاستمتاع كما هي الحال في خمرة الدنيا ﴿وعندهم قاصرات الطرف﴾ أي وعندهم الحور العين، العفيفات اللواتي قصرن أعينهن على النظر إلى أزواجهن، فلا ينظرن إلى غيرهم حياء وعفة، قال ابن عباس: ﴿قاصرات الطرف﴾ أي عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن ﴿عين﴾ أي وهن مع العفة واسعات جميلات العيون قال الطبري: أي نجل العيون جمع

عيناء وهي المرأة الواسعة العين مع الحسن والجمال، وهي أحسن ما تكون من العيون ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ أي كأنهن اللؤلؤ المكنون في أصدافه قاله ابن عباس واستشهد بقوله تعالى ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون﴾ [الواقعة: ٢٢٢٣] وقال الحسن: ﴿المكنون﴾ المصون الذي لم تمسه الأيدي. . والغرض أنهن مع هذا الجمال الباهر، مصونات كالدر في أصدافه، مع رقة لطف ونعومة ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ لا تبتذله الأيدي ولا العيون، والعرب تشبه المرأة بالبيضة لصفائها وبياضها قال أبو حيان: ذكر تعالى في هذه الآيات أولا الرزق وهو ما تلذذ به الأجسام، وثانيا الإكرام وهو ما تتلذذ به النفوس، ثم ذكر المحل وهو جنات النعيم، ثم لذة التآنس والاجتماع ﴿على سرر متقابلين﴾ وهو أتم للسرور وآنس، ثم ذكر المشروب وهو الخمر التي تدار عليهم بالكؤوس ولا يتناولونها بأنفسهم، ثم ختم باللذة الجسدية أبلغ الملاذ وهي التآنس بالنساء ثم أخبر تعالى عما يتحدث به أهل الجنة للأنس والسور، وهم على موائد الشراب يتلذذون بكل ممتع، وينعمون بتجاذب أطراف الحديث فقال ﴿فأقبل بعضهم على بعض يتسآءلون﴾ أي جلسوا يتحدثون عما جرى لهم في الدنيا، يتذاكرون نعيمهم وحال الدنيا وثمرة الإيمان ﴿قال قآئل منهم إني كان لي قرين﴾ أي قال قائل من أهل الجنة إني كان لي في الدنيا صديق وجليس ينكر البعث ﴿يقول أإنك لمن المصدقين﴾ أي يقول لي أتصدق بالبعث والجزاء؟ ﴿أإذا متنا وكنا ترابا وعظاما أإنا لمدينون﴾ ؟ أي هل إذا متنا وأصبحنا ذرات من التراب وعظاما نخرة، أئنا لمحاسبون ومجزيون بأعمالنا؟ يقول ذلك على وجه التعجب والتكذيب والاستبعاد ﴿قال هل أنتم مطلعون﴾ ؟ أي قال ذلك المؤمن لإخوانه في الجنة: هل أنتم مطلعونن إلى النار لننظر كيف حال ذلك القريب؟ قال تعالى ﴿فاطلع فرآه في سوآء الجحيم﴾ أي فنظر فأبصر صاحبه الكافر في وسط الجحيم يتلظى سعيرها ﴿قال تالله إن كدت لتردين﴾ أي فخاطبه المؤمن شامتا وقال له: والله لقد قاربت أن تهلكني بإغوائك ﴿ولولا نعمة ربي لكنت من المحضرين﴾ أي ولولا فضل الله علي بتثبيتي على الإيمان، لكنت معك في النار محضرا ومعذبا في الجحيم، ثم يخاطبه مستهزءا ساخرا كما كان ذلك الكافر يستهزىء به في الدنيا ﴿أفما نحن بميتين إلا موتتنا الأولى وما نحن بمعذبين﴾ ؟ أي هل لا تزال على اعتقادك بأننا لن نموت إلا موتة واحدة، وأنه لا بعث ولا جزاء ولا حساب ولا عذاب؟ وهو أسلوب ساخر لاذع يظهر فيه التشفي من ذلك القرين الكافر، والتحدث بنعمة الله عليه قال تعالى ﴿إن هذا لهو الفوز العظيم﴾ أي إن هذا النعيم الذي ناله أهل الجنة لهو الفوز العظيم ﴿لمثل هذا فليعمل العاملون﴾ أي لمثل هذا الجزاء الكريم يجب أن يعمل العاملون ويجتهد المجتهدون.

قال المفسرون: أشارت الآيات الكريمة إلى قصة شريكين كان لهما ثمانية آلاف درهم، فكان أحدهما يعبد الله ويقصر في التجارة والنظر إلى أمور الدنيا، وكان الآخر مقبلا على تكثير ماله، فانفصل من شريكه لتقصيره، وكان لكما اشترى دارا أو جارية أو بستانا أو نحو ذلك عوضه على المؤمن وفخر عليه بكثرة ماله، وكان المؤمن إذا سمع ذلك يتصدق بنحو من ذلك ليشتري له به قصرا في الجنة، فإذا لقيه صديقه قال ما صنعت بمالك؟ قال: تصدقت به لله! فكان يسخر منه ويقول: أئنك لمن المصدقين؟ فكان أمرها ما قص الله علينا في كتابه العزيز.

البلاغة: تضمنت الآيات الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ - الطباق ﴿بل عجبت ويسخرون﴾ لأن السخرية في مقابلة التعجب.

٢ - التأكيد بإن واللم ﴿إن إلهكم لواحد﴾ ومقتضى الكلام يقتضيه لإنكار المخاطبين للوحدانية.

٣ – الأسلوب التهكمي ﴿فاهدوهم إلى صراط الجحيم﴾ وردت الهداية بطريق التهكم، لأن الهداية تكون إلى طريق النعيم لا الجحيم.

٤ – الإيجاز بالحذف ﴿إذا قيل لهم لا إله إلا الله﴾ أي قولوا لا إ له إلا الله، وحذف **لدلالة السياق** عليه.

٥ – الالتفات من الغيبة إلى الخطاب ﴿إنكم لذآئقو العذاب الأليم﴾ والأصل إنهم لذائقو وإنما التفت لزيادة التقبيح والتشنيع عليهم.

٦ – الكناية ﴿قاصرات الطرف﴾ كنى بذلك عن الحور العين لأنهم عفيفات لا ينظرن إلى غير أزواجهن.

٧ – التشبيه المرسل والمجمل ﴿كأنهن بيض مكنون﴾ حذف منه وجه الشبه فأصبح مجملا.

٨ – مراعاة الفواصل وهو المحسنات البديعية مثل ﴿شهاب ثاقب، عذاب واصب، طين لازب﴾ إلى آخر.." (١)

"حراس الجنة: سلام عليكم أيها المتقون الأبرار ﴿طبتم﴾ أي طهرتم من دنس المعاصي والذنوب، فادخلوا الجنة دار الخلود، قال البيضاوي: وجواب «إذا» محذوف، للدلالة على أن لهم من الكرامة والتعظيم، ما لا يحيط به الوصف والبيان قال ابن كثير: وتقديره إذا كان هذا سعدوا، وطابوا، وسروا وفرحوا بقدر ما يكون لهم من النعيم ﴿وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده﴾ أي وقالوا عند دخولهم الجنة واستقرارهم فيها: الحمد لله الذي حقق لنا ما وعدنا به من دخول الجنة قال المفسرون: والإشارة إلى وعده تعالى لهم بقوله

﴿تلك الجنة التي نورث من عبادنا من كان تقيا﴾ [مريم: ٦٣] ﴿وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشآء﴾ أي وملكنا أرض الجنة نتصرف فيها تصرف المالك في ملكه وننزل فيها حيث نشاء، ولا ينازعنا فيها أحد ﴿فنعم أجر العاملين﴾ أي فنعم أجر العاملين بطاعة الله الجنة ﴿وترى الملائكة حآفين من حول العرش﴾ أي وترى يا محمج الملائكة محيطين بعرش الرحمن، محدقين به من كل جانب ﴿يسبحون بحمد ربهم﴾ أي يسبحون الله ويمجدونه تلذذا لا تعبدا ﴿وقضي بينهم بالحق﴾ أي وقضي بين العباد بالعدل ﴿وقيل الحمد لله رب العالمين﴾ أي وقيل الحمد لله على عدله وقضائه قال المفسرون: القائل هم المؤمنون والكافرون، المؤمنون يحمدون الله على فضله، والكافرون يحمدونه على عدله قال ابن كثير: نطق الكون أجمعه، ناطقه وبهيمه، لله رب العالمين بالحمد في حكمه وعدله، ولهذا لم يسند القول إلى قائل، بل أطلقه فدل على أن جميع المخلوقات شهدت له بالحمد.

البلاغة: تضمنت السورة الكريمة وجوها من البيان والبديع نوجزها فيما يلي:

١ – الطباق بين (تكفروا . تشكروا) وبين ﴿يرجوا . ويحذر﴾ وبين ﴿فوقهم . وتحتهم﴾ وبين ﴿ضر . ورحمة﴾ وبين ﴿الغيب . والشهادة﴾ وبين ﴿يبسط . ويقدر﴾ وبين ﴿اهتدى . وضل﴾ الخ.

٢ – جناس الاشتقاق ﴿يتوكل المتوكلون﴾ [الزمر: ٣٨] وكذلك في قوله ﴿أحسنوا في هذه الدنيا حسنة﴾ [الزمر: ١٠] .

٣ – الأسلوب التهكمي ﴿لهم من فوقهم ظلل من النار﴾ [الزمر: ١٦] إطلاق الظلة عليها تهكم لأنها محرقة، ولظلة تقي من الحر.

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٣/٣٢

٤ – المقابلة الرائعة ﴿وإذا ذكر الله وحده اشمأزت قلوب الذين لا يؤمنون بالآخرة. .﴾ [الزمر: ٤٥] الآية فقد قابل بين الله والأصنام، وبين السرور والاشمئزاز، وكذلك توجد مقابلة بين آيتي السعداء والأشقياء ﴿وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمرا﴾ وقابل ذلك بقوله ﴿وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمرا. .﴾ والمقابلة أن يؤتى بمعنيين أو أكثر، ثم يؤتى بما يقابل ذلك على الترتيب وهو من المحسنات البديعية.

٥ – الإيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه ﴿أفمن شرح الله صدره للإسلام فهو على نور من ربه فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله أولئك في ضلال مبين﴾ [الزمر: ٢٢] ؟ حذف خبره." (١)

"(ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون) (٥٤)

المعنى الإجمالي:

بينت الآية السابقة أن المضطرين لا يتجهون بالدعاء إلا إلى الله سبحانه وتعالى، وهم من شدة تعلقهم بالله يجأرون بالدعاء إليه، أي يرفعون أصواتهم، ولكن العجيب في الأمر أنه وبعد أن يكشف الله عنهم الضر، يشرك فريق منهم بالله.

المعنى التفصيلي:

– (ثم) في قوله تعالى (ثم إذا كشف الضر عنكم) للترتيب الرتبي، وليس للتراخي؛ لأن كشف الضر قد يكون فوريا دون تراخ، وجيء بـ (ثم)؛ لأن الفرق عظيم بين الجملة الأولى (ثم إذا مسكم الضر فإليه تجأرون) والجملة المعطوفة (ثم إذا كشف الضر عنكم إذا فريق منكم بربهم يشركون)، والفرق العظيم يتضح بالمقارنة بين صورة من يجأر إلى الله بالدعاء ليكشف عنه الضر، وصورة من يشرك بالله بعد أن يكشف الله عنه الضر.

– (إذا كشف الضر عنكم) (إذا) هنا هي (إذا) الشرطية، وذكر الجار والمجرور (عنكم)، علما بأن السياق يدل على الجار والمجرور ولو لم يذكر؛ وذلك زيادة في بيان أن كشف الضر كان لأجلكم أنتم، ولم يكن كشفا عن أحد غيركم.

– (إذا فريق منكم) (إذا) هنا هي (إذا) الفجائية، والتي لها دلالة على عجيب رد فعل المنعم عليهم، حيث قابلوا الإنعام بالجحود.

– التعبير بـ (فريق) يدل على أن من الداعين لله من يشكر الله على نعمه.

– وذكر الجار والمجرور (منكم) في قوله تعالى (إذا فريق منكم)، رغم **دلالة السياق** عليه، زيادة في بيان بشاعة فعلتهم أن أشركوا بالمنعم عليهم بدل أن يشكروه.

– (بربهم يشركون) قدم الجار والمجرور (بربهم)؛ لإبراز بشاعة هذا الشرك، وأنه ليس أي شرك، بل هو شرك مع الله سبحانه وتعالى.

– وزيادة في بيان بشاعة هذا الشرك جاء التعبير بـ (بربهم) ولم يأت بـ" الله" أو غير ذلك من أسماء الله سبحانه وتعالى؛ لأن من معاني الرب الراعي لعباده، وانظر بشاعة أن يشرك العبد بمن خلقه ويرعاه ويرزقه.

---

(١) صفوة التفاسير محمد علي الصابوني ٨٢/٣

- بل وأضيف الضمير "هم" إلى لفظ "الرب" زيادة في بيان أن هذه الرعاية من الله مختصة بهم؛ لأنه ربهم هم، فهو راعيهم هم، وخالقهم هم، ومحييهم هم، ورغم ذلك هم بذاتهم يشركون بمن نعمه عليهم، فسبحان الله ما أحلمه وأعظمه!." [١]

"(وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء وهو كل على مولاه أينما يوجهه لا يأت بخير هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) (٧٦)

المفردات:

- ضرب: جعل.

- مثلا: وأصل المثل: الصفة، ومعناه هنا: وصف يقاس عليه.

- أبكم: الذي يولد أخرس.

- كل: ثقيل.

- مولاه: المولى: من يتولى أمره.

المعنى الإجمالي:

بينت الآية السابقة أنه لا يعقل أن يسوى بين الله سبحانه وبين الأصنام، كما لا يعقل أن يسوى بين العبد العاجز عن التصرف وبين الحر الذي يفعل بماله ما يشاء من الخير.

ويضرب الله مثلا آخر على أنه لا يعقل أن يسوى بين الله سبحانه وبين الأصنام، كما لا يعقل أن يسوى بين الأبكم العاجز عن البيان، وزيادة على هذا العجز عن النطق فهو غبي لا يقدر على فعل شيء مفيد، لا يعقل أن يسوى بينه وبين الناطق الحكيم الذي يأمر بالعدل والخير، وهو أيضا ملتزم بهذا العدل والخير؛ لأنه على صراط مستقيم.

المعنى التفصيلي:

- (وضرب الله مثلا) الواو للعطف، أي وضرب الله مثلا آخر ليستدل به الكفار على أنهم مخطئون في مساواتهم بين الأصنام وبين الله سبحانه وتعالى.

- وجاء التعبير بـ "الضرب" وليس "الجعل"، وقد سبق بيان هذا في تفسير الآية السابقة.

- (وضرب الله مثلا) ذكر الاسم الظاهر (الله) رغم **دلالة السياق** عليه، ورغم أن الآية عطف على الآية السابقة (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا ..... وضرب الله مثلا رجلين)، ولو جاءت الآية بالضمير المقدر لعلم المقصود، أي: "وضرب مثلا رجلين"، ولكن إقامة الاسم الظاهر مقام المضمر إنما جاء تفخيما للمثل المضروب بذكر ضارب المثل سبحانه وتعالى.

- (وضرب الله مثلا) وصف سبحانه وتعالى وصفا ليقيس عليه الكفار ما يفعلونه، فيعلموا أنهم مخطئون.

- أبهم المثل في قوله تعالى (ضرب الله مثلا)، ثم فسر بقوله تعالى (رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الآية، وهذا الإبهام للمثل ثم تفسيره، فيه ما فيه من تفخيم المثل وتعظيمه.

- (رجلين) بدل من (مثلا)، ولم يأت نص الآية السابقة بـ (رجلين)، وإنما جاء (عبدا)؛ لأن المثل المضروب في الآية السابقة

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/١٠٩

إنما هو مثل عبد وحر، فهما مختلفين، بينما المثل في هذه الآية إنما هو مثل رجلين حرين.

- (أبكم) هو الذي لا يقدر على الكلام، ولكن هنالك فرق بين الأخرس والأبكم، فإن الأبكم هو من ولد وهو أخرس، ولذا فكل أبكم أخرس، وليس كل أخرس أبكم.

- (لا يقدر على شيء) حال هذا الأبكم ليست كحال أي أبكم، بل هو أبكم عاجز لا يقدر على تحقيق شيء، أي شيء؛ لأن (شيء) نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تدل على العموم، فهذا الأبكم لا يقدر على تحقيق شيء مما يرتجى من الرجال.

- وهذا الأبكم بسبب عجزه عن تحقيق أي شيء نافع، هو (كل على مولاه) أي عالة وثقيل على (مولاه) أي من يتولى شؤونه من أهله وقرابته.

- ومن الناس العاجزين من يكون عالة على أهله، ولكن أهله يوجهونه إلى تحقيق أشياء معينة تناسب وضعه، فقد يستخدمون هذا الأبكم في الرعي أو ما شابه ذلك من الأعمال اليدوية، ولكن هذا الأبكم الذي ضرب مثله عاجز أيما عجز؛ لأن مولاه (أينما يوجهه لا يأت بخير).

- (أينما يوجهه) أي هذا الأبكم لا يستطيع تحقيق المنفعة على اختلافها، لأنه عاجز عن الفهم والاستيعاب أيضا؛ لأنه غبي لا يفهم ما يراد منه – علما أن الأبكم الذكي يفهم ما يراد منه – والدليل على أنه لا يفهم ما يراد منه، هو كلمة (يوجهه)، أي: أن مولاه يعطيه المعلومات والتوجيهات لتحقيق أمر ما ولكنه لا يستفيد مما يعلم ويوجه إليه.

- (لا يأت بخير) أي لا يحقق منفعة، أي منفعة كانت؛ لأن (خير) نكرة في سياق النفي، والنكرة في سياق النفي تدل على العموم، فهذا الأبكم لا يقدر على تحقيق شيء مما يرتجى.

- ولكن ما الفرق بين (لا يقدر على شيء) وبين (أينما يوجهه لا يأت بخير)؟

الفرق بينهما أن قوله تعالى (لا يقدر على شيء) يدل على أن هذا الأبكم عاجز عن تحقيق أي شيء.

ولكن قوله تعالى (أينما يوجهه لا يأت بخير) يدل على أن هذا الأبكم عاجز عن تحقيق ما يبين له كيفية تحقيقه، أي أنه غبي لا يفهم، و (لا يأت بخير) مشعر بأن ضررا ما يقع بسببه.

- (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل وهو على صراط مستقيم) أي أن هذا الأبكم العاجز الغبي لا يستوي ومن ينطق بالحكمة والفهم والعدل، وهو أيضا يسير على طريق الحق والصواب.

- (هل يستوي) استفهام إنكاري، والمقصود به الإنكار على المشركين الذين يسوون بين الخالق الحق الذي يأمر بالعدل والحق، وبين الأصنام البكم التي لا تنطق بحرف، ولا تقدر على تحقيق أمر لأحد، وإنما هي عالة على من يصنعها، ومن ينصبها، فهي بلا سدنتها لا شيء، وإذا طلب منها أمر لا تأت بخير، بل الضرر في توجيهها إلى أمر ما؛ لأنه طلب إلى الأصنام، وهذا الشرك بعينه.

- (هل يستوي هو ومن يأمر بالعدل) ذكر الضمير (هو) ولم يأت النص بدونه "هل يستوي ومن يأمر بالعدل"؛ تأكيدا على سوء حال الأبكم، وعلى بعد الفرق بين المنطيق الحكيم الصالح، وبين الأبكم العاجز الغبي، كأن الآية تقول: هل يستوي هذا الأبكم المنصوص على عجزه وغبائه (ومن يأمر بالعدل)، فإن الضمير (هو) تأكيد للضمير المستتر.

- (ومن يأمر بالعدل) الفعل المضارع (يأمر) يدل على تجدد قول الحق من هذا الناطق، والعدل إنما هو الحق والصواب، فهو ناطق، وزيادة على نطقه حكيم ينطق بالحكمة، وأيضا يمارس هذا الخير، وليس أمره بالعدل واقعة قد مضت، كما أن عجز الأبكم ليس واقعة قد مضت، بل إن عجزه متجدد (لا يقدر على شيء) (لا يأت بخير)، وذلك لدلالة الفعل المضارع (يقدر) و (يأت).

- بينت الآية أسوأ حالة للأبكم، وبينت في المقابل أحسن حالة للناطق، وأحسن حالة للناطق هي أن يأمر بالعدل، وهو الحق، ولذا فإن أعلى أعمال اللسان على الإطلاق هو النطق بالحق، ويندرج تحت النطق بالحق: الدعوة إلى التوحيد والذكر والخير والعدل والنصيحة، وغير ذلك من صور الحق.

- (وهو على صراط مستقيم) وهذا الآمر بالعدل يسير على صراط مستقيم في تحقيق الخير، لا كالأبكم يسير على طريق معوج؛ لأنه لا يفهم شيئا، ولا يملك حكمة.

- لماذا قدم ذكر مثل الأبكم على الناطق؟

قدم مثل الأبكم على الناطق؛ لأن سياق الآية منصب على إنكار رفع الأصنام عن الحضيض الذي هي فيه، ومنصب على بيان عجز الأصنام، وليس منصبا على بيان عظمة الله، مع أن الآية تبين الأمرين، وللتوضيح أقول: المعنى الرئيسي في الآية هو إنكار تعظيم الأصنام ومساواتها بالله سبحانه وهي لا شيء، وليس المعنى الرئيسي تفصيل جوانب عظمة الله سبحانه وتعالى، ولذا قدم ذكر مثل الأبكم العاجز إمعانا في انتقاص الأصنام.

- لماذا قدمت الآية السابقة (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا لا يقدر على شيء) الآية (٧٥) على هذه الآية (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم لا يقدر على شيء) الآية (٧٦)، وبصيغة أخرى:

- لماذا قدم مثل "العبد والحر" على مثل "الأبكم والناطق"؟

قدم مثل "العبد والحر" على مثل "الأبكم والناطق"؛ لأن مثل "العبد والحر" منتشر في بيئة مكة والعرب في ذلك الزمن أكثر من انتشار حالات البكم، فإن العبيد في مكة كانوا بالمئات، والأحرار فوق ذلك، بينما البكم قد لا يتعدون أشخاصا معدودين، ومن الأساليب التعليمية في إيصال المعلومة: الابتداء بالأوضح قبل الواضح، وبالأظهر قبل الظاهر، فحالة "العبد والحر" يعايشها كل من في مكة، بينما حالة "الأبكم والناطق" يعرفها من في مكة ولكن لا يعايشونها معايشة حالة "العبد والحر".

ولذا ضرب القرآن في البداية مثلا يعايشه العرب قاطبة بشكل يومي متكرر، ثم ضرب المثل الآخر الذي لا يعايشه كل العرب كالمثل الأول؛ لأن الإقناع هو المقصود بالمثل، فكلما عايش الإنسان المثل كان أكثر تأثرا به.." (١)

"(إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون) (٩٠)

المفردات:

- الفحشاء: ما حكم الشرع بعظم قبحه من الأقوال والأفعال.

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/١٥٣

- المنكر: ما حكم الشرع بقبحه من الأقوال والأفعال.
- البغي: التعدي.
- تذكرون: تتعظون.
المعنى الإجمالي:
لما بينت الآية السابقة أن القرآن أنزل (تبيانا لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين)، أتت هذه الآية - وما بعدها - لتبين أن في القرآن بيانا لكل شيء يحتاجه الناس.
فالقرآن يأمرنا بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى، ويأمرنا بترك ما يخالف هذه الأوامر، وينهانا عن المعاصي كبيرها وصغيرها، وينهانا عن التعدي، وكل هذا لأجل أن نتعظ، فنفعل ما أمرنا الله، وننتهي عن ما نهانا عنه.
المعنى التفصيلي:
- قال عبد الله بن مسعود: "ما في القرآن آية أجمع لحلال وحرام وأمر ونهي من هذه الآية (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ...) ".
رواه البخاري في (الأدب المفرد: ٤٨٩) بسند حسن؛ للمقال الذي في عاصم بن بهدلة، وقد جاء من طرق أخرى عند الحاكم في (المستدرك: ٣٣٥٨)، وعبد الرزاق في (مصنفه: ٦٠٠٢) وغيرهم.
- (إن الله) استفتحت الآية بحرف التوكيد (إن) وباسم الجلالة (الله) تعظيما لشأن المأمور به في الآية.
- لم يأت النص مخبرا أن القرآن يأمرنا، رغم أن الآية بيان لما تضمنه القرآن من البيان، وذلك تصريحا بأن القرآن إنما هو من عند الله، (... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ...) (إن الله يأمر ...)، فالتبيان من الله تعالى لا من أحد غيره.
- جاء النص (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى) وليس "اعدلوا وأحسنوا وآتوا "؛ لأن ذكر الأمر فيه تعظيم الأمر، وأضرب مثلا - ولله المثل الأعلى - قول سيد في قومه لأحد أتباعه "افعل كذا" ليس بعظمة وقوة قوله له "آمرك أن تفعل كذا"؛ لأنه بقوله "افعل كذا" طلب منه الفعل فقط، ولكن بقوله "آمرك أن تفعل كذا" طلب منه الفعل، وزاد عليه التأكيد بالتصريح أن هذا الفعل هو فعل أمر إن لم تكن منتبها فانتبه، كأنه يقول له: افعل كذا وهو أمر فاحذر أن تعصيه.
- أتى التعبير بـ (يأمر) و (ينهى)؛ لأن الآية بيان للآية السابقة (... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ...)، وللدلالة على أن التبيان والهدى والرحمة والبشرى تكون بإطاعة الله في الأمر والنهي.
- أتى التعبير (يأمر) و (ينهى) بصيغة الفعل المضارع؛ لأن الآية بيان للآية السابقة (... ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شيء ...) فكأن التقدير: إن الله يأمر الناس في القرآن بـ ... وينهى الناس في القرآن عن ... ، والقرآن حاضر يأخذ الناس أحكامهم منه في كل وقت، ونتيجة ذلك، فإن أمر الله ونهيه متجدد في كل وقت.
- حذف المفعول في قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل)، أي لم يأت النص "يأمركم" أو "يأمرهم"؛ للدلالة على العموم، ليشمل كل مخاطب.
وكذلك حذف المفعول لتوجيه الانتباه إلى الفعل والفاعل، وترك الانشغال بالمفعول.
- لكن لماذا لم يحذف المفعول في قوله تعالى (إن الله يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها وإذا حكمتم بين الناس أن تحكموا

بالعدل إن الله نعما يعظكم به إن الله كان سميعا بصيرا) (النساء: ٥٨)
جاءت هذه الآية في سياق بيان ما وقع فيه الكفار من الكفر والمعاصي وتضييع الأمانات والحقوق، فاستأنفت الآية أمر المؤمنين لئلا يكونوا مثلهم، فكان الخطاب فيها موجها للمؤمنين، ولذا كان من المهم التنبيه على المفعول في هذا السياق.
- (إن الله يأمر ...) ما جاء الأمر به في هذه الآية إنما هو مجمل غير مفصل، وذلك من باب الإشارة إلى أن القرآن احتوى على بيان كل ما يحتاجه الناس في دينهم، وعلى هذا يكون التقدير (إن الله يأمر) في القرآن على وجه التفصيل (بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى)، (وينهى) في القرآن على وجه التفصيل (عن الفحشاء والمنكر والبغي).
- (بالعدل) العدل في الآية لفظ عام يندرج تحته ما لا ينحصر من الأنواع، فالعدل هو إعطاء كل ذي حق حقه، وهو ضد الظلم.
فتوحيد الله من العدل؛ ألا ترى أن الله يقول (... إن الشرك لظلم عظيم) (لقمان: ١٣).
وعبادة الله من العدل؛ لأن حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئا.
وطاعة الله من العدل مع النفس؛ لأننا بالطاعة ندخل الجنة، وبالمعاصي ندخل النار، قال تعالى (وما ظلمونا ولكن كانوا أنفسهم يظلمون) (البقرة: ٥٧).
ومن العدل أيضا: العدل مع الأولاد وبينهم بكل صوره، والعدل مع الزوجات وبينهن، والعدل مع الناس وبينهم.
حتى أن إعطاء الحيوان حقه من العدل (فعن ابن عمر رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال دخلت امرأة النار في هرة ربطتها فلم تطعمها ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض) (البخاري: ٣٠٧١) (مسلم: ٤٩٥١)
فيندرج تحت العدل كل الأقوال والأفعال بكل ارتباطاتها مع كل الأشياء من أشخاص وأوقات وحيوان وجماد.
- والأمر (بالعدل) نهي عن كل صور الظلم في هذه الحياة، فانظر - بارك الله فيك- سعة عموم الأمر بالعدل.
- (والإحسان) الواو للعطف، والإحسان مصدر أحسن، نقول: أحسن إحسانا.
والإحسان هو إتقان الشيء على أكمل وجه، وله أنواع، منها: الإحسان إلى غيرنا بمعاملته على أكمل وجه، نقول: أحسن الابن إلى والديه. وكذلك إتقان المرء فعله، نقول: أحسن الرجل عمله.
وقيل: إن "الإحسان" هو المندوب، وهذا غير صحيح، فإن من الإحسان ما هو فرض كالإحسان إلى الوالدين (وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا ...) (الإسراء: ٢٣)، ومن الإحسان ما هو مندوب، كما يحسن أحدنا إلى أحد دون أن يجب عليه.
- (الإحسان) لفظ عام يندرج تحته كل صور الإتقان في الأقوال والأفعال، فالإحسان مع الله (أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك) (البخاري: ٤٨) (مسلم: ٩)
حتى أن الله شرع لنا الإحسان للحيوان فعن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال (إن الله كتب الإحسان على كل شيء، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبح، وليحد أحدكم شفرته فليرح ذبيحته) (مسلم: ٣٦١٥)
- ولعموم "الإحسان" في الآية فإنه لم يبق أي نوع من الإحسان إلا واندرج تحته.
- والأمر بـ "الإحسان" أمر بكل مندوب فضلا عن الفرض، ونهي عن كل مكروه فضلا عن الحرام.

فانظر – بارك الله فيك – سعة عموم الأمر بالإحسان.
– قدم ذكر "العدل" على "الإحسان"؛ لأن "العدل" كله واجب، بينما "الإحسان" واجب ومندوب، والواجب أولى؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي: "وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه " (البخاري: ٦٠٢١)
– قد يسأل سائل: لماذا بدأ الأمر بالبر أولا في قوله تعالى (... وتعاونوا على البر والتقوى ...) (المائدة:٢) مع أن البر يضم المندوبات، ثم جاء الأمر بالتقوى التي هي فعل الواجبات وترك المحرمات، وهذا على خلاف ما ورد في هذه الآية من الترتيب حيث كان الأمر بالعدل أولا ثم الأمر بالإحسان؟
جاء الترتيب في هذه الآية بالعدل أولا ثم الأمر بالإحسان؛ لأن هذه الآية بيان لما تضمنه القرآن، فكان المناسب أن يذكر الأهم، بينما في قوله تعالى (... وتعاونوا على البر والتقوى ...) (المائدة:٢) فإن فيه حضا على التعاون، فبدئ بالأعم وهو البر؛ لتوسيع دائرة الحض على التعاون، ثم ذكر الخاص – وهو التقوى – تنبيها على أهميته.
إذن، فلكل آية مقصد خاص، وبين المقصدين فرق؛ ولذا اختلف التعبير.
– (وإيتاء ذي القربى) الواو للعطف، أي: أن الله سبحانه وتعالى يأمر كذلك بإيتاء ذي القربى، والإيتاء: الإعطاء، و (القربى) مصدر، وقيل: مؤنث أقرب. وهم كل من تربطك به قرابة.
– (وإيتاء ذي القربى) أمر بإعطاء القرابة حقوقهم من البر والصلة، وحذف ذكر المعطى في الآية؛ ليعم كل ألوان العطاء وأنواعه وأشكاله، زيادة في الخير، حتى نعطي ونعطي ولا نستكثر، وكذلك يشمل هذا العطاء الواجب كما أنه يشمل المندوب.
– لكن صلة القربى تدخل ضمن العدل والإحسان، فلماذا ذكرت بعدهما؟
ذكرت صلة القربى بعدهما من باب ذكر الخاص بعد العام؛ للأهمية والتأكيد على حقوق ذوي القربى.
وجاء هذا التنبيه؛ لأن كثيرا من الناس من يحسن إلى البعيد وينسى القريب؛ إما غفلة عن قرابته –كما قيل: شدة القرب حجاب – وإما سعيا إلى السمعة بين الناس، وهذا لا يتحقق بالإحسان إلى القريب كما في الإحسان إلى البعيد، وإما طمعا بعلاقات جديدة غير علاقة القربى؛ لأنها مضمونة.
– لماذا لم يخص الوالدين بالذكر كما في قوله تعالى (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى واليتامى والمساكين والجار ذي القربى والجار الجنب والصاحب بالجنب وابن السبيل وما ملكت أيمانكم إن الله لا يحب من كان مختالا فخورا) (النساء: ٣٦)؟
آية النحل (إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ..) عامة، وآية النساء (واعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا وبالوالدين إحسانا وبذي القربى ...) تفصيلية، فناسب عدم ذكر الوالدين في "سورة النحل"؛ لأن الوالدين يدخلان ضمن ذوي القربى دخولا أولويا.
– لماذا جاء التعبير في هذه الآية بـ (وإيتاء ذي القربى) وليس "وإيتاء أولي القربى"؟
وقبل الإجابة عن السؤال فلا بد من بيان معنى "ذو" و"أولو"، فأما "ذو" اسم بمعنى الصاحب، فـ "ذو القربى" صاحب

علاقة القرابة، و"أولو" جمع بمعنى "ذو"، ولا واحد له من لفظه.

جاء التعبير في القرآن بـ "أولي القربى" في سياق الكلام عن المقربين من الأقارب، وانظر – بارك الله فيك – إلى الآيات:

١ – (وإذا حضر القسمة أولو القربى واليتامى والمساكين فارزقوهم منه وقولوا لهم قولا معروفا) (النساء: ٨) وعادة لا يحضر هذه القسمة كل قريب، بل الأقارب الذين تربطهم بأهل الميت قرابة أقوى من غيرهم، فقد يجتمع لأهل الميت من الأقارب ما يصل إلى ألف رجل، ولكن لا يدعى لمثل هذا الأمر إلا القليل الأقربون.

٢ – (ولا يأتل أولو الفضل منكم والسعة أن يؤتوا أولي القربى والمساكين والمهاجرين في سبيل الله وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم) (النور: ٢٢)

سبب نزول هذه الآية أن مسطح بن أثاثة لما قال في حق عائشة ما قال، وأنزل الله براءتها، أقسم أبو بكر أن لا ينفق على مسطح، فأنزل الله هذه الآية، فأنفق عليه أبو بكر بعد نزول الآية.

ومسطح إنما هو قريب لأبي بكر؛ لأن أم مسطح هي ابنة خالة أبي بكر؛ لأن أمها هي بنت صخر بن عامر، وهي خالة أبي بكر. انظر (البخاري: ٣٨٢٦، كتاب: المغازي، باب: حديث الإفك) (مسلم: ٤٩٧٤، كتاب: التوبة، باب: حديث الإفك)

٣ – (ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولي قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم (١١٣) وما كان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة وعدها إياه فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه إن إبراهيم لأواه حليم) (التوبة: ١١٤)

وفي هذه الآية نهي عن الاستغفار لذوي القربى مهما كانت قرابتهم؛ لأن المسلم لا يصر عادة على الاستغفار لكافر إلا لقربه الشديد، ولذا جاء الكلام في الآية التالية عن استغفار إبراهيم لأبيه.

أما الآيات التي جاء التعبير فيها بـ "ذي القربى " فإن موضوعها إما أن يكون في النصرة أو الإنفاق العام، وإنما جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في النصرة؛ لأن النصرة إنما هي عند العرب عامة في كل القرابة، اقتربت أم بعدت؛ لأن النصرة إنما هي من مفهوم العشيرة والقبيلة، وكذلك جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في الإنفاق العام ليشمل كل القرابة وإن بعدت قرابتهم.

أما الآيات التي جاءت في النصرة:

١ – (... فيقسمان بالله إن ارتبتم لا نشتري به ثمنا ولو كان ذا قربى ولا نكتم شهادة الله إنا إذا لمن الآثمين ...) (المائدة: ١٠٦)

٢ – (... وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى ...) (١٥٢)

٣ – (ولا تزر وازرة وزر أخرى وإن تدع مثقلة إلى حملها لا يحمل منه شيء ولو كان ذا قربى ...) (فاطر: ١٨)

أما الإنفاق العام فإن الآيات التي وردت فيه كثيرة، وأذكر آية واحدة من باب التمثيل.

(وإذ أخذنا ميثاق بني إسرائيل لا تعبدون إلا الله وبالوالدين إحسانا وذي القربى واليتامى والمساكين وقولوا للناس حسنا وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة ثم توليتم إلا قليلا منكم وأنتم معرضون) (البقرة: ٨٣)

واعذرني أخي القارئ، فإنني أريد أن أعيد لك ما قلته آنفا: إن الآيات التي جاء التعبير فيها بـ "ذي القربى " فإن موضوعها إما أن يكون في النصرة أو الإنفاق العام، وإنما جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في النصرة؛ لأن النصرة إنما هي عند العرب عامة في كل القرابة، اقتربت أم بعدت؛ لأن النصرة إنما هي من مفهوم العشيرة والقبيلة، وكذلك جاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في الإنفاق العام ليشمل كل القرابة وإن بعدت قرابتهم.

وجاء التعبير عن القرابة بالمفهوم الأوسع في قوله تعالى (إن الله يأمر بالعدل والإحسان ...)؛ لأنها آية عامة، ولذلك فهي تتكلم عن الموضوع الخاص (وإيتاء ذي القربى) بعموم أيضا.

- (وينهى عن الفحشاء) حذف ذكر الفاعل جل جلاله؛ **لدلالة السياق** عليه (إن الله يأمر بالعدل .... وينهى عن الفحشاء)، وحذف ذكر المفعول به للفعل "ينهى"؛ للدلالة على العموم؛ حتى يشمل كل مخاطب.

- الأمر بالعدل والإحسان يلزم منه النهي عن الفحشاء والمنكر، فلماذا حصل النص على النهي مع أنه معلوم بدلالة الأمر؟

التنصيص زيادة في التأكيد والبيان، وتثبيت لمعنى النصوص في القلوب.

وأيضا فإن المقام مقام بيان لبيان القرآن، والقرآن الكريم احتوى على الأمر مفصلا، واحتوى على النهي كذلك.

- (الفحشاء) هو: ما حكم الشرع بعظم قبحه من الأقوال والأفعال، فيندرج تحته كل الذنوب العظيمة، أذكر منها: القتل والزنا والسرقة والغصب وقطع الطريق والقذف.

- (والمنكر) هو: ما حكم الشرع بقبحه من الأقوال والأفعال، وتندرج الفحشاء ضمن المنكر، (والمنكر) اسم مفعول من "أنكر"، أي أن هذا الشيء تنكر الشريعة فعله، فهو أمر غير معروف بالخير عندها.

وقد مدح الله الناهين عن المنكر بقوله (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ...) (التوبة: ٧١)

وذم الله من لا ينهى عن المنكر بقوله (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون (٧٩)) (المائدة)

- (والمنكر) قيل: إن الاستنكار مراتب، منها: مرتبة الحرام، ومنها: مرتبة المكروه فإنه منهي عنه.

وهذا القول فيه نظر وإن المنكر من الناحية اللغوية يحتمل هذا القول، لأن الإنكار هو عدم القبول، قال ابن فارس في (مقاييس اللغة): " (نكر) النون والكاف والراء أصل صحيح يدل على خلاف المعرفة التي يسكن إليها القلب. ونكر الشيء وأنكره: لم يقبله قلبه ولم يعترف به لسانه ".

أما المنكر في الآية فهو الحرام، وقد استعرضت الآيات التي ورد فيها ذكر "المنكر" لفهم المقصود به، ولقد وجدت أكثرها يحتاج لنص آخر لبيان المقصود من المنكر؛ ولكن من الآيات ما يوضح أن المنكر عند الإطلاق إنما يدل على الحرام:

قال تعالى (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل على لسان داوود وعيسى ابن مريم ذلك بما عصوا وكانوا يعتدون (٧٨) كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه لبئس ما كانوا يفعلون) (٧٩)

وكلمة (منكر) في الآية على العموم، حيث يندرج تحتها كل أنواع المنكر؛ وذلك لأنها نكرة في سياق النفي، فهل استحق بنو إسرائيل اللعن وذم عملهم لأنهم لم يتناهوا عن المكروهات؟

الجواب: لا، بل استحقوا اللعن بعصيانهم على العموم (لعن الذين كفروا من بني إسرائيل ... بما عصوا وكانوا يعتدون) ومن جملة هذا الاعتداء أنهم لا يتناهون عن المنكر، ولا يدخل فيه المكروهات؛ لأنها ليست من ضمن العصيان والاعتداء، بل هي جائزة في الشرع ولكن غيرها خير منها.

وهناك دليل أشد وضوحا وهو قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: يجاء بالرجل يوم القيامة فيلقى في النار فتندلق أقتابه في النار فيدور كما يدور الحمار برحاه فيجتمع أهل النار عليه فيقولون أي فلان ما شأنك أليس كنت تأمرنا بالمعروف وتنهانا عن المنكر قال كنت آمركم بالمعروف ولا آتيه وأنهاكم عن المنكر وآتيه (البخاري: ٣٠٢٧) (مسلم: ٥٣٠٥)

فهذا المعذب إنما استحق العذاب لأنه كان ينهى عن المنكر ويأتيه، فما هو المنكر؟ إنه الحرام؛ لأن النهي عن المكروه وفعله لا يوجب العذاب؛ لأن فعل المكروه أصلا لا يوجب العذاب.

ولأن المنكر هو الحرام فلا بد من تغييره قدر الاستطاعة، الأول: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: من رأى منكم منكرا فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان (مسلم: ٧٠)

– تنبيه: لا يعني أن المكروه لا يندرج تحت المنكر أن تترك النصيحة في حقه؛ لأن الله سبحانه وتعالى يقول (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) (آل عمران: ١٠٤) فالدعوة إلى الخير متضمنة الدعوة إلى ترك المكروه، وكذلك فإن الأمر بالإحسان متضمن النهي عن المكروه.

ولكن هناك فرق بين النصيحة والإرشاد في حق المكروه، وبين إنكار المنكر، فالإرشاد إلى ترك المكروه وفعل المندوب إرشاد إلى الأفضل، وبأسلوب لين وترغيب يناسب هذا المقام، بينما أسلوب إنكار المنكر مختلف، لأن فاعله وقع في معصية.

– (والبغي) هو التعدي ومجاوزة الحد؛ فإن أصل مادة "بغى" في اللغة طلب الشيء، فإن كان في خير كان خيرا، وإن كان في شر كان تعديا وتجاوزا للحد.

و"البغي" نوع من أنواع الظلم، قال تعالى (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا فأصلحوا بينهما فإن بغت إحداهما على الأخرى فقاتلوا التي تبغي حتى تفيء إلى أمر الله فإن فاءت فأصلحوا بينهما بالعدل وأقسطوا إن الله يحب المقسطين) (الحجرات: ٩) فالاعتداء على المؤمنين هو ظلم.

ولكن الفرق بين الظلم والبغي، أن الظلم أعم من البغي، فكل بغي ظلم، وليس كل ظلم بغيا، قال تعالى (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون (٣٩) وجزاء سيئة سيئة مثلها فمن عفا وأصلح فأجره على الله إنه لا يحب الظالمين (٤٠) ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل (٤١)) (الشورى)

اعتبر – في الآيات – من أصابه البغي مظلوما (ولمن انتصر بعد ظلمه)، والفارق الذي يميز البغي عن باقي أنواع الظلم، أن البغي هو التعدي على وجه التسلط والتطاول.

ولذا فلا تعارض بين (وعباد الرحمن الذين يمشون على الأرض هونا وإذا خاطبهم الجاهلون قالوا سلاما) (الفرقان: ٦٣) وبين (والذين إذا أصابهم البغي هم ينتصرون) (الشورى: ٣٩)؛ لأن مخاطبة الجاهلين ليست بغيا، فالبغي هو التعدي على

وجه التسلط والاستطالة.

– النهي عن البغي مندرج تحت النهي عن الفحشاء والمنكر؛ ولكن هذا من باب ذكر الخاص بعد العام للأهمية، لأن الاعتداء على الناس يتضمن حقين، الأول: حق الله سبحانه وتعالى، والثاني: حق العباد؛ ولذا قال تعالى (... ولا تعاونوا على الإثم والعدوان ...) (المائدة: ٢) فالإثم هو الذنب العام، سواء كان بحق الله أم العباد، وإنما العدوان فهو في حق العباد.

– يتساهل الناس في حقوق العباد، فتراهم يصلون ويصومون، ولكنهم يغشون ويخدعون، ويظنون أنهم على الحق التام، وأن البغي على العباد أمره يسير، وخطبه حقير، ولذا فكم وكم ممن يظن فيهم الالتزام يخفقون في امتحان حقوق العباد.

– ولكن لماذا تقدم الأمر على النهي في الآية؟

تقدم الأمر على النهي في الآية؛ لأن الأمر بالواجب والمندوب يتضمن نهيا، فهو طلب فعل وطلب ترك في وقت واحد؛ نقول: صل. وهذا أمر يتضمن النهي عن ترك الصلاة، وهكذا.

بينما النهي قد لا يتضمن – أي في بعض الأحيان – أمرا، نقول: لا تشرب الخمر. فهذا النهي لا يفهم منه أمر بفعل شيء آخر.

والخلاصة أن الأمر قدم على النهي؛ لأن الأمر يتضمن في تضاعيفه توجيهات أكثر من النهي، ولكن قد يقدم النهي على الأمر في سياق آخر لأغراض بيانية أخرى.

– (يعظكم) اختلف في معنى الوعظ، فقيل: الكلام الذي تلين له القلوب. وقيل: زجر مقترن بتخويف.

ولكن المعنى المستنبط من الآية، هو: أن الوعظ أمر وكذلك زجر، لأن الآية اشتملت على الأوامر والنواهي، والوعظ نصيحة وإرشاد يبرز فيه معنى التذكير، وانظر في قصة نوح – عليه السلام – في "سورة هود": فلما سأل نوح – عليه السلام – ربه في شأن ابنه، قال له ربنا سبحانه وتعالى (... يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين) (هود: ٤٦) أي: (أعظك)؛ لما سبق من إعلامك (... احمل فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول ومن آمن وما آمن معه إلا قليل) (هود: ٤٠)

وكذلك قوله تعالى (يعظكم لعلكم تذكرون) يبين العلاقة بين الموعظة والتذكير.

– (يعظكم) وليس "يعظ"؛ كما في قوله تعال (إن الله يأمر ..) على العموم، كما سبق بيانه عند بيان الفائدة من حذف المفعول؛ لأن الموعظة فيها التذكير ويناسبه القرب، وأسلوب الخطاب أدعى للقرب.

– ولكن لماذا لم يقع العطف بين (يعظكم لعلكم تذكرون) وبين ما سبقه في الآية؟

هذا يسمى في علم البلاغة بشبه كمال الاتصال، ويكون شبه كمال الاتصال بأن تكون الجملة الثانية جوابا عن سؤال نتج عن الجملة الأولى، أي: لماذا يأمرنا الله بالعدل ... وينهى عن ... ؟ الجواب (يعظكم لعلكم تذكرون) أي: إن الله يعظكم بما وعظكم طلبا لهدايتكم رحمة بكم.

- (لعلكم تذكرون) تستخدم "لعل" للترجي، وهي هنا للرغبة، أي أن الله يعظنا حتى تهتدي رحمة بنا.

- (تذكرون) تتعظون؛ فتخرجون من غشاوة الغفلة إلى نور الهداية والذكرى.." (١)

"(إنما سلطانه على الذين يتولونه والذين هم به مشركون) (١٠٠)

المفردات:

- سلطانه: تسلطه.

- يتولونه: يتخذونه وليا.

المعنى الإجمالي:

بعد أن بينت الآية السابقة أنه ليس للشيطان تسلط على المؤمنين، تبين هذه الآية أن سلطان الشيطان إنما هو على من يتخذونه وليا ويطيعونه، والذين يشركون بالله - سبحانه وتعالى - بسبب هذا الشيطان.

المعنى التفصيلي:

- هذه الآية تأكيد لمضمون الآية السابقة، وهو: ليس للشيطان سلطان على المؤمنين الذين يتوكلون على ربهم، وفيها معنى جديد أيضا.

- قصرت هذه الآية سلطان الشيطان على الذين يتولونه وعلى المشركين.

- (سلطانه) أي: سلطان الشيطان، وسبق الكلام في الآية السابقة على معنى "السلطان" بما يوضح المعنى.

- (الذين يتولونه) أي: يتخذونه وليا، أي: مطاعا عندهم.

والذين يتخذون الشيطان وليا ليسوا من المسلمين كما ظن بعض المفسرين؛ لأن الذي يتولى الكافر فهو مثله، فكيف بمن يتولى الشيطان رأس الكفر (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين) (المائدة: ٥١)، وأولياء الشيطان هم الكفار الذين أمر الله بقتالهم؛ قال تعالى (الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفا) (النساء: ٧٦).

- (يتولونه) جاء التعبير بالفعل المضارع للدلالة على أن تولي الشيطان متجدد بتجدد الأيام واللحظات، وذلك كلما تولى الكافر الشيطان كلما ازداد تعلقه به وتوليه، فإنما هو تول يزداد ويتجدد. والله المعيذ!

- (والذين هم به مشركون) الضمير في (به) يعود على الشيطان، والباء سببية، أي: والذين هم مشركون بسبب إطاعتهم الشيطان. وهذا هو الاحتمال الأول.

والاحتمال الثاني: إن الضمير يعود على الله سبحانه وتعالى، ويكون المعنى: والذين هم بالله مشركون.

ولكن الاحتمال الأول أظهر؛ وذلك **لدلالة السياق** عليه؛ فالضمائر السابقة عائدة إلى الشيطان، وليس من مانع يمنع حمل هذا الضمير على الشيطان، فكان أظهر للتناسق، واقرأ وتأمل - بارك الله فيك - (إنما سلطانه) أي: الشيطان (على الذين

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني   سامي القدومي ص/١٨١

يتولونه) أي: الشيطان (والذين هم به)؟؟؟؟؟ (مشركون).

– (والذين هم به مشركون) جاء تقديم الجار والمجرور (به) على (مشركون)؛ للدلالة على الحصر، أي: ما أشركوا إلا بسبب غواية الشيطان.

– (مشركون) جاء التعبير بالاسم وليس بالفعل؛ لأن الاسم يدل على الثبوت والدوام، والنكتة في هذا أن الشيطان لم يضل الكفار ليمارسوا الشرك أحيانا، بل اجتهد عليهم حتى احترفوا الشرك، فصار المعنى: وما احترف الكفار الشرك احترافا إلا بسبب الشيطان، وهذا أقوى من: وما يشرك الكفار إلا بسبب الشيطان. فتأمل رعاك الله!

– قيل: إن (الذين يتولونه) هم من المسلمين العصاة، وسبق بيان بطلان هذا القول، ولكن لماذا أعيد ذكر الاسم الموصول (الذين) في قوله تعالى (.. الذين يتولونه والذين هم به مشركون) ولم يعد في الآية السابقة (... إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) (النحل: ٩٩)؟

والجواب عن هذا: إن عطف (والذين هم به مشركون) على (الذين يتولونه) من باب عطف الخاص على العام؛ لأن الفئات التي تتولى الشيطان كثيرة، منهم الملحد المنكر لوجود الله، ومنهم المشرك، ومنهم الكفار من أهل الكتاب، ومنهم .... ، وجاء التنصيص على المشركين لأنهم هم المخاطبون ابتداء في هذه السورة المكية.

ولكن لماذا أعيد الاسم الموصول في هذه الآية ولم يعد في الآية السابقة؟

أعيد الاسم الموصول في هذه الآية؛ لأن كل فئة تتولى الشيطان إنما هي فئة مستقلة عن الفئة الأخرى بأسلوب ضلالها، ولذا فكل فئة لها فلسفتها وعقيدتها وسلوكها وشعائرها، وكل هذا خاص بها دون الآخرين، فكان التعبير بالاسم الموصول للدلالة على هذه الاستقلالية، فالمشركون هم نوع مستقل من مجموع من يتولى الشيطان، بينما لم يعد الاسم الموصول في قوله تعالى (... الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون)؛ لأن التوكل هو عين الإيمان، ولا إيمان دون توكل، وليست فئة المتوكلين مستقلة عن فئة المؤمنين استقلال فئات الضلال.

– إنما يأخذ الشيطان قوته من إقبال الضالين عليه (إنما سلطانه على الذين يتولونه ...) فهم من يقبل عليه ويتولاه ويخضع لأمره، وما كان الشيطان يوما صاحب سلطان على من يلتجئ إلى الله – سبحانه وتعالى – ويستعيذ به، إنما سلطانه على من يعطيه الدنية ويخضع له. أعاذنا الله منه. آمين!." (١)

"(ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) (١٠٣)

المفردات:

– يلحدون: يميلون عن الحق وينحرفون.

– لسان: المقصود به هنا: اللغة.

المعنى الإجمالي:

وما زال الكلام حول نقض مزاعم الكفار في الطعن في القرآن، فهم يدعون أن رجلا أعجميا يعلم النبي – صلى الله عليه

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٠١

وسلم – القرآن، ولكن هذه الدعوة دعوة غبية، لأن القرآن كتاب عربي غاية في البيان والفصاحة والبلاغة، ومن يدعون أنه يعلم النبي – صلى الله عليه وسلم – إنما هو رجل أعجمي لا يتقن أبجديات البلاغة والفصاحة علاوة على عجزه عن إتقان النطق.

المعنى التفصيلي:

– (ولقد نعلم) توكيد الفعل المضارع بـ "قد" يدل على أن علم الله مستمر؛ لأن علم الله – سبحانه وتعالى – حق دائم، و"قد" مع الفعل الماضي تدل على التحقيق "لقد علمنا" ولكن لا يدل اللفظ بذاته على استمرار العلم، وإنما يفهم ذلك من أدلة أخرى، بينما توكيد الفعل المضارع بـ "قد" يدل على أن تحقق العلم مستمر، ولن يغيب عن الله – سبحانه وتعالى – شيء مما يحدثه هؤلاء من طعن في القرآن، وكذلك ليكون التعبير مناسبا لما بعده، ألا ترى أن ما يعلمه الله – سبحانه وتعالى – من قول الكفار في حق القرآن جاء معبرا عنه بقوله تعالى (يقولون)، فالمناسب أن يكون "نعلم ما يقولون" وليس "علمنا ما يقولون"، لأن التعبير بالمضارع هنا جاء لتهديد الكفار، كأن الآية تقول لهم إن الله يتابع أقوالكم أولا بأول، وستجزون بما كنتم تعملون.

ومما يستخدمه الناس في تهديدهم لغيرهم أنهم على اطلاع مستمر بكل ما يعمله الآخر، والله – سبحانه وتعالى – يخاطب هذه النفس الإنسانية بما يخيفها من أمر المراقبة والمتابعة من الله القادر العظيم.

ومن الأمثلة الدالة على أن التأكيد من دلالات دخول "قد" على الفعل المضارع:

– (... قد يعلم الله الذين يتسللون منكم لواذا ...) (النور: ٦٣)

– (... قد يعلم ما أنتم عليه ويوم يرجعون إليه فينبئهم بما عملوا والله بكل شيء عليم) (النور:٦٤)

– (قد يعلم الله المعوقين منكم والقائلين لإخوانهم هلم إلينا ولا يأتون البأس إلا قليلا) (الأحزاب: ١٨)

– التعبير بالجمع (نعلم) للتعظيم. والعلم من صفات الله سبحانه وتعالى، ومن أسمائه الحسنى "العليم"، ولكن علمه – سبحانه وتعالى – لا كعلمنا؛ لأنه (... ليس كمثله شيء وهو السميع البصير) (الشورى: ١١)، فأثبت الله سبحانه وتعالى له السمع والبصر بأنه سميع بصير ولكن من غير تشبيه ولا تمثيل، وعلى هذا يجري فهم بقية صفات الله سبحانه وتعالى، وهذا مزلق عظيم ضل فيه أناس كثير. والله الحافظ والهادي إلى سواء السبيل.

– (أنهم يقولون) أي يعلم الله قول المشركين، و"أن" للتوكيد، وجاء الفعل (يقولون) مضارعا لا ماضيا "قالوا"؛ لأن الكفار لم يقولوا هذا مرة واحدة وسكتوا، بل كانوا يكررون ويعيدون.

– (يقولون إنما يعلمه بشر) أي: ما يعلم محمدا القرآن إلا بشر، وهو رجل أعجمي، وكل المقصود بهذه الدعوى القدح في قدسية القرآن.

واختلف العلماء في تعيين هذا الرجل الأعجمي الذي ادعى المشركون بأنه يعلم محمدا صلى الله عليه وسلم، فقيل: بلعام، وقيل: يعيش، وقيل: جبر، وقيل غير ذلك، وتعيين اسمه ليس ذا فائدة، بل الفائدة في معرفة أنه أعجمي.

– (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين) يرد الله – سبحانه وتعالى – هذه الدعوى الغبية على أصحابها بخير بيان، إذ كيف ينسبون القرآن الذي لم يستطع كل العرب أن يأتوا بمثله كيف ينسبونه إلى غير عربي لا يتقن الفصاحة

والبلاغة علاوة على النطق؟؟! أين عقولهم؟! إنه الكفر والعناد ينزل بصاحبه إلى حمأة الغباء والسفاهة.

- (لسان) أي: لغة وكلام، وعبر عن اللغة والكلام باللسان لأنه آلة النطق.

- (يلحدون إليه) أي: يميلون إليه، ولذا سمي الملحد ملحدا لأنه مال عن الحق.

- (أعجمى) والأعجم من لا يقدر على النطق بالعربية كما ينبغي، أي من لا يفصح لوجود العجمة في كلامه. والعجم هم غير العرب. والياء في (أعجمى) للنسب، وجاء النسب لتقوية وصفه بالعجز عن الإفصاح.

- (وهذا لسان عربى مبين) اسم الإشارة (هذا) في هذا المكان يدل على التعظيم، وأعيد ذكر (لسان) مع **دلالة السياق** عليه لتعظيم أمر القرآن.

ووصف القرآن بوصفين الأول: عربي، والثاني: مبين.

و (مبين) اسم فاعل من أبان، فالقرآن عربي وذاك أعجمي، والقرآن مبين وذاك غير مبين.

- ولم يأت الرد على الكفار بأن محتوى القرآن لا يكون إلا من عند الله سبحانه وتعالى؛ لأنه لا يرد بما يحتمل النقاش مع وجود ما لا يحتمل النقاش، ولذا فإن إبرهيم - عليه السلام - لما أقام الحجة على الطاغية بأن الله - سبحانه وتعالى - يحيي ويميت، وقام بعدها هذا الطاغية بالمراوغة أمام الحجة، لم يجادله إبراهيم - عليه السلام - بأن الذي فعلته ليس هو الإحياء والإماتة، وإنما أسرع إلى إقامة الحجة عليه بما لا يقبل النقاش، بأن الله يأتي بالشمس من جهة المشرق فأت بها من جهة المغرب، فبهت هذا الطاغية وألجم فوه فلم يرد.

وهذه نصيحة لمن يجادلون أهل الأهواء بأن يحرصوا على الحجة الساطعة معرضين عن الحجج الأخرى حتى لا يخبو ضوء الحقيقة خلال النقاش.." (١)

"(يوم تأتي كل نفس تجادل عن نفسها وتوفى كل نفس ما عملت وهم لا يظلمون) (١١١)

المفردات:

- تجادل: تدافع.

- توفى: تعطى جزاءها كاملا.

المعنى الإجمالي:

بعد أن توعدت الآيات السابقة المرتدين وبشرت المؤمنين، جاء التذكير بيوم الوفاء لما سبق من وعد أو وعيد.

ففي يوم القيامة يدافع المكلفون عن تقصيرهم لينجوا بأنفسهم، ولكن تعطى كل نفس حقها كاملا، ولا يظلم أحد عند الله سبحانه وتعالى.

المعنى التفصيلي:

- نصب (يوم) بفعل مقدر تقديره: اذكر، وقيل: بل هذه الآية متصلة مع ما قبلها، فيكون المعنى: إن الله لغفور رحيم يوم القيامة .... .

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني   سامي القدومي ص/٢٠٧

والأظهر في الآية أنها استئناف وابتداء؛ لأن الآية أساس في بيان للعدل الإلهي يوم القيامة، وهذا هو المعنى الرئيسي، وكون الآية متصلة بما قبلها يجعل من بيان عدل الله – سبحانه وتعالى – معنى جانبيا، الغرض منه التعريف بيوم القيامة بحدث يحدث فيه، وهذا لا يتناسب وعظيم جزالة البيان الإلهي للعدل يوم القيامة، فالآية مستقلة ببيانها، ومتناسبة مع ما قبلها بأن هذا يوم القيامة يوم الوفاء بالوعد والوعيد، وهذا أولا.

وثانيا: عند القول بأن الآية متصلة بما قبلها، فإن معاني مغفرة الله ورحمته بالمؤمنين لا تكون بعموم وشمول كونها مستأنفة، لأن اللفظ يقيد الرحمة والمغفرة بيوم القيامة، ولا يفهم عندئذ شمول الرحمة إلا من نص آخر، ولكن عندما تكون الآية مستأنفة، فإن نص الآية يدل على شمول الرحمة والمغفرة للدنيا والآخرة، ولا تحتاج دلالة الشمول الرحمة للدنيا والآخرة على نص آخر.

وعندما يؤدي النص معنى أعظم وأوسع مع تناسبه مع السياق وقواعد التفسير، فهو الأولى؛ لأنه يحمل المعنى الواسع والأوسع، فهو يحمل معنيين، وليس من الصواب حذف معنى من المعاني من غير دليل ظاهر يدل عليه.

وموضوع الآيتين التفصيلي مختلف، فالآية السابقة تبين أن الله – سبحانه وتعالى – غفور رحيم، وهذه الآية تبين أن الله عادل لا يظلم، والمغفرة والرحمة أمران فوق العدل؛ لأن من العدل أن يعاقب كل مسيء، ولكن من رحمة الله ومغفرته أنه يرحم بعض المسيئين ويغفر لهم، فموضوع الآيتين التفصيلي مختلف؛ ولذا فليس بينهما اتصال تفصيلي، بل بينهما مناسبة إجمالية تتناسب وتوافق السياق القرآني.

– (تأتي كل نفس تجادل عن نفسها) والمجادلة معروفة لا يجهلها أحد، ومقصد المجادل دفع الخطأ عنه وإثبات أنه على صواب. ومن أمثلة مجادلة الكفار (ثم لم تكن فتنتهم إلا أن قالوا والله ربنا ما كنا مشركين) (الأنعام: ٢٣)

ولكن هل هما نفسان – مجادلة ومجادل عنها – أم هي نفس واحدة؟

إنما هي نفس واحدة، ولكن المقصود بالنفس الثانية: الذات. والمعنى على هذا: يوم يجادل كل مكلف عن ذاته، ولا يعنيه غيره (لكل امرئ منهم يومئذ شأن يغنيه) (عبس: ٣٧).

وهذه المجادلة تكون عند مخاطبة الله – سبحانه وتعالى – للعباد، وهذه الجرأة من الخلق في المجادلة إنما هي بإذن الله سبحانه وتعالى، ولو شاء الله – سبحانه وتعالى – لألقى الرعب في قلوب العباد فألجم أفواههم، ويكون الختم على أفواه الكفار في موقف آخر في المحشر (اليوم نختم على أفواههم وتكلمنا أيديهم وتشهد أرجلهم بما كانوا يكسبون) (يس: ٦٥)

– (وتوفى) التوفية هي: إعطاء الشيء وافيا، أي: كاملا. وحذف ذكر الفاعل (لفظ الجلالة) من باب حذف ذكر الفاعل لإبراز معنى الفعل وهو التوفية وعدم الظلم.

– (كل نفس) أعيد ذكر الكلام – رغم **دلالة السياق** عليه – من باب التأكيد.

– (وتوفى كل نفس ما عملت) أي: جزاء عملها، والجزاء يوم الجزاء يكون بدخول الجنة أو بدخول النار، أعاذنا الله منها وأدخلنا فسيح جنانه.

– مجادلة الخلق عن أنفسهم لا تغير شيئا من حكم الله سبحانه وتعالى؛ لأن كل نفس توفى جزاء عملها توفية كاملة، ولكن

المجادلة في الدنيا قد تؤثر في القضاء؛ فقد قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: إنكم تختصمون إلي ولعل بعضكم ألحن بحجته من بعض فمن قضيت له بحق أخيه شيئا بقوله فإنما أقطع له قطعة من النار فلا يأخذها (صحيح البخاري ج٢/ص٩٥٢)

- (وهم لا يظلمون) الواو واو الحال، فحال العباد حين يوفون حسابهم أنهم غير مظلومين، وإن كان ما سبق من الآية يغني في بيان معنى العدل (وتوفى كل نفس ما عملت) فتوفية العباد أعمالهم توفية كاملة تدل على أن أحدا من الخلق لم يظلم، ولكن جاء التصريح بنفي الظلم؛ زيادة في التأكيد على عدل الله سبحانه وتعالى.

- والتأكيد على عدل الله – سبحانه وتعالى – في الجزاء يدل على شدة الوعيد للمرتدين، وعظيم البشارة للمؤمنين.." (١)

"(وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها رزقها رغدا من كل مكان فكفرت بأنعم الله فأذاقها الله لباس الجوع والخوف بما كانوا يصنعون) (١١٢)

المفردات:

- ضرب: جعل.

- مثلا: وأصل المثل: الصفة، ومعناه هنا: وصف يقاس عليه.

- رغدا: واسعا طيبا.

المعنى الإجمالي:

بعد توعد الآية السابقة المشركين بعذاب الله يوم القيامة، تتوعد هذه الآية المشركين بعذاب الله في الدنيا؛ ليعلم المشركون أن عذاب الله محيط بهم في الدنيا والآخرة.

يضرب الله – سبحانه وتعالى – مثلا حقيقيا لقرية كانت تعيش حياة آمنة هادئة منعمة، ورزقها هانئ كثير، ولكنها كفرت بأنعم الله فأبدلها الله بدل أمنها وطمأنينتها خوفا وبدل الرزق الوافر جوعا جزاء كفرها.

المعنى التفصيلي:

- (وضرب الله مثلا) وصف سبحانه وتعالى وصفا ليقيس عليه الكفار ما يفعلونه، فيعلموا أنهم مخطئون.

- (وضرب) جاء التعبير بـ "الضرب" لا "الجعل"؛ لما للضرب من وقع يلفت النظر، وهذا يتناسب والمثل، لأن المثل يلفت الأنظار، ويدق الأذهان فيوقظ النائم، وينبه الغافل.

وقيل: إن ضرب المثل من ضرب الدراهم، لأن المثل هو ذكر شيء يظهر أثره في غيره.

ولكن لا بد من العلم أن فقه معنى الكلمة يكون بالرد إلى أصل المادة، وأصل المادة "ضرب" وهو إيقاع شيء على شيء، وهذه المادة تستعمل عدة استعمالات، وفي كل استعمال يشترك معنى الضرب مع معنى آخر لينتج معنى له دلالته، فليس من الصواب ربط الكلمة بالاستعمالات؛ لأننا قد نربط الكلمة بأحد الاستعمالات ولكن يكون الربط في القدر غير المشترك بين الكلمة وأصل المادة، فيخرج الباحث عن معنى الأصل إلى معنى آخر جديد، ظاناً أنه رد الكلمة إلى أصلها، فتأمل

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٢٣

بارك الله فيك.

- ذكر الاسم الظاهر (الله) رغم **دلالة السياق** عليه، ولو جاء الآية بالضمير المقدر لعلم المقصود، أي: "وضرب مثلا قرية"، ولكن إقامة الاسم الظاهر مقام المضمر إنما جاء تفخيما للمثل المضروب بذكر ضارب المثل سبحانه وتعالى.

- أبهم المثل في قوله تعالى (وضرب الله مثلا)، ثم فسر بقوله تعالى (قرية كانت آمنة مطمئنة يأتيها ...)، وهذا الإبهام للمثل ثم تفسيره فيه ما فيه من تفخيم المثل وتعظيمه.

- (قرية) بدل من (مثلا)، وهي مكان اجتماع الناس، ولا يلتفت إلى التقسيم المحدث في عصرنا حول المدينة والعاصمة والقرية، فهو مصطلح حادث ولا يفسر القرآن بناء عليه.

وتطلق القرية على الناس المجتمعين، (واسأل القرية التي ...) (يوسف:٨٢)، بغض النظر أقدرنا المحذوف: أهل القرية، أو قلنا: إن هذا مجاز مرسل، بل قد ذكر بعض أهل اللغة كالمبرد في كتابه (ما اتفق لفظه، ص:٧٧) أن القرية تطلق على القوم أنفسهم. وقصده: تطلق دون تقدير لمحذوف أو القول بالمجاز.

وعلى كل فالسياق يبين المقصود من "القرية" أهو المكان أم الناس، ففي هذه الآية (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة ...) المقصود بالقرية الناس، أما في قوله تعالى (وإذ قلنا ادخلوا هذه القرية فكلوا منها حيث شئتم رغدا ...) (البقرة: ٥٨) فالمقصود المكان.

وأصل "القرية" مادة "قري" التي تدل على الجمع والاجتماع، يقال: قريت الماء في الحوض: جمعته. ومن هنا سميت القرية لاجتماع الناس فيها.

- قيل: إن هذه القرية هي مكة، وقد روى الطبري في (تفسيره١٤/ص١٨٦) عند تفسير هذه الآية أن ابن عباس قال عن القرية "يعني مكة" ولكنه سند لا يصح؛ لأنه من طريق عطية العوفي، وأما ما روي عن التابعين ومن بعدهم فهي آراء بحاجة إلى دليل، وإنما درست السند عن ابن عباس دون التابعين؛ لأن لقوله اعتبارا وإن لم يكن في هذا المقام بدرجة الحجية، ولكنه ترجمان القرآن واسمع لقوله رضي الله عنه قال: ضمني رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال: "اللهم علمه الكتاب" (البخاري: ٧٣)

والصحيح أن هذه القرية المضروبة مثلا هي قرية غير مكة، وضربت مثلا لتخويف كفار مكة ابتداء، وذلك لأن هذه القرية وصفت بأنها كافرة إذ كفرت بأنعم الله، ومكة أحب أرض الله إلى الله لم يصفها سبحانه وتعالى بصفة مشينة، ألا ترى - بارك الله فيك - كيف نزه مكة عن وصفها بالظلم في قوله تعالى (وما لكم لا تقاتلون في سبيل الله والمستضعفين من الرجال والنساء والولدان الذين يقولون ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالم أهلها ...) (النساء: ٧٥) فلم يأت النص "ربنا أخرجنا من هذه القرية الظالمة" علما أن ذلك جائز لغة، ولو قيل "القرية الظالمة" لقصد أهلها، ولكن لتكريم مكة صرحت الآية بأن الظالم هو أهل مكة لا مكة.

ولو كانت مكة المقصودة بالقرية لقيل بناء على ما سبق "فكفر أهلها بأنعم الله". وسيأتي من الأدلة ما يثبت أن القرية هي غير مكة.

- (قرية كانت آمنة) لم يأت النص " قرية آمنة" أي: دون الفعل (كانت)، فما دلالة الفعل (كانت)؟
مما يدل عليه الفعل (كانت) أن هذه القرية قرية حقيقية (كانت) أي كان لها وجود وأصابها العذاب، وسبق الكلام على مثل هذا – على سبيل المثال لا الحصر – عند تفسير الآية (٨٧) من هذه السورة، عند قوله تعالى (ما كانوا يفترون)، حيث إن التعبير بالفعل "كان" (ما كانوا يفترون) أقوى في الدلالة من " ما يفترون " دون الفعل "كان"؛ لما يعنيه الفعل "كان" من الوجود، للتنبيه على أنه قد وقع حقا.
وهذا مما يدل – أيضا – على أن القرية ليست مكة، بل مثل ضرب لكفار مكة تهديدا لهم، والقول بأن هذه الآية إخبار عن مكة لما سيحصل لها من العذاب يتعارض والفعل (كانت).
وبهذا تعلم بعد قول القائلين " فهذه القرية يحتمل أن تكون موجودة ويحتمل أن تكون غير موجودة "
- (آمنة مطمئنة) والأمن نقيض الخوف، والطمأنينة هي: السكون والهدوء، وقد يكون الإنسان آمنا ولا يكون مطمئنا، ولكن لماذا قدم ذكر الأمن على الطمأنينة؟
قدم ذكر الأمن على الطمأنينة؛ لأنه لا طمأنينة دون الأمن، فالأمن أولا ثم الطمأنينة
ولكن لو ذكرت الطمأنينة وحدها لتضمنت معنى الأمن، فلماذا ذكر الأمن أيضا؟
ذكر الأمن أيضا؛ لأن المقام مقام تفصيل لنعم الله على هذه القرية وليس مقام اختصار، فناسب التفصيل في ذكر النعم ما يقتضيه المقام من التفصيل في ذكر النعم.
- (يأتيها رزقها رغدا) ولو تأملنا قليلا لوجدنا فرقا بين "بسط الله لهم في رزقهم " أو "كان رزقهم رغدا" وبين (يأتيها رزقها رغدا)، فلقد بسط الله سبحانه لهم في الرزق وكان رزقهم رغدا، ولكن للفعل المضارع (يأتيها) دلالة على سهولة الحصول على هذا الرزق، وأن الرزق يأتيها دون أن تمشي إليه، وحال هذه القرية مثل حال مكة، قال تعالى (... أولم نمكن لهم حرما آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من لدنا ...) (القصص: ٥٧) وتأمل كلمة (يجبى).
- جاء التعبير في وصف حالة الأمن والطمأنينة بالاسم (آمنة مطمئنة) ولم يأت النص بالفعل "أمنت واطمأنت"؛ لأن الاسم يدل على ثبوت الأمن والطمأنينة ودوامهما لهذه القرية، فهو ليس أمن يوم أو يومين بل على الدوام.
ولكن جاء التعبير عن الرزق بالفعل المضارع (يأتيها) لدلالة الفعل المضارع على التجدد؛ لأن إتيان الحصول على الرزق متجدد في كل يوم وكل ساعة.
- (رزقها) أي القرية، ولكن لماذا لم يأت النص "يأتيها رزق الله"؟
وللجواب عن هذا لا بد أن نعرف أن الإضافة قد تقع للفاعل والمفعول، فالإضافة للفاعل كما نقول: هذا رزق الله. من جهة أن الله – سبحانه وتعالى – هو الرزاق، والإضافة للمفعول كما في (رزقها) من جهة أن الرزق أعطي لها.
ولكن يبقى السؤال: لماذا لم يضف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى؟
لم يضف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى؛ لأن المقام مقام وصف للامتيازات التي وقعت لهذه القرية، ولذا أضيف الرزق إليها من باب النص على امتلاك القرية لهذه الامتيازات، بينما أضيف الرزق إلى الله سبحانه وتعالى في سياق آخر (... كلوا واشربوا من رزق الله ولا تعثوا في الأرض مفسدين) (البقرة: ٦٠) (... كلوا من رزق ربكم واشكروا له بلدة طيبة ورب غفور)

(سبأ: ١٥) وهذا سياق امتنان ناسبه إضافة الرزق إلى الله سبحانه وتعالى، بينما هذه الآية وصفت ما أعطيت هذه القرية من الخير فناسبت الإضافة سياق التنعم والتملك.

- (رغدا) يقال: رغد - بفتح الغين وضمها - رغدا. والرغد الرزق: واسعه وطيبه. فهو ليس رزقا كثيرا وحسب، بل رزق طيب ليس خبيثا وليس فيه ذل في تحصيله.

- (كل مكان) عموم مخصوص؛ لأنه لا يتصور أن يأتيهم الرزق من كل مكان في هذا الكون أو حتى الأرض، وإنما معناه: (من كل مكان) يمكن أن يأتيهم منه. وهذا العموم كالعموم الذي في قوله تعالى (إني وجدت امرأة تملكهم وأوتيت من كل شيء ولها عرش عظيم) (النمل: ٢٣) فلا يتصور أنها أوتيت من كل شيء في هذا الوجود، وإنما المعنى: وأوتيت من كل شيء يعطاه الملوك.

- (فكفرت بأنعم الله) وكفرها بأن جعلت مع الله - سبحانه وتعالى - شريكا، وهذا مستفاد من أن المثل إنما ضرب للمشركين في مكة تهديدا لهم.

- (بأنعم الله) و (أنعم) جمع نعمة، وقيل: جمع نعمى، وقيل: جمع نعم، وقيل غير ذلك.

- (أنعم) جمع قلة، ولكن لماذا جاء التعبير بجمع القلة، أليس التعبير بجنس النعم أعظم في بيان جرم هذه القرية؟

قيل: جاء التعبير عن النعم التي كفرت بها هذه القرية بجمع القلة؛ للتنبيه بالأدنى على الأعلى، فإذا كان كفران النعم القليلة موجبا للعذاب، فكفران النعم الكثيرة أولى بإيجاب العذاب.

ويضاف على هذا بأن هذه القرية على ما أوتيت من نعم فإنها لم تؤت إلا جزءا يسيرا من نعم الله سبحانه وتعالى، لأن الأمن والطمأنينة ورغد العيش ليست كل نعم الله، فتأمل.

- (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) جازى الله - سبحانه وتعالى - هذه القرية على كفرها بأنعمه بأن عذبها في هذه الدنيا بالجوع بعد رغد العيش، وبالخوف بعد الأمن والطمأنينة.

- (فأذاقها) الذوق وجود الطعم بالفم، واستعمل في العذاب بكثرة، وعلى سبيل المثال قوله تعالى (ذق إنك أنت العزيز الكريم) (الدخان: ٤٩)، واستعمل في الرحمة أيضا (ولئن أذقناه نعماء بعد ضراء مسته ...) (هود: ١٠).

وجاء التعبير بالذوق عن الإحساس بالعذاب من باب التعبير عن شدة ما يجدون من الألم؛ لأن التذوق هو بحث عن الطعم حتى يجده المرء، ولذا فمن يبلع الطعام بلعا لا يجد طعمه كمن يتذوقه تذوقا، فإن كان التذوق للنعمة زيادة في التنعم، والتذوق للعذاب زيادة في الألم؛ فأهل هذه القرية لم يتعذبوا فحسب، بل ذاقوا طعم العذاب ووجدوا ألمه.

- (لباس الجوع والخوف) ما أصاب القرية من جوع وخوف كان ملازما لها في كل أوقاتها، فليس الجوع والخوف في أوقات معينة ثم يذهبان ثم يعودان، بل هو جوع وخوف ملازمان لزوم اللباس للابسه.

وهذا من جهة، ومن جهة أخرى بدأ الجوع والخوف من شدتهما يظهران على الوجوه والأجسام، وكلنا يعرف علامات الجوع من الشحوب والنحول، وعلامات الخوف من الذهول وضعف البدن وغير ذلك من العلامات التي تظهر على الخائف والجائع، وجاء التعبير عن ظهور هذه العلامات باللباس لأن هذه العلامات أصبحت ظاهرة عليهم ظهور اللباس.

وأيضا فإن هذا الخوف والجوع محيط بهم متمكن من أجسادهم إحاطة اللباس باللابس.

– قد يسأل سائل هل يذاق اللباس، ولماذا لم يأت النص "فأذاقها الله طعم الجوع والخوف" أو "فكساها الله لباس الجوع والخوف "؟

كلمة اللباس في الآية لا تعني لباس القماش . وإنما تعني الجوع والخوف الشديدين كما سبق بيانه آنفا، ولذا يكون معنى الآية: فأذاقها الله الجوع والخوف الشديدين.

أما لماذا لم يأت النص "فأذاقها الله طعم الجوع والخوف" أو "فكساها الله لباس الجوع والخوف "؟

فالجواب عن هذا أن قولنا: أذاقه طعم كذا. لا يعطي إلا معنى الإذاقة، ومثله: كساه لباس كذا. لا يعطي إلا معنى الكسوة، بينما قوله تعالى (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) يعطي معنيين، الأول: الإذاقة. والثاني: الكسوة. وسبق بيان دلالة كل معنى من المعنيين.

– روي أن ابن الراوندي الملحد أراد الطعن بالقرآن فقال لابن الأعرابي الأديب: هل يذاق اللباس؟ فقال ابن الأعرابي: هب أنك تشك أن محمدا – صلى الله عليه وسلم – كان نبيا أوما كان عربيا؟

– (الجوع والخوف) قدم ذكر الجوع على الخوف؛ لأن الجوع أعظم عذابا، ألا ترى أن الإنسان يعيش في خوف الحروب سنين ولكنه لا يستطيع أن يعيش دون طعام أكثر من بضعة أيام، ولذا من الله – سبحانه وتعالى – على أهل مكة بالإطعام أولا ثم بالأمان ثانيا، قال تعالى (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (قريش: ٤)

– (بما كانوا يصنعون) الباء في (بما) باء السببية، أي: عذبهم الله – سبحانه وتعالى – بسبب ما صنعوا.

– جاء التعبير بـ (بما كانوا يصنعون) وليس "بما صنعوا"؛ لأن للتعبير بـ "كان" دلالته على الوجود والتحقق بما لا يدل عليه الفعل الماضي وحده.

– جاء التعبير بـ (يصنعون) وليس "يعملون"؛ لأن الصنع هو عمل وزيادة، والزيادة هي الإجادة في العمل، فهم من شدة كفرهم لم يعملوا الشرك عملا، بل صنعوا الشرك صناعة، فهم أصحاب حذاقة وخبرة في الشرك، يتفننون في ألوان الشرك تفننا، ويخترعون صورا للشرك لا تخطر على بال، وفي هذا وصف لسوء حالهم. ألا ساء ما كانوا يصنعون.." (١)

"(فكلوا مما رزقكم الله حلالا طيبا واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون) (١١٤)

المعنى الإجمالي:

بعد أن بينت الآيات السابقة ما وقع فيه أهل القرية من كفران نعمة الله سبحانه وتعالى، تحث هذه الآية المؤمنين على شكر نعمة الله – سبحانه وتعالى – حتى لا يكونوا مثل أهل القرية الظالمين. وهذا كقوله تعالى (يا أيها الذين آمنوا كلوا من طيبات ما رزقناكم واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) (البقرة: ١٧٢)

المعنى التفصيلي:

– (فكلوا) الفاء للتفريع، أي بناء على ما سبق من كفران أهل القرية للنعم فاشكروا أيها المؤمنون نعمة الله – سبحانه وتعالى – ولا تكونوا مثلهم.

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني   سامي القدومي ص/٢٢٥

- (فكلوا) ليس الأكل مقصودا وحده، إنما يندرج ما في معناه من النعم من اللباس والمركب والمسكن، ولكن جاء التعبير بالأكل لأنه أعظم ما يبحث عنه الإنسان أولا، وكذلك فإن تحصيله - وما في معناه من الشراب - متكرر، أما تحصيل اللباس فليس متكررا تكرر الطعام، ألا ترى أن الواحد فينا قد يشتري لباسا ما فيستعمله سنين عددا.

وقد ذكرت آنفا في تفسير الآية (النحل:١١٢) سبب تقديم ذكر الجوع على الخوف في قوله تعالى (... فأذاقها الله لباس الجوع والخوف ...) وقدم ذكر الجوع على الخوف؛ لأن الجوع أعظم عذابا، ألا ترى أن الإنسان يعيش في خوف الحروب سنين ولكنه لا يستطيع أن يعيش دون طعام أكثر من بضعة أيام، ولذا من الله - سبحانه وتعالى - على أهل مكة بالإطعام أولا ثم بالأمان ثانيا، قال تعالى (الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف) (قريش: ٤)، إذن توفير الطعام أولا.

وتأمل قوله تعالى (إن الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا) (النساء:١٠) والشاهد هو: التعبير بالأكل عن أخذ أموال اليتامى، علما أن الأكل أحد الأشياء المستفادة من المال وليس كل شيء.

- (مما رزقكم الله) أي: من الذي رزقكم الله، وجاء التصريح بذكر لفظ الجلالة "الله" رغم **دلالة السياق** عليه للتنبيه على مصدر النعم.

- (حلالا طيبا) الطيب ما هو حسن ومستلذ، وكل طيب حلال ولكن ليس كل حلال طيب، ألا ترى أن كسب الحجام حلال؛ لأن النبي صلى الله عليه وسلم احتجم وأعطى الحجام أجره (صحيح البخاري ج٥/ص٢١٥٤) ولكن عن كسب الحجام خبيث؛ لقول الرسول صلى الله عليه وسلم (كسب الحجام خبيث) (صحيح مسلم ج٣/ص١١٩٩)

- وقد يأتي " الطيب" في القرآن بمعنى الحلال؛ قال الله تعالى: (... ولا تتبدلوا الخبيث بالطيب ...) (النساء: ٢)، أي: لا تتبدلوا الحرام عليكم من أموالهم بالحلال من أموالكم.

وقد يأتي بمعنى الطاهر؛ قال تبارك وتعالى (... فتيمموا صعيدا طيبا ...) (النساء:٤٣)، وقد يأتي بمعان أخرى.

- (حلالا طيبا) قدم ذكر "الحلال" على "الطيب" لأن ذكر "الطيب" أولا يغني عن ذكر "الحلال"؛ لأن كل طيب حلال وليس العكس، ولكن لأن السياق سياق حث على شكر النعم جاء التفصيل في وصف النعم.

- (واشكروا نعمت الله) ولا تكونوا مثل أهل القرية كفروا بنعم الله (... فكفرت بأنعم الله ...) (النحل: ١١٢) وجاء التصريح بذكر لفظ الجلالة للتنبيه على مصدر النعم، وذكرت "النعمة" لأن السياق سياق حث على شكر النعم فجاء التركيز على ذكر النعم، وتأمل بارك الله فيك قوله تعالى في سورة (البقرة: ١٧٢) (... واشكروا لله إن كنتم إياه تعبدون) (البقرة: ١٧٢) وقوله تعالى في هذه الآية (واشكروا نعمت الله إن كنتم إياه تعبدون)

- (نعمت الله) أي جنس النعم، ولكن جاء التعبير عن النعم في هذه الآية بالمفرد "نعمة" بينما جاء التعبير بالجمع في وصف إبراهيم - عليه السلام - في قوله تعالى (شاكرا لأنعمه اجتباه وهداه إلى صراط مستقيم) (النحل: ١٢١)؛ لأن السياق سياق مدح لإبراهيم - عليه السلام - فجاء وصفه بأنه شاكر لأنعم الله سبحانه وتعالى، وأما هنا فإن الأمر لعموم المؤمنين، ولن يكون عموم المؤمنين بمنزلة إبراهيم عليه السلام، ولذا جاء الطلب من المؤمنين بالشكر بصيغة المفرد الدالة على الجنس وليس بصيغة الجمع؛ لأنهم لن يقدروا أن يكونوا بمنزلة إبراهيم عليه السلام.

ولا بد من الإشارة إلى أن "الأنعم" جمع نعمة، ولكنه جمع قلة، لأن إبراهيم – عليه السلام – مهما شكر فلن يسعه أن يشكر كل نعم الله سبحانه وتعالى، ألا ترى أن البشر لن يستطيعوا أن يحصوا نعم الله إحصاء، فكيف يمكنهم أن يشكروها كلها؟؟! (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيم) (النحل: ١٨) فنحن لا نستطيع أن نحيط بنعم الله بالعد والذكر، فكيف نستطيع أن نؤدي شكر ما لا نستطيع عده؟! ومن المسلم به أننا لا نستطيع، ولذا جاء ختم الآية بقوله تعالى (إن الله لغفور رحيم)

لكن لماذا لا يستطيع الإنسان أن يحيط بنعم الله؟ لا يستطيع لأنها كثيرة، فأهل الفلك يمضون العمر في استكشاف نعم الله علينا، وكذا أهل الجيولوجيا وأهل الطب وأهل التربية، وغيرهم كثير، وما يفهمه كل في تخصصه لا يحيط به الآخرون، وإنما يعرف الناس طرفا منه، وهذا فيما نعلم، فكيف بما لا نعلم، وما لا نعلمه أعظم، لأن علمنا في علم الله لا شيء، سبحانه وتعالى!

– (إن كنتم إياه تعبدون) وجواب الشرط مقدر بما سبق، وتقديره (إن كنتم إياه تعبدون) فاشكروا نعمته.

– (إن كنتم إياه تعبدون) وفي هذا دليل على أن الخطاب للمؤمنين؛ لأن تقديم المفعول به (إياه) على الفعل والفاعل (تعبدون) للحصر، أي إن كنتم تعبدون الله – سبحانه وتعالى– وحده، وعبادة الله وحده مختصة بالمؤمنين، فالآية ليست خطابا لكفار قريش لأنهم يشركون مع الله سبحانه وتعالى، وبهذا يتبين ضعف قول من قال في تفسير (إن كنتم إياه تعبدون): "إن صح زعمكم أنكم تقصدون بعبادة الآلهة عبادته تعالى ". وضعف هذا القول يظهر من تقديم المفعول، وهذا التقديم يدل على توحيد الله – سبحانه وتعالى – بالعبادة، ومن المعلوم أن كفار قريش لم يزعموا أنهم يوحدون الله بالعبادة حتى يقال لهم ذلك.." (١)

"هذا قول جميع النحويين، قال النحاس: إلا أن علي بن سليمان حكى لنا عن محمد بن زيد قال: يجوز في (إن) هذه الفتح وإن كان بعدها اللام وأحسبه وهما منه، قال أبو إسحاق الزجاج: وفي الكلام حذف والمعنى (وما أرسلنا قبلك رسلا إلا إنهم ليأكلون الطعام) ثم حذف رسلا؛ لأن في قوله: ﴿من المرسلين﴾ [(٢٠) سورة الفرقان] ما يدل عليه، فالموصوف محذوف عند الزجاج، ولا يجوز عنده حذف الموصول وتبقية الصلة كما قال الفراء، قال الفراء: والمحذوف (من) والمعنى: (إلا من إنهم ليأكلون الطعام) وشبهه بقوله: ﴿وما منا إلا له مقام معلوم﴾ [(١٦٤) سورة الصافات]، وقوله: ﴿وإن منكم إلا واردها﴾ [(٧١) سورة مريم] أي: ما منكم إلا من هو واردها، وهذا قول الكسائي أيضا، وتقول العرب: ما بعثت إليك من الناس إلا من إنه ليطيعك، فقولك: إنه ليطيعك صلة (من) ..

صلة (من) التي هي الموصول.

صلة (من)، قال الزجاج: هذا خطأ لأن (من) موصلة فلا يجوز حذفها، وقال أهل المعاني: المعنى: (وما أرسلنا قبلك من المرسلين إلا قيل إنهم ليأكلون) دليله قوله تعالى: ﴿ما يقال لك إلا ما قد قيل للرسل من قبلك﴾ [(٤٣) سورة فصلت].

أما قوله: لا يجوز حذف الموصول فقد جاء ما يدل على حذفه، كما في قول الشاعر:

---

(١) التفسير البياني لما في سورة النحل من دقائق المعاني سامي القدومي ص/٢٢٩

أمنت وهذا تحملين طليق.

يعني وهذا الذي تحملينه طليق، حذف الموصول هنا لدلالة السياق عليه.

وقال ابن الأنباري كسرت ﴿إنهم﴾ بعد (إلا) للاستئناف بإضمار واو: أي إلا وإنهم، وذهبت فرقة إلى أن قوله: ﴿ليأكلون الطعام﴾ [(٢٠) سورة الفرقان] كناية عن الحدث.." [(١)]

"٢١ - قوله تعالى: ﴿ثم أماته فأقبره﴾؛ أي: حكم الله عليه بالموت بعد أن عاش في هذه الحياة، وأمر بدفنه في باطن الأرض (١).

٢٢ - قوله تعالى: ﴿ثم إذا شاء أنشره﴾؛ أي: بعد أن يموت هذا الإنسان، فإن الله سيبعثه إذا أراد ذلك، وهو كائن يوم ينفخ في الصور (٢).

= الأول: السبيل: طريق خروجه من بطن أمه، وهو قول ابن عباس من طريق العوفي، وأبي صالح من طريق إسماعيل، والسدي من طريق سفيان، وقتادة من طريق معمر وسعيد، وهذا القول يناسب السياق.

الثاني: السبيل: طريق الحق والباطل، بيناه وأعلمناه، وهو قول مجاهد من طريق منصور وابن أبي نجيح، وجعل الآية نظير قوله تعالى: ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ [الإنسان: ٣]، وقول الحسن من طريق قتادة، وعبر عنه ابن زيد، بقوله: «والسبيل: سبيل الإسلام»، وهذا القول محمول على نظير له في القرآن.

ورجح الطبري القول الأول بدلالة السياق، فقال: «وأولى التأويلين عندي بالصواب قول من قال: ثم الطريق، وهو خروجه من بطن أمه، يسره. وإنما قلنا ذلك أولى التأويلين بالصواب؛ لأنه أشبههما بظاهر الآية، وذلك أن الخبر قبلها وبعدها عن صفته خلقه، وتدبيره جسمه، وتصريفه إياه في الأحوال، فالأولى أن يكون أوسط ذلك نظير ما قبله وما بعده».

ويكون هذا الاختلاف من قبيل اختلاف التنوع الذي يرجع إلى أكثر من معنى، وسببه التواطؤ في لفظ السبيل، والله أعلم.

(١) يسمى المباشر للدفن قابر، والآمر به مقبر؛ فتقول: أقبره الله، وقبره فلان، كما قال الأعشى:

لو أسند ميت إلى صدرها ... لعاش ولم ينقل إلى قابر

أي: إلى دافن يدفنه في قبره.

(٢) يلاحظ في الآيات السابقة تكرر العطف بـ «الفاء»، و «ثم»، أما الأولى: فللدلالة على تعاقب الحدثين، وسرعة وجود الآخر بعد الأول. وأما الثاني: فللدلالة على تراخ وبعد بين الحدثين؛ فقوله تعالى: ﴿من نطفة خلقه فقدره﴾، إشارة إلى أن الأطوار المقدرة تعقب حال النطفة، ثم قال: ﴿ثم السبيل يسره﴾، وهذا إشارة إلى طول الزمان الذي يقر فيه الجنين في البطن بعد التقدير، ثم قال: ﴿ثم أماته فأقبره﴾، وهذا يدل على تراخ بين خروجه من بطن أمه إلى موته، وهي فترة الحياة التي

---

(١) التعليق على تفسير القرطبي - عبد الكريم الخضير عبد الكريم الخضير ٨/١٥

يعيشها، أما الفترة التي بين موته ودفنه فإنها يسيرة، ولذا جاء التعقيب بالفاء، ولما كان الزمن بين الموت والبعث طويلا، جاء التعقيب بحرف العطف «ثم»، والله أعلم.." [1]

"سورة الفجر (٢) سورة البلد (٢)

سورة الفلق (١)

٣ – الترجيح بدلالة السنة النبوية:

سورة عبس (١٣، ١٥) سورة المطففين (٧، ١٨)

٤ – الترجيح **بدلالة السياق**:

سورة عبس (٢٠) سورة التكوير (١٥ – ١٦)

سورة البروج (١٣) سورة الطارق (٨)

سورة الليل (٦)

٥ – الترجيح بأصل ترتيب الكلام، وعدم الحكم بالتقديم والتأخير إلا لعلة توجب ذلك:

سورة الأعلى (٤ – ٥) سورة الغاشية (٣)

٦ – الترجيح برسم المصحف:

سورة المطففين (٣) سورة الأعلى (٦)

٧ – الترجيح بعود اسم الإشارة المفرد إلى أقرب مذكور، كالضمير:

سورة الأعلى (١٨)

٨ – الترجيح باتساق الضمائر، وعودها على المذكور الأول:

سورة العاديات (٧).

رابعا: اختلاف المعاني بسبب اختلاف القراءة:

سورة التكوير (٢٤) سورة الانشقاق (١٩)

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار   مساعد الطيار ص/٥٥

سورة البروج (١٥، ٢٢) سورة الفجر (٢٥ - ٢٦)

سورة البلد (١٣)." [١]

"الإعراب:

الذين أخرجوا في موضع جر صفة لقوله للذين يقاتلون أي أذن للذين يقاتلون بأنهم ظلموا، الذين أخرجوا. ويكون قوله تعالى: وإن الله على نصرهم لقدير فصلا بين الصفة والموصوف، مثل: وإنه لقسم، لو تعلمون، عظيم [الواقعة ٥٦/ ٧٦] أي: وإنه لقسم عظيم لو تعلمون.

إلا أن يقولوا: ربنا الله في موضع نصب لأنه استثناء منقطع، أي لكن لقولهم:

ربنا الله.

بعضهم ببعض بدل بعض من الناس.

الذين إن مكناهم.. إما في موضع جر، صفة أخرى لقوله: للذين يقاتلون وإما منصوب على البدل من من في قوله تعالى: ولينصرن الله من ينصره وإما مرفوع على أنه خبر مبتدأ مقدر أي هم.

وقوله: إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة شرط وجزاء، وهما صلة الموصول.

البلاغة:

خوان كفور صيغة مبالغة على وزن فعال وفعول.

أذن للذين يقاتلون فيه حذف **لدلالة السياق** عليه، أي أذن بالقتال للذين يقاتلون.

إلا أن يقولوا: ربنا الله فيه تأكيد المدح بما يشبه الذم، أي لا ذنب لهم إلا هذا، على طريقة قول النابغة:

ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم ... بهن فلول من قراع الكتائب

المفردات اللغوية:

يدافع عن الذين آمنوا أي يبالغ في الدفع مبالغة من يغالب فيه، وقرئ: يدفع أي غائلة المشركين خوان في أمانته وأمانة الله أي كثير الخيانة كفور لنعمته، وهم المشركون، والمعنى: أنه يعاقبهم، وصيغة المبالغة لبيان واقع المشركين.

أذن رخص للذين يقاتلون من قبل المشركين وهم المؤمنون، أي للمؤمنين أن يقاتلوا، والمأذون فيه وهو القتال محذوف لدلالته عليه، وقرئ بالبناء للمعلوم يقاتلون أي." [٢]

"فعلى القول الأول للأكثرين: يكون المقصود بالآية: أذن.. إباحة القتال ومشروعيته، والمأذون فيه هو القتال حقيقة، وحذف **لدلالة السياق** عليه، والمراد بهم المهاجرون، بدليل وصفهم بالإخراج من الديار بغير حق.

---

(١) تفسير جزء عم للشيخ مساعد الطيار   مساعد الطيار ص/٢٨٢

(٢) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ١٧/٢٢٤

وعلى القول الثاني لبعضهم: يكون المراد حكاية الإذن الحاصل من قبل توطئة لبيان أسباب المشروعية.
وعلى قراءة المبني للمجهول يقاتلون يكون وصفهم بالقتال الواقع عليهم فعلا على حقيقته، سواء قيل: إنها أول آية نزلت في القتال أم لا لأن قتال المشركين واضطهادهم لهم، كان حاصلا على كل حال.
وعلى قراءة المبني للمعلوم يقاتلون إذا قيل: إنها ليست أول آية نزلت في القتال يكون وصفهم بالقتال على حقيقته أيضا، وأما إذا قيل: إنها أول آية نزلت في الجهاد فيكون وصفهم بالقتال إما على معنى أو على تقدير: إرادة القتال، أي يريدون قتال المشركين ويحرصون عليه، وإما على إرادة استحضار ما يكون منهم في المستقبل، أي ما سيعدون أنفسهم عليه من لقاء المشركين.
وعلى كل حال يكون المراد بالآية بيان سبب الإذن في القتال وهو دفع الظلم والإيذاء، فإن المشركين آذوا رسول الله صلى الله عليه وسلم بأشد أنواع الإيذاء الأدبية والجسدية، فإنهم اتهموه بالشعر والسحر والكهانة والجنون، ووضعوا التراب على رأسه، وألقوا سلا جزور على كتفيه وهو ساجد بين يدي ربه، وأغرت ثقيف سفهاءهم حتى رموه بالحجارة وأدموه واختضب نعلاه بالدم. وآذوا أيضا أتباعه وأنصاره فعذبوهم بالضرب والجلد، والقتل، والإلقاء في حر الشمس في بطحاء مكة، ووضعوا الحجارة على صدورهم، وحاولوا فتنتهم عن دينهم، فلم يزدهم التعذيب إلا إصرارا على التمسك بعقيدتهم، فلا يصدر عنهم إلا القول: أحد أحد.
ولست أبالي حين أقتل مسلما ... على أي جنب كان في الله مصرعي." (١)
"الضمة من الياء إلى اللام، فبقيت الياء ساكنة، وواو الجمع ساكنة، فحذفت الياء لالتقاء الساكنين.
أن بورك من في النار أن مخففة من الثقيلة، أي أنه بورك، وهو في موضع رفع ب نودي. ومن في النار، أي من في طلب النار، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه.
أنا الله مبتدأ وخبر، والعزيز الحكيم صفتان للخبر.
تهتز، كأنها جان تهتز جملة فعلية حال من هاء رآها. وكأنها جان حال أيضا، أي فلما رآها مهتزة مشبهة جانا، ومدبرا حال منصوب أيضا.
إلا من ظلم من في موضع نصب، لأنه استثناء منقطع.
تخرج بيضاء بيضاء حال من ضمير تخرج. وإلى فرعون حال من مرسلا المحذوف المنصوب على الحال، لدلالة الحال عليه، أي مرسلا إلى فرعون.
مبصرة حال من الآيات، أي مبينة.

البلاغة:
وألق عصاك فلما رآها تهتز إيجاز بالحذف، حذفت جملة: فألقاها، فانقلبت حية، **لدلالة السياق** عليه.

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ١٧/٢٢٨

حسنا بعد سوء وولى مدبرا ولم يعقب بين كل منهما طباق.

آياتنا مبصرة استعارة، استعار لفظ الإبصار للوضوح والبيان لأن الإبصار يكون بالعينين.

كأنها جان تشبيه مرسل مجمل، ذكرت أداة الشبه، وحذف وجه الشبه، فصار مرسلا مجملا.

المفردات اللغوية:

إذ قال أي اذكر حين قال موسى. لأهله كنى عن زوجته بالأهل عند مسيرته من مدين إلى مصر. آنست أبصرت من بعيد. بخبر عن حال الطريق لأنه قد ضله. وجمع الضمير في قوله: سآتيكم وآتيكم ولعلكم تصطلون مراعاة لكلمة لأهله. وأتى بالسين في قوله: سآتيكم للدلالة على بعد المسافة، أو الوعد بالإتيان وإن أبطأ. وأتى بأو دون الواو اعتمادا أو رجاء على أنه إن لم يظفر بحاجتيه معا، لم يعدم واحدة منهما: إما هداية الطريق،." [1]

"وكان إنزال التوراة بعد إهلاك القرون الأولى (الأمم الماضية المكذبة) مثل قوم نوح وعاد وثمود وقوم لوط، وقيل: من بعد إغراق فرعون وقومه وخسف الأرض بقارون، ولعل ذلك إشعار بشدة الحاجة إليها، فإن إهلاك القرون الأولى دليل على اندراس معالم شرائعها، وحاجة الناس إلى تشريع جديد ينظم لهم شؤون حياتهم.

الحاجة إلى إرسال الرسل وبعثة محمد صلى الله عليه وسلم

[سورة القصص (٢٨) : الآيات ٤٤ الى ٤٧]

وما كنت بجانب الغربي إذ قضينا إلى موسى الأمر وما كنت من الشاهدين (٤٤) ولكنا أنشأنا قرونا فتطاول عليهم العمر وما كنت ثاويا في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا ولكنا كنا مرسلين (٤٥) وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوما ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون (٤٦) ولولا أن تصيبهم مصيبة بما قدمت أيديهم فيقولوا ربناأرسلت إلينا رسولا فنتبع آياتك ونكون من المؤمنين (٤٧)

الإعراب:

تتلوا عليهم آياتنا خبر ثان ل كنت.

ولكن رحمة من ربك رحمة: إما منصوب على المصدر، وإما مفعول لأجله، أي ولكن فعل ذلك لأجل الرحمة، وإما خبر كان مقدرة، أي ولكن كان رحمة من ربك.

البلاغة:

أنشأنا قرونا مجاز عقلي، أريد به: أمما في تلك الأزمنة، والعلاقة زمانية.

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٦١/١٩

تصيبهم مصيبة جناس اشتقاق. وقوله: ولولا أن تصيبهم مصيبة حذف منه الجواب **لدلالة السياق** عليه، أي ولولا خشية وقوع المصيبة بهم ما أرسلناك يا محمد رسولا إليهم، فهو إيجاز بالحذف.." (١)

"الإعراب:

وإنا أو إياكم لعلى هدى إياكم ضمير منفصل منصوب معطوف على اسم «إن» ولعلى هدى إما خبر لقوله: وإنا وخبر إياكم محذوف لدلالة الأول عليه، أو أن يكون خبرا للثاني، وخبر الأول محذوف لدلالة الثاني عليه. وهذا كقولهم: زيد وعمرو قائم، إما أن يجعل قائم خبرا للأول، ويقدر للثاني خبر، وإما أن يجعل خبرا للثاني، ويقدر للأول خبر.

وما أرسلناك إلا كافة.. كافة منصوب على الحال من كاف أرسلناك ولا يجوز جعلها حالا من الناس على المختار. وأصله «كاففة» اجتمع حرفان متحركان من جنس واحد، فسكن الأول وأدغم في الثاني، فصار كافة وتقديره: وما أرسلناك إلا كافا للناس. ودخلت التاء للمبالغة، كعلامة ونسابة.

لكم ميعاد يوم.. مبتدأ مرفوع، ولكم خبره، والهاء في عنه عائدة على الميعاد.

البلاغة:

قل: من يرزقكم من السماوات والأرض توبيخ وتبكيت.

قل: الله حذف الخبر، **لدلالة السياق** عليه، أي قل الله الخالق الرازق للعباد.

تستأخرون وتستقدمون بينهما طباق.

وهو الفتاح العليم صيغة مبالغة على وزن فعال وفعيل.

المفردات اللغوية:

قل: من يرزقكم من السماوات والأرض يريد به تقرير قول السابق: لا يملكون، والرزق من السموات: المطر، ومن الأرض: النبات. قل: الله أي لا جواب سواه، وفيه إشعار بأنهم إن سكتوا أو تلعثموا في الجواب مخافة الإلزام، فهم مقرون به بقلوبهم. وإنا أو إياكم أي أحد الفريقين. لعلى هدى أو في ضلال مبين أي إما في حال هدى أو في ضلال." (٢)

"الإعراب:

بالتي تقربكم عندنا زلفى إلا من آمن بالتي في موضع نصب لأنه خبر ما.

ودخلت الباء في خبر ما لتكون بإزاء اللام في خبر «إن» لأن «إن» للإثبات، وما للنفي. وإلا من آمن في موضع نصب على الاستثناء، ولا يجوز أن يكون منصوبا على البدل من الكاف والميم في تقربكم لأن المخاطب لا يبدل منه. لكن جاء إبدال الغائب من المخاطب، بإعادة العامل في قوله تعالى: لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة [الأحزاب ٣٣/ ٢١]

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١١٢/٢٠

(٢) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ١٧٨/٢٢

أبدل منه بإعادة الجار، فقال: لمن كان يرجو.

البلاغة:

يبسط ويقدر بينهما طباق.

وما أموالكم ولا أولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى فيه التفات من الغائب إلى المخاطب للمبالغة في تحقيق الحق، وفيه إيجاز بالحذف لدلالة السياق عليه، حذف خبر الأول لدلالة الثاني عليه، أي ما أموالكم بالتي تقربكم، ولا أولادكم بالذين يقربونكم عندنا.

إلا من آمن وعمل صالحا والذين يسعون في آياتنا معاجزين مقابلة بين عاقبة الأبرار والفجار.

كافرون لا يعلمون آمنون محضرون ٣٨ فيها توافق الفواصل الذي فيه جميل الوقع على السمع.

المفردات اللغوية:

قرية أهل قرية أي بلد. نذير ينذرهم ويحذرهم عقاب الله. مترفوها أثرياؤها وقادة الشر فيها. كافرون مكذبون لكم بما أرسلتم به من التوحيد والإيمان. وما نحن بمعذبين قاسوا أمر الآخرة المفترضة عندهم على أمر الدنيا، واعتقدوا أنهم لو لم يكونوا مكرمين عند الله لما رزقهم، ولولا أن المؤمنين هانوا عليه لما حرمهم.

يبسط الرزق لمن يشاء يوسعه لمن يريد امتحانا. ويقدر يضيقه لمن يشاء ابتلاء. ولكن أكثر الناس لا يعلمون فيظنون أن كثرة الأموال والأولاد للشرف والكرامة، وكثيرا ما يكون للاستدراج. زلفى قربى أي تقريبا، ويصح: زلفة: قربة. إلا من آمن لكن من آمن. جزاء الضعف بما عملوا الجزاء المضاعف للحسنات، أي الحسنة بعشر فأكثر. الغرفات غرفات الجنة، وقرئ: الغرفة، بمعنى الجمع. آمنون من جميع ما يكرهون من الموت وغيره.." (١)

"إذا قيل لهم: لا إله إلا الله إيجاز بالحذف، أي قولوا: لا إله إلا الله، وحذف لدلالة السياق عليه.

المفردات اللغوية:

احشروا يقال للملائكة: اجمعوا، من الحشر: وهو الجمع. الذين ظلموا أنفسهم بالشرك فهم المشركون، وهو أمر من الله للملائكة بحشر الظلمة من مقامهم إلى الموقف.

وأزواجهم أمثالهم وأشباههم، فيحشر عابد الصنم مع عبدة الصنم، وعابد الكواكب مع عبدتها، وأصحاب الخمر معا، وأصحاب الزنى معا. وقيل: أزواجهم: قرناؤهم من الشياطين. وما كانوا يعبدون من دون الله يحشر المعبودون من غير الله من الأصنام والأوثان وغيرها، زيادة في تحسيرهم وتخجيلهم، وهو عام مخصوص بقوله تعالى: إن الذين سبقت لهم منا الحسنى أولئك عنها مبعدون [الأنبياء ٢١/ ١٠١] .

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٢/١٩٢

فاهدوهم دلوهم وعرفوهم طريقها ليسلكوه. إلى صراط الجحيم طريق النار.

وقفوهم احبسوهم في الموقف أو عند الصراط «١» إنهم مسؤلون عن عقائدهم وأعمالهم.

ما لكم لا تناصرون لا ينصر بعضكم بعضا بالتخليص من العذاب كحالكم في الدنيا، وهذا يقال لهم توبيخا وتقريعا. بل هم اليوم مستسلمون منقادون خاضعون لعجزهم، وأصل الاستسلام:

طلب السلامة، ويلزمه الانقياد عرفا. وهذا أيضا يقال لهم.

يتساءلون يتلاومون ويتخاصمون، فيسأل بعضهم بعضا للتوبيخ. وقالوا قال الأتباع للمتبوعين. عن اليمين عن أقوى الوجوه، وعن جهة الخير التي نأمنكم منها، لحلفكم أنكم على الحق، فصدقناكم واتبعناكم. والمعنى: أنكم أضللتمونا. قالوا قال المتبوعون لهم. بل لم تكونوا مؤمنين أي إنكم كنتم في الأصل غير مؤمنين، فلم يحدث منا الإضلال الذي يؤدي إلى الرجوع عن الإيمان إلينا. من سلطان تسلط عليكم، وقوة وقهر، نقهركم على متابعتنا.

طاغين مختارين الطغيان والضلال مثلنا، ومتجاوزين الحد في العصيان.

فحق علينا وجب علينا جميعا. قول ربنا بالعذاب، وهو: لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين. إنا لذائقون إنا جميعا لذائقون العذاب بذلك القول. فأغويناكم دعوناكم إلى الغي والضلال. غاوين ضالين. فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون هذا قول الله تعالى، فإنهم يوم القيامة جميعا الأتباع والمتبوعون مشتركون في العذاب، لاشتراكهم في الغواية.

---

(١) الواو لا توجب الترتيب، فيصح أن يكون الحبس والإيقاف في الموقف، ويجوز أن يكون عند الصراط.." [١]

"البلاغة:

أفمن شرح الله صدره للإسلام؟ إيجاز بالحذف **لدلالة السياق** عليه ل حذف خبره وتقديره:

كمن طبع الله على قلبه؟ ومثله: أفمن يتقي بوجهه وجوابه كمن أمن منه بدخول الجنة.

وقيل للظالمين أي وقيل لهم، وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا للظلم عليهم وإشعارا بما يوجب القول لهم، وهو: ذوقوا ما كنتم تكسبون.

يهدي ويضلل بينهما طباق.

المفردات اللغوية:

شرح فتح وبسط، والمراد: خلق نفسه شديدة الاستعداد لقبول الإسلام صدره أي قلبه، فاهتدى، من حيث إن الصدر محل القلب منبع الروح المتعلق بالنفس القابلة للإسلام، وجواب الاستفهام محذوف تقديره: كمن طبع الله على قلبه، بدليل ما بعده وهو: فويل للقاسية قلوبهم ويل: كلمة عذاب، والقاسية قلوبهم: المعرضة عن قبول القرآن، والقسوة: جمود القلب وصلابته. وقوله المتقدم: فهو على نور من ربه يعني نور المعرفة والاهتداء إلى الحق، والنور:

---

(١) التفسير المنير للزحيلي   وهبة الزحيلي ٢٣/٧٩

البصيرة والهدى،

قال ص: «إذا دخل النور القلب انشرح وانفسح»

وسيأتي الحديث بتمامه مبين بين واضح.

أحسن الحديث أي القرآن كتابا قرآنا متشابها في النظم والمعنى، أي يشبه بعضه بعضا في الإعجاز، وحسن النظم، والدقة، وصحة المعنى والإحكام مثاني جمع مثنى، من التثنية: التكرار، أي ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرهما تقشعر منه تضطرب وتتحرك وترتعد خوفا عند ذكر وعيده يخشون يخافون تلين تطمئن وتسكن إلى ذكر الله عند ذكر وعده ذلك الكتاب هدى الله يهدي به من يشاء هدايته ومن يضلل الله ومن يخذله فما له من هاد يخرجه من الضلالة.

أفمن يتقي بوجهه سوء العذاب يجعله درقة (ترسا) يقي به نفسه أشد العذاب، بأن يلقى في النار مغلولة يداه إلى عنقه، والجواب محذوف تقديره: كمن أمن منه بدخول الجنة للظالمين كفار مكة وأمثالهم ذوقوا ما كنتم تكسبون أي ذوقوا وباله وجزاءه.

كذب الذين من قبلهم أي كذبوا رسلهم في إتيان العذاب فأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون من الجهة التي لا يخطر ببالهم أن الشر يأتيهم منها الخزي الذل والهوان في الحياة الدنيا كالقتل والسبي والإجلاء والخسف والمسخ لو كانوا يعلمون لو كان المكذبون يعلمون عذاب الآخرة ما كذبوا.." (١)

"فكذبوه فعقروها أي فكذبوه في تحذيره إياهم من العذاب، ولم يبالوا بما أنذرهم به من العقاب، فعقر الأشقى الناقة، وجميع قومه رضوا بما فعل. أو كذبوه فيما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة التي أخرجها الله لهم من الصخرة آية لهم وحجة عليهم.

ثم يبين ما عوقبوا به، فيقول:

فدمدم عليهم ربهم بذنبهم، فسواها، ولا يخاف عقباها أي فأطبق عليهم العذاب وأهلكهم، وغضب عليهم فدمر عليهم، فسوى الدمدمة عليهم، وعمهم بها، أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء، فاستوت على صغيرهم وكبيرهم. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم، وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها، دمدم الله عليهم بذنبهم، فسواها.

وقد فعل الله ذلك بهم، وأهلكهم، غير خائف هذا الأشقى من عاقبة ولا تبعة، أي فإنه تجرأ على عقر الناقة دون أن يخاف الذي عقرها عاقبة إهلاك قومه، وعاقبة ما صنع، والمراد بذلك أنه أقدم على عقرها، وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه. وقال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة. قال ابن كثير: وهذا القول أولى **لدلالة السياق** عليه. وقال أبو حيان: الظاهر عود الضمير إلى أقرب مذكور، وهو ربهم أي لا درك عليه تعالى في فعله بهم، لا يسأل عما يفعل، قال ابن عباس والحسن، وفيه ذم لهم وتعقبة لآثارهم. والمراد أن الله لا يخاف عاقبة ما فعل بهم لأنه عادل في حكمه. وقال الزمخشري: ولا يخاف الله

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٢٣/٢٧٦

عاقبتها وتبعتها، كما يخاف كل معاقب من الملوك، فيبقي بعض الإبقاء. ويجوز أن يكون الضمير لثمود، على معنى: فسواها بالأرض أو في الهلاك، ولا يخاف عقبى هلاكها.." (١)

"١٥ - (ولا يخاف عقباها):

أي: فعل الله ذلك بهم غير خائف أن تلحقه تبعة إهلاكهم من أحد؛ إذا لا يسأل -سبحانه- عما يفعل، ولا معقب لحكمه، أو يخاف رسول الله صالح عاقبة إهلاك قومه، ولا يخشى ضررا يعود عليه من عذابهم؛ لأنه بصرهم فأنذرهم وحذرهم، ونجاه الله حين أهلكهم، وقيل: ولا يخاف ذلك الكافر الذي قام يعقر الناقة (قدار بن سالف) عاقبة ما صنع، فقد أقدم على فعلته وهو كالآمن من نزول الهلاك به وبقومه، وذلك كناية عن إيغاله في الكفر، وتماديه في التكذيب، وإفراطه في الجهل، والقول الأول أولى **لدلالة السياق** عليه. والله أعلم.." (٢)

"الأمر بالتقوى واقترانه بصفة الخلق

وقوله تعالى: ﴿اتقوا ربكم﴾ التقوى: أن تجعل بينك وبين غضب الله تعالى عليك وقاية، أو تجعل بينك وبين عذاب الله تعالى وقاية، فأصل التقوى مأخوذة من التغطية أو التستر، قال الشاعر: سقط النصيف ولم ترد إسقاطه فتناولته واتقتنا باليد أي: غطت وجهها بيديها.

قوله تعالى: ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم﴾ ، قال كثير من أهل العلم: عبر بلفظ الخلق أو بصفة الخلق هنا دون غيرها من الصفات؛ لأن الناس المخاطبين بالآية كانوا يقرون بصفة الخلق، فمن ثم خاطبهم بالصفة التي يقرون بها، كما قال سبحانه: ﴿ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله﴾ [الزخرف:٨٧] ، فلما خاطبهم الله تعالى بقوله: ﴿اتقوا ربكم الذي خلقكم﴾ خاطبهم بصفة يقرون بها، ويدينون بها لله سبحانه وتعالى مسلمهم وكافرهم، ويقرون بأن الخالق هو الله سبحانه وتعالى.

وقوله تعالى: ﴿الذي خلقكم من نفس واحدة﴾ النفس الواحدة هي آدم صلى الله عليه وسلم، وقوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ هي حواء عليها السلام، ولم يرد لحواء ذكر في الكتاب العزيز باسمها، وأما سنة النبي صلى الله عليه وسلم فقد ورد فيها ذكر حواء، ففي صحيح الإمام البخاري رحمه الله تعالى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (لولا حواء لم تخن أنثى زوجها) .

وقوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها﴾ يفيد أن حواء خلقت من آدم وهو الصحيح لا شك، وقد جاء عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما يوضح ذلك، ففي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: (إن المرأة خلقت من ضلع) الحديث، فهي خلقت من أحد أضلاع آدم على ما فهم من حديثه عليه الصلاة والسلام، وعلى ما ذكره الشراح، ولذلك تجد المرأة تميل إلى الرجل، والرجل يميل إلى المرأة.

وفي قوله تعالى: ((زوجها)) دليل على إطلاق لفظ الزوج على المرأة، ولفظ الزوجة وإن كان جائزا، لكن الأفصح استعمال (زوج) بغير تاء، كما قال سبحانه: ﴿هو الذي خلقكم من نفس واحدة وجعل منها زوجها ليسكن إليها فلما تغشاها

---

(١) التفسير المنير للزحيلي وهبة الزحيلي ٣٠/٢٦٤

(٢) التفسير الوسيط - مجمع البحوث مجموعة من المؤلفين ١٠/١٩٣٠

حملت حملا خفيفا فمرت به﴾ [الأعراف:١٨٩] ، وأما لفظ (الزوجة) فمنه قول عمار بن ياسر رضي الله تعالى عنه في شأن أم المؤمنين عائشة رضي الله تعالى عنها: (والله إني أعلم أنها زوجة نبيكم صلى الله عليه وسلم في الدنيا والآخرة، ولكن الله ابتلاكم بها ليعلم أتتبعوه أم تتبعوها) .

لكن الأفصح أن يقال: (زوج) بغير تاء.

قوله تعالى: ﴿وخلق منها زوجها وبث منهما﴾ بث، أي: فرق ونشر، و (منهما) أي: من آدم وحواء.

وقوله تعالى: ﴿رجالا كثيرا ونساء﴾ أي: ونساء كثيرا كذلك، فحذفت كثيرا عند ذكر النساء **لدلالة السياق** عليها، وهذا وارد بكثرة في كتاب الله تعالى، ومنه قول الله تعالى حكاية عن سليمان صلى الله عليه وسلم: ﴿إني أحببت حب الخير عن ذكر ربي حتى توارت بالحجاب﴾ [ص:٣٢] ، أي: حتى توارت الشمس، فحذفت **لدلالة السياق** عليها.

فإن قال قائل: فما هو الدليل على أن النساء كثير؟ قلنا: إن النساء أكثر -لا شك- من الرجال، بدليل قول النبي صلى الله عليه وسلم: (اطلعت على النار فرأيت أكثر أهلها النساء) ، وأهل النار أكثر بكثير من أهل الجنة، لقوله تعالى: ﴿وما أكثر الناس ولو حرصت بمؤمنين﴾ [يوسف:١٠٣] ، ولقوله تعالى: ﴿وإن تطع أكثر من في الأرض يضلوك عن سبيل الله﴾ [الأنعام:١١٦] ، إلى غير ذلك.." (١)

"حقيقة الكلالة والمراد بالأخوة في آيتي الكلالة

قوله تعالى: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة﴾ [النساء:١٢] : أي: أو امرأة تورث كلالة، وحذفت: (تورث كلالة) **لدلالة السياق** عليها، والحذف **لدلالة السياق** مستساغ، وقد قدمنا ما فيه الكفاية في هذا الباب.

قوله: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة﴾ [النساء:١٢] : الكلالة: من لا ولد له ولا والد، وهذه المسألة من المسائل التي أشكلت على أمير المؤمنين عمر بن الخطاب حتى قال: (ما سأل أحد رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الكلالة مثلما سألته، حتى ضرب يده في صدري وقال: يا ابن الخطاب، ألا تكفيك آية الكلالة التي في آخر سورة النساء؟!) ، ومع ذلك كان يقول في آخر حياته عمر: (ثلاث مات النبي صلى الله عليه وسلم ولوددت أنه عهد إلينا فيهن عهدا: الكلالة، ومسائل من الربا ...) إلى آخر ما ذكر عمر رضي الله عنه.

إذا الكلالة: من لا ولد له ولا والد، أي: ليس له أب ولا ابن، ولا جد ولا حفيد، ولا شيء أعلى ولا شيء أنزل، قال العلماء: الكلالة هي مأخوذة من الإكليل الذي يحيط بالرأس.

قوله: ﴿وله أخ أو أخت﴾ [النساء:١٢] هنا تقدير أجمع العلماء عليه: له أخ أو أخت من الأم.

والكلالة فيها آيتان: هذه أولاهما: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت﴾ [النساء:١٢] : أي: أخ أو أخت من الأم.

والثانية هي آخر آية في النساء: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة﴾ [النساء:١٧٦] .

الكلالة هنا: الإخوة الأشقاء، أو الإخوة لأب، حتى لا تتضارب الأفهام؛ لأن حكم الكلالة في الآية الأولى من النساء،

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٤/١

غير حكم الكلالة التي في آخر النساء.

الكلالة هنا: يقول الله سبحانه: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ [النساء:١٢] .

لكن التي في آخر النساء: ﴿يستفتونك قل الله يفتيكم في الكلالة إن امرؤ هلك ليس له ولد وله أخت فلها نصف ما ترك﴾ [النساء:١٧٦] .

فقد يقال: كيف تقول: إن الأخت لها نصف ما ترك في الأخيرة، وهنا تقول: لها السدس؟ فالإجابة: أن هذه الآية الأولى في الإخوة لأم.

والتي في آخر النساء في الإخوة الأشقاء.

والإخوة لأم يفترقون عن الإخوة الأشقاء في أمور: منها: أنهم لا يرثون الأخ إلا في الكلالة.

منها: أن ذكرهم يساوي أنثاهم في الميراث؛ لأن الله قال: ﴿وإن كان رجل يورث كلالة أو امرأة وله أخ أو أخت فلكل واحد منهما السدس﴾ [النساء:١٢] ، فسوى الأخ بالأخت.

لكن في الكلالة التي في آخر النساء: ﴿وإن كانوا إخوة رجالا ونساء فللذكر مثل حظ الأنثيين﴾ [النساء:١٧٦] ، وهي في الإخوة الأشقاء.

ومنها: أن ميراث الإخوة لام لا يتجاوز الثلث؛ لقوله تعالى: ﴿فإن كانوا أكثر من ذلك فهم شركاء في الثلث﴾ [النساء:١٢] .

أما الإخوة الأشقاء فيستحوذون على التركة كلها إن لم يوجد وارث للميت من يقدم عليهم.." (١)

"الدين شامل لجميع مناحي الحياة

﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة:١٠] وهذا فيه إشارة يشير إليها العلماء وهي: أن العبادات إذا انتهت لا تظن أنك ابتعدت عن ربك سبحانه، فلست مع الرب في الصلاة فقط كما يقول أهل الكفر وغيرهم الذين يرون أن الصلاة في المساجد فقط، وخارج المساجد لا دخل للدين بالحياة، ولا دخل للدين بالسياسة، بل ربنا يقول: ﴿فإذا قضيت الصلاة فانتشروا في الأرض وابتغوا من فضل الله واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة:١٠] أي: فليكن ذكر الله منك على بال في عملك وفي طرقك.

وهكذا أيضا قيل في الحج: ﴿فإذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة:٢٠٠] ، إذا قضيتم المناسك وانتهيتم من أعمال الحج لا تظنوا أن الرب غاب عنكم، أو أنكم غبتم عنه وابتعدتم عن الرب، بل: ﴿إذا قضيتم مناسككم فاذكروا الله كذكركم آباءكم أو أشد ذكرا﴾ [البقرة:٢٠٠] .

كذلك بعد الانتهاء من الصيام: ﴿ولتكملوا العدة ولتكبروا الله على ما هداكم ولعلكم تشكرون﴾ [البقرة:١٨٥] .

كذلك دبر الصلوات، وبعد أن تنتهي من الصلاة، ويبوب العلماء لذلك: باب الذكر بعد الصلاة، وقد قال ابن عباس:

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٥/٣

(كنت أعرف انقضاء صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتكبير) ، وفي رواية أخرى: (إن رفع الصوت بالتكبير عند الانتهاء من المكتوبة كان على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم) .

فكلما انتهيت من عبادة بعد أن تلبست بها لا تظن أنك فارقت الذكر، بل حث ربنا على الذكر في كل المواطن: ﴿يا أيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الأنفال:٤٥] تبدأ عملك باسم الله، أنت الشافي يا رب! أنت المعين يا رب! تدعو الله عز وجل، تجعل ذكر الله دائما لك على بال، لا تفارق الذكر، فإنك مهما كنت معتصما بالذكر فشيطانك مهزوم، وتعلوه سياط التسبيح والتحميد والتهليل والتكبير، أما إذا غفلت نشط عليك الشيطان وتمكن منك، فقد وصفه الله سبحانه وتعالى بالخناس في قوله تعالى: ﴿قل أعوذ برب الناس * ملك الناس * إله الناس) * من شر الوسواس الخناس﴾ [الناس:١-٤] يخنس: أي: يختفي عند ذكر الله سبحانه وتعالى.

﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون﴾ [الجمعة:١٠] فأفادت الآية أن ذكر الله كثيرا يجلب لك الفلاح، والفلاح: هو الفوز بالمطلوب والفرار من المرهوب.

﴿واذكروا الله كثيرا لعلكم تفلحون * وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليها﴾ [الجمعة:١٠-١١] لم لم يقل: وإذا رأوا تجارة أو لهوا انفضوا إليهما؟ فالإجابة على هذا كالإجابة على قوله تعالى: ﴿واستعينوا بالصبر والصلاة وإنها لكبيرة إلا على الخاشعين﴾ [البقرة:٤٥] ولم يقل: وإنهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿ومن يكسب خطيئة أو إثما ثم يرم به بريئا﴾ [النساء:١١٢] ولم يقل: ثم يرم بهما بريئا.

وكذلك قوله تعالى: ﴿والله ورسوله أحق أن يرضوه إن كانوا مؤمنين﴾ [التوبة:٦٢] ولم يقل: والله ورسوله أحق أن يرضوهما.

وكذلك قوله تعالى: ﴿والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها﴾ [التوبة:٣٤] ولم يقل: ولا ينفقونهما، وكذلك قوله تعالى: ﴿وجعلنا ابن مريم وأمه آية﴾ [المؤمنون:٥٠] ولم يقل: آيتين، إلى غير ذلك.

فقال العلماء: اجتزئ بأحدهما لدلالته على الآخر، كما قال تعالى: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١] أي: وتقيكم أيضا البرد، ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر وسرابيل تقيكم بأسكم﴾ [النحل:٨١] فالسرابيل تقي الحر كما أنها تقي أيضا من البرد، فحذف البرد لدلالة الحر عليه، وكذلك تقدم في قوله تعالى: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء:١] أي: ونساء كثيرا، حذفت كثيرا **لدلالة السياق** عليها، والله أعلم.." (١)

"حكم من طلق زوجته ثلاثا في مجلس واحد وهي حائض

Q ما حكم رجل طلق زوجته ثلاث تطليقات في جلسة واحدة وهي حائض؟

A حائض أو ليست بحائض فالطلقة واقعة، وهذا رأي الجماهير من العلماء، ورأي الأئمة الأربعة، صحيح أن الذي يطلق امرأته في أثناء حيضتها مخالف للسنة، لكن مع مخالفته الطلقة أيضا واقعة، فمخالف السنة لا يكرم ويقال له: طلقتك

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ١٤/٦٣

ليست واقعة، بل يقال له: طلقتك واقعة، وإذا طلقتها عند الطهر واقعة أيضا لرأي الجمهور؛ لأن ابن عمر قال: (حسبت علي تطليقة) ، هذه واحدة.

والثانية: أن الرسول صلى الله عليه وسلم قال: (مروه فليراجعها) ولا مراجعة إلا بعد وقوع، وقد قدمنا الكلام على هذا باستفاضة، ولكن أكرر التنبيه على الوهم الذي وهم فيه العلامة ابن القيم رحمه الله تبعا لـ أبي محمد بن حزم رحمه الله تعالى، فهو وهم نشأ عن اختصار مخل أفسد الاختصار.

مما استدل به القائلون بأن طلاق المرأة في حيضتها لا يقع: ما ورد عن ابن عمر أنه سئل عن طلاق المرأة وهي حائض أيعتد بتلك؟ فقال: (لا يعتد بتلك) هكذا روي الأثر مختصرا عند ابن حزم بهذا اللفظ: (لم يعتد بتلك) ، والأثر لما وقفنا عليه مطولا عند ابن أبي شيبة وغيره، وفيه: (سئل ابن عمر عن رجل طلق امرأته وهي حائض أيعتد بتلك الحيضة؟) يعني: يعتد بتلك الحيضة كقرء من الأقراء وتحسب كما في قوله: ﴿والمطلقات يتربصن بأنفسهن ثلاثة قروء﴾ [البقرة:٢٢٨] فهو سأل: هل يعتد بتلك الحيضة من زمن التطليقات أم لا؟ فقال: (لا يعتد بتلك) ، أي: لا يعتد بالحيضة التي طلقت فيها المرأة، وهذا إشكال! لما اختصر المتن، وقع ابن القيم رحمه الله في زاد المعاد في هذا الوهم؛ لأنه قد شنع بهذه الرواية تشنيعا غير مقبول؛ لما سمعتموه من أن **دلالة السياق** المختصرة أخلت بالمعنى إخلالا كبيرا.

فنقول للرجل: أشهد شاهدي عدل أنك طلقت زوجتك مرة وراجعتها.." (١)

"تفسير قوله تعالى: (كلا إذا بلغت التراقي وقيل من راق)

قال تعالى: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦] ، ما هي التي بلغت؟ قدمنا أن العرب تحذف كلمات من السياق **لدلالة السياق** عليها، فهنا: (إذا بلغت) ، أي: الروح، كما في قوله: ﴿فلولا إذا بلغت الحلقوم﴾ [الواقعة:٨٣] ، والتي بلغت الحلقوم هي الروح أيضا، وقوله: ﴿حتى توارت بالحجاب﴾ [ص:٣٢] ، أي الشمس، ﴿إنها ترمي بشرر كالقصر﴾ [المرسلات:٣٢] ، أي: النار.

فالعرب تحذف شيئا من السياق إذا كان السياق يدل عليه وكان المخاطب يفهم هذا المحذوف، فيقول الله سبحانه: ﴿كلا إذا بلغت التراقي﴾ [القيامة:٢٦] ، والتراقي: هي عظام الترقوة.

قوله تعالى: ﴿وقيل من راق﴾ ، للعلماء فيه قولان: القول الأول: هل من شخص يرقي هذا المريض، أو طبيب يداويه؟ وهذا معنى تقلده فريق من المفسرين.." (٢)

"تفسير قوله تعالى: (إن علينا للهدى)

قال تعالى: ﴿إن علينا للهدى﴾ [الليل:١٢] ، أي: علينا أن نبين للناس طريق الهداية، وطريق الغواية كذلك يبينه الله للعباد، ولكن حذف **لدلالة السياق** عليه، كما قال تعالى: ﴿وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر﴾ [النحل:٨١] ، أي: وتقيكم البرد، وفهم أنها تقينا البرد من كونها تقينا الحر، وكذلك قوله: ﴿يا أيها الناس اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي   مصطفى العدوي ٣٣/٦٣

(٢) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي   مصطفى العدوي ٧/٨٠

وخلق منها زوجها وبث منهما رجالا كثيرا ونساء﴾ [النساء:١] ، أي: ونساء كثيرا كذلك، فقوله تعالى: (إن علينا للهدى) ، أي: وإن علينا أيضا بيان طريق الضلالة كذلك، كما قال تعالى في الآية الأخرى، ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ [الإنسان:٣] ، وكما قال في الآية الثالثة: ﴿وهديناه النجدين﴾ [البلد:١٠] ، يعني: بينا له الطريقين.

وقوله سبحانه: (إن علينا للهدى) فيها قولان لأهل العلم: القول الأول: إن علينا أن نبين لخلقنا طريق الهداية وطريق الغواية، ﴿إنا هديناه السبيل إما شاكرا وإما كفورا﴾ [الإنسان:٣] ، فهذا هو القول الأول.

القول الثاني: إن هداية الناس مردها إلينا لا إلى غيرنا، فلا يملكها إلا الله سبحانه وتعالى، كما قال تعالى: ﴿وما كان لنفس أن تؤمن إلا بإذن الله﴾ [يونس:١٠٠] ، وكما قال سبحانه: ﴿ولو شاء ربك لآمن من في الأرض كلهم جميعا﴾ [يونس:٩٩] ، وكما قال أهل الإيمان: ﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ [الأعراف:٤٣] ، وكما قال تعالى: ﴿ولكن الله حبب إليكم الإيمان وزينه في قلوبكم﴾ [الحجرات:٧] ، فهذا هو القول الثاني، (إن علينا للهدى) أي: إن أمر الهداية وكذلك أمر الغواية موكول إلينا نحن، ولا يستطيعه نبي ولا ملك ولا بشر ولا أي خلق، إنما مرده إلينا، والمراد بالهداية: هداية التوفيق، أما هداية الدلالة، فقال الله عنها: ﴿إنما أنت منذر ولكل قوم هاد﴾ [الرعد:٧] ، ﴿وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم﴾ [الشورى:٥٢] ، فهذه هداية الدلالة، أما هداية التوفيق فمردها إلى الله وحده، لم يملكها نوح لولده، ولا إبراهيم لأبيه، ولا نوح ولا لوط لزوجتيهما، ولا نبينا محمد عليه الصلاة والسلام لعمه، ولا يملكها أحد، قال الله سبحانه: ﴿إن علينا للهدى * وإن لنا للآخرة﴾ [الليل:١٢-١٣] ، أي: للدار الآخرة، (والأولى) ، أي: الحياة الدنيا.." [(١)]

"- ٣٣ - أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت وجعلوا لله شركآء قل سموهم أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض أم بظاهر من القول بل زين للذين كفروا مكرهم وصدوا عن السبيل ومن يضلل الله فما له من هاد

يقول تعالى: ﴿أفمن هو قآئم على كل نفس بما كسبت﴾ أي حفيظ عليم رقيب على كل نفس منفوسة يعلم ما يعمل العاملون من خير وشر ولا يخفى عليه خافية ﴿ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودا إذ تفيضون فيه﴾، وقال تعالى: ﴿وما تسقط من ورقة إلا يعلمها﴾، وقال: ﴿سوآء منكم من أسر القول ومن جهر به ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار﴾، وقال: ﴿يعلم السر وأخفى﴾، وقال: ﴿وهو معكم أين ما كنتم والله بما تعملون بصير﴾، أفمن هو كذلك كالأصنام التي يعبدونها لا تسمع ولا تبصر ولا تعقل ولا تكشف ضرا عنها ولا عن عابديها؟ وحذف هذا الجواب اكتفاء **بدلالة السياق** عليه، وهو قوله: ﴿وجعلوا لله شركآء﴾ أي عبدوها معه من أصنام وأنداد وأوثان، ﴿قل سموهم﴾ أي أعلمونا بهم واكشفوا عنهم حتى يعرفوا فإنهم لا حقيقة لهم، ولهذا قال: ﴿أم تنبئونه بما لا يعلم في الأرض﴾ أي لا وجود له، لأنه لو كان لها وجود في الأرض لعلمها، لأنه لا تخفى عليه خافية ﴿أم بظاهر من القول﴾، قال مجاهد: بظن من القول، وقال الضحاك وقتادة: بباطل من القول، أي إنما عبدتم هذه الأصنام بظن منكم أنها تنفع وتضر وسميتموها آلهة، ﴿إن هي إلا أسمآء سميتموهآ أنتم وآبآؤكم مآ أنزل الله بها من سلطان﴾، ﴿بل زين للذين كفروا مكرهم﴾ قال مجاهد: قولهم أي ما هم

---

(١) سلسلة التفسير لمصطفى العدوي مصطفى العدوي ٨/٩٤

عليه من الضلال والدعوة إليه آناء الليل وأطراف النهار، كقوله تعالى: ﴿وقيضنا لهم قرنآء فزينوا لهم﴾ الآية، ﴿وصدوا عن السبيل﴾ أي بما زين لهم من صحة ما هم عليه صدوا به عن سبيل الله، ولهذا قال: ﴿ومن يضلل الله فما له من هاد﴾، كما قال: ﴿ومن يرد الله فتنته فلن تملك له من الله شيئا﴾، وقال: ﴿إن تحرص على هداهم فإن الله لا يهدي من يضل وما لهم من ناصرين﴾.." (١)

"الناس إلا من رحم الله، قال ابن عباس: فاشيا، وقال قتادة: استطار والله شر ذلك اليوم حتى ملأ السماوات والأرض.

وقوله تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه﴾ قيل: على حب الله تعالى **لدلالة السياق** عليه، والأظهر أن الضمير عائد على الطعام، أي ويطعمون الطعام في حال محبتهم وشهوتهم له، قاله مجاهد ومقاتل، واختاره ابن جرير كقوله تعالى: ﴿وآتى المال على حبه﴾، وكقوله تعالى: ﴿لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون﴾، وروى البيهقي عن نافع قال: مرض ابن عمر فاشتهى عنبا أول ما جاء العنب، فأرسلت صفية يعني امرأته فاشترت عنقودا بدرهم، فاتبع الرسول سائل، فلما دخل به قال السائل: السائل، فقال ابن عمر: أعطوه إياه فأعطوه إياه (أخرجه البيهقي عن نافع وفيه أنها أرسلت بدرهم آخر فاشترت به فأعطاه للسائل ثم بدرهم ثالث)، وفي الصحيح: «أفضل الصدقة أن تصدق وأنت صحيح شحيح تأمل الغنى وتخشى الفقر» أي في حال محبتك للمال وحرصك عليه وحاجتك إليه، ولهذا قال تعالى: ﴿ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا﴾ أما المسكين واليتيم فقد تقدم بيانهما وصفتهما، وأما الأسير فقال الحسن والضحاك: الأسير من أهل القبلة، وقال ابن عباس: كان أسراؤهم يومئذ مشركين، يشهد لهذا أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أمر أصحابه يوم بدر أن يكرموا الأسارى، فكانوا يقدمونهم على أنفسهم عند الغذاء، وقال عكرمة: هم العبيد، واختاره ابن جرير لعموم الآية للمسلم والمشرك، وقد وصى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالإحسان إلى الأرقاء حتى كان آخر ما أوصى به أن جعل يقول: «الصلاة وما ملكت أيمانكم» قال مجاهد: هو المحبوس، أي يطعمون الطعام لهؤلاء، وهم يشتهونه ويحبونه قائلين بلسان الحال: ﴿إنما نطعمكم لوجه الله﴾ أي رجاء ثواب الله ورضاه ﴿لا نريد منكم جزآء ولا شكورا﴾ أي لا نطلب منكم مجازاة تكافئوننا بها ولا أن تشكرونا عند الناس، قال مجاهد: أما والله ما قالوه بألسنتهم، ولكن علم الله به من قلوبهم، فأثنى عليهم به، ليرغب في ذلك راغب ﴿إنا نخاف من ربنا يوما عبوسا قمطريرا﴾ أي إنما نفعل هذا لعل الله أن يرحمنا ويتلقانا بلطفه في اليوم العبوس القمطرير، قال ابن عباس: ﴿عبوسا﴾ ضيقا ﴿قمطريرا﴾ طويلا، وقال عكرمة: يعبس الكافر يومئذ حتى يسيل من بين عينيه عرق مثل القطران، وقال مجاهد: ﴿عبوسا﴾ العابس الشفتين، ﴿قمطريرا﴾ قال: يقبض الوجه باليسور، وقال سعيد بن جبير وقتادة: تعبس فيه الوجوه من الهول ﴿قمطريرا﴾ تقلص الجبين وما بين العينين من الهول، وقال ابن زيد: العبوس الشر، والقمطرير الشديد، وقال ابن جرير: والقمطرير هو الشديد، يقال: هو يوم قمطرير ويوم قماطر، ويوم عصيب وعصبصب.

قال الله تعالى: ﴿فوقاهم الله شر ذلك اليوم ولقاهم نضرة وسرورا﴾ وهذا من باب التجانس البليغ، ﴿فوقاهم الله شر ذلك

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٢٨٣

اليوم﴾ أي آمنهم مما خافوا منه، ﴿ولقاهم نضرة﴾ أي في وجوههم، ﴿وسرورا﴾ أي في قلوبهم وهذه كقوله تعالى: ﴿وجوه يومئذ مسفرة * ضاحكة مستبشرة﴾ وذلك أن القلب إذا سر استنار الوجه. قال كعب بن مالك في حديثه الطويل: وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا سر استنار وجهه حتى كأنه فلقة قمر، وقالت عائشة رضي الله عنها: «دخل علي رسول الله صلى الله عليه وسلم مسرورا تبرق أسارير وجهه» الحديث. وقوله تعالى: ﴿وجزاهم بما صبروا﴾ أي بسبب صبرهم أعطاهم ونولهم وبوأهم ﴿جنة وحريرا﴾ أي منزلا رحبا، وعيشا رغدا، ولباسا حسنا.." (١)

"- ١١ - كذبت ثمود بطغواها

- ١٢ - إذ انبعث أشقاها

- ١٣ - فقال لهم رسول الله ناقة الله وسقياها

- ١٤ - فكذبوه فعقروها فدمدم عليهم ربهم بذنبهم فسواها

- ١٥ - ولا يخاف عقباها

يخبرتعالى عن ثمود أنهم كذبوا رسولهم، بسبب ما كانوا عليه من الطغيان والبغي، فأعقبهم ذلك تكذيبا في قلوبهم بما جاءهم به رسولهم عليه الصلاة والسلام من الهدى واليقين ﴿إذ انبعث أشقاها﴾ أي أشقى القبيلة وهو (قدار بن سالف) عاقر الناقة، وهو الذي قال الله تعالى: ﴿فنادوا صاحبهم فتعاطى فعقر﴾ الآية، وكان هذا الرجل عزيزا شريفا في قومه، نسيبا رئيسا مطاعا، كما قال الإمام أحمد: خطب رسول الله صلى الله عليه وسلم فذكر الناقة، وذكر الذي عقرها، فقال: «﴿إذ انبعث أشقاها﴾ انبعث لها رجل عارم عزيز منيع في رهطه مثل أبي زمعة» (أخرجه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي من حديث عبد الله بن زمعة). وروى ابن أبي حاتم، عن عمار بن ياسر قال، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي: «ألا أحدثك بأشقى الناس؟» قال: بلى، قال: «رجلان أحيمر ثمود الذي عقر الناقة، والذي يضربك يا علي على هذا - يعني قرنه - حتى تبتل منه هذه» يعني لحيته (أخرجه ابن أبي حاتم). وقوله تعالى: ﴿فقال لهم رسول الله﴾ يعني صالحا عليه السلام ﴿ناقة الله﴾ أي احذروا ناقة الله أن تمسوها بسوء، ﴿وسقياها﴾ أي لا تعتدوا عليها في سقياها فإن لها شرب يوم، ولكم شرب يوم معلوم، قال الله تعالى: ﴿فكذبوه فعقروها﴾ أي كذبوه فيما جاءهم به، فأعقبهم ذلك أن عقروا الناقة، التي أخرجها الله من الصخرة آية لهم وحجة عليهم، ﴿فدمدم عليهم ربهم بذنبهم﴾ أي غضب عليهم فدمر عليهم، ﴿فسواها﴾ أي فجعل العقوبة نازلة عليهم على السواء. قال قتادة: بلغنا أن أحيمر ثمود لم يعقر الناقة حتى تابعه صغيرهم وكبيرهم وذكرهم وأنثاهم، فلما اشترك القوم في عقرها دمدم الله عليهم بذنبهم، فسواها، وقوله تعالى: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ قال ابن عباس: لا يخاف الله من أحد تبعة (وكذا قال مجاهد والحسن وبكر المزني وغيرهم)، وقال الضحاك والسدي: ﴿ولا يخاف عقباها﴾ أي لم يخف الذي عقرها عاقبة ما صنع، والقول الأول أولى **لدلالة السياق** عليه، والله أعلم.." (٢)

---

(١) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٥٨٢

(٢) مختصر تفسير ابن كثير محمد علي الصابوني ٢/٦٤٥

"ب- المآخذ على تأويله:

المأخذ الأول: تفسير القرآن بالأعراف، والعرف مختلف باختلاف الناس والزمان والمكان، وذلك كما ترى في قوله: "وقد جرى العرف على تسمية الأشياء التي يعجز الناس عن تعليلها بأنها سماوية".

المأخذ الثاني: صرف القرآن عن الظاهر المتبادر، وعن **دلالة السياق**، ليوافق رواية في الإنجيل لو سلمنا جدلا بصحتها فهي مختلفة عن مائدة الحواريين، ثم دعواه أنه يتحدى لجنة العلماء أن تأتي من ألفاظه ما يبين أنه قال بصحة إنجيل (متى) ، ونقول له لا دليل عليك أقوى ولا أبلغ مما فعلت.

المأخذ الثالث: زعمه أن١ معجزة المائدة ليس فيها نص قطعي الثبوت والدلالة، وهو زعم ما كان لمثله أن ينزل نفسه هذا المنزل الوعر، فآيات سورة المائدة قطعية الثبوت إيمانا يقينا منا ومنه، ودلالتها أيضا كذلك.

المأخذ الرابع: اعترافه صراحة بأنه اتخذ التأويل سلما للإنكار، وذلك حين قال في خاتمة رده٢: "هل يزيد ما قلته على أني أنكر نزول المائدة؟ وهل يعيبني عند ربي أن أنتظم في صف مجاهد والحسن؟ ".

المأخذ الخامس: مع أننا لا نأخذ في هذه المسألة برأي مجاهد والحسن رحمهما الله وغفر لهما، إلا أن تأويل الشيخ النجار يختلف تماما عن صنيعهما.

المأخذ السادس: نقله بعض المسطور في كتب التفسير، دون الإشارة إلى أن أصحاب هذه التفاسير ينقلون ما يوافقهم وما يخالفهم، وقد سبق أن نقلنا لقارئ هذه الأسطر عن الطبري وابن كثير ما يبين إيمانهما بنزول المائدة، ولكن الشيخ كان يوهم القارئ بترجيح المفسرين لما ليس براجح عندهم.

المأخذ السابع: قوله إن كلمة (الإنزال) في القرآن وردت لعديد من المعاني غير معناها الأول، وهو الإنزال من السماء إلى الأرض، ليكون هذا التلبيس عونا له على تأويله.

المأخذ الثامن: يظهر للمتمعن لآراء الشيخ أنه ينكر نزول المائدة؛ اتباعا لمذهب عقلي جامح يحاول أن يخضع الأخبار الغيبية في القرآن للمنطق المادي.

---

١ هذه العبارات منقولة من قصص الأنبياء كما سبقت الإشارة، ورأينا تجنبا للتكرار إيراد مآخذنا مع عبارته المنتقدة.

٢ هذه العبارات منقولة من قصص الأنبياء كما سبقت الإشارة، ورأينا تجنبا للتكرار إيراد مآخذنا مع عبارته المنتقدة.." [١]

---

(١) المعجزات والغيبيات بين بصائر التنزيل ودياجير الإنكار والتأويل   عبد الفتاح إبراهيم سلامة ص/١٨٤